

مقررًا الطالب بعمل التصويبات المطلوبة

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠١٩٢١

## الدولة العثمانية والغزو الفكري

حتى عام ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م

الطالب: خلف بن دبلان الوديعاني

رسالة مقدمة لنيل درجة

الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث

١٤٠٣هـ

إعداد

خلف بن دبلان بن خضر الوديعاني

إشراف الأستاذ

الدكتور عبد اللطيف عبد الله بن كهيض



مكة المكرمة

١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عنوان الرسالة : ( الدولة العثمانية والغزو الفكري حتى عام ١٢٢٧ هـ / ١٩٠٩ م )

مما هو ملاحظ أن معظم من تناول موضوع الغزو الفكري في الدولة العثمانية قسّد ركز على أن الدولة العثمانية كانت عرصة لهذا الغزو الفكري في كل عصورها التاريخية ولكن فاتهم أن يعرفوا الحقيقة وهي أن الدولة العثمانية كانت غازية في عصور قوتها حيث قامت بفتح مناطق واسعة ونشرت الاسلام بها . وكان تقدمها في عصرها الأول يرجع الفضل فيه الى الله سبحانه ، ثم لتطبيقها للنظم الاسلامية تطبيقاً شاملاً ، ولكنها كانت غير ذلك في عصرها الثاني ، عندما انحرفت عن المنهج الاسلامي القويم ، فاختذت في سن قوانين وضعية ما أنزل الله بها من سلطان وحق عليها قوله تعالى : \* ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم \* .

وتحتوي خطة البحث على مقدمة وخمسة فصول . فالمقدمة تتحدث عن طبيعة الدولة الاسلامية وفتوحاتها في آسيا الصغرى وشرق أوروبا تدفعها الى ذلك روح الجهاد الاسلامي ، لنشر الاسلام فيها ، لذلك كان استمرار الجهاد أحد أهداف قادة هذه الدولة .

وفي الفصل الأول تحقق هذا حيث بلغت الدولة العثمانية أوج قوتها لاعتمادها على تطبيق النظم الاسلامية ، وكان ركائز هذه القوة صلاح السلطان والشيخ والجنسدى وهذا ما جعل محمد الفاتح يتطلع لفتح القسطنطينية مركز ومعبر المصبية الى الأراضي الاسلامية لمحاربة الاسلام ، وقد استطاع محمد الفاتح من فتحها .

أما الفصل الثاني فجاء الحديث فيه من الوسائل التي أدت الى تسرب الخلل الى السلاطين وهيئة العلماء والى الجيش المحارب (الانكشارية) وعدم استطاعتهم حل المشكلات لاجراء دولتهم الى بر الأمان في عصر الدولة الثاني ، هذا الخلل جعل الدولة حقلًا للغزو الفكري الأوربي . وقد جاء هذا الغزو عن طريق الارشاليات الاجنبية والتي كانت تضم أعدادا كبيرة من المستشرقين والمنصرين .

وفي الفصل الثالث كان الحديث عن عوامل الغزو الفكري الأوربي للدولة العثمانية والممثلة في العلمانية والقومية والحركة الدستورية والتي تسربت افكارها عن طريق الحملة الفرنسية الى ولايات عديدة من ولايات الدولة العثمانية بهدف تفتيت الوحدة الاسلامية وخلق جو من الاضطرابات داخل جسم الدولة رغبة في الاستقلال عنها .

أما الفصل الرابع فقد تعرضت الخطة لمظاهر الغزو الفكري حيث اتجهت الدولة نحو الدستور فأصدرت خط كلخانة سنة ١٢٥٥ هـ . ثم أخذ هذا الغزو يتفاقم منذ الحرب الروسية التركية المسماة بحرب القرم التي انتهت بمعاهدة باريس سنة ١٢٧٣ هـ عندما أرغمت الدول الاوربية الدولة العثمانية باصدار الخط الهمايوني سنة ١٢٧٣ هـ . تبع ذلك انهيار التشريع الاسلامي وخلع السلطان عبدالحميد سنة ١٣٢٧ هـ بواسطة حزب الاتحاد والترقي بالتعاون مع الصهيونية والماسونية التي فرغت على البلاد صدور المشروطة الاولى والثانية .

أما الفصل الخامس فقد خصص لمواجهة الغزو الفكري في الدولة العثمانية وذلك عندما قام حزب الاتحاد الاسلامي ضد الاحرار دعاة المشروطة لمقاومتها . ومن أهم النتائج التي تم التوصل اليها في هذا البحث :

- ١- حماس الدولة العثمانية في الجهاد ونشر الدعوة نحو الغرب منذ بدايتها .
  - ٢- عقب سقوط القسطنطينية في يد العثمانيين سجلت اوروبا تراجعاً عسكرياً ، وواقفت تهديدها المصليبي لغزو المقدسات الاسلامية وحصرت طاقاتها الدفعية من مقبض البابوية في روما .
  - ٣- حين تساهلت الدولة في أمر دينها الاسلامي في عصرها الثاني ، أخذ الغزو الفكري يتغلغل ، لفعل سلاطين وجيش وعلماء الدولة فعمل على تفتيت ممتلكاتها الاسلامية .
  - ٤- واخيراً فانه اذا كانت اوروبا النصرانية قد اوقفت التحرك المصليبي العسكري فانها ظهرت بمظهر جديد هو الغزو الفكري ، مما يحتم على العالم الاسلامي أن يركز على غزو فكري اسلامي مضاد يعمل على ترسيخ النظم الاسلامية ونبذ ما يخالف ذلك .
- " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون " .
- وبالله التوفيق .

الطالب

المشرف

عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية

خلف بن دبلان الوديناني

د. عبد اللطيف بن دهيش

د. عابد محمد السفياني

### تقديم الموضوع :

الحمد لله الذي هدانا الى الاسلام ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ،  
وأكمل لنا الدين ، وأتم علينا النعمة ، ورضي لنا الاسلام ديناً ، وأرسل  
محمدًا بالهدى ودين الحق ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة وجاهد في الله حق  
جهاده ، حتى تركنا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها  
إلا هالك ، فصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان  
الى يوم الدين . وبعد :

فانه بعد حصولي على درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي في  
( العصر الحديث ) ، أخذت أستعرض أحداث التاريخ الاسلامي وتطوراته وذلك  
لاختيار موضوع منها يكون مناسباً لدراسته في مرحلة الدكتوراه ، ومن خلال  
تلك الدراسة رأيت أن تاريخ العالم العربي والاسلامي في العصر  
الحديث يعتبر الجزء الأكبر منه داخل في تاريخ الدولة العثمانية ، ومن ثم  
أصبح اختيار موضوع من تاريخنا العربي والاسلامي في العصر الحديث مرتبطاً  
أساساً بتاريخ الدولة العثمانية . ومن هذا المنطلق وقع اختياري لموضوع  
جوهري يمس حياتنا وواقعنا المعاصر ، لأن جذوره ظهرت ونشأت خلال فترة تاريخ  
العصر الحديث للعالم الاسلامي والعربي وذلك لمعرفة أسبابه ونشأته وتطوره  
ونتائجه . فكان هذا الموضوع يحمل عنوان ( الدولة العثمانية والغزو  
الفكري ) حتى عام ١٢٢٧ هـ / ١٩٠٩ م . وقد جاء اختياري لهذا الموضوع  
لأمور منها :

أولاً: لاحظ كثير من الباحثين الذين تناولوا الغزو الفكري  
قد ركزوا على أن العالم الاسلامي كان عرضة للغزو الفكري في كل عصوره  
التاريخية ، وخاصة في العصر الحديث . ولكن فاتهم أن يلاحظوا أن العالم  
الاسلامي كان غنياً في عصور قوة الدولة الاسلامية . فالدولة العثمانية  
كانت متقدمة فكرياً وسياسياً في عصرها الأول ذلك العصر الذي طبقت فيه  
النظم الاسلامية تطبيقاً شاملاً ولكنها كانت غير ذلك في عصرها الثاني .

ثانياً: أهمية تناول الغزو الفكري من الجانب التاريخي وبالأسلوب  
التاريخي التطبيقي في العصر الحديث ، تناولاً - في ظني - ينفرد به قسم الدراسات  
العليا التاريخية والحضارية وقسم التاريخ الاسلامي بكلية الشريعة



والدراسات الاسلامية بجامعة أم القرى لاعداد تخصصات مباشرة ودقيقة  
للموضوعات التي استحدثت عند تطوير مناهج قسم التاريخ ، ومنها الغزو  
الفكري .

فموضوع الدولة العثمانية والغزو الفكري من الموضوعات الهامة  
والجديدة التي لم يتعرض لها أى باحث على المستوى العلمي الدقيق ،  
ونتيجة لذلك استعنت بالله وسألته التوفيق وعزمت على دراسة هذا  
الموضوع وجمع شتات مادته من الموارد العلمية ذات الصلة بالموضوع .

أما الصعوبات التي واجهتني ، فلا شك أن أى باحث مهما بلغت درجته  
العلمية - لا بد أن تقابله بعض الصعوبات والمتاهات التي تظهر له أثناء  
جمع المادة ، ولكن بالعزيمة والاصرار يستطيع الباحث بتوفيق من الله  
تعالى أن يجتاز كل الصعوبات ، إلا أن الباحث لا يخلو من الخوف والقلق  
وهذا ما حدث لي ، وخاصة لصعوبة هذا الموضوع ، حيث بدأت رحلتي العلمية  
الشاقة للبحث عن مادة هذا الموضوع ، بدراسة تاريخ الدولة العثمانية  
منذ نشأتها حتى خلع السلطان عبد الحميد الثاني دراسة مستفيضة وقفت من  
خلالها على أحوال الدولة في عصر قوتها حتى دانت لها أوروبا ، وجشت أمامها  
على ركبتيها ، بل وهددت روما حتى كادت فتحها ونشر الاسلام بها ، فاهتزت  
لهذا الحدث أركان أوروبا ، وخافت روما من السقوط . ونتيجة لذلك انكمشت  
الحركة الصليبية خوفا من المسلمين بل توقفت نهائيا من الوصول الى اسطنبول  
التي كانت مركزها ومعبدها الوحيد الى داخل الاراضي الاسلامية فوقفت الصليبية  
تدافع عن نفسها مذهولة ، بعد أن كانت تهدد العالم الاسلامي وتقيم الأحلاف  
عقب الأحلاف ، لتنتقل بحروبها الصليبية من جديد الى البلاد الاسلامية ولكن الله خذلها  
وردكيد هذا لا بد أن أبرز هذه الاحداث التاريخية المشرفة التي قام بها العثمانيون  
فاتحين نحو الغرب للجهاد في سبيل الله ونشر الاسلام في أوروبا حتى حققوا  
تلك الانتصارات كبناء دولتهم على الأسس الاسلامية ، فتمكنوا بفضل من الله  
قهر أعدائها نصارى أوروبا وواقفت خطر الحملات الصليبية التي كانت تهدد  
العالم الاسلامي وحولت مركزهم ومنطلق حملاتهم الى عاصمة اسلامية ومنطلق

للدعوة الإسلامية في أوروبا. لذلك تقدمت الجيوش الإسلامية في فتوحاتها في عصر سليمان الأول (القانوني) حتى بلغت أقصى اتساعها فشملت القارات الثلاث آسيا وأوروبا ثم إفريقيا ، وبالتالي غدت الدولة العثمانية دولة إسلامية عظيمة شملت أراضيها قارات ثلاث فانتشرت مع ذلك الدعوة الإسلامية وزاد عدد شعوبها ، إلا أن هذا التحرك الإسلامي العظيم أزج الدول الأوروبية والشعوب النصرانية فاخذت تخطط للنيل من هذه الدولة ومحاربة الإسلام والحد من انتشاره وكان منفذها الوحيد لتحقيق أهدافها وغاياتها هو عن طريق الغزو الفكري وإيهام قادة الدولة بأنها في حاجة إلى تطوير نظمها وقد تحقق لها ذلك بعد موت السلطان سليمان الأول ، فحل بالدولة الخلل الذي لم يستطع للأسف سلاطينها وعلمائها وقادة جيشها من التغلب عليه خاصة بعد أن سرت بين قادتها حياة الترف والانغماس في الملذات وعدم الالتفات إلى إدارة الدولة وتطويرها ، فقد كانت الثروة التي جمعها سلاطين آل عثمان في عصرها الأول من الفتوحات العديدة والغنائم الكثيرة ، وما تلى ذلك من الاستقرار الداخلي وزيادة موارد الدولة هي التي أفستت نظام الدولة وسلاطينها وجيشها ، ونظرا لضعف السلاطين خلال العصر العثماني الثاني للدولة العثمانية وتساهلهم في الحفاظ على ممتلكات وحدود الدولة ووحدتها التي حصلت عليه في عصرها الأول . مما هيأ الجو للعناصر المعادية لأن تعمل في السر والعلانية لغزو الدولة العثمانية فكريا وعسكريا ، فكثرَت الرسائل الأجنبية والبعثات التنصيرية وخاصة إلى بلاد الشام وتداخلت الأحزاب السرية من صهيونية وماسونية حتى أغرقت البلاد من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها محاولة تغيير المفاهيم الإسلامية . ومما يؤسف له أن قادة الدولة أهملوا الداء حتى عم واستشرى شره ، وما علموا أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان فلم يبحثوا في إيجاد نظم تتماشى مع الشريعة الإسلامية بل استبدلوا بالشريعة القوانين الوضعية التي وضعها لهم أعداء الإسلام ، فأضعفوا الإسلام فضعفوا ، وتدخلت الدول الأجنبية في شؤون الدولة الداخلية والخارجية وحصلت على الامتيازات والحقوق التي رسخت أقدامها في البلاد الإسلامية وظهر أعداء الإسلام بمظهر دعاة الإصلاح ، فكانت الفرصة سانحة

لهم لعمل ما يريدون عمله بتوجيه عالمي من زعماء الصهيونية والماسونية والعلمانية العالمية وجاءت جمعية الاتحاد والترقي التي يقودها أذيسال الماسونية والعلمانية وتسلطوا على السلطة حتى استطاعوا خلع السلطان عبدالحميد الثاني عام ١٢٢٢هـ/١٩٠٩م فأنهوا بذلك الدولة التي أصبحت لقمة سائغة للاستعمار.

وخلال تلك الفترة ظهر في شبه الجزيرة العربية الزعيم القائد الامام محمد بن سعود فبايد الدعوة الاصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب وظهرت في شبه الجزيرة العربية دولة التوحيد الدولة السعودية فكان الاعداء لها بالمرصاد ، فقاموا بتفتيت تلك الدولة الاسلامية الرائدة أكثر من مرة ونعتوها باللقاب حتى يظهرها بالمظهر الخارج عن الاسلام ولكن الله ينصر من ينصره فقد هيأ لهذه الدولة قائدا حكيما لم تنطل عليه الحيل والاقاويل ، هو الملك عبدالعزيز الذي خشي أن تطأ أقدام الكفرة الأراضي المقدسة في الحرمين الشريفين ، فسار في عملية فدائية حتى وحد شبه الجزيرة العربية وأبعد عنها شبح الاستعمار وعمل على توحيد الأمة العربية والاسلامية وأعاد للعالم الاسلامي مكانته وشخصيته البارزة كما طبق الشريعة الاسلامية كأساس للحكم والادارة .

ولجمع مادة هذا البحث فكان لزاما علي أن أقوم برحلة علمية أقف من خلالها على مادة هذا الموضوع من مظانها الأصلية في المكتبات العامة والخاصة ومراكز البحوث والوثائق في داخل المملكة وخارجها .

لهذا قررت السفر أولا الى اسطنبول عاصمة الدولة العثمانية ولوجود الوثائق والمخطوطات هناك . وبعد عناء وجدت في الأرشيف العثماني التابع لرئاسة مجلس الوزراء في اسطنبول Baskbkanlik Osmanli Arsiv بعض الوثائق والمعاهدات العثمانية الهامة منها ما يتعلق بالامور التالية:

١- وثائق المشروطية الاولى التي صدرت في عهد السلطان عبدالحميد الثاني سنة ١٢٩٤هـ .

٢- معاهدة سان ستيفانو سنة ١٩٧٨م .

٣ - معاهدة برلين سنة ١٨٧٨ م .

٤ - وثائق المشروطة الثانية التي صدرت في نهاية عهد السلطان

عبد الحميد الثاني سنة ١٣٢٦ هـ .

إضافة الى بعض المخطوطات والكتب النادرة التي أثرت البحث في  
معظم أبوابه .

ثم عرجت في طريق عودتي الى سوريا شم الاردن حيث كانت المحطة الثانية  
للرحلة ، فالقاهرة حيث حصلت هنا على مجموعة هامة من الكتب والمذكرات  
التي أعانتني في الدراسة وبددت الخوف والقلق الذي كان ينتابني من عدم  
الحصول على المادة العلمية ، ولكن ما أسعدني حقاً هو حصولي - عندما  
واصلت السير الى لندن ، و عثوري على بعض الوثائق الهامة في أرشيف السجلات  
البريطانية العام Public Record Office هذه الوثائق  
أثرت موضوع الغزو الفكري وغطت مادته العلمية في كثير من الجوانب  
الهامة فأعنتني عن بعض المراجع لولا الاستئناس بها ، لان بريطانيا تتجسس  
على فرنسا وروسيا ، فنقلت نشاطهم ونفوذ هذه الدول وماكاتت تجنسه  
لغرض بسط نفوذ تلك الدول على بلاد الشام ، وما يملى عليها لتنفيذه وهو  
ماتعرضنا له في متن الرسالة .

فكل تلك الوثائق والمعاهدات والمصادر والمراجع التي سنذكرها  
في قائمة ثبت المراجع في آخر هذا البحث حصلت عليها من تلك البلاد ،  
وقد فتحت هذه المادة العلمية أمامي مجال البحث والاستقصاء ودراسة ماتوفر  
لي من مادة علمية ، فوقفت أمامها ساعات طويلة أقرأها وأحللها وأستنبط  
الحقائق منها بكل تجرد وبكل حذر واضعاً أمامي أن تلك الامور احدى مهام  
المؤرخ الفاحص الباحث عن الحقيقة المجردة ، وأخذت بعد جمع المصادر  
الكتابة في الموضوع حسب الخطة الموضوعية له .

وتحتوي خطة الرسالة على مقدمة وخمسة فصول لتعالج نقاط البحث .  
فالمقدمة تتحدث عن طبيعة الدولة الاسلامية وفتوحاتها في آسيا الصغرى  
وشرق وجنوب أوروبا تدفعها الى ذلك روح الجهاد الاسلامي ، لفتح المدن البيزنطية  
ونشر الاسلام لذلك كان استمرار الجهاد أحد أهداف قادة الدولة ، وهذا

ماتحقق في الفصل الأول حيث بلغت الدولة العثمانية أوج قوتها وتماسكها بفضل من الله وتوفيقه ثم باعتمادها على تطبيق النظم الاسلاميــــــــــــة . وقد عرف المؤرخون هذه الفترة بعصر عظمة الدولة ، أو عصر السلاطيين العشرة الأوائل . وكان من ركائز هذه القوة هو صلاح العناصر الثلاثة السلطان والشيخ والجندى واعتمادهم على الاسلام قلبا وقالباً مما جعل الدولة قوية ، وهذا ما جعل السلطان محمد الفاتح يتطلع بنظره لفتح القسطنطينية مركز ومعبر الصليبية الى الاراضي الاسلامية لمحاربة الاسلام . وقد استطاع محمد الفاتح فتح القسطنطينية فثار غضب الصليبيين ، ولم تهدأ الا عندما دبرت اغتياله بواسطة طبيبيه اليهودي الذي اعتنق الاسلام لأجل هدف القضاء على هذا السلطان المجاهد .

أما الفصل الثاني فقد جاء الحديث فيه عن الوسائل التي أدت إلى تسرب الخلل إلى السلاطين وهيئة العلماء وإلى الجيش المحارب (الانكشارية) في عصر الدولة العثمانية الثاني، مما أدى إلى التوقف والركود بعد أن بلغت الدولة شأوا رفيعا من النصر والانتصاف، وبسطت نفوذها على ثلاث قارات، أدى إلى انكماش الدولة وتدهورها منذ نهاية السلطان سليمان الأول حيث تعاقبت الهزائم على جيش الدولة في ميادين حربية عديدة مما أعقبه عقد المعاهدات الواحدة تلو الأخرى والتي عجلت في ضعف الدولة، ففقدت الدولة بعض ممتلكاتها في جنوب أوروبا، وذلك لمضعف السلاطين وانغماسهم في حياة الترف وتوسع الولاة وحماقه القادة، وعدم استطاعتهم حل المشكلات بحكمة ودراسة من أجل إخراج الدولة إلى بر الأمان وتخليصها من هذه الأزمات ودراسة وضع البلاد وإيجاد طرق العلاج لها في الحال. ولكن استمرار الدولة على هذا الوضع جعلها حقلًا للغزو الفكري الأوروبي بسبب عوامل امتدت إلى الفصل الثالث، وهي تطورات أو عوامل الغزو الفكري في التاريخ الأوروبي الحديث والمتمثلة في العلمانية والقومية والحركة الدستورية، فقد تسربت هذه الأفكار والأطماع عن طريق الثورة الفرنسية إلى ممالك الدولة العثمانية في أوروبا، مما أفقدها بلاد اليونان ثم تلتها

الحركة الدستورية التي اضطربت بأفكارها دول البلقان ، المصرب والافلاق  
والبغدان والجبل الاسود ، طلبا للاستقلال ، فأخذت في الثورة رغبة  
في الاستقلال عن الدولة العثمانية ، وكانت تساندهم روسيا حتى نالست  
استقلالها في معاهدة برلين سنة ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م .

وفي الفصل الرابع تعرضت الخطة لمظاهر الغزو الفكري ، الذي  
أخذ يتفاقم منذ الحرب الروسية التركية المسماة بحرب القرم (١٢٦٩-١٢٧٢هـ/  
١٨٥٣-١٨٥٥م) وما انتهت اليه من عقد معاهدة باريس سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م ،  
تحت اشراف فرنسا وبريطانيا وهي دول معادية للاسلام ، ونتيجة لابــــرام  
هذه المعاهدة وقعت الدولة العثمانية في منزلق الاصلاح ، ثم ألحقت  
خط كلخانة سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م بالخط الهمايوني سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م وتبعه  
انشاء المحاكم المختلطة والمحاكم التجارية ، هذا الحدث هو بداية انهيار  
التشريع الاسلامي ، حيث أخذ الغزو يتفاقم حتى خلع السلطان عبدالحميد  
الثاني بواسطة حزب الاتحاد والترقي وبالتعاون مع الصهيونية  
والماسونية ، وتم نفيه الى سلاويك سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م بعد أن أعيت أوربا  
الحلول العسكرية بسبب القوة والتمسك اللذان اكسبهما الاسلام للدولة  
العثمانية .

أما الفصل الخامس والأخير فقد جاء بتقييم جديد لدعوة التوحيد  
والاصلاح بعد أن هيا الله لها دعاة صدقا ، قاموا بضد الموجات والتيارات  
الملحدة الوافدة الى شبه الجزيرة العربية وقاوموها بقوة ايمانهم  
واسلامهم وعقيدتهم بمحاربة أعداء الاسلام فجاهدوا في سبيل الله لنشره  
في البلاد المفتوحة . وبالرغم من الأزمات التي تعرضوا لها فانها لم تزدهم  
الا ثباتا على دعوتهم السلفية التي استمرت على مر عصور الدولة  
السعودية وسوف تظل كذلك الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وأخيرا اختتمت الفصول بالخاتمة والنتائج التي توصلت اليها  
خلال هذا البحث .

أرجو من الله العليّ القدير أن أكون قد وفقت بتقديم اضافــــــــــــة  
جديدة للعلم وطلابه اسهاما منى في دراسة جزء من عالمنا الاسلامي ، اسهام  
المتوافع لخدمة وطنه الوفي الغالي .

وفي هذه المناسبة لايفوتني أن أنوه بجهود المشرف السابق الأستاذ  
الدكتور محمد عبداللطيف البحرأوى ، الذى أشرف على هذه الرسالة  
مايقارب السنة ، وقد أعطاني من وقته الكثير في سبيل مناقشة كثير من  
المواضيع حتى استقر رأى الأخير على اختيار هذا الموضوع . ولايسعني  
في هذا المقام الا أن أدعو له بطول العمر والبقاء وأن يجزيه الله عنا  
خيرالجزاء . ولاستقالته حول اشرافي الى سعادة الأستاذ الدكتور ابراهيم  
مفيرون الذى لم يأل جهدا في متابعة الاشراف وتقديم النصح حتى استقال .  
ومن ثم حول الاشراف الى أستاذنا الأستاذ الدكتور عبداللطيف عبدالله بن  
دهيش .

وختاما أرى من واجبي في هذه المناسبة أن أتقدم بالشكر الجزيل  
الى كل من قام بمساعدتي في اجتياز هذه المراحل لاجرا هذا البحث الى حيز  
الوجود ، فأخص بالذكر جامعة أم القرى ، وكلية الشريعة والدراسات  
الاسلامية ، وقسم التاريخ الاسلامي ، وقسم الدراسات العليا التاريخية  
والحضارية ، ومكتبة الجامعة المركزية . وكذلك القائمين على الارشيف  
العثماني في اسطنبول والقائمين على أرشيف السجلات البريطانية العامة  
Public Record Office والى كل من مد لي يد المساعدة .

وأخص أستاذى المشرف سعادة الأستاذ الدكتور عبداللطيف عبدالله  
ابن دهيش الذى قدم لي كل دعم وخصنى بعلمه الغزير وتوجيهاته السديدة ،  
فقد أعطاني من وقته وجهده الكثير غير مقتصر على المكان والزمان ، ولم  
يبخل عليّ فقد فتح لي داره رغم مشاغله الكثيرة ، وعلى حساب راحتــــــــــــه  
الشخصية ، وكانت لملاحظاته القيمة خير معين لاجرا هذه الرسالة . فاليه  
أقدم شكرى وتقديرى بالجميل والعرفان ، جزاه الله منا خير الجزاء .

والى الأستاذين الفاضلين أعضاء لجنة الفحص والمناقشة .

راجيا من الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأسأله  
أن يوفقنا لخدمة هذا الوطن الغالي الذى نكن له كل حب وتقدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وهو الهادى الى  
سواء السبيل .،،،،

...



## المقدمة : طبيعة الدولة العثمانية

أ - نشأة الدولة

ب - الجهاد والفتح ونشر الإسلام

١ - نشأة الدولة :

تؤكد المصادر التاريخية أن أول من فكر في فتح الأناضول هــلم السلاجقة ، ففي سنة ٤٠٦ هـ الموافق ١٠١٥ م جرد سلجوق أوغلو أول حملة على الأناضول ، تعرف فيها على مدى قوة الامبراطورية البيزنطية ، وفي هذه الحملة هزم سلجوق الجيش البيزنطي في باسينلر ( Pasinler ) قرب مدينة أرض الروم ، وأسر القائد العام لباريد ( Liparit ) ، فأرسل الامبراطور البيزنطي فدية إلى الخاقان الأكبر أرطغرل بك السلجوقي من أجل إطلاق سراح القائد البيزنطي المذكور ، إلا أن أرطغرل أعاد الفدية ووعده بإطلاق سراح لباريد ( Liparit ) مقابل إعادة فتح الجامع الذي أغلق في القسطنطينية لإقامة الشعائر الإسلامية للمسلمين المقيمين هناك ، وقد استجاب الامبراطور البيزنطي لمطالب أرطغرل بك وأمر بإعادة فتح الجامع المذكور وأصبحت تقام فيه الصلوات ويذكر فيه اسم أرطغرل بك بعد اسم الخليفة العباسي في الخطبة (١) .

وتلى ذلك قيام ملوك السلاجقة وأمرهم الأتراك بترتيب الغزوات على الأناضول سنوياً على وجه التقريب للتقدم في فتوحاتهم نحو الغرب (٢) للدفاع عن الحدود الإسلامية ضد الامبراطورية البيزنطية ، حتى كانت المعركة الحاسمة التي انتصر فيها المسلمون عام ٤٦٤ هـ الموافق ١٠٧١ م . على جميع اليزنطيين المحتشدين قرب بحيرة وآن ( Van ) شرقي تركيا والتي عرفت في التاريخ باسم معركة ( ملازكرد ) (٣) حيث هزم فيها جيش بيزنطة وأسر

(١) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة عدنان محمود سلمان ( تركيا ، استانبول ، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل : ١٩٨٨ م ) ، ج ١ ، ص ٦٥-٦٦ .

(٢) يلماز أوزتونا : المصدر السابق ، ص ٦٦ .

(٣) ملازكرد : إحدى المعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي التي أسفر عنها تحول منطقة الأناضول إلى أراضي إسلامية يعيش عليها شعب مسلم ، كما تعد هذه الواقعة أيضاً المنطلق الأول لتأسيس الدولة الإسلامية في آسيا (=)



امبراطورها رومانوس الرابع ( Romanos Diogenes ) ، واكتسب  
الزعيم التركي المسلم آلب أرسلان في هذه المعركة شهرة واسعة عمست  
كافة أرجاء العالم الاسلامي .

وعلى اثر ذلك استطاعت القبائل التركمانية المسلمة تشبيست  
أقدامها في بلاد آسيا الصغرى فنزلت في شرق ووسط منطقة الأناضول ، وكان  
من ضمن تلك القبائل التي دخلت الأناضول وسكنته قبيلة ( قابي ) وهم  
أسلاف العثمانيين (١) .

وعندما ظهر المغول من الأقصى الشرقي لآسيا بزعامة جنكيزخان ومعسسه  
نحو خمسين ألف مقاتل في حوالي عام ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦م أخذوا يتقدمون  
نحو الغرب فاحتلوا في طريقهم عددا من الممالك الاسلامية وأذاقوا أهلها  
ويلات من الدمار والقتل والنهب فقتلوا الأبرياء ونهبوا ودمروا المدن  
والمزارع (٢) .

لهذه الأسباب هاجر سليمان شاه أحد ملوك تركستان وجد آل عثمان  
من وطنه ماهان تحت ضغط المغول ، فاتجه غربا نحو آسيا الصغرى بقبيلته

---

(=) الصغرى وبلاد الروم الصليبية . كما يمكن النظر إليها كذلك على  
أنها كانت الحادثة التي هيأت الأسباب لولادة الدولة العثمانية

- يلماز أورتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٦٧ .  
- زبيدة عطا : بلاد الترك في العصور الوسطى ، (الناشر دار الفكر  
العربي) ، ص ٥١ .

(١) على حسون : العثمانيون والروس ، (الطبعة الأولى ، بيروت ، المكتتب  
الاسلامي ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م) ، ص ١٧ .

نبيل رضوان : جهود العثمانيين لانقاذ الأندلس واستردادها . (رسالة  
دكتوراه مقدمة لجامعة أم القرى ، تحت الطبع ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م) ،  
ص ٨ .

(٢) - ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ،  
(الطبعة الأولى ، مطبعة عموم الأوقاف : ١٢٢٣/١٩٠٥م) ، ص ٣٤ .

- اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، (الطبعة الأولى ، مصر ،  
طبع بالمطبعة الأميرية ، ببولاق : ١٣١٢ هـ) ج ١ ، ص ٤٨٣ .

العظيمة البالغ عدد محاربيها ألفي فارس ، الى الأناضول في أوائل القرن السابع الهجري ، الموافق للقرن الثالث عشر الميلادي ، فأقام بمدينة أخلاط<sup>(١)</sup> ، فلما انتشر التتر واقتربوا من المدينة هاجروا منها الى أذربيجان<sup>(٢)</sup> ، فهناك تقابل مع المغول ، فانتصر عليهم وغنم منهم غنائم كثيرة<sup>(٣)</sup> . ثم عاد سليمان شاه راجعا الى وطنه الأصلي عن طريق حلب ولما وصل في طريقه الى نهر الفرات ، وأمام قلعة جعبر حاول مع أولاده عبور النهر فغلب عليهم الماء فسقط سليمان بالنهر وغرق في الحال وكان ذلك في سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م ، فأخرجوه الذين معه ودفنوه حول قلعة جعبر<sup>(٤)</sup> ، وكان لسليمان أربعة أولاد وهم سنقورزكي ، وكون طوغدي ، وأرطغرل ، وكوندوز اختلفوا بعد وفاة والدهم ، فمنهم من اختار متابعة السير الى بلاده<sup>(٥)</sup> ، ومنهم من فضل البقاء مع أرطغرل بن سليمان شاه

- 
- (١) أخلاط : بلدة في شرق تركيا الحالية بالقرب من بحيرة وأن في هضبة أرمينيا .
- أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، (الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الشروق : ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م) ، ص ١٧-١٨ .
- (٢) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، ترجمة ، عبدالقادر افندي الدننا ، (بيروت ، طبع في مطبعة جريدة بيروت ، ١٣٠٨ هـ) ج ١ ، ص ٣٢ .
- ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٣٤ .
- (٣) السيد أحمد بن زيني دحلان : الفتوحات الاسلامية ، (القاهرة ، الناشر مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م) ج ٢ ، ص ١١٠ .
- (٤) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٣ ، أحمد جودت باشا : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٢ .
- ابراهيم بك حليم : المصدر السابق ، ص ٣٤ ، أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ١٨ .
- أحمد ابراهيم خليل أحمد : تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ، (المومل ، طبع بمطابع جامعة المومل ، مديرية مطبعة الجامعة) ، ص ١١ .
- (٥) ابراهيم بك حليم : المصدر السابق ، ص ٣٤ .

الذى اختار السير الى الأناضول مع أربعمائة أسرة من قومه يقدررون بحوالي أربعمائة وأربعين فارسا ، ونزلوا في طريقهم ( بسرمة لو وباسيــــــــــــن ) وضربوا بهاخيامهم (١) .

ولما لم تكن تلك المناطق أو الجهات غير صالحة وموافقة لسكناهم أرسل أرطغرل ولده ماروباتي بك (٢) ، الى سلطان قونية علاء الدين السلجوقي يطلب منه الحماية ويستسمحه أن يقطعه أو يمنحه هو وعشيرته بعض الأراضي الخصبة ، فأقطعه السلطان أراضي كان بها مايلزمهم من الدفء شتاء والمراعي لمواشيهم صيفا في منطقة قريبة من أنقرة (٣) .

وبينما هم يسرون في الأناضول لمحو جيشين مشتبهين يقتتلان قتالا عنيفا دون أن يعلموا شيئا عن هويتهما ، وكان أحد الجيشين قليل العدد وغير متكافئا مع الآخر ، فما لبثوا أن تدافعوا الى نجدة الجيش الضعيف بدافع النخوة ونصرة الضعيف الملهوف (٤) ، وتبين فيما بعد أنه جيش الأمير علاء الدين سلطان قونية احدى الامارات السلجوقية التي تأسست

---

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٣٤ ،

أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٨ .

(٢) اسمه : ساوجي ، وقد توفي وهو عائد في الطريق الى أبيه .  
- ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٣٤ ،

- أحمد زيني دحلان : الفتوحات الاسلامية ، ج ٢ ، ص ١١٠ .

(٣) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٨٣ .

(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ١٨ ،

اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٨٣ .

- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق احسان حقي : ( الطبعة الثانية ، بيروت ، دار النفائس ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ) ، ص ١١٥ .

- ابراهيم خليل أحمد : تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ، ص ١١ ، ١٢٠ .

عقب انحلال دولة آل سلجوق الروم سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢م عهد اليه فتح  
الأجزاء الغربية من آسيا الصغرى (١)، على حين كان الجيش الآخر  
مغوليا ، وتذهب بعض الروايات الى أنه بيزنطيا (٢) . كما يذكر صاحب  
كتاب التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية أنه في أواخر القرن  
السابع الهجري الموافق للقرن الثالث عشر الميلادي، تصادف وجود  
فرقة من المغول كانت تحارب عساكر السلطان علاء الدين في أثناء مرور  
أرطغرل في تحركاته نحو غرب آسيا الصغرى فهجم بفرسانه على الجيش  
المغولي فهزمهم شر هزيمة ، وربما يعني ذلك أنه كان على معرفة تامة  
بعلاء الدين ولذلك نراه ينقض لنجدته ضد المغول (٣) .

ومما يؤكد ذلك ، الرواية التي أوردها يلماز أوزتونا والتي  
نوردها هنا باختصار حيث أشار الى هذه الحادثة بقوله " إن أرطغرل  
من مواليد سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢م وبذلك يكون عمره بحلول سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠م ،  
٤٠ سنة وهي سن النضج . وقد كانت منطقة أذربيجان في تلك الفترة  
ميدانا فسيحا لاحدى أكبر الحروب في القرون الوسطى ، حيث تقابل جيشان  
لأخوين سنيين على المذهب الحنفي ، عندها اجتاز السلطان جلال الدين  
سلطان الترك الشرقيين ، والآخر سلطان خرم - شاهي ، الذي طرده المغول  
من أراضي أجداده في تركستان التي هي حدود سلطنة تركيا ، ودخل الأناضول  
التابعة للسلطان علاء الدين ، وأخذ يتقدم فيها غير مبال بنصيح  
السلطان علاء الدين ، والتقى بجيش علاء الدين الأول قرب أذربيجان

---

(١) لما سقطت دولة السلجوقيين تجزأت أملاكهم في بلاد الأناضول الى  
عشر امارات (قرة سي - صاروخان - أيدين - تكة - الحميد - القرمان  
- وكرميان - وقسطموني - ومنشأ - وقونيه) ، ضمت فيما بعد الى  
الدولة العثمانية .

محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، حاشية رقم (٢) ص ١١٥ .

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٨ .

(٣) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٣٤ .

حيث انكسر وترك أراضي الدولة التركية وابتعد عنها" (١) .

ومن هنا تبدأ قصة كيفية اتصال أرطغرل بن سليمان شاه بخدمة  
ملاء الدين .

ويظهر أن علاء الدين الأول كان في حاجة الى عدد كبير من المحاربين  
للانضمام الى الجيش الأناضولي ، ولذلك انضم اليه عدد كبير منهم وكان  
من بين هؤلاء المسلمين لهذه الدعوة أرطغرل بن سليمان شاه وعشيرته قابلي،  
حيث شاركوه في حرب ياصي جمن Yassi Chamen وهي حرب مهمة  
في التاريخ التركي (٢) .

وعلى الرغم من أن هؤلاء المؤرخين استقوا معلوماتهم من الحوليات  
العثمانية القديمة إلا أنهم لا يزالون في خلاف عميق حول قيمة هذه الروايات  
التاريخية ففريق منهم اعتبر هذه الحوليات حقائق ثابتة ، دونست  
بمعرفة رواة معاصرين لأحداثها ، أما الفريق الآخر فقد ألقى عليها ظلالا  
كثيفة من التشكك فيها (٣) .

وعلى أي حال فقد اتفق المؤرخون جميعا على أن أرطغرل قد أسدى  
خدمات جليلة للسلطان علاء الدين ، تلبية لدعوته أو الانضمام الى جانبه  
مصادفة لنصرة الضعيف في حربه مع المغول أو البيزنطيين .  
فقد استحق بعدها أن يكافئه علاء الدين على نجده ومساعدته لـ  
بعمله البطولي ، فأقطعه عدة أقاليم (٤) تقـع بجهتي

---

(١) تاريخ الدولة العثمانية ، ج١ ، ص ٨٦ .

(٢) يلماز أورتونا : المصدر السابق .

(٣) عبدالعزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفتـرى  
عليها ، (القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة : ١٩٨٠م) ، ج١ ، ص ٣٣ .

(٤) محمد فريد بـك : الدولة العلية العثمانية ، ص ١١٥ .  
زاد عبدالعزيز الشناوي : أن البقعة تشمل المنحدرات الشرقية من جبال  
طومانيج وارمني Ermeni يقضي فيها افراد القبيلة فصل الميـيف  
وسهول سكود Soegud يقفون فيها فترة الشتاء ، المصدر السابق ،  
ج ١ ص ٣٤ . حاشية رقم (١) .

طومانيج Toumandji واسكشهر<sup>(١)</sup> . وكان ذلك سنة  
٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م<sup>(٢)</sup> في محاذات بلاد الروم غربي بلاد السلاجقة<sup>(٣)</sup>  
أو بمعنى آخر على الحدود البيزنطية ليتمكن من صيانة الحدود وتوسيعها  
نحو الغرب ، فمنح السلطان السلجوقي أرطغرل غازي لأمر أمير بني جوبان  
أي الأمير الأكبر للقطاع الشمالي من الحدود البيزنطية ، وهكذا استوطن  
أرطغرل بك ومشيخة قاضي في القسم الشمالي - الغربي من الأناضول  
وذلك في حدود عام ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م على أرجح الأقوال .

وتقدر مساحة هذه الاقطاعية بحوالي ١٠٠٠ الى ٢٠٠٠ كم<sup>٢</sup> .

وهكذا تم وضع حجر أساس الدولة العثمانية في سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م<sup>(٤)</sup> ،  
وصار لا يعتمد في حروبه مع جيرانه الا عليه وعلى رجاله ، وكان عقب كل  
انتصار يقطعه أراضي جديدة ويمنحه أموالا جزیلة ، ثم لقب هو وقبيلته  
بمقدمة السلطان لوجودها دائمة في مقدمة الجيوش ، ولتمام النصر على يديه<sup>(٥)</sup>  
وفي الوقت نفسه ظفر بلقب " أوج بكی " أي محافظ الحدود ، وكان منح  
هذا اللقب يتمشى مع التقاليد التي درجت عليها دولة السلاجقة وهو منح  
أي رئيس من رؤساء العشائر يعظم أمره ، ويلحق به عدد من  
العشائر الصغيرة لقب محافظ الحدود<sup>(٦)</sup> ، وهذا مما أتساح

(١) اسكي شهر : أي المدينة القديمة ، وهي مدينة تقع في جهة الغرب لأنقرة ،

أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٨ .

(٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٤ .

(٣) على حسن : الدولة العثمانية ، ص ١٥ .

، أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ١٨ .

(٤) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٨٦ ، ٨٧ .

(٥) محمد فريد بك : الدولة العلية العثمانية ، ص ١١٥ .

(٦) عبدالعزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ،

ج ١ ، ص ٣٤ .

، أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٣٦ .

، ابراهيم خليل أحمد : تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ،

ص ١٢ .



لأرطغرل فترة سلام طويلة استطاع خلالها أن يوطد حكم العشيرة على الأراضي التي أوكل اليه أن يحكمها (١) .

غير أن أرطغرل بن سليمان شاه كان ذا طموحات واسعة ، فهو لم يقتنع بالمنطقة التي أقطعها له السلطان علاء الدين الأول ، ولم يقتنع أيضا باللقب الذي منح له ولا ولن يقتنع بمهمة المحافظة على الحدود فقط ، بل شرع في تحقيق طموحاته ، وهي القيام بالفتح الاسلامي ومواصلة نشر الاسلام في الأجزاء الغربية من آسيا الصغرى والتابعة للإمبراطورية البيزنطية وذلك لأن تلك المناطق كانت تعاني الأمرين من الهجمات الصليبية المعادية للإسلام من جانب الإمارات المسيحية هناك . وبتوفيق من الله ونصره نجح أرطغرل في تحركاته فضم للمنطقة التي كان يحكمها أسكى شهر (٢) مناطق جديدة هي المناطق المسماة آنذاك سلطانية أو صراجق من ولاية قونية .

وقد تعددت فيما بعد الحروب بين السلطان علاء الدين والمغول الذين استولوا على قلعة كوتاهية ، فقام السلطان بتفويض أمر محافظة هذه القلعة المذكورة الى أرطغرل ، فاستردها بعد حروب شديدة وقتال عنيوسف مع المغول ، وبعد هذه المعركة علا وسما نجم أرطغرل عند السلطان علاء الدين ، ولم يزل في خدمة السلطان وطاعته مما جعل السلطان يزداد بسسه اعجابا حتى توفي أرطغرل سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ هـ بمنطقة سكود التي اتخذها مقرا له فدفن فيها (٤) .

- 
- (١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٣٦ .  
(٢) عبدالعزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، ج ١ ، ص ٣٤ ،  
أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٣٦ .  
(٣) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٤ .  
(٤) عبدالعزيز الشناوى : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٤ .

ولما بلغ السلطان علاء الدين خبر وفاته حزن حزنا شديدا ، وعيّن مكانه في الحال أكبر أولاده وهو عثمان بن أرطغرل بن سليمان شاه (١) ، مؤسس الدولة العثمانية (٢) ، والذي إليه تنسب الدولة والأمة فسميت باسمه (٣) ، ولكي يصبح قائدا مستقلا على منطقة الحدود السلجوقية فقد اقتضت التقاليد الحدودية أن يحرز عثمان نصرا كبيرا على المسيحيين يؤهله لأن يتلقى لقب البكوية من السلطان السلجوقي ، وفي سبيل ذلك سارع عثمان وسار بقواته غربا وحقق انتصارات كبيرة على البيزنطيين فاستولى على قلعة قرة فيون وحينما رآه علاء الدين في حزمة وجهاده مفتتيا سيرة والده في الفتح والجهاد مده بالأموال والامدادات وحفه بالرعاية السلطانية حيث أرسل إليه تعظيما لشانه وكفاءته الحربية شارح السلاجقة وهي الراية البيضاء والخلعة والطبل (٤) ، وكتابا تركي العبارة معلن فيه استقلال عثمان ، ثم أقطع كل ما فتحه من الأراضي وكل ما سيفتحه من أراض جديدة وكان ذلك عام ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م. ولما ضرب الطبل بين يدي الأمير عثمان بك نهض قائما على قدميه تعظيما للسلطان علاء الدين .

وقد جرت هذه العادة بأن يقوم السلطان عند سماعه الطبل تعظيما وتذكارا حتى أمر السلطان محمود الثاني في سلطنته بإبطال هذه العادة (٦) .

- 
- (١) شاه : معناها ملك ، ولكن إذا جاء بعد الاسم فيعني السيد .  
محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١١٥ ،  
حاشية رقم (١) .
- (٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ٢ ، ص ٤٨٤ .
- (٣) عبدالعزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ،  
ج ١ ، ص ٤٠ .
- (٤) Halil Inalcik: The Ottoman Empire, P. 55.
- (٥) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٨٤ ، .  
Halil Inalcik: op.cit., P.55.
- (٦) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٨٤ .  
Halil Inalcik: op. cit., p.55.

ولقبه السلطان علاء الدين بلقب بك ، وسمح له بأن يضرب السكة باسمه  
ويذكر اسمه على المنابر بعد اسم السلطان (١) في خطبة الجمعة . وهذا  
العمل من علاء الدين يعتبر بمثابة اظهار شرعية امارة عثمان على الحدود  
الاسلامية المسيحية (٢) .

فصار عثمان بهذه الامتيازات يملك صلاحية السلطان ولا ينقصه منه  
الا اللقب (٣) ، ونظرا لانتصاراته العسكرية الباهرة على البيزنطيين  
فيما بعد فقد منح السلطان علاء الدين لقب " عثمان الغازي حضرتلرمرزبان  
عاليجاه عثمان باشا " آى " حضرة عثمان الغازي ، حارس الحدود ، العالي  
الجاه ، عثمان باشا " (٤) . ولاشك أن هذه الانتصارات كان لها في الواقع أعظم  
الأثر الذى جعل عثمان يظهر على مسرح الأحداث التاريخية (٥) .

وبينما كان شأن العثمانيين يسير فى صعود والارتقاء ، إذ أغار  
غازان التتار سنة ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ هـ بجموعه على سلطنة قونية ، وفي هذه  
الغارة قتل سلطانها الأمير علاء الدين آخر ملوك السلجوقيين (٦) فانقرضت

---

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٤ .

(٢) Hilil Inalcik: The Ottoman Empire, P. 55.

(٣) محمد فريد بك : الدولة العلية العثمانية ، ص ١١٨ .

(٤) عبدالعزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفتتحة

عليها ، ج ١ ، ص ٣٩-٤٠ .

(٥) Hilil Inalcik: Op. cit., p.55.

(٦) عبدالعزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية

مفتتحة عليها ، ج ١ ، ص ٣٩-٤٠ .



واضعاعليها الشارات التي لاتزال حتى اليوم تشكل العلم التركي المؤلف من  
الهلال والنجمة (١) .

ولهذا اعتبر استقلال الدولة أو نشوءها من نهاية انقراض الدولة  
السلجوقية سنة ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩م (٢) . وهكذا يعتبر عثمان بن أرطغرل  
ابن سليمان شاه المؤسس الأول للدولة العثمانية (٣) .

وعندما أعلن السلطان عثمان استقلال دولته سنة ٦٩٩ هـ آتاه علماء  
وأعيان وأمراء الدولة السلجوقية التي انهارت فانضموا اليه بدافع الجهاد  
تحت لوائه (٤) ، لتصبح هذه الدولة المتنافس الوحيد للحماس الديني للإسلام  
فجاء كل راغب في الجهاد في سبيل الله لنشر الاسلام ، فاجتذبت هذه الامارة  
أعدادا من المتحمسين لنصرة الدين الاسلامي ضد المسيحية .

وهذا ما يؤكد أن الدولة العثمانية كانت اسلامية المنطلق والهدف  
فكان الغزو والجهاد عاملين مهمين في تأسيس وتطوير هذه الدولة العثمانية  
الفتية .

فالمجتمع في امارات الحدود قد صاغه اطار فكري خاص أشبعه بفكرة  
الجهاد المستمر والفتح الدائم في سبيل اعلاء كلمة الله حتى تشمس

---

(١) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٥ .

(٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٥ ،  
أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني حياته وأحداث  
عهده ، ص ١٦ .

(٣) زياد أبوغنيمه : جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك ،  
ص ١٨ - ١٩ .

(٤) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٨٦ .

(٥) زياد أبوغنيمه : المرجع السابق ، ص ١٩-٢١ .

العالم بأسره (١) . فقد كان التركمان الرحل القادمون الى الأناضول  
القلب النابض في المقاطعات الحدودية العثمانية . هؤلاء التركمانيون  
جاهدوا بتلهدف في سبيل النصر أو الشهادة . وقد تربوا تربية اسلامية  
مليئة بالقيم الروحية المبنية على حب الجهاد والعمل على نشر الاسلام  
في البلاد المسيحية ومد الغارات الصليبية المعادية للاسلام والأممية  
الاسلامية (٢) .

ويتجلى هذا الاتجاه الديني في سياسة العثمانيين وتشجيعهم الجهاد  
لنشر الاسلام .

ولقد كان السلطان عثمان بعيد النظر ، حيث وجه فتوحاته نحو الغرب  
الى بيزنطة المتهالكة باعتبار أن كل فتح يناله منهم سيزيد من قوته ،  
وفي نفس الوقت تحاشى التصادم مع جيرانه أمراء الأناضول المحيطين به ،  
وخصوصا إمارة القرمان القوية (٣) ، نظرا لأن تلك البلاد وصل اليها الاسلام  
وقد بدأت فتوحاته الفعلية في القرن الثامن الهجري الموافق للقرن  
الرابع عشر الميلادي ، حين الانهيار النهائي لدولة السلاجقة مما أدى الى  
استيلاء عثمان بك على قلعتي اسكيشهر وقرجه حصار . وفي اسكيشهر بنى  
مسجدا وعين الموظفين لاقامة شعائر الاسلام وتطبيق الشريعة (٤) ، فأخذ  
يفتح مناطق جديدة فرحف على ازميز ثم ازنيك فلما لم يتمكن من فتحها  
عاد الى عاصمته (٥) ، وشرع في توطيد سلطته على أساس العدالة ، ثم مال به  
أن سير الجيوش للفتح حتى وصلت الى " بيني شهر " وبذلك أصبح على مرمى البصر

- 
- (١) ابراهيم شحاته حسن : أطوار العلاقات المغربية العثمانية ،  
(الاسكندرية ، الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية : ١٩٨١) ص ٧٨-٧٩ .
  - (٢) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٨٨ .
  - (٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٣٧ .
  - (٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٣٦ - ٣٧ .
  - (٥) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١١٨ .

من بروسه ونيقية وهما أهم المدن البيزنطية في غرب الأناضول . وما لبثت " يني شهر " حتى أصبحت عاصمة لبلادها بعد فتحها فتوفرت له فيها قاعدات الانطلاق نحو بروسه ثم الى القسطنطينية ، فمن موقعه الحصين في يني شهر أرسل عثمان حملاته ضد المدن البيزنطية المجاورة لاستكمال الفتح، فاستولى على كثير من الحصون قبل أن تتحرك جيوش الدولة البيزنطية للدفاع عنها، وبعد أن دحر الجيش البيزنطي لم يجرؤ البيزنطيون على الخروج من أسوار نيقية ( ازنك )<sup>(١)</sup> ، وذلك لأن الأراضي التي يسيطر عليها عثمان من أسكس شهر الى السهول المجاورة لنيقية وبروسه أصبحت بها امارته والتي تعتبر من أقوى الامارات في المنطقة .

ونتيجة لذلك شعرت بيزنطة بتهديد تلك القوة النامية ، فقرر الامبراطور البيزنطي تركيز اهتمامه وقوته في الجانب البحري ليمنع وصول العثمانيين الى أراضيهم الأوروبية . في حين أن عثمان كان يخشى أن يتوقف الفتح العثماني بسبب اغلاق البيزنطيين طريق البحر ، وخاصة لتفوق بيزنطة البحرية، ففي الوقت الذي لا تملك فيه الدولة العثمانية أسطولاً بحرياً ، او بمعنى آخر انحصار عثمان في منطقة محدودة ، ربما سيؤدي هذا الانحصار الى ترك أتباعه له للبحث عن أراضي جديدة ، فبدأ عثمان بالفتح في المناطق المجاورة من أراضي بيزنطة فهاجم نيقية وهزم الجيش البيزنطي في بافيون<sup>(٢)</sup> .

وقبيل أن يعزم السلطان على فتح بروسه ، أقام قلعتين بجوارهما وعلى مسافة ربع ساعة ، وعين على هاتين القلعتين ابنه الغازي اورخان<sup>(٣)</sup> ، ليتمكن من حصار المدينة<sup>(٤)</sup> ، فأرسل الى جميع أمراء الروم ببلاد آسيا

---

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٣٧ .

(٢) زبيده عطا : بلاد الترك في العصور الوسطى ، ص ٤٥٥ .

(٣) محمد فريد — : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،

ص ١٩٩ .

(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٣٧ .

يخيرهم بين ثلاثة أمور : الاسلام ، أو الجزية ، أو الحرب . فأسلم بعضهم وانضم اليه ، وقبل البعض دفع الجزية ، أما بعضهم الآخر فقد استعان على السلطان بالتتار (١) ، وطلبوا منهم النجدة ، فلبوا لهم ذلك واجتمعوا لحرب السلطان عثمان ، لكن السلطان لم يعبأ بهم ، فأرسل لهم جيشا جرارا بقيادة ابنه أورخان ، وبعد صدام عنيف بين القوتين استطاع الأخير من تشتيت شمل التتار ومن استنجد بهم ، ثم عاد مسرعا لمحاصرة مدينة بروسه سنة ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م (٢) .

ومما ساعد أيضا في فتح بروسه بسهولة هجوم أورخان على حصن اودنوس الواقع على قمة جبل أولمب (٣) ، فدخله عنوة ، وبعد ذلك دخل مدينة بروسه ، بعد فتح كافة ماحولها من الحصون والقلاع ونشر الاسلام بها وقد دام هذا الحصار مدة من الزمن ، حتى أرسل امبراطور القسطنطينية أوامره لعامله على هذه المدينة بالانسحاب ، فانسحب منها ودخلها أورخان ، دخول الفاتحين من غير حرب ولا قتال ، وأسلم حاكمها ( افرينوس ) وأعطي لقب بك ، وصار افرينوس بك من مشاهير قواد المسلمين الذي أسندت لسه قيادة المعارك فيما بعد (٤) وقد توج فتوحاته بفتح مدينة بروسه سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م (٥) .

---

(١) يبدو أن هذه الموقعة تمخض عنها اتفاق بين اوربا الصليبية والمغول

ظهرت نتائجه في موقعة أنقره مع السلطان بايزيد الاول كما سيأتي .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٩٩ .

(٣) أولمب : اسمه بالتركية ( اناطولي طاغ ) أو ( كشيش طاغ ) و طاغ بالتركية

معناه الجبل ، وقد كتب داغ لأن الاتراك يلفظون الطاء بين ( الطاء

والضاد والذال ) وكشيش : لفظ فارسي معناه القسيس ويسمى هذا الجبل

اليوم أولوطاغ ( Uludağ ) أي الجبل الكبير .

— محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٢٠ حاشية رقم (١) .

(٤) محمد فريد بك : المصدر السابق نفسه ، ص ١١٩-١٢٠ .

— عبد اللطيف عبد الله بن دهيش : قيام الدولة العثمانية ( الطبعة

الاولى ، مكة المكرمة ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة : ١٤٠٩ هـ ) ص ٢٨ .

(٥) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في اصول التاريخ العثماني ، ص ٣٧ .

— عبد اللطيف عبد الله بن دهيش : المرجع السابق ، ص ٢٨ .



وعقب ذلك الفتح بلغ "اورخان مرض والده فهرول مسرعا اليه ، ولم يلبث أن توفي في سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦م (١) ، فدفن في مدينة بروس — العاصمة الجديدة للدولة العثمانية بعد أن أوصى بنقل جثمانه إلى هناك (٢) ، ويعتبر عثمان بك من الرواد الذين أرسوا قواعد دولة إسلامية مترامية الأطراف ، وبدأ السير في طريق النصر ، حتى قضي الله لابنائهم وأحفاده أن ينتهجوا خطواته (٣) .

وهكذا حاولنا أن نورد القرائن في كيفية نشأة الدولة العثمانية منذ هجرتها الأولى حتى استقرارها في الأناضول ، كما تبين أن تأسيس إمارة آل عثمان هو بعد انهيار ملك قونية السلطان علاء الدين آخر ملوك السلاجقة وذلك في عام ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩م على يد التتار .

ولاحظنا ما صاحب نشأة الدولة في صراعها مع الروم وقوتها التي تحركها روح الجهاد الإسلامي لنشر الإسلام ، وسحق من يقف أمامهم من الروم حتى تم لهم فتح أهم المدن البيزنطية في آسيا ونشر الإسلام بها .

وبما أن عثمان كان شخصية محبوبة وجذابة فقد اتصف بالتسامح ، فعندما أرسل إلى الروم يخبرهم في الإسلام فقد اختار قسم منهم الدخول في الإسلام طوعا والقسم الثاني اختار دفع الجزية دليلا على أنه دخل طاعة السلطان الاسمية . أما القسم الآخر فقد امتنع ورفع راية العصيان والرغبة في القتال فرأيناهم يتهزم بسهولة ، وقد حسن إسلام من دخل من رجال الروم كما أسندت إلى بعضهم قيادة الجيش كما مر معنا وكما سيأتي .

---

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٧ .

(٢) عبدالعزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها ، ج ١ ، ص ٤٣ .

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٣٨ .

ب - الجهاد والفتح ونشر الاسلام :

عقب وفاة السلطان عثمان بن أرطغرل أوصى بالملك من بعده لابنائه أورخان ثاني أولاده ، لشجاعته واقدامه في الحرب ، ولم يوصى به لابنائه الكبير علاء الدين ، لميله الى الورع والعزلة ، ومن حسن حظ هذه الدولة عدم معارضة علاء الدين في هذه الوصية ، بل أقدم على قبولها وتنفيذها مقدما المصالح العام على الخاص ، واكتفى بوزارة المملكة ( المصدرة العظمى ) التي قلدها له أخوه أورخان (١) ، بالرغم من الحاج أورخان له بأن يقاسمه السلطة فيما بينهما فلم يقبل علاء الدين احتراماً لمشئته ورغبة والده (٢) ، فأصبح علاء الدين مختصاً بتدبير الأمور الداخلية ، واشتغل في اعداد وتأسيس الانظمة والقوانين وبناء الجيش للدولة كما تفرغ أورخان للفتوحات ونشر راية الجهاد على كل البلدان المجاورة اليه (٣) . فالدولة منذ تأسيسها دولة اسلامية في المنطلق والراية والهدف (٤) .

ويتضح هذا جلياً من وصية عثمان لابنه أورخان عند وفاته والتي جاء فيها : " اعلم يا بني أن نشر الاسلام ، وهداية الناس اليه ، وحمايته أعراف المسلمين وأموالهم أمانة في عنقك سيسألك الله عز وجل عنه " (٥) . ثم قال : " يا بني انني أنتقل الى جوار ربي وأنا فخور بأنك ستكون عادلاً في الرعية ، مجاهداً في سبيل الله لنشر دين الاسلام " . وقال أيضاً :

- 
- (١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٢ .
  - (٢) حسين لبیب : تاريخ الاتراك العثمانيين ، ( القاهرة ، مطبعة الواعظ ، بمصر : ١٣٣٥ هـ / ١٩١٧ م ) ، ج ١ ، ص ٩٠ .
  - (٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٢٢ ،
  - أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، ج ١ ، ص ٣٨ .
  - (٤) زياد أبوغنيمه : جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الاتراك ، ص ٢١ .
  - (٥) زياد أبوغنيمه : المرجع السابق نفسه .
- كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية ، ( مطبعة أحمد حسان : ١٣٢٧ هـ ) ج ١ ، ص ١٠٠ .

" أوصيك بعلماء الأمة ، أدم رعايتهم وأكثر تبجيلهم وانزل على مشورتهم فانهم لا يأمرُونَ إلا بخير . . . يا بني إياك أن تفعل ما لا يرضي الله عز وجل ، وإذا معب أمر فاسأل علماء الشريعة فانهم سيدلونك على الخيــــــــــــــــر ، واعلم يا بني أن طريقنا الوحيد في هذه الدنيا هو طريق الله وأن مقصدنا الوحيد هو نشر دين الله ، وأننا لسنا طلاب جاه ولا دنيا " .

وفي هذه الوصية حث الأبناء والمسؤولين على الجهاد في سبيل الله حيث قال: " وصيتي الأولى لأبنائي ، ولجميع الأعزاء علي أن لا يتركــــــــــــــــوا الجهاد في سبيل الله ، كلمة الله ، ونشر دين الاسلام الجليــــــــــــــــل ورفع راية الاسلام عاليا في ربوع العالمين ، وأنني أقول لكم : انني أدعو الله عز وجل أن يحرم من شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، كل واحد فيكم يبتعد عن طريق الاسلام ، ويظلم الناس ويترك الجهاد" (١) .

بعد هذه الوصايا التي صاحبت تكوين هذه الدولة والتي تدل على الحث على الجهاد في سبيل الله والعدل بين الرعية ، استلم السلطان اورخان عن والده دولة ليس لها قوانين ولا عملة أو حدود واضحة يحيط بها جيران أقوى منها (٢) .

الا أن التزامه بوصية والده بمواصلة الجهاد قام بفتح بورسه جعله يفكر في نقل تخت السلطنة اليها ، فأصبحت عاصمة الدولة الجديدة للعثمانيين ، والتي صارت من ضمن العواصم التي انتقل العثمانيون اليها عبر تاريخهم (٣) ، بعد أن كانت عاصمتهم ولمدة خمس وثلاثين سنة في مدينة

---

(١) زياد أبوغنيمه : جوانب مفيضة في تاريخ العثمانيين الأتــــــــــــــــراك ، ص ٢١-٢٣ .

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٣٨

(٣) عبدالعزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، ج ١ ، ص ٤٣ .

بني شهر (١) . ومن بروسه انطلقت الجيوش العثمانية لفتح مناطق جديدة ونشر الاسلام بها وتحويلها الى مناطق اسلامية (٢) . ذلك لان الدولة العثمانية دولة قامت على الجهاد في سبيل الله ، فبدأت ثغرا ثم تحولت الى سلطنة بدأت تكتلا عشائريا ، ثم تطورت بسرعة لتتحول الى دولة اسلامية شعارها الجهاد في سبيل الله ، وقد أصبح هذا واضحا منذ بدء قيامها دولة متفرغة لتأييد سلطة الاسلام ومقيدته ، متاهبة للدفاع عنه ، لتأكيد الشعوب العثماني بأنهم أمة نذروا أنفسهم لنشر الدعوة الاسلامية ، وأن نشور الاسلام هو الهدف الأساسي لسلطين بني عثمان (٣) .

وما ان استقرت قواعد الدولة ببناء النظم الجديدة المستمدة من النظم الاسلامية التفت أورخان الى الفتوحات (٤) ، فزحفت جيوشه لفتح ما بقي من بلاد آسيا الصغرى وبلاد الروم ، ففي سنة ٧٢٢ هـ / ١٣٢٦ م انطلقت الجيوش العثمانية بقيادة الغازي عبدالرحمن واتجهت الى ازميد التي آل الحكم فيها الى ابنة حاكمها وكانت هذه المدينة تتلقى الامدادات المالية والعسكرية من القسطنطينية ، ولما حاصر الغازي عبدالرحمن كاتبتة البنت سرا (٥) ، وقامت بارشاده الى الطرق السهلة لفتح القلعة المسماة ايدوس ، وتم فتح القلعة بسببها (٦) ، وقام الغازي عبدالرحمن بجمع الغنائم وارسل البنت مع الغنائم الى السلطان اورخان الذي عقد نكاحها على الغازي عبدالرحمن لكونها خدمت وأعانت الدولة .

- 
- (١) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٨ .
  - (٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٣٨ .
  - (٣) عبدالكريم مشهداني : العلمانية وآثارها على الأوضاع الاسلامية في تركيا ، ( الطبعة الاولى ، منشورات المكتبة الدولية ، الرياض ، ومكتبة الخافقين دمشق : ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ) ص ٣٤ .
  - (٤) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٨٩ .
  - (٥) محمد فريد بـ : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٤ .
  - (٦) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٣٨ .



فالتقى بالجيش العثماني في بلكانون<sup>(١)</sup>، وكانت النتيجة انتصار الأتراك الذين طاردوا الجيش البيزنطي حتى اسكدار<sup>(٢)</sup> الواقعة في آسيا<sup>(٣)</sup>، على الشاطئ الآسيوي لمضيق القسطنطينية، فكانت هذه المدينة من المدن المقدسة لدى المسيحيين، ومن أعظم مدائن تلك الجبهات لذلك اتخذها السلطان أورخان مركز لتجمع قواته<sup>(٤)</sup>.

ونتيجة للانتصارات الكبيرة للقوات العثمانية فقد تخلت بيزنطة عن بذل الجهود الخاصة بتنظيم المقاومة العسكرية في الأناضول، أو تزويد حاميات ماتبقى لها من المدن هناك ضد الدولة العثمانية وهذا ما جعل دولة السلطان أورخان من أقوى الإمارات التركمانية حتى تم اعتباره زعيمة الجهاد الاسلامي ضد المسيحيين<sup>(٥)</sup>.

وفي سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣٠م توفى الوزير علاء الدين ابن أورخان، وحل مكانه الأمير سليمان بن أورخان وزيراً للدولة، وفتح مدينة أزنيسك المقدسة<sup>(٦)</sup>، وتلى ذلك بأن استولى أورخان على ماتبقى من البلاد البيزنطية الواقعة شمال غربي الأناضول دون صعوبة<sup>(٧)</sup>، ومنها بلاد مدرني وكمليك.

- 
- (١) بلكانون : هذا المكان يدعى الآن " مالتبه " .  
انظر : أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني ، حياته واحداثه ، ص ١٦ .
- (٢) اسكدار : هي إحدى المناطق الآسيوية لمدينة القسطنطينية .  
انظر : أورخان محمد علي : المصدر السابق ، ص ١٦-١٧ .
- (٣) أورخان محمد علي : المصدر السابق نفسه ، ص ١٦-١٧ .
- (٤) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٩ .
- (٥) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أمول التاريخ العثماني ، ص ٤٥-٤٦ .
- (٦) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٨٩ .
- (٧) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٤٥ .

وخلال تلك المعارك أرسل قيصر الروم جملة من الهدايا للسلطان أورخان طالبا منه عقد الملح بين الطرفين ، وإيقاف المعارك ، ويعتد (١) المفاوضات عقدت هدنة بين الطرفين ولمدة عشرين سنة في عام ١٢٣٢هـ / ١٢٣٠م ، وبالرغم من تلك الهدنة فإن السلطان أورخان كان يطمح لنشر الاسلام في مناطق اوسع ولذلك قام في عام ٧٣٦ هـ / ١٢٣٦م بفتح امارة قره سي (٢) ، وضمها الى دولته وذلك لوقوع الخلاف بين ولدى أميرها (٣) ، مجلان بك بعد موته وهي أول مملكة اسلامية من الأناضول (٤) ، تعزز بهامركزه وحركة الفتح الاسلامي على شواطئ بحر مرمرة كما انه سهل للعثمانيين الوصول الى قلعة الدردنيل في شبه جزيرة غاليبولي مما يسهل عليه العبور الى شرق أوروبا حين تسنح أول فرصة له (٥) .

وما ينبغي ملاحظته لتمييز امراء بني عثمان الاول انهم لم يشنوا الحرب تلو الحرب من أجل الانتصارات المتوالية والتوسع المستمر ، بل كانت حروبهم من أجل الفتح ونشر الاسلام وبناء حضارة اسلامية عالية ، فما ان ينتهوا من فتح مدينة او منطقة حتى يسارعوا الى تنظيمها ونشر الاسلام والعدل والأمن

---

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٩ .

(٢) قره سي : امارة صغيرة تقع غرب الأناضول جنوب بحر مرمرة والى الشرق من بحر ايجه .

- محمد فريد بـ : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٤ ،  
حاشية رقم (١)

(٣) محمد فريد بـ : المصدر السابق نفسه ، ص ١٢٤ .

- اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٨٩ .

- علي حسن : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٦ .

(٤) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ج ١ ص ٤٨٩ .

(٥) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في اصول التاريخ العثماني ، ص ٤٦ .

والمساواة بها ، بحيث تكون الاراضي الجديدة جزءاً لا يتجزأ من الدولة بكل  
مقوماتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية وغيرها من الجوانب الحضارية .

وعلى هذا المنوال جعلوا من آسيا الصغرى قوة فريدة في نظامهم  
ووجدتها بعد أن كانت عبارة عن مناطق تعيش فيها طوائف متفرقة . وبهذا  
(١)  
العمل ضمنت استمرارها في آسيا الصغرى وشرق أوروبا فترة طويلة من الزمن .  
وكان اعتمادها بالدرجة الأولى على صهر عناصر السكان في وحدة واحدة وذلك  
من أجل تماسك الدولة وجعل السكان يعملون يداً واحدة من أجل البناء  
والتصور على حسب أسس اسلامية قيمة . (٢)

وتلت فتح قره سي فترة عشرين سنة انقضت من غير حرب وفتوح (٣) . وقد  
استفاد أورخان من فترة الهدنة فعمل على الإصلاح الداخلي وذلك بسن الأنظمة  
ونشر الاسلام والسلام في ربوع البلاد (٤) عن طريق بناء المساجد والمدارس  
وتخصيص الأوقاف للصرف على المنشآت والمرافق العامة ما شهد بعظمته  
عمر السلطان أورخان وحبه للخير والاحسان والنظام (٥) . وفي سنة ١٢٤٥/٥٧٤٦م  
جددت المعاهدة السلمية مع قيصر الروم ، فزاد ذلك من جو الصفاء والمودة  
بين الدولتين (٦) وارتبط السلطان أورخان برباط الصداقة والود مع  
الامبراطور اندرونيكوس ومن أتى بعده (٧) ، ولم يدرك السلطان أورخان  
أن وراء تلك الهدنة تخطيط من جانب قيصر الروم وأن عقده لتلك الهدنة هو  
من أجل تدعيم موقفه وتقوية صفوفه وهذا ما حدث فعلاً . فمكاد قيصر الروم

---

(١) حسين لبیب : الأتراك العثمانيون ، ج ١ ، ص ١٤٠ ،

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٤٧٠

(٣) حسين لبیب : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٤٠

(٤) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار من دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٩

— محمد فريد — : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٤

(٥) حسين لبیب : المصدر السابق ، ص ١٤٠

(٦) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٩٠

(٧) حسين لبیب : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٤٠-١٥٠



يعقد تلك الهدنة حتى أخذ يعمل في الخفاء من أجل تدعيم مركزه وبناء قوته  
وكان يبطن العداء الشديد للدولة العثمانية وسلطانها ويتحين الفرصة  
للايقاع بالدولة العثمانية لكن لم يجرء على إعلان ذلك إلا بعد عشرين  
سنوات من عقد تلك المعاهدة وذلك بعد أن اتحد القيصر مع البنادقة الذين  
كانوا يهاجمون أطراف الدولة العثمانية من الجهة البحرية (١) فلقد كانت  
الحروب التي نشبت بين الجمهوريتين البحريتين البندقية والجنوية  
وشهدها البحر الأبيض المتوسط ، سببا مباشرا لتجديد العداوة بين  
قوى أورخان وصهره كانتكوزين ، والتي أدت إلى استقرار العثمانيين في  
شرق أوروبا ، لأن الجونيين كانوا يملكون الضاحية الأوروبية للقسطنطينية  
وهي المعروفة بغلطة ، فكان البوسفور إحدى الجهات التي شهدت اشتباكاتهم  
مع أعدائهم البنادقة في القتال ، وكان أورخان يكره البنادقة لأن أساطيلهم  
عبثت بأملكه الواقعة على البحار ، كما احتقروا المفاوضة معه كأمير  
ولكنهم كانوا حلفاء لصهره المذكور ، فأرسل أورخان جنودا مساعدة إلى غلطة  
لتعزيد الجنوبيين ونصرتهم على البنادقة العدو المشترك . وفي الوقت نفسه  
مد أورخان يد المساعدة إلى بوحنا يولوجوز في الحرب الأهلية التي نشبت  
بينه وبين صهره الامبراطور (٢) للمطالبة بأحقية عرش القسطنطينية .

وفي وسط هذه الاضطرابات ، تمكن السلطان أورخان من اصدار أمره  
إلى ابنه سليمان بالاستعداد والعبور لبلاد الروملي ، فتقدم سليمان  
بالجيش في سنة ٧٥٧ هـ / ١٣٥٦م حتى وصل إلى مدينة جناق قلعة بالساحل  
الغربي لآسيا على مضيق الدردنيل ثم عقد هناك مجلسا مع أشهر قوادده ،  
فاتفقوا على عمل عبارات ( اكلاك ) للعبور بها ، وبعد انشائها عبروا بها  
الدردنيل ليلا إلى ساحل روم إلى ٠ واستولى سليمان بن أورخان على

---

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٩ ،  
محمد فريد بـ : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٤ .

(٢) حسين ليبب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، ج ١ ، ص ١٥ .

قلعة جمنك ( Tzype ) وذلك في سنة ٧٥٨هـ / ١٣٥٧م (١) وتسمى أيضا  
حصن ( Zampe ) زميه في الوقت الذي كان فيه كونتاكوزينوس  
مشغولا بمصراعه مع صهره يوحنا بولوجوز. ولهذا السبب لم يستطع التصدي  
للقوات العثمانية من احتلال هذا الموقع الهام (٢) . ويعتبر هذا العبور  
بداية للتاريخ البحري للدولة العثمانية . ففي تلك الأثناء ظهرت بعض  
الاضطرابات والمنازعات بين أعضاء العائلة الامبراطورية في القسطنطينية ،  
بعد وفاة اندرونيكوس الثالث امبراطور دولة الروم في سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م .  
فكان الوارث لعرش الدولة هو يوانيس يوحنا (٣) ، باليولوجوس وكان حديث السن  
عند ذلك قام ناظر قصر الامبراطور المدعو كانتاكوزينوس (٤) وآخرين ،  
يطلبون الاستئثار بالملك ، فطلب انتاكوزينوس من السلطان أورخان المساعدة

---

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٩٠ .

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٤٧ .

(٣) يوحنا بولوجوز : هو يوحنا الخامس امبراطور بيزنطة من سنة ١٣٤١-١٣٩٠م . وكان ابن تسع سنين حينما توفي والده الامبراطور اندرونيكوس الثالث ، فحصل صراع على السلطة ففاز من جراء ذلك رئيس وزراء والده (يوحنا كانتاكوزين) وبالرغم من زواج بولوجوز من ابنة رئيس وزراء والده كانتاكوزين المذكور ، الا أنه كان يعمل ضده لاجبارة على التنازل عن وصاية العرش ، فطلب مساعدة الغرب بعد فتح غاليبولي من قبل العثمانيين ، واعترف بروما وتعهد بانتهاء الخلاف بين البيزنطيين واللاتين ، مقابل وعود البابوية بحملة صليبية لدعمه ، ولكن بقي ذلك حبرا على ورق ، وحينما حاول تحصين القسطنطينية ، منعه العثمانيون وهددوه ، وتوفي سنة ١٣٩١ هـ .

— على حسن : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٩ ، حاشية رقم (٢)

(٤) كانتاكوزينوس : هو يوحنا كانتاكوزينوس من السلالات الاستقراطية

البيزنطية . كان له دور بارز في قيادة الامبراطورية ، فاز من بين المتنافسين على وصاية العرش الامبراطور البيزنطي ، وذلك بمساعدة العثمانيين بعد وفاة الامبراطور اندرونيكوس الثالث .

— على حسن : المصدر السابق ، ص ١٩ ، حاشية رقم (١) .

وزوجه بابنته تيودورا لتقوية أواصر المساعدة ، وعلى ذلك أرسى السلطان أورخان قوة من جيوشه عدة مرات لمساعدته ونجده حتى مكنه من السيطرة على منافسيه والفوز بعرش القسطنطينية متحديا في ذلك قسوى الغرب (٢) .

من أجل ذلك قام الروم بعقد حلف صليبي مع المجر والصرب والبلغار والافلاق والبغدان لقتال سليمان لفتوحاته في أوروبا أولا وتدخله في أحوال الدولة الرومية ثانيا ، فاستعد سليمان لهذا الحلف الصليبي المتحد وانقض عليهم بجنوده من جبال البلقان وأوقع بجمعهم الهزيمة . ثم قصد جهة بلاد البلغار لتمكين ثورتهم واضطرابها (٣) .

وفي خلال ذلك حصلت أيضا منافسات كبيرة بين ملوك الصرب والمجر والبلغار والافلاق والبغدان أدت الى منازعات عديدة (٤) ، ذلك لأن ملك الصرب ( دوشان ) جمع قبائل العقابلة تحت سلطانه ، وسار بهم الى بلاد البلغار فاستولى عليها وزحف على مدينة القسطنطينية ، فأرسل امبراطور الروم بالقسطنطينية (٥) وقد االى السلطان أورخان يطلب منه الاغاثة والاعانة مرة ثانية ، فأمدده السلطان وأرسل له جيشا عظيما بقيادة ابنه

- 
- (١) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٩٠ .
  - ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٣٩ .
  - (٢) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٩ .
  - (٣) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٩٠ .
  - ابراهيم بك حليم : المصدر السابق ، ص ٣٩ .
  - (٤) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٩٠ .
  - (٥) كانت مدينة رومه وما استولى عليه من الاقاليم المتسعة مشكولة بهيئة جمهورية من ابتداء وجودها الى سنة ٢٩ قبل المسيح فجعلها القائد الشهير ( اكتافيوس Octavius ) حكومة امبراطورية وأطلق على نفسه لقب ( أوغسطس ) أى السامي القدر . واستمرت هذه المملكة الى سنة ٣٩٥ حيث قسمها الامبراطور ( تيودوس ) بين ولديه الى مملكة رومانية شرقية وجعل مقرها بيزنطة التي سميت فيما بعد بالقسطنطينية وأقام عليها ابنه اركاديوس Arcadius ومملكة رومانية غربية جعل عاصمتها مدينة رومه وأقام عليها ابنه (=)

سليمان باشا لصد غارة ملك الصرب (١) حتى عسكر تحت أسوار القسطنطينية وسكن ذلك الاضطراب (٢) بموت ملك الصرب قبل وصوله الى القسطنطينية وبذلك تخلصت القسطنطينية من شره (٣) .

ولما نزل العثمانيون بساحل أورباتاكدوا ضعف مملكة الروم وما آلت اليه من الانحلال ، فأخذ السلطان أورخان سرا تجهيز واعداد الكتائب لاجتياز البحر واحتلال بعض نقاط الهامة على شاطئه الاوربي لتكون مركزا لانطلاق اعمال العثمانيين نحو اوربا ، حتى اذا حانت الفرصة انقضوا لحصار القسطنطينية برا وبحرا ودخلوها فاتحين غانمين (٤) .

يظهر من هذا خطة أورخان في اتباع سياسة دقيقة مع بيزنطة تسندها القوة العسكرية ولاتميل الى البدء بالاعتداء والمعروفة بسياسة النفوذ الى البحار المفتوحة والوصول الى المضايق (٥) .

ففي سنة ٧٥٩ هـ / ١٣٥٧ م سنحت الفرصة فاجتاز سليمان باشا أكبر أولاد السلطان أورخان وولي عهده وصدر مملكته معيق الدردنيل ومعهم أربعون من أشجع جنوده تحت استار الظلام حتى وصلوا الى الضفة الأخرى فقبضوا على ماكان بها من القوارب وعادوا بها الى معسكرهم ، فانتقل الجيش الى الضفة أوربا وكان عدده ثلاثين الفا ، واحتل ميناء (تزنسب) وساعدهم الله بأن أصاب مدن تراقيا زلزالا شديدا اسقط جزءا من أسوار

---

(=) الثاني (انوريوس Honorius) ثم سقطت الدولة الغربية سنة ٤٧٦ م بسبب غارة المتبربرين عليها ، واستمرت الشرقية الى أن فتحها العثمانيون عام ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م .  
- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٥ ، حاشية رقم (١) .

(١) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

(٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ص ٤٩٠ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

(٤) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٢٦ .

(٥) يلماز أورتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ٩٤ .

غاليبولي (١) فدخلها العثمانيون بدون قتال (٢). وكان ذلك في سنة ٧٦٠ هـ / ١٣٥٨ م فاحتج الامبراطور البيزنطي على ذلك دون جدوى ، فـكـان رد السلطان أورخان أن العناية الالهية قد فتحت أبواب المدينة أمام قواته (٣) . وما لبثت غاليبولي أن أصبحت أول قاعدة عثمانية في أوروبا .

وحين انفرد بالبولوس ( هنا الخامس ) بحكم بيزنطة قام باقرار فتوح أورخان في أوروبا وذلك مقابل تسهيل وصول المؤن الغذائية وغيرها الى القسطنطينية (٤) . وفي نفس العام ٧٦٠ هـ / ١٣٥٨ م تم فتح عدة مدن منها ايسالا (٥) و ( رودستو ) (٦) وغيرها من المدن وأصبحت الدولة العثمانية ذات مكانة عالية تهابها وتحسب لها ألف حساب جميع الدول الأوروبية رغم عهدها الحديث .

وبينما كان الروم يطلبون من العثمانيين أن يعيدوا لهم هذه المناطق في مقابل ما يريدون من المال ، كانت عساكر السلطان مهتمة بالفتوحات المتواصلة في أراضي الروم التي كانت منشغلة بالمنازعات الداخلية (٧) ،

- 
- (١) كليبولي : مما يكسب هذه المدينة أهمية عظمى وقوعها على الضفة بوغاز ( مصيقي ) الدردنيل الذي هو الممر الوحيد بين بحر أوروبا وبحر مرمرة ، وهي تبعد عن مدينة أدرنة بمائة وأربعين كيلو متر تقريبا . وتقع في آخر مضيق الدردنيل في الجانب الأوربي .
- محمد فريد بـ : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٦ .
- (٢) محمد فريد بـ : المصدر السابق ، ص ١٢٦ .
- (٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٤٧ .
- (٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٤٧ .
- (٥) ايسالا : تقع في شمال مضيق الدردنيل في الجانب الأوربي .
- (٦) رودستو : Rodosto ويسمىها الاتراك تـكـرطـاغ أو تكفور طاغ وتقع على بحر مرمرة من الجانب الغربي .
- محمد فريد بـ : المصدر السابق ، ص ١٢٧ حاشية رقم (١) و (٢) .
- (٧) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٩٠-٤٩١ .
- ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٣٩ .

فكانت هذه المنازعات فرصة لتقوية مركز السلطان أورخان في أوروبا  
لأن كل فريق من المتحاربين كان يطلب ود المسلمين ليستعين بهم على  
الفريق الآخر (١).

ثم أرسل أورخان أعدادا كبيرة من التركمان التراقيين لتدعيم  
مركز الدولة العثمانية هناك (٢). وبينما كان سليمان يقود الجيوش  
لتحقيق النصر على أعداء الإسلام وإفناء الأجل المحتوم فعين لقيادة الجيش  
أخوه مراد الأول مكانه (٣). ولما بلغ هذا الخبر والده أسف عليه  
أسفا شديدا ولم يلبث إلا أن توفي من كدره (٤).

وهكذا توفي السلطان أورخان بعد أن تم خلال حكمه إقامة أهم النظم  
المدنية والعسكرية، وخفق الهلال راية الدولة على القارة الأوروبية،  
فمنذ أول يوم ثبت فيه العثمانيون أقدامهم على الأرض الأوروبية وأعداءهم  
يحاولون عبثا زحزحتهم عنها دون جدوى (٥). فانطلقت من غاليلبولي قاعدتهم  
في أوروبا الحملات الأولى التي كان من نتائجها فتح كامل شبه جزيرة البلقان  
على يد خلفائه (٦).

وإذا كان السلطان عثمان هو مؤسس دولة آل عثمان، فإن السلطان  
أورخان يعتبر المؤسس الحقيقي لأركان هذه الدولة على أساس مقومات  
الدولة الحقيقية، فقد حمل لقب سلطان وقام بسك أول عملة عثمانية (٧).

---

(١) حسين لبيب: تاريخ الأتراك العثمانيين، ج ١، ص ١٧.

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، ص ٤٧.

(٣) تاريخ جودت، ج ١، ص ٣٨.

(٤) اسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، ج ١، ص ٤٩١.

ابراهيم بك حليم: التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ص ٣٩.

(٥) حسين لبيب: المصدر السابق، ص ١٧.

(٦) أحمد عبدالرحيم مصطفى: المرجع السابق، ص ٤٧-٤٨.

(٧) Halil Inalcik, The Ottoman Empire, p.56.

وعندما تربع السلطان مراد الأول على كرسى الحكم اتبع خطى  
والده في الجهاد والفتوحات الإسلامية (١) ، وبينما هو مهتم في بنى  
أمور دولته الداخلية اذ بأولاد القرمات (٢) المتأخمين لدولته يتحدثون مع  
الحكام المسيحيين ضد السلطان مراد الأول (٣) . ذلك لأن سلطان هذا  
الأقليم علاء الدين أراد انتهاز فرصة انتقال الملك الى السلطان  
مراد الأول بعد وفاة والده فأثار حمية هؤلاء الأمراء المستقلين وحرصهم  
على قتال العثمانيين ليذكى صرح مجدهم وايضا عجلة تقدمهم (٤) ، فهجـم  
هذا الحلف على بروس عاصمة الدولة العثمانية ثم ازنيق ، فاستعد السلطان  
لقتالهم وهزمهم ، ثم استولى على قلعة انقره سنة ١٣٦٢هـ / ١٣٦٠م (٥) أهم  
مدنهم ومقر سلطنة القرمات . فلما رأى القرمات انهزامهم أمام القوا  
العثمانية سارعوا الى ابرام الصلح مع السلطان ليحفظ ما بقي لهم من  
الأملاك (٦) . وفي تلك اللحظة سار البنادقة باسطول بحرى مؤلف من ستين  
سفينة لطرد العثمانيين من أوروبا تقدمت الأولى الى قلعة غاليبولسي ،  
والثانية دخلت جون المعارض ، ثم تقدمت هذه القوة وهجموا على  
العثمانيين الموجودين في الروملي ، فتصدى لهم الجيش العثماني بكل ثبات  
فأجلاهم عند الهجمة الأولى وارتدوا على أعقابهم يجرون أذيال الهزيمة  
والعار .

ولم يكن للعثمانيين في ذلك الحين قوة بحرية ماعدا بعض الزوارق  
التي يستعملونها داخل بحر مرمرة ، ولكن السلطان رأى في سنة ١٣٦١/١٣٦٢ م

---

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق أخبار من دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٩١ .

(٢) أمراء شبه ملوك الطوائف بالأناضول الذين استقلوا باماراتهم عقب  
سقوط دولة السلاجقة في بلاد قونية .

Halil Inalcuk: The Ottoman Empire, p.56 .

(٣) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٤١ .

(٤) محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٩ .

(٥) ابراهيم بك حليم : المصدر السابق ، ص ٤١ .

(٦) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٢٩ .

زيادة عدد تلك الزوارق لتساعد الجيش في نقل مهامه البحرية . وعلى أثر ذلك عبر بجيشه الى روملي (١)، وفتح جملة من البلاد والقلع (٢) .

وفي سنة ٥٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م فتحت مدينة أدرنة (٣) . وعين عليها شاهين بك لاله (٤)، سلمها قائدها الرومي لما داخله الياس فـ استخلصها .

وقد نقل السلطان مراد الأول عاصمته من بروسه الى أدرنه لأهميتها موقعها الاستراتيجي لوقوعها على ملتقى ثلاثة أنهار ، فأصبحت عاصمة للدولة حتى فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح الثاني سنة ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م (٥) وأصبحت أدرنة مركز الرومي وعاصمة للدولة بعد بروسه وتحولت من مدينة بيزنطية الى مدينة اسلامية (٦) .

وفي سنة ٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م عين السلطان مراد الاول القائد اورنوس بك على سواحل الرومي الجنوبية (٧) وأناط به مهمة فتح كوملجنة (٨) ووردار ،

- 
- (١) الرومي : بالمصطلح الجديد ( مقدونيا ، وتراقيا ) .  
- أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٤٨ .  
(٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ص ٤٩١ .  
(٣) أدرنه : اسمها بالرومية ( أدريانا بوليس ) نسبة للامبراطور ادريان الرومي الذي أجرى فيها عدة تحسينات اوجبت اطلاق اسمه عليها وتوفي الامبراطور سنة ١٣٨ م .  
- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٩ ، حاشية رقم ١ .  
(٤) لاله شاهين : ( اي مربى السلطان ، وهو مربى السلطان في صغره ) .  
- ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٨ .  
(٥) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٢٩-١٣٠ .  
، اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ص ٤٩٢ .  
(٦) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ٩٨ .  
(٧) ابراهيم بك حليم : المصدر السابق ، ص ٤١ .  
(٨) كوملجنة : وتسمى ( Komotini ) وتقع في الجنوب الغربي من أدرنة وعلى بعد نحو ٢٥ كم شمال بحراجه . وتقع ودرار Vardar الى غرب كوملجنة وعلى نهر يعرف بهذا الاسم .  
- محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٠ حاشية رقم (٢) .



وما جاورها من البلاد (١) .

وفي سنة ١٧٦٥ هـ / ١٢٦٣ م فتح القائد العثماني شاهين باشا فيلبه (٢) ،  
عاصمة الروملي الشرقية ، وما حولها ، وفتح القائد العثماني اورنوس بك  
جهات سيروز ومناستر وبهشتنه وموشنه وماحولها أيضا (٣) ، وصارت أعمال  
هذه الجهات الأربع وتوابعها ولاية واحدة عي نعليها اورنوس بك حاكما لها (٤) .  
وبذلك صارت مدينة القسطنطينية محاطة من الجهة الأوروبية باملاك  
آل عثمان ، وأصبحت الدولة العثمانية بهذا الفتح مجاورة لآمارات الصرب  
والبغار والبنيا المستقلة (٥) .

ونتيجة لذلك اضطرب الملوك المسيحيون الملبيون المتاخمون  
للدولة العلية العثمانية وطلبوا من البابا (اوربانوس) (٦) الخامس  
أن يدعو ملوك اوربا الغربيين ليساعدوهم على حرب العثمانيين المسلمين  
واخراجهم من اوربا خوفا من امتداد الفتوح الاسلامية ونشر الاسلام الى ماوراء  
جبال البلقان، اذ لو اجتازوها بدون معارضة أو مقاومة لن يقو أحد بعد ذلك  
على ايقاف وصد تيار فتوحاتهم ويخشى بعدها على ممالك اوربا من

- 
- (١) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ص ٤٩١ .  
(٢) فيلبه : اسمها بالرومية ميلبو بولس اى مدينة فيليب نسبة لمؤسسها  
فيليب والد الاسكندر الاكبر . وتقع Philippolis الى الجنوب  
الشرقي من صوفيا وأدرنه .  
- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٠ ، حاشية  
رقم (١) .  
(٣) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٩١-٤٩٢ .  
أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده ، ص ١٧ .  
(٤) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٤١ .  
اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٩٢ .  
(٥) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٠ .  
(٦) اوربانوس : يلفظ بالفرنسية Urbain واسمه الاصل قبل أن يكون  
بابا هو كيوم ده كريموار Guillaume de Grimoare  
وهو فرنسي المولد سنة ١٣١٠ م ومات سنة ١٣٧٠ م وانتخب بابا سنة ١٣٦٢ م .  
- محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٠ حاشية رقم (٣) .

العثمانيين (١) للاستيلاء عليها ونشر الاسلام فيها ، وهذا ما كان يزعجهم ويقلق بالهم . وقد استجاب البابا فدعا المسيحيين الى حملة صليبية ضد الاتراك العثمانيين (٢) وحرّض القوى الصليبية على محاربتهم محاربة دينية حفظا للدين المسيحي من الفتوحات الاسلامية (٣) .

وفي سنة ٧٦٦ هـ / ١٣٦٤ م تم اتفاق الدول المسيحية على اخراج العثمانيين من الأقاليم الاوربية بناء على دعوة البابا فاستجاب كل من ملوك المجر وبوسنة والصرب مع امير الفلاخ (الافلاق) (٤) .

ولكن (اوروك) الخامس ، الذى عين ملك على الصرب (دوشان) لم ينتظر وصول المدد اليه من أوربا واكتفى بما قدمه له أمراء البوسنة (٥) ، والافلاخ ، من مساعدات ، وبعدد كبير من فرسان المجر وسار بهم لمهاجمة مدينة (أدرنة) عاصمة الدولة العثمانية ، منتهزا فرصة انشغال السلطان مراد بمحاصرة مدينة (بيجا) (٦) بيغا بالقرب من مدينة بورصة بآسيا الصغرى . ولما علم السلطان بأمرهم استعد لهم وقابلهم على شاطئ نهر (ماريتزا) (٧) فجأة

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٠ ،

عبد اللطيف عبد الله بن دهيش : قيام الدولة العثمانية ، ص ٣١ .

(٢) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ص ٩٨ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٠ .

(٤) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٤١ .

يلماز أوزتونا : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٩٨ .

(٥) البوسنة : احدى جمهوريات الاتحاد اليوكسلافي الآن وعاصمتها سراييفو

وأكثرية أهلها من المسلمين .

أما الافلاخ : فكان يسميها الاتراك (افلاق) فهي امانة من امارات الدانوب

أصبحت تابعة للدولة العثمانية من سنة ١٣٩٥ م واستقلت سنة ١٨٥٦ م واتحدت

مع مولدافيا سنة ١٨٥٨ م وكونتتا معا الدولة الرومانية الحاضرة .

- محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٠-١٣١ ، حاشية رقم (٤)

(٦) بيجا : ( Bija ) : تقع الى الجنوب من بحر مرمره وبالقرب من مضيق الدردنيل .

- محمد فريد بك : المصدر السابق ص ١٣١ ، حاشية رقم (١) .

(٧) نهر ماريتسا : Maritza ، Marica ينبع من غرب بلغاريا

وبحر اليونان ويصب في بحر ايجه .

محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣١ ، حاشية (٣) ،

في ليلة مظلمة وكان معه قوة عظيمة ، فاندحش العدو وداخله الفرع ودار قتال عنيف بين القوتين انتهى باندحار القوى الصليبية الذين ولوا عســــى ادبارهم وملأ الرعب قلوبهم (١) .

وتمكن العثمانيون بذلك النصر فم جنوب جبال البلقان الى بلادهم . وتعد هذه المعركة من المعارك الهامة في تاريخ المسلمين العثمانيين ، اذ لو كتب لهذه الحملة الصليبية النجاح في اخراج المسلمين من اوربا لواصلوا حفرهم باتجاه المشرق الى آسيا الصغرى ولتكررت مأساة الحملة الصليبية الاولى (٢) ، اذ ان فكرة احتلال بيت المقدس كانت ولا تزال قائمة باستمرار في اذهان زعماء اوربا (٣) ، ولان هذه الحملة الصليبية تعد الاولى التي نفذت ضد الدولة العثمانية (٤) ، بعد الحملة الثانية التي أسر فيها لويس التاسع في المنصورة وانتهت بالفشل والهزيمة للصليبيين ، وقد بذل لويس وهوملك فرنسا فدية كبيرة للمسلمين حتى فك من الأسر (٥) .

بعد ذلك عاد السلطان مراد الى مقر سلطته لتنظيم مافتحه من الأقاليم متبعاً في ذلك سياسة أسلافه ليستريح من مناء الفتح ، وليعيد ترتيب جيوشه ويوطد أركان بلاده (٦) .

فعظم شأن الدولة العثمانية وخافها خصومها خصوصاً الضعفاء منهم ، فأرسلت جمهورية (راجوزه) (٧) في عام ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م رسلاً عقدوا مع

- (١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣١-١٣٢ ، علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٢ .
- (٢) احتلت أنطاكية والرها وبيت المقدس حتى تم تخليمه على يد صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٣ هـ .
- (٣) علي حسون : المرجع السابق ، ص ٢٢ .
- (٤) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ٩٨ .
- (٥) اورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده ، ص ١٧ .
- (٦) علي محمد جريشه وآخرون : أساليب الغزو الفكري للعالم الاسلامي ، ص ١٩ .
- (٧) محمد فريد بك : المصدر نفسه ، ص ١٣١ .
- (٨) راجوز : Raguse هي الآن بلدة يوكوسلافية وتسمى اليــــوم (=)

السلطان مراد الأول لمعاهدة تجارية تعهدوا فيها بدفع جزية سنوية مقدارها خمسمائة لوكا من ذهب ، وهذه المعاهدة هي أولى المعاهدات التي عقدت بين العثمانيين والدول المسيحية (١) .

وفي سنة ٧٢٥هـ / ١٣٧٣ م عين خير الدين باشا الصدر الأعظم لحفظ الجهات الغربية للرومي وأخذ بلاد من يتعدى أو يتحرش بالحدود العثمانية ثم فتح قواله وماحولها ثم عاد بجيشه .

وفي سنة ٧٢٦هـ / ١٣٧٤ م ذهب السلطان والصدر الاعظم خير الدين باشا الى بروسه لاقامة بعض الاملاحة الداخلية وتفقد احوالها ، واذ بملك الصرب لازار الذي خلف ملك الصرب أودوك بعد وفاته يتحرش بقوات الدولة العثمانية (٢) ، فقد اتحد مع سيسمات أمير البلغار على هجوم وحرب الدولة العثمانية (٣) ، لمحو ما لحق بهم من العار في الحملة الصليبية الأولى وطرد الدولة من أملاكهم . وعندما بلغ السلطان هذا الأمر غضب منه ، ونهض بنفسه سنة ٧٢٧هـ / ١٣٧٥ م اليه فهرب لازار الى الجبال ، فدعاه الى الحرب والا فانه سوف يستولي على بلاده تأديبا له ، فلم يستطع مقابلاته ، فاستولى على قلعة نيش (٤) ، فطلب منه لازار الامان وعاهده بأن لا يتعرض لممالك الدولة مرة أخرى ، فقبل السلطان منه ، وسحب جيشه عائدا الى بروسه مع العلم بأن الجيش كان غير راغب في الانسحاب ، بل كان قادرا على استيلاء

---

(=) دوبرفنيك Dubrounik وتقع على شاطئ البحر الادرياتيكي، وكانت هذه المدينة من سنة ١٤٠٣م - ١٨٠٩م عاصمة لجمهورية استقراطية وقد أثرت ثرا كبيرا من تجارتها مع الدولة العثمانية ، وهي شبه جزيرة مبنية على شاطئ البحر .

محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣١ حاشية ٣ .

(١) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٢-١٣١ .

(٢) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٤٢ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٢ .

(٤) نيش : مدينة في شرقي يوغوسلافيا قرب الحدود البلغارية .

على حسن : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٢ حاشية رقم (٤) .

بلاد الصرب بسهولة (١) . وقيل احتل صوفيا (٢) وسلانيك (٣) ، لهذه الأسماء —  
أبرم الصلح بين الطرفين على أن يتزوج السلطان بنت أمير البلغار ، وعلى  
أن يدفع ملكا الصرب والبلغار الجزية سنويا (٤) ، فدفعوها صاغيرين خوفا من  
تصفية أملاكهم .

وفي سنة ٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م سلم حاكم سلاستره المدينة الى السلطان مراد ،  
ومن ذلك التاريخ حتى سنة ٧٨٣ هـ / ١٢٨١ م كان السلطان مهتما بسن التنظيمات  
والاصلاحات الداخلية في المناطق المفتوحة ليكمل بذلك بناء دولته (٥) فبدأ  
يفكر في توثيق العلاقات مع جيرانه حتى يكون له حلفاء من بين ما بقي مستقلا  
بإمارته من أمراء آسيا الصغرى ، فقام بزواج ولده "بايزيد" من بنت أمير  
كرمان (٦) ، وجعلها للسلطان بمدينة كوتاهية (٧) ، مهرا لابنته كما هي  
عادة الأفرنج (٨) ، وذلك لتقوية عرى الصداقة بهذه الروابط الأسرية

---

(١) إبراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ،  
ص ٤٢-٤٣ .

(٢) صوفيا : عاصمة بلغاريا اليوم .

(٣) سلانيك : مدينة في اليونان تقع اليوم على الخليج المسمى باسمها ،  
كانت بؤرة الحركات المعادية للدولة العثمانية .

- على حسن : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٢ حاشية رقم (١-٢) .

(٤) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٢ .  
وابراهيم بك حليم : المصدر السابق ، ص ٤٣ .

(٥) ابراهيم بك حليم : المصدر السابق ، ص ٤٣ .

(٦) كرمان : تقع هذه البلاد في غرب الأناضول ما بين اسكي شهر شمالا وأفيون  
قره حصاره جنوبا .

- محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٣ حاشية رقم (١)

(٧) كوتاهية : تقع الى الشرق باليقينر وغرب اسكي شهر .

- محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٣ حاشية رقم ( ٢ ) .

(٨) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٣ .

- أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٤٨-٤٩ .

وكسب هذه المناطق بجانبها ، وتبادل المحبة والمودة بين الدولــــــــــــــــة  
العثمانية. وهذه المناطق الاسلامية المستقلة .

الا أن أولاد كرمان كانوا لايزالون يتحرشون بالحدود العثمانيةــــــــــــــــة  
من جهة قونية ، فأرسل السلطان الى حسين بن حميد سفيرا من عنده للمفاوضة  
معه في بيع (١) ، امارة حميد (٢) ، من حاكمها المذكور ، وبذلك أدمج في أملاكه  
أربعا من دول التركمان ، سلطانوني ، قره سي ، كرمان ، حميد .

وما لبث ابنه بايزيد أن اكتسح مايتقي من الامارات التركمانيةــــــــــــــــة  
فضم الى دولته أراضي سلاجقة قونية المسلمة (٣) .

أما الصليبيون فمنذ فشل حملتهم الأولى وهم ينظرون الى الدولــــــــــــــــة  
ويخططون للخلاص منها ، ففي عام ٧٧٩ هـ / ١٣٨٧ م قرر السلاف طرد العثمانيين  
من أوروبا ، فتزعمت الصرب والبوسنة وبلغاريا هذه الحملة الصليبيةــــــــــــــــة  
لتنفيذ هذه المؤامرة ، وانضمت اليها ألبانيا ولاشيا والمجر وبولندة ،  
على حين انشغلت أوروبا الغربية بشئونها الخاصة ، ولم تشترك في هذه الحملة  
الصليبية الثانية ، فحينئذ قام الحلفاء بحشد قواتهم التي هاجموا بها قوات  
الدولة العثمانية في البوسنة وأبادت ثلاث أرباعها (٤) ، الا أن السلطان  
مراد الأول أرسل قوات أرغمت ملك بلغاريا سيسمان ، الذي كان يتأهب  
للانضمام الى لازار ملك الصرب ، فاحتلت الجيوش العثمانية ترونوه (٥) وشومله (٦) ،

(١) ابراهيم بك حلیم: التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٣ .

(٢) الحميد : اقليم يقع جنوب الأناضول غرب كرمان وشرق منتشا وشمال تكن .

— محمد فريد بــــــــــــــــك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٣ ،

حاشية رقم (٣) .

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٤٩ .

(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٤٩-٥٠ .

(٥) ترنوه : هي تورنوفو Tuvnovo وتقع في الجانب الشرقي من بلغاريا .

— محمد فريد بك : المصدر السابق ص ١٣٤ حاشية (٤)

(٦) شومله : Shumen وتقع شمال تورنوفو .

— محمد فريد بــــــــــــــــك : المصدر السابق ، ص ١٣٤ ، حاشية ( ٥ ) .

واضطر سيسمان الى الفرار والاحتباء في مدينة نيكوبلى (١)، وأعاد شمسـل  
وشتات مابقي من عسكره لحرب الدولة العثمانية ، وخرج من نيكوبلى وهاجم  
الجيوش العثمانية الاسلامية هجوم اليائس ، فانهزم هزيمة نكراء ووقـسـع  
أسيرا ، فضم السلطان مراد نصف بلاده الى الدولة ، وعفى عنه ولم يقتلـه  
بل عينه حاكما مستقلا على النصف الباقي من بلاده ، مراعيًا مقامه السابق  
وتم ذلك في سنة ٧٩١ هـ / ١٢٨٩ م (٢) . وبذلك أصبح نهر الدانوب حد الدولة  
العثمانية الشمالي (٣) .

لقد كان للانتشار السريع للمسلمين في أوروبا الممثل في الدولة  
العثمانية أثره البالغ في بث الفرع والرعب في قلوب الحكام الصليبيين  
الذين قرروا أن يجمعوا قواتهم ويسيروا بها في حملة صليبية ثالثة ، وكان  
منعقدًا على هذه الحملة آمال المسيحيين في طرد المسلمين من أوروبا (٤) .

فتزعم هذا الحلف ملك الصرب لازار أيضا الذي لم يعتبر بانسحاب  
حليفه ملك بلغاريا وما جرى له ، بل نراه يجمع قواته ويتحدى السلطان  
مراد الأول ، ويسعى لهذا الامر في سنة ٧٩١ هـ / ١٢٨٩ م لدى حكام وملوك المجر  
وبولونيه والبوسنة وألبانيا وغيرها من سائر الحكومات المسيحية المجاورة  
لتكون الحملة الصليبية الثالثة ضد العثمانيين المسلمين وطردهم من أوروبا  
فجمعوا جيشا من تلك الأقوام بلغوا نحو المائتي ألف (٥) ، فلم يمكنه السلطان

---

(١) نيكوبلي : اسمها بالرومية نيكوبوليس ، ومعناها مدينة النصر ، أسسها  
الامبراطور الروماني تراجانوس المتوفي سنة ١١٧ بعد المسيح عقب  
انتصاره على أعدائه .

— محمد فريد — : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٥ ،  
حاشية رقم (١) .

(٢) محمد فريد — : المصدر السابق ، ص ١٣٤-١٣٥ .

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في اصول التاريخ العثماني ، ص ٤٩ .

(٤) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني حياته واحداث عهده ، ص ١٨ .

(٥) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٥ .

، اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٩٢ .





والحقيقة أن عثمان أوجد جنسا ، وأورخان بنى دولة ، إلا أن مـرـاد الأول هو الذى أرسى قواعد الدولة العثمانية (١) .

وبوفاة السلطان مراد الأول بويغ ابنه السلطان بايزيد الأول فـي ميدان حرب قوصوه ، يوم وفاة والده ٧٩١ هـ / ١٣٨٩ م فخطى خطو والده وسيرته في الفتح والجهاد (٢) كما هو ديدن سلاطين الدولة منذ تكوينها .

وقد استعمل بايزيد حكمه بالقضاء على الاستقراطية المربية ، وحل القضية القومية المربية ، ثم تقدم بالجيش العثمانية داخل بلاد الصرب ، فعرض عليه ستيفن بن لازار ملك الصرب الصلح ، فقبل ذلك ووافق عليه (٣) . وعين حاكما على الصرب ، وتزوج السلطان من أخته (٤) ، السـمـاة مليحة (٥) ، وترك له استقلال حكم بلاده على أنظمتهم وقوانينهم بشرط دفع الجزية للدولة وتقديم عدد معين من الجنود ينضمون الى الجيوش العثمانية وقت الحاجة (٦) ، وأن يقوم بنفسه بقيادة الجيش (٧) ، وقد اتبع السلطان بايزيد هذه السياسة وهي الاكتفاء بدخول منطقة الصرب تحت طاعته (٨)

- 
- (١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٥٠ .
  - (٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٥٠-٥١ .
  - (٣) محمد فريد بـك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٧ .
  - (٤) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٧ .
  - (٥) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٩٥ .
  - (٦) محمد فريد بـك : المصدر السابق ، ص ١٣٧ .
  - على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٠ .
  - اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٩٥ .
  - (٧) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٥١ .
  - (٨) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٩٥ .



وبعد هذه الفتوحات العثمانية بآسيا الصغرى عاود السلطان بايزيد الأول حرب اوربا فبدأ بحصار القسطنطينية ، وبعد أن ضيق عليهم ————— الخناق وترك حولها جيشا ليتولى مهمة حصارها ، انتقل لغزو أمير الفلخ ( الفلاق ) دوكمانيس ، ففهر أميرها وأخذ منه الجزية (١) ، شريطة الاعتراف بالسيادة العثمانية مع بقاء بلاده يحكمها بما ألفوه ——— قوانين وكان ذلك في سنة ٧٩٣ هـ / ١٣٩٣ م (٢) .

واستغل علاء الدين أمير القرمات انشغال السلطان بحرب أمير الفلخ وقام باسترداد ماتنازل عنه للدولة سابقا ، فهاجم مدينة انقره ، واستطاع أن يهزم أميرها تيمور طاش وأن يأسره (٣) .

فلما علم السلطان بالخبر قاد بنفسه الجيش الى بلاد الأناضول ————— مسرعا في طلب علاء الدين فتقابل الجيشان في مكان يسمى ( آق جاى ) فانهزم أمام السلطان بايزيد وأسر مع ابنه محمد على ، وضم بلاده الى دولته ، وكل ماتبقى له من أملاك (٤) ، فتعجب الناس في سرعة وصوله لبعده المسافة فلقبوه ( بيلدرم ) أى الماعقة (٥) . بسبب سرعة حركته .

ثم واصل فتوحاته ففتح امارات سيواس ، وتوقات (٦) ، وكان آخر أمرائها برهان الدين (٧) ، ولم يبق في الأناضول من بقايا اطلال دولة السلاجقة الا امارة قسطنطيني (٨) ، وكانت خارجة عن أملاك الدولة العثمانية

- 
- (١) على حسن : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٠ .
  - (٢) محمد فريد بـ : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٩ .
  - (٣) محمد فريد بـ : المصدر السابق ، ص ١٣٩ .
  - على حسن : المرجع السابق ، ص ٢٠ .
  - (٤) محمد فريد بـ : المصدر السابق ، ص ١٣٩ .
  - (٥) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٧ .
  - (٦) سيواس وتوقات : مدينتان تقعان في شمال شرق تركيا .
  - محمد فريد بـ : المصدر السابق ، ص ١٣٩ حاشية رقم (٤)
  - (٧) محمد فريد بـ : المصدر السابق ، ص ١٣٩ .
  - (٨) على حسن : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

وحاكمها اسمه بايزيد أيضا ، احتفى ببلاده كثير من أولاد الأمراء الذين ضم السلطان بلادهم ، فأرسل السلطان اليه يطلب منه تسليم أولاد أميري آيدين وصاروخان فامتنع عن ذلك ، فسار اليه السلطان بنفسه وتم ضم مسين ساسون (١) وقيصرية (٢) وجنابك وعثمانجق (٣) فلجأ بايزيد صاحب قسطنطين الى تيمورلنك سلطان المغول (٤) ، وبذلك انقرضت جميع الامارات السلجوقية القائمة بالاناضول وصار العلم العثماني يخفق فوق صروحها (٥) .

وقد أخطأ بايزيد الأول حين أدخل سياسة جديدة لفرض سيطرته المباشرة على هذه المناطق التي قام بضمها في آسيا الصغرى وذلك عندما طرد أسرها الحاكمة وأخضعها لسلطته المباشرة . ذلك لأن هذه السياسة لقيت مقاومة شديدة في الدولة العثمانية خاصة ، وفي البلدان التي تم الاستيلاء عليها عامة ، وكانت هذه المقاومة موجهة ضد التسرع في الضم التي تم الاستيلاء

- 
- (١) مدينة صغيرة شمال تركيا على ساحل البحر الأسود .  
- على حسن: تاريخ الدولة العثمانية ص ٢٠ حاشية (٥) .
  - (٢) مدينة في الاناضول وهي عقدة مواصلات برية .  
على حسن : المرجع السابق ، ص ٢٠ ، حاشية رقم ( ٦ ) .
  - (٣) تقع الى الجنوب الغربي من ساسون .  
- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٤٠ حاشية رقم (١) .
  - (٤) أي تيمور الأعرج : ولد سنة ١٣٣٦ ميلادية تقريبا ببلدة بالقرب من سمرقند ويتصل نسبه بجنكيزخان التتري من جهة النساء وخلفه عمه سيف الدين في اماره كيش سنة ١٣٦٠ واخذ في الاستيلاء على ما حوله من الامارات والقبائل ثم استولى على بلاد خوارزم وكشغر وبلاد ايران ومنها سار الى جنوب الروسية واحتل اقليم آراق ثم قصد بلاد الهند فانتصر على صاحب ( دهلي ) وضم معظم بلاد الهند ومنها عسباد الى الغرب ، فاحتل بلاد الشام ومدينة بغداد التي خربها عن آخرها وقبل أن ينظم هذه التحركات العديدة قصد بلاد الصين في جيش يجل عن الحصر بعد أن حارب السلطان بايزيد العثماني ، وأخذه اسيرا فعاجله المنون قبل أن يمل الصين فسي اقليم خوقند في ١٧ شعبان ٨٠٧هـ ( ١٨ فبراير سنة ١٤٠٥م ) وبموته تفرقت مملكته بين ولده شامرخ واحفاده وأولاد احفاده .
  - محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٤٠ ، حاشية رقم (٢) .
  - (٥) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٢٩-١٤٠ .

عليها حيث اعتبرت هذا خروجاً على القاعدة العثمانية .

وقد كانت هذه السياسة من أهم العوامل التي أدت الى نكبة أنقرة ،  
وعودة الأسرة الحاكمة في القرم الى أثرها ، مما يدل على أن آل عثمان  
لم يحكموا قبضتهم على الدولة القرمانية الا بعد فتح القسطنطينية (١) .

وعاد بايزيد بعد ذلك لمتابعة حروبه في اوربا ، واستكمال فرض  
الحصار الذي كان قد فرضه على القسطنطينية ، ومع استمرار الحصار قام  
باستكمال فتح بلاد البلغار وضمها الى املاك الدولة فأصبحت تلك المناطق  
ولاية عثمانية خاصة بعد مقتل حاكمها سيسمان ، واسلام ابنه الذي عين حاكماً  
لمدينة لسمسون (٢) في سنة ٧٩٤هـ / ١٣٩٤م (٣) .

ولتدعيم مركزه في تلك المناطق قام بايزيد بتزويد سمليريا ونيكوبوليس  
ودين وقلاع أخرى من قلاع الدانوب بحاميات قوية ، بعد تحصينها . وعلى  
أثر اعتناق عدد كبير من البلقانيين للإسلام تعززت مكانة السكان المسلمين  
على طول الحدود الشمالية للدولة ، وزاد نتيجة لذلك هجرة عدد من  
مسلمي الأناضول الى البلقان (٤) ، مما ساعد على انتشار الاسلام في مناطق  
البلقان كلها ، وهذا يدل على قوة الدولة في نشر الاسلام في أوروبا .  
وهذا ما حققه العثمانيون على طول جهادهم المستمر داخل القارة الأوروبية .

وقد أعقب ذلك قيام بايزيد الأول بتشديد الحصار على القسطنطينية  
وطلب من امبراطورها أن يعين قاضياً في القسطنطينية للفصل في شئون  
المسلمين ، فقبل الامبراطور ذلك الشرط بايجاد محكمة اسلامية وبناء مسجد  
وتخصيص سبعمائة منزل داخل المدينة للجالية الاسلامية ، كما تنازل لبايزيد

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٩-١٤٠ .

(٢) سمون : مدينة تركية في شمال شرق البلاد على البحر الاسود .

- محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٤٠ .

حاشية رقم (٣) .

(٣) محمد فريد بك المحامي : المصدر السابق ، ص ١٤٠ .

(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٥٣ .

عن نصف غلظه التي وضعت فيها حامية عثمانية قوامها ستمائة جنـدى، ثم زيدت الجزية التي كانت الامبراطورية البيزنطية تدفعها ، وزيد على ذلك فرض رسوم على الكروم ومزارع الخضروات الواقعة خارج المدينة تدفع لخزينة الدولة العثمانية في استانبول ، وأخذت من تلك الساعة المبدأ أن تنقل الأذان من العاصمة البيزنطية ( القسطنطينية ) (١) .

وكان من نتائج هذه الانتصارات العثمانية أن قامت دول أوربية بتحريض من البابا بونيفاسيوس التاسع واتفقت على شن حرب صليبية رابعة اشتركت فيها حوالى خمسة عشر دولة أوربية كان من بينها دول انكلترا وفرنسا والمجر (٢) .

وكان المحرك الأول لتلك الحرب الصليبية الجديدة وزعيمها هو ملك المجر سجمند الذى سمع ماحل ببلاد البلغار ، فداخله الخوف على فقد مملكته اذ صار متاخما في عدة نقاط للدولة العثمانية ، فدعا حكام أوربا من المسيحيين مستنجدا بهم وساعده في ذلك البابا ، الذى أعلن الحرب الدينية بين أقوام أوربا الغربية (٣) فشكلت في مجموعها جيشا صليبيا اشتركت فيه كل دول أوربا الغربية ، وكذلك دول المواجهة التي تواجه مناطق السيطرة العثمانية (٤) .

وتفصيل ذلك أن دوك (بورغونيا) (٥) أجاب الدعوة ، وأرسل ابنه

---

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٥٣ .

(٢) أورخان محمد على : السلطان عبدالحميد الثاني ، حياته وأحداث عهده ، ص ١٨٠ .

كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة : نبيه فارس ومنير البعلبكي ، ( الطبعة السادسة ، بيروت ، دارالملايين : ١٩٧٤م ) ، ص ٤١٩ .

(٣) محمد فريد بـ : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٤٠-١٤١ .

(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٥٣ .

(٥) بورغونيا : كانت ولاية عظيمة في شرق فرنسا شبه مستقلة لم يكن لملوك فرنسا عليها الا السيادة وحق طلب الجنود للحرب عند الضرورة حتي توفي أهم امراءها شارل الجسور الذى توفي سنة ١٤٧٧م من غير عقب وضمت الى فرنسا من ذلك التاريخ ، واسمها بوركوني • Bourgogne  
- محمد فريد بـ : المصدر السابق ، ص ١٤١ حاشية رقم (١) .

الكونت دى نيفر (١)، ومعه ستة الاف محارب أغلبهم من نبلاء فرنسا  
وكان من بين هؤلاء المحاربين اقارب ملك فرنسا نفسه كما انضم اليهم  
حين مسيرتهم الى بلاد المجر بافاريا (٢)، وولاشيا وبلغاريا مجموعة من  
الخارجين عن طاعة الدولة العثمانية من الذين خلعوا ولاهم للعثمانيين (٣).  
كما وفد عليهم أشخاص من النمسا ( استيريا ) وشواليه (٤) ، فرسان  
القديس حنا الاورشليمي وكثير من الألمان (٥). وتوافد ايضا الصليبيون  
الى بودا من الانجليز واسكتلنده وبولنده وبوهيميا والنمسا وايطالييـا

- 
- (١) نيفير Denevers مركز ولاية نيفر وتقع جانب نهـر  
لوار وتبعد ٢٣٢ كم الى الجنوب الشرقي من باريس .  
- محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،  
ص ١٤١ ، حاشية ( ٢ ) .
- (٢) مملكة مستقلة بألمانيا يبلغ عدد سكانها خمسة ملايين نسمة وعاصمتها  
مدينة مونيخ او (مونكن) كما يسميها الالمان وهي داخلة الان ضمن  
الدولة الألمانية التي تشكلت سنة ١٨٧١ م ، عقب تغلب روسيا على  
فرنسا مع بقاء استقلالها وحكومتها وملوكها ، وهي الآن جزء من جمهورية  
ألمانيا الاتحادية .
- محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٤١ حاشية رقم (٣) .
- (٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول الدولة العثمانية ، ص ٥٤ .
- (٤) شواليه : هم طائفة الرهبان الذين ذهبوا الى فلسطين في القرن  
الحادى عشر الميلادى اثناء الحروب الصليبية التى اثارها المسيحيون  
على المسلمين لامتلاك القدس الشريف لخدمة حجاج النصارى . ولما استولى  
السلطان صلاح الدين الايوبي على مدينة اورشليم سنة ١١٨٧/٥٥٨٣ م انتقلت  
هذه الطائفة الى عكا ثم الى جزيرة رودوس واتخذتها مركزا لمحاربة  
المسلمين وتعطيل تجارتهم ونهب مراكبهم وأسر من بها . ولما فتح  
السلطان سليمان القانوني هذه الجزيرة سنة ٩٢٢ هـ / ١٥٢٢ م ، رحلت  
هذه الطغمة الى جزيرة مالطة التي أعطاها لهم الامبراطور شارل كان  
فاحتلوها الى أن احتلها بونابرت سنة ١٧٩٨ م اثناء قدومه الى مصر  
فانمحت هذه الطائفة تقريبا ولم يبق الا اسمها .
- محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٤١ حاشية رقم (٥) .
- (٥) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٤١-١٤٤ .

وسويسرا ، وكذلك من بلدان جنوبي شرقي أوروبا وعبر الحلفاء أراضي  
المرتب التي حافظ أميرها اسطفن بن لازار على ولائه ، مما دعا هذا  
الحلف الصليبي الى تخريب اراضي (١) ، وأخيرا وصلت قوات الحلفاء  
الى نيكوبوليس ، عن طريق نهر الدانوب لمحاصرتها (٢) ، الا ان الصاعقة  
أو البرق السلطان بايزيد كما يسميه معاصريه ، لقوة بأسه ، عاد مسرعاً  
من آسيا الصغرى (٣) وكان محاصراً للقسطنطينية فتخلى عن حصارها وعاد  
لمواجهة هذا التحالف الصليبي (٤) ، وبمحبته مائتي ألف مقاتل ، كان  
من ضمنهم أهل المرتب تحت قيادة أميرها اسطفن (استيفن) بن لازار المذكور  
وغيرهم من الأمم المسيحية الخاضعة لولاء السلطان العثماني ، جاءوا جميعاً  
لقتال هؤلاء الصليبيين ، فدارت معركة بين القوتين انتهت بانتصار  
العثمانيين انتصاراً باهراً ألحق بالحلف الصليبي هزيمة نكراء و ذلك في  
٢٣ ذي القعدة سنة ٧٩٨ هـ الموافق ٢٧ سبتمبر سنة ١٣٩٦م (٥) .

وكان هدف هذه الحملة الصليبية الرابعة هو هزيمة الدولة العثمانية  
في أوروبا ومحاولة الوصول الى البقاع المسيحية المقدسة في بيت المقدس  
بفلسطين (٦) . ومعنى ذلك أن الروح أو الفكرة الصليبية التي نسيها  
الناس في الظاهر منذ أمد طويل تعود الى الظهور مرة أخرى (٧) .

وبمعنى آخر ان الحملات الصليبية على المسلمين لازالت الشغل الشاغل  
في ذلك الوقت للصليبيين بهدف الوصول الى بيت المقدس ، وهذا ما تحقق  
لهم الا بعد الحرب العالمية الأولى ، مروراً بالمسألة الشرقية في القرن  
الثالث عشر الهجري الموافق للتاسع عشر الميلادي .

- 
- (١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٥٤ .
  - (٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٤ .
  - (٣) - أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٥٤ .
  - (٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٥٤ .
  - (٥) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٩٥ .
  - (٦) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٤٤ .
  - (٧) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٠ .
  - (٨) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ١٤٩ .



وفي هذه المعركة الحاسمة أحرز بايزيد الأول قمة مجده ، فأرسل من ميدان المعركة الى قاضي بورسه ، بأنباء النصر ، وأعلن انه سيفتح ايطاليا وأن حصانه سيتناول طعامه على مذابح كنيسة القديس بطرس .

كما بعث من أدرنه برسائل الى كبار حكام الشرق الاسلامي يزف اليهم بشرى انتصاره في نيكوبوليس ، واتخذ لنفسه لقب ( سلطان الروم ) كدليل على وراثته لدولة السلاجقة وسيطرته على شبه جزيرة الأناضول كلها (١) . وأرسل السلطان بايزيد الى الخليفة العباسي المتوكل المقيم في القاهرة طالبا منه أن يخلع عليه أو يمنحه لقب " سلطان الروم " كي يضيف على سلطنته التي يتمتع بها هو وأجدانه من قبل الطابع الشرعي الرسمي فتزداد هيبتة لدى العالمين الاسلامي والمسيحي .

ولم يكن في استطاعة السلطان برقوق ، حامي الخليفة ، الا أن وافق على طلب السلطان ، اذ كان يرى فيه حليفه الأوحد ضد الخطر المغولي الذي كان يهدد العالم الاسلامي بأكمله (٢) فخلع عليه الخليفة لقب ( سلطان اقاليم الروم ) (٣) .

عاد السلطان بايزيد الأول بعد ذلك لمواصلة حصاره للقسطنطينية فشد عليها الحصار ، ولولا غارة المغول على بلاد آسيا المفري لتمكّن السلطان هذه المرة من فتحها (٤) ، لنقض صاحبها العهد حين تعاهد أوتحالف مع ملك المرب والمجر وفرنسا لحرب الدولة قبيل الحلف المليبـــــــــــــــــي الرابع (٥) .

- 
- (١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٥٤ .
  - (٢) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٤٢٠ .
  - (٣) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٩ .
  - (٤) محمد فريد بـــــــــك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٤٤ .
  - (٥) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٩٥ .

ولكن استفحال أمر تيمورلنك الأعرج سنة ٨٠٢ هـ / ١٤٠٠ م جعل السلطان يترك حصار القسطنطينية ويكتفي بالملح مع ملكها مانويـل<sup>(١)</sup>، بعد حصار دام ست سنوات أشرفت فيها على السقوط<sup>(٢)</sup>.

وكان تيمورلنك قد سار الى بلاد الاسلام بآسيا الوسطى لسلبها من أيدي ملوكها حتى وصل الى بغداد والعراق ، فهرب حاكمها السلطان أحمد جلاير خشية من بطشه ، وكذلك هرب حاكم أذربيجان قره يوسـف ، والتجأ بعائلتيهما الى السلطان بايزيد ، فأرسل تيمورلنك سفيرا الى السلطان بايزيد الأول يطلب فيه تسليمهما ، ولكن السلطان رفض هذا الطلب واستهجنه وعاد السفير الى تيمورلنك<sup>(٣)</sup> .

وكما لجأ امراء العراق وأذربيجان الى السلطان بايزيد ، فقد لجأ من قبل الى تيمورلنك بعض أمراء آسيا الصغرى ، وكان آخرهم بايزيد أمير قسطنطيني كما سبق أن فر الى تيمورلنك ، وفي كلا الجانبين كان اللاجئون يحرضون ويحركون كل طرف لشن الحرب ضد الآخر ، وربما لم نجد هذه التحريضات آذانا صاغية من تيمورلنك ، الا أنه خشي من تحركات الدولة العثمانية ضده وضربه من الخلف ، في الوقت الذي كان يفكر فيه بغزو الهند لتوسيع رقعة ملكه ، وقد أدرك بايزيد هو الآخر حتمية الصراع مـــــــع تيمورلنك ، ولهذا السبب سعى الى تقوية مركزه الحربي في آسيا الصغرى عن طريق القضاء على الإمارات التي قامت على أنقاض دولة السلاجقة<sup>(٤)</sup> كما مر بنا .

- 
- (١) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٩ .  
محمد فريد بــــك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٤٤ .  
(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٥٥ .  
(٣) ابراهيم بك حليم : المصدر السابق ، ص ٤٩ .  
- محمد فريد بــــك : المصدر السابق ، ص ١٤٦ .  
(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٥٧ .  
على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٣ .

وقد أشيع أن الصليبيين عمدوا هذه المرة الى تحريض المغول على هجوم العالم الاسلامي من جهة وذلك عن طريق بناتهم اللواتي كن في قصور أمراء وحكام المغول عن طريق السياسة والمفاوضة (١) . وبمعنى آخر أن الصليبيين زوجوا بناتهم وأهدوا بعض الجوارى الحسان للعمل في تصور وأمراء وحكام المغول لاستمالة قلوبهم وتحريكهم لغزو الدولة العثمانية واشغالها من الخلف حتى تتوقف حركة جهادهم عن الفتح في أوروبا وهم يواصلون الهجوم على الدولة من الغرب حتى يستطيعوا ابعادهم عن أوروبا كلها ، وبالتالي يزحفون الى آسيا للاستيلاء على القدس الشريف في فلسطين ، وقد نميل الى هذا الرأي أنه من أهم أسباب غارة المغول على الدولة الاسلامية اضافة الى ما سبق من أطماع المغول منذ موجاتهم الأولى ، وقد تكون هذه الحملة استمرارا للغارات والهجمات المغولية التي قامت في وسط آسيا السابقة .

ومهماتكن المبررات فقد أعد تيمورلنك العدة فاغار بجيوشه على بلاد آسيا الصغرى ، وفتح مدينة سيواس بأرمينيا وأسر حاكمها أورخان ابن السلطان بايزيد ، وقطع رأسه . حينئذ اضطرب السلطان بايزيد ، فجمع الجيش وسار به لمحاربة هذا المغولى ، فتقابل الجيشان في سهل أنقرة ، فاقتتل الجيشان قتالا عنيفا أظهر السلطان خلاله من الشجاعة ما أبهر العقول وأدهش الأذهان ، قبيل شروق الشمس حتى المغيب ، ولكن نتيجة لضعف جيشه وفرار فرق آيدين ومنتشا وصاروخان وكرميخان وانضمامهم الى حيوش تيمورلنك لوجود أمراءهم الأصليين وأبنائهم وكبار رجالهم في صفوف المغول ، فلم يبق مع السلطان سوى عشرة آلاف جندي انكشارى ، وبعض العساكر الصربية ، الذين اثبتوا ولاهم للدولة في الحملة الصليبية الرابعة .

---

(١) على حسن : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢١٠

ولم يشنه ذلك النقص فقد استمر في الحرب والقتال حتى سقط آخر  
النهار أسيرا في أيدي المغول ومعه ابنه موسى (١)، ولكن على حسون  
يذكر أن جيوش النمساوي التي كانت تحت قيادة بايزيد لم تدخل المعركة  
الا وهي مكروهة ولعلمهم يعلمون مدى التحالف القائم بين صليبي أوروبا  
والمغول والذي أبرم بين الطرفين ، فقد سعى هؤلاء قبل تقدمهم نحو العالم  
الاسلامي أن يكون هجومهم والتتار معا ، مع العلم أن التتار في ذلك الوقت  
كانوا قد دخلوا الاسلام ، الا أن الصليبيين استغلوا الخلاف المذهبي بين  
العثمانيين السنة وماكان عليه تيمورلنك من التشيع ، فأقنعوه بوسائلهم  
الخاصة كما سبق ، على غزو العثمانيين من الغرب وقدمهم من المغرب  
في آن واحد (٢) .

وقد أسر أيضا ابنه مصطفى الذي أرسله تيمورلنك الى سمرقند، وقد  
أطلق سراحه بعد عدة سنوات (٣)، وهرب اولاده سليمان ومحمد وعيسى وكانت  
هذه الموقعة في ١٩ ذي القعدة سنة ٨٠٤ / ٢٠ يوليو سنة ١٤٠٢م (٤)، ولكن  
تيمورلنك لم يقتل أسيره بايزيد بل أكرم مشواه ، وفي رواية أهانه (٥).  
بعد أن شرع في الهرب ثلاث مرات (٦) . ولكن السلطان مات بعد سنة من أسره  
اي سنة ٨٠٥ هـ / ١٤٠٣م (٧) . وأن هذه الهزيمة هي سبب موته كمدا وهو  
في الاسر وصرح تيمورلنك لابنه موسى بأن يدفن ابيه في مقابر سلاطين  
آل عثمان في بورسه وهذا دليل على احترام تيمورلنك للسلطان بايزيد  
الثاني (٨) .

- 
- (١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٤٦ .
  - (٢) علي حسن : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٣ .
  - (٣) يلماز أوزنونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١١٨ .
  - (٤) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٤٦ .
  - (٥) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ١٩٦ .
  - (٦) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٤٦ .
  - (٧) اورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني حياته واحداث عهده ،  
ص ١٨٠ .
  - (٨) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ج ١ ، ص ٤٩٦ .

وقد أخذ تيمورلنك بعد ذلك في الاستيلاء على الأناضول وعمد إلى إحياء الإمارات القديمة من أجل تفتيت وتقسيم الدولة العثمانية<sup>(١)</sup>، وأن لا يقوم لها قائمة بعد اليوم .

ويذكر المؤرخ أحمد جودت باشا ، أنه قد تهيأ لبازيد الأول ما كان مطمح أنظار العثمانيين منذ زمن الغازي عثمان بن ارطغرل مؤسس الدولة العثمانية ، وهو فتح القسطنطينية لكن من سوء طالع استولت عليه أهواء النفس في أمره فتهافت على مالا يتفق من الأسراف والتبذير والميل مع هوى النفس والاسترسال في اللهو والخلعة ، وغير ذلك من دواعي التأخر ، اغتنمها تيمورلنك لماله فوق له ما وقع ، ففرحت دول أوروبا بما وقع للسلطان بايزيد فأرسل ملك فرنسا تهنئة إلى تيمورلنك بهذه المناسبة ، فأجابه تيمورلنك على التهنئة<sup>(٢)</sup>.

وعلى أثر موقعة أنقرة اكتسح تيمورلنك آسيا الصغرى، واستولى على نيقية وبروسه وغيرهما من المدن الساحلية<sup>(٣)</sup>، وكان تيمورلنك يريـــد تمزيق وحدة الدولة العثمانية ، وتفريق كلمتهم وألا يقوم لهم بعد تلك المعركة أي قائمة كما أنه يحرض بعضهم على قتال بعض<sup>(٤)</sup> ، لهذا دب الخلاف بين أبناء بايزيد الكل منهم يريد أخذ مكان والده ليحكم الدولة<sup>(٥)</sup>

---

(١) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني ، حياته واحداث عهده ، ص ١٨ .

(٢) تاريخ جودت : ج ١ ، ص ٤٠ .

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٥٩ .

(٤) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٩٧ .

(٥) أورخان محمد علي : المرجع السابق ، ص ١٩ .

وكادت الدولة أن تغفلت منهم بسبب هذه الخلافات التي وقعت فيهما السلطنة وهذا مايسمى بفترة فاصلة في التاريخ العثماني ، " أى منفصلة عن محورها الأصلي " (١) . وقد دام هذا الخلاف حوالي احدى عشرة سنة من ٨٠٥ - ٨١٦ هـ / ١٤٠٢ - ١٤١٣ م حتى استطاع السلطان محمد الأول ابن السلطان بايزيد الأول أن يتولى زمام السلطنة بعد اسقاط اخوته ، وأن يجمع الكلمة في يده وأن يوحد الدولة العثمانية من جديد ، وينفرد بسلطتها (٢) .

ولذلك تعتبر معركة انقرة من أكبر الكوارث التي أخرجت الدولة العثمانية عن فتوحاتها الجهادية نحو أوربا حوالى نصف قرن (٣) .

وانكارثة كهذه لو وقعت على أية دولة لمحتتها عن آخرها ، إلا أن الأساس الذي قامت عليه الدولة العثمانية كان متينا فاستقر أمره ، بتغلب السلطان محمد الأول الملقب بـ (جلبي) على اخوته فتهيأت له ذلك أسباب الاستقلال بالملك كما مر بنا ، فرفع شأن الدولة العلية وعادت في زمن قليل الى سابق عزها ومجدها ووحدتها ، ثم توفى سنة ٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م (٤) .

ويعود ذلك الى التوفيق الكبير من الله الذى صادف السلطان محمد جلبي لتوحيد ملكه ، لذلك اعتبر هو المؤسس الثاني للدولة العثمانية بعد كارثة انقرة (٥) . وتقلد الملك من بعده ابنه السلطان مراد الثاني الذى قوى أركان الدولة ووسع نطاق المملكة بما يزيد على ما كانت عليه . ولما توفى رحمه الله سنة ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م تولى مكانه ابنه محمد الثاني (الفاتح) (٦) ، كما سيأتي في بابه .

---

(١) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، ج ١ ، ص ٤٦ .

(٢) أورخان محمد على : السلطان عبد الحميد الثاني ، حياته واحداث عهده ، ص ١٩ .

(٣) يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١١١ .

(٤) أحمد جودت باشا : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٠ .

(٥) يلماز اوزتونا : المصدر السابق ، ص ١١٦ .

(٦) أحمد جودت باشا : المصدر السابق ، ص ٤٠ .

## الفصل الأول : الدولة في عصرها الأول

- أ - تطبيق النظم الإسلامية ، فدخل الإسلام في قوة الدولة وتماسكها ،  
والحصانة الفكرية .
- ب - الانكشارية والتربية الإسلامية .
- ج - انتشار الإسلام في أوروبا في عصر عظمة الدولة : فتح القسطنطينية ،  
وتهديد روما .





وحين جلس السلطان أورخان على سرير الحكم نقل عاصمته الى مدينته  
بورسه بعد أن كانت في يكي شهر (١) .

فورث أورخان عن والده عثمان دولة ليس لها قوانين أو عملة وكذلك  
ليس لها حدود واضحة (٢) ، لهذا التفت السلطان الى التنظيمات الضرورية ،  
وسن القوانين والأنظمة بمساعدة رجال حكومته وعلى رأسهم علاء الدين بن  
عثمان وقره خليل ، فكان أول شيء بدأه أن ضرب السكة العثمانية (٣) . ولما  
رأى جيوشه لانظام لها ولا معرفة لها بالحرب قام بإنشاء طائفة يني جرى  
" الانكشارية " التي سنتناول الحديث عنها بإسهاب في الفقرة التالية ،  
كما نظر الى أراضي البلاد المفتوحة فقسمها الى قسمين خاص وتيمار (٤) ،  
فكانت الإيرادات من الأراضي الخاصة للخزينة السلطانية وللأمراء والأعيان  
في الحكومة (٥) .

وقد اكتسب العلماء نفوذا كبيرا بسبب طبيعة مراكزهم الدينية  
والتعليمية والقضائية ، وكان المفتي هو رأس العلماء والذي سمي مؤخرًا  
شيخ الاسلام ويعتبر في المرتبة الثانية في الدولة بعد السلطان . فالدولة  
تطبق النظم الاسلامية وتستقي تشريعاتها من دستور المسلمين وهو الكتاب  
الكريم والسنة النبوية المطهرة (٦) .

---

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٨ .

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٤٠ .

(٣) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٨٩ .

(٤) تعريف التيمار : عبارة عن حقول يتصرف فيها أربابها بالحـ  
والزرع ويعطون ماعليها من العشور الشرعية ، وما يخصها من خـ  
للدولة .

— اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٨٩ .

(٥) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٨٩ .

(٦) محمد عبداللطيف البجراوى : من خصائص تاريخ العثمانيين وحضارتهم ،

( الدارة ، ع ٤ ، س ١٢ ، ١٤٠٨ هـ ، ص ٢٠٦ ) .

وفي ضوء هذه السياسة الإسلامية انطلق العثمانيون في جميع حروبهم الهجومية والدفاعية ، فاعتبروا نشر دين الله وهداية الناس في الأرض من أهم الواجبات المقدسة ، كما حرصوا على القيام بهذا الواجب على حسب ما قرره التشريع الإسلامي (١) .

فعندما قام السلطان عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة بفتح البلاد المسيحية جعل نصب عينيه تطبيق النظم الإسلامية ، كما كانت تطبق في عصرها الإسلامي الأول ، فأرسل إلى جميع أمراء الروم ببلاد آسيا الصغرى يخبرهم في ثلاثة أمور :

- الإسلام - أو دفع الجزية - أو الحرب .

متبعاً في ذلك المنهج الإسلامي وساعراً على حسب الخطوات التي سار عليها الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون رضوان الله عليهم ومن تبعهم من الحكام ، فقبل من أعلن إسلامه ، وأخذ الجزية ممن قبل الانضمام إلى الأمة الإسلامية من المسيحيين وحارب من أعلن الحرب على الإسلام أو الخروج عن طاعة السلطان (٢) .

كان الهدف من تلك الحروب الجهادية هو إخضاع عالم الكفر (دار الحرب) وليس تدميره ، لهذا أقام العثمانيون دولتهم على أساس توحيد الأناضول الإسلامية ، والبلقان المسيحية تحت حكمهم ، كما ظهرت في الوقت نفسه حامية للكنيسة الأرثوذكسية وملايين المسيحيين الأورثوذكس . فقد ضمن الإسلام حياة وممتلكات المسيحيين واليهود . في مقابل استسلامهم ودفع الخراج ، وسمح لهم بحرية ممارسة شعائرهم الدينية الخاصة بكل فئة منهم .

---

(١) زياد أبوغنيم : جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك ، ص ٧٦ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١١٨ - ١٢٠ .

ومع وجود العثمانيين في مجتمع الحدود واختلاطهم مع المسلمين طبقوا مبادئ الاسلام ، بأقصى درجة من التسامح ، وخاصة خلال السنوات الأولى من تاريخ الدولة العثمانية حيث اتبعوا سياسة استهدفت تحقيق النهج الاسلامي في معاملة أهل الديانات الأخرى بالنسبة لكسب ثقة المسيحيين وغيرهم وذلك قبل اللجوء الى الحرب (١) .

هذا التسامح اتضح من التزام السلاطين بالشرعية ، حيال الديانات الأخرى وخاصة فيما يتعلق بأهل الذمة ، حيث عاش الرعايا المسيحيون واليهود في أمن وسلام (٢) ، جنباً الى جنب داخل الدولة .

ومن أمثلة ذلك أن أرطغرل عهد الى ابنه عثمان مؤسس الدولة بولاية القضاء في مدينة قره جه حصار بعد أن تم فتحها سنة ٦٨٤ هـ. الموافق ١٢٨٥م ، حكم عثمان لبيزنطي نصراني ضد مسلم تركي ، فأبدى هذا البيزنطي استغرابه ، وسأل عثمان ، كيف تحكم لمالحي وأنا لست من أهل دينك أو ملتك ؟ فأجابته عثمان قائل : بل كيف لا أحكم لك ، والذي نعبده يقول لنا : " ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل " (٣) ، فكان تطبيق الشريعة الاسلامية سبباً في اسلام هذا الرجل (٤) .

ولقد طبق العثمانيون المبادئ الشرعية في حماية الفلاحين باعتبارها إحدى مصادر الدخل الضريبي ، أو الموارد الاقتصادية للدولة ، لذلك اتخذت دولة الكفالة الاسلامية موقف التسامح لتشجيع الفلاحين ، فشكل الخراج أو الجزية جزءاً كبيراً من إيرادات الدولة (٥) ، كما أن

---

(١) ابراهيم شحاته حسن : أطوار العلاقات المغربية العثمانية ، ص ٧٩-٨٠ .

(٢) عبدالكريم مشهواني : العلمانية وأثارها على الأوضاع العلمانية في تركيا ، ص ٥١ .

(٣) سورة النساء : الآية ( ٥٨ ) .

(٤) ريباد أبوغنيم : جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك ، ص ٧٥-٧٦ .

(٥) - ابراهيم شحاته حسن : المرجع السابق ، ص ٨٠ ،

- نبيل رضوان : جهود العثمانيين لانقاذ الأندلس واسترداده ، ص ١٠ .

الموارد من العشور والرسوم التي كانت تجبى لخزينة الدولة تعتبر مشروعة و متمشية مع نظام الشريعة ، وهذه العشور ما كان يفضلها العلماء ويحثون اقتصار السلاطين عليه (١) .

وكان نظام الملل قد صنف هؤلاء الرعايا تصنيفا لا يقوم على أساس الجنس أو القومية أو اللغة ، بل على أساس المذهب الديني الذي يدينون به . لذلك أصبح لكل ملة رئيس ديني يمارس الحكم الذاتي في المسائل الدينية ويقوم بالفصل في قضايا الأحوال الشخصية كالارث والزواج والطلاق والتبني الخاصة باتباع كل ملة ، كما سمح هذا النظام لكل ملة استخدام لغتها ، في السنة التي فتحت فيها القسطنطينية ، وممارسة عقيدتها ، وتطور نظمها ، الثقافية ، وجمع الضرائب ، ودفع ما يخصها الى بيت مال الدولة .

وكان من بين النظم السائدة في الدولة العثمانية ، النظم الخاصة بالأحانب ، من رعايا الدول الأوروبية ، وعلى الخصوص التجار الأجانب المقيمين بالقسطنطينية فلقد وضعت الدولة نظاما خاصا بهم يعرف بـ " نظام الامتيازات " وعاشت كل مجموعة من هؤلاء طبقا لما نص عليه في المعاهدات الرسمية التي أبرمتها الدولة مع حكام الدول التي تنتمي اليها هذه المجموعة (٢) .

وراعى العثمانيون العدالة في القضاء بين المسلمين والمسيحيين الى درجة أن صدرت فتوى يقال فيها بأنه اذا قتل ألف من المسلمين مسيحيا واحدا مخلصا للسلطان دون حق يجب قتلهم ولكي يسهل لهم السلطان قبول الحكم الاسلامي الجديد ، فقد سمح باستمرار كنيسة الأرثوذكسية والاعريقية (٣) .

وهذا نموذج من النماذج الاخرى الكثيرة حول صدق تطبيق الدولة للنظم الاسلامية في معاملة الذميين كما عاملهم الدين الحنيف .

---

(١) هاملتون جب : المجتمع الاسلامي والغرب ، ترجمة أحمد عبدالرحيم

مصطفى ، ( القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٩م ) ج ٣ ، ص ١٣ .

(٢) عمر عبدالعزيز عمر : تاريخ المشرق العربي ، ( بيروت ، دار النهضة

العربية ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م ) ، ص ٦٠-٦١ .

(٣) محمد مصطفى صفوت : فتح القسطنطينية ، ( الرياض ، منشورات الفاخرية ،

ص ١٨٢-١٨٣ ) .

رأى السلطان سليم الأول عدد أهل الكتاب من النصارى واليهود فسي الدولة قد زاد على بضعة ملايين وأن هذا العدد يزداد عاما بعد عام . ففكر في طريقة للخلاص منهم فخيرهم بين اعتناق الاسلام ، أو الطرد من أراضي الدولة العثمانية ، ولكن عندما وصل هذا الخبر الى مسامع شيخ الاسلام على افندى ، انبرى للسلطان معترضا على هذا الاجراء الذى يتنافى وطبيعة الاسلام ، وماكان عليه السلف الصالح ، فقال للسلطان سليم ليس لنا على هؤلاء النصارى واليهود الا الجزية فماداموا يؤدونها فقد عصموا منادما هم وأعراضهم وعبادتهم فيما يعتقدون ، فلا يحق لك أن تزجهم في دينهم ، ولا يحق لك أن تخرجهم من ديارهم ، فأعلن السلطان سليم رفضه لحكم الاسلام<sup>(١)</sup>، وهذا دليل على تمسك العثمانيين بالنظم الاسلامية وتطبيقها ، حتى تمتع أصحاب الديانات الاخرى غير الاسلامية بكامل حريتهم في معتقداتهم وعباداتهم<sup>(٢)</sup> .

ومعنى ذلك أن الدولة العثمانية دولة قامت على الشريعة الاسلامية فاتسمت به تنظيماتها وتشريعاتها واصبحت سمة واضحة في جميع أمور الدولة وتصرفاتها . وكان المفتي ، أو شيخ الاسلام تخفج لنفوذه الهيئات القضائية أو الهيئات ذات الطابع الديني ، وكان السلاطين حريصين كلما حز بهم أمر أو أقدموا على مشروع خطير<sup>(٣)</sup> على استعانة المفتي حتى يصدر فتوى الحروب التي تخوضها الدولة دفاعا أو هجوما أو لعقد الصلح ، وكانت الدولة تهتم اهتماما بالغا بشيخ الاسلام والعلماء لنشر التعبئة الروحية بين أفراد القوات المسلحة ، وإثارة روح الجهاد ومولا الى تسخير الجنود روحيا ومعنويا لخوض المعارك في سبيل نشر الاسلام<sup>(٤)</sup> .

- 
- (١) زياد ابوغنيمه : جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الاتراك ، ص ٧٦ .
  - (٢) لوثرود ستودارد : حاضر العالم الاسلامي : ترجمة عجاج نويهض وتعليق شبيب ارسلان (الطبعة الرابعة ، بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٣م) ص ٢٠٨-٢١٠ .
  - (٣) زياد ابوغنيمه : المرجع السابق ، ص ٧٦ .
  - (٤) محمد جميل بيهم : العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب ، (بيروت ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧م) ص ١٢٤ .
- (٤) عبدالعزيز الشيناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، (القاهرة ، الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٨٠م) ، ج ١ ، ص ٥٤ .

تجلى هذا الأمر في حرص الدولة :

أولاً: على تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية تطبيقاً صارماً ، وهذا ما تؤكد فيه في شتى المناسبات أنها تلتزم التزاماً دقيقاً بمبادئ الشرع .

ونذكر هنا نماذجاً على سبيل المثال لا الحصر أنها حين أصدرت قانون نامه الذي أكمله السلطان سليمان القانوني ، توجت هذا القانون بجملة معبرة وردت في صدره " قانوننا في سلطاني كي شريعي شريفي موافقاني محرر أولوب " أي " القانون نامه السلطاني الذي يتفق مع الشريعة الشريفة " .

ثانياً: المحافظة على التقاليد الإسلامية ، وعلى سبيل المثال أن السلطات العثمانية لم تكن تسمح لأحد بانتهاك حرمة شهر رمضان ، ولذلك لم يجرؤ أحد مهما كان مركزه ، مسلماً كان أو غير مسلم ، أن يأكُل أو يشرب في مكان عام أثناء النهار طوال هذا الشهر المبارك ، وإذا أقدم على ذلك فإنه يعاقب شرعاً ويُسهر به أمام الناس وفي الشوارع العامة (١) .

من هنا أتى تاريخ العثمانيين في عصرهم الأول تجربة فريدة معتمداً على تطبيق النظم الإسلامية في مطلع العصر الحديث ، وفي دولة مركز الثقل فيها القسطنطينية سيدة البلقان وعرفت أوروبا أن المسلمين قوة ثابتة الدعائم في أوروبا خلافاً لمحاولات الحصار العربي للقسطنطينية في العصور السابقة وعلى مختلف العصور .

إلا أنه يجب أن نشير إلى دور الإسلام كأهم عامل من عوامل المقاومة ضد الاستعمار الأوروبي ، وخلال عصور الاستعمار الطويلة كان للإسلام الفضل الأكبر في تحطيم مشروعات الاستعمار بالنسبة لسكان المسلمين في المستقرات وظلت الشخصية الإسلامية سليمة على الرغم من محاولات الاستعمار المتعددة لهدم هذه الشخصية ، والإسلام هو الذي أعطى للدولة القوة الخارقة ،

---

(١) كامل باشا : تاريخ سياسي لدولة عليه عثمانية ج ١ ، ص ٥١ .

ذلك التماسك الذي حير الأوربيين على مدى تاريخها الطويل ، وليس أدل على قوة الدولة العثمانية وتماسكها من أن الغزو الفكري تأخرت نتائجه حتى بدء عصر السلطان عبدالمجيد بن محمود الثاني ، حيث أصبحت الدولة عارية بعد أن قضى السلطان محمود الثاني على الانكشارية (١).

وهذا هو سر عظمة السلاطين الأول الذين وضعوا بناءها على أساس مكين عندما تمسكوا بمبادئ دينهم ومحافظة على تعاليم الشريعة السمحاء فكانوا يطيعون السلطان وليس لبعضهم على البعض الآخر فضل إلا بالتقوى (٢).

لذلك لم يعرف التاريخ دولة صمدت للزمن ومحنته كدولة آل عثمان في القرون الثلاثة ، القرن العاشر ، والحادي عشر ، والثاني عشر الهجري الموافق للقرن السادس عشر ، والسابع عشر ، والثامن عشر الميلادي ، فقد فرضت وحدة شبه عامة للعالم الاسلامي ، أرهبت أوروبا وهزته ، ثم قامت بتحريـر شعوب اسلامية كانت قد سقطت في أيدي الصليبيين ، فحررت تونس والجزائر وأجزاء من المغرب وليبيا ، وأنقذت أجزاء من المشرق من اكتساح صليبي بدأ يستولى على البحار ويطوف العالم الاسلامي (٣) . فاستطاعت الدولة أن توقف هذا الزحف وتمدد هذا المد عن المشرق العربي .

...

---

(١) محمد عبداللطيف البجراوى : التاريخ المعاصر وعلاقته العنصرية بالزمنة

( مجلدة الدارة ، العدد الثاني ، السنة الحادية عشرة ، ١٤٠٦هـ ) ص ٨٠-٨٢

(٢) حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، ج ٢ ، ص ٩٠

(٣) هيئة التحرير : مجلة الدعوة السعودية ( العدد ٥٧٠ ، ٢٥ شوال ١٣٩٦هـ ) ،

ب- الانكشارية ————— نموذج فريد للتربية الاسلامية :

كان العثمانيون عند قدومهم الى آسيا الصغرى لا يزالون على البداوة يجاهدون تحت راية أميرهم ويقتسمون الغنائم فيما بينهم فاذا فرغوا من الحرب عادوا الى شئونهم فلم يكونوا جنودا منتظمة بل كانوا يقدمون على الحرب من تلقاء أنفسهم .

فلما وضع عثمان أساس الدولة العثمانية على أنقاض دولة السلاجقة في آسيا الصغرى ، أصبح العثمانيون في حاجة الى من يحارب معهم لبناء دولة اسلامية كبرى تدافع عن الاسلام ، فكان يأتيهم المتطوعون ينضمون اليهم رغبة في الفتح والجهاد ، ونشر الاسلام ولا يحاربون الا على ظهور الخيل . وكانوا يسمون أولئك المحاربون ( اكينجي ) ، وكانوا يتدربون على الحركات العسكرية تدربا حسنا واشتهروا على الخصوص بانتظامهم في الصفوف ، فاذا مشوا كانت أفراسهم صفا واحدا . وكان عثمان اذا عزم على الحرب بعسكر المنادين الى القرى والبلاد لاعلان عزمه ويدعوا من يشاء للاشتراك في ذلك (١) .

وعندما ورث السلطان اورخان السلطنة عن والده كما سبق ، كان لزاما عليه مواصلة الجهاد ضد البيزنطيين ، فقد رأى جيوشه المولفة من الفرسان التركمان ، ومن يتطوع من الرعية على الحرب ولكن ليس لهم نظام ولا معرفة بقوانين الضبط والربط وبذلك فانهم يشعرون بأنهم ليسوا محكومين لاحد (٢) .

فكان السلطان اورخان يعتمد في حربه التي يشنها ضد البيزنطيين على المرابطين في الحدود ( مجاهدى النفير ) والذى كان يطلق عليهم بالتركية اسم ( Akincilar ) أى المندفعون ، ويسمون أيضا أهل النفرة (٣)

---

(١) هيئة التحرير : تاريخ الجند العثماني (مجلة الهلال ، القاهرة ، الجزء

الثاني ، السنة السابعة عشرة ١٩٠٨/٨١٣٢٦ م) ص ٤٥٧ .

(٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ص ٤٨٨ .

(٣) كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية ، ج ١ ، ص ١٢ .

زياد ابوغنيم : جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الاتراك ، ص ١٤٤ .

حسين لبیب : تاريخ الاتراك العثمانيين ، ج ١ ، ص ١٠ .



وهم الذين يستجيبون لنداء الجهاد تجسيدا لقوله تعالى : ( انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ) (١) .

فهو أيضا لم يمتلك جيشا نظاميا وإنما كان لديه مئات من فرسان عشيرته ومن المجاهدين ومن أمراء الروم وعساكرهم الذين دخلوا الأسلام اثر الفتوحات العثمانية . وحينما كان يريد اعدادا أكثر مما لديه يطلب النفير ( حي على الجهاد ) فتتوافد عليه جموع المجاهدين من كل صوب (٢) فاذا وضعت الحرب أوزارها عاد المجاهدون من حيث أتوا لانتظار دعوة أخرى للجهاد (٣) ، وكانت هذه الطريقة غير مجدية لأنها تضيع كثيرا من فرص الفوز وذلك لأنه عندما يعلن النفير العام يستمر جميع الافراد المحاربين فترة طويلة من الزمن مما يمكن العدو من تعزيز مواقعه فتفوت بذلك فرص الفوز على قوات العدو (٤) . كذلك فان هذه الطريقة تجعل افراد المحاربين اكثر ارتباطا بقبائلهم مما يؤدي الى انفصام عرى الوحدة العثمانية داخل قوات الدولة التي تسعى الدولة جاهدة لتحقيقها كما ان بعضهم كان حريصا على جمع المال . ولذلك خشي السلطان أن مثل تلك الامور قد تصرف قسود المحاربين عن الهدف المنشود الا وهو الجهاد في سبيل الله (٥) . خاصة

- 
- (١) سورة التوبة : الآية (٤١) .
  - (٢) زياد ابوغنيمه : جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الاتراك ، ص ١٤٥ .
  - (٣) - حسين لبيب : تاريخ الاتراك العثمانيين ، ج ١ ، ص ١٠ .
  - احمد رشيد : خريطة لي ورسملي تاريخي عثماني ، ج ١ ، ص ١٤-١٥ .
  - (٤) زياد ابوغنيمه : المرجع السابق ، ص ١٤٥ .
  - حسين لبيب : المصدر السابق ، ص ١٠ .
  - كامل باشا : تاريخ سياسي لدولة عليه عثمانية ، ج ١ ، ص ١٢ .
  - (٥) كامل باشا : المصدر السابق ، ص ١٢ .
  - محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٢-١٢٣ .
  - كامل باشا : المصدر السابق ، ص ١٢ .

وأن حملات البيزنطيين ، قد زاد تهديدها للدولة العلية، فوجد أورخسان مهوبة في تجميع المحاربين في الوقت المناسب، ففكر في طريقة جديدة لتجميع قوة لقتال البيزنطيين الذين أخذ خطرهم يتصاعد يوما بعد آخر، فاستشار أخاه علاء الدين وزير الدولة وبعض قواده الآخرين، فاشاروا عليه وخاصة علاء الدين وقائده قره خليل بفكرة إيجاد جيش نظامي دائم يكون مستعدا استعدادا كاملا لخوض المعارك ضد أعداء الدولة وأعداء الاسلام ويكون متواجدا في حالة الحرب والسلم على حد سواء<sup>(١)</sup>، على أن يخصص لكل فرد من أفراد ذلك الجيش راتب معين في اليوم وقدره ليرة عثمانية واحدة مقابل هذا التفرغ<sup>(٢)</sup> لأنه ليس من العقل التجاء السلطان الى جيش غير متفرغ ولا منظم، بعد أن رأى فساد ذلك الاتجاه في الدولة البيزنطية وايضا ليس من المقبول ان يجاهد العثمانيون بقوات غير منظمة<sup>(٣)</sup> .

وبما ان الغزو والجهاد لازال قائما في بلاد الروم ومتتابعا فقد اشار على السلطان رجال حكومته باخذ خمس الاسرى<sup>(٤)</sup> ، وفصلهم عن كل ما ينكرهم بجنسهم وأصلهم ، فيربون تربية اسلامية ، بحيث لا يعرفون أبا الا السلطان ولا عملا الا الجهاد في سبيل الله ، ولعدم وجود اقارب لهم يضمن السلطان عدم تحريضهم أو عصيانهم عليه ، فاعجب السلطان بهذه الفكرة والرأى وامر بانفـذـه في الحال<sup>(٥)</sup> ، فأسند هذا العمل الى قره خليل .

- 
- (١) زياد أبو غنيمه : جوانب مضيئة في تاريخ الاتراك العثمانيين ص ١٤٥-١٤٦.
  - كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه ، ج ١ ص ١٢.
  - (٢) كامل باشا : المصدر السابق ص ١٢.
  - (٣) محمد عبد اللطيف البحر اوى : في خصائص تاريخ العثمانيين وحضارتهم ( مجلة الدارة ع ٤ ، س ١٣ ، ١٤٠٦ هـ ) ص ٢٠٤.
  - (٤) أحمد زيني دحلان : الفتوحات الاسلامية ، ج ١ ، ( القاهرة ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر ، ١٣٨٧ هـ ) ص ١١٧.
  - كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٤١٤.
  - (٥) محمد فريد بـ : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٢-١٢٣.

والحقيقة أن العثمانيين يؤمنون بواجب جهادهم في فتح البلاد الواقعة في أملاك الامبراطورية البيزنطية ، وأكثر أهلها من مسيحيين فيدخل في حوزتهم من غلمان النصراني الذين قتل آباؤهم نتيجة تلك الحروب فاصبحوا لانصير لهم ولا مرجع لآمالهم ولذلك ارتأى السلطان ان يربى أولئك الغلمان تربية اسلامية (١) .

وعلى اثر ذلك نشأ هؤلاء الأطفال نشأة اسلامية لانهم تربوا في بيئة اسلامية بعيدا عن الوسط المسيحي ، فأثر ذلك في ميولهم وعقليتهم نتيجة لما لهذا الدين الجديد من أمور انسانية عظيمة (٢) ، فاذا صاروا الى حالة حسنة من التربية والانتظام أدخلتهم الدولة في سلك الجيش الجديد (٣) فلا يخشى منهم التمرد لانهم لا يعرفون عصية غير الدولة ، ولا عملا غير الجندية ، ولادينا غير الاسلام (٤) .

وقد ارتبطت هذه القوة منذ بداية نشأتها بهيئة العلماء في الدولة العثمانية ، وذلك حينما عهد السلطان اورخان الى حاجي بكتاشي أشهر علماء عصره ، وأكثرهم سلطة دينية في الدولة برعاية هؤلاء الجند ، ووضع أصول تربيتهم تربية اسلامية صحيحة ، فقام الشيخ بكتاشي بوضع مناهج لتعليمهم وتدريبهم على أسس اسلامية سليمة (٥) .

- 
- (١) هيئة التحرير : تاريخ الجند ( مجلة الهلال ، ج ٨ ، ص ١٧ ، ١٩٠٩ ) ص ٤٥٨ .  
- كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية ، ج ١ ، ص ١٣ .
  - (٢) محمد عبداللطيف البهراوى : من خصائص تاريخ العثمانيين وحضارتهم ، مجلد الدارة ، ع ٤ ، ص ١٣ ، ٢٠٥ .
  - (٣) أحمد زيني دحلان : الفتوحات الاسلاميه ، ج ١ ، ص ١١٧ .  
- أحمد رشيد : خريطة لي ورسملي تاريخي عثماني ، ج ١ ، ص ١٤-١٥ .
  - (٤) محمد عبداللطيف البهراوى : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .
  - (٥) محمد عبداللطيف البهراوى : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .  
- أحمد زيني دحلان : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١١٧ .  
- أحمد رشيد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٤-١٥ .

إذا فهم نخبة موظفين يقيمون في ثكناتهم على الدوام ، وهم في غاية الطاعة والانقياد ، مع ما هم عليه من الشجاعة والثبات في المعارك للجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته (١).

وقد شجع السلطان أورخان تحويل الرعايا المسيحيين إلى رعايا عثمانيين مسلمين ، ولم يتبع في ذلك الوقت العنف والاكراه (٢)، بل اتبع الترغيب والتهديب ، وكانت الوظائف عامة وخاصة الدينية والعسكرية منها في ذلك الوقت تقتصر على المسلمين (٣)، حتى صار النصراني يطلبون ممن تلقاء أنفسهم الدخال أولادهم ضمن الانكشارية (٤).

وكان أهم مصادر الانكشارية هي: أسرى الحرب نتيجة الجهاد على حدود العالم المسيحي ، ثم ما كانت تقدمه العائلات المسيحية طوعية من أبنائهم وليس صحيحا أن هؤلاء الغلمان كانوا يقدمون كجزية أو ضريبة كما يدعى

---

(١) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت باشا ، ج ١ ، ص ٣٩.

Stanford J. Shaw, Ezelkural Shaw: Osmanli  
Imprataraugu ve modern , Turky, p. 15.

(٢) يذكر كارل بروكلمان : أن الدولة أكرهت النصراني الذين اختيروا لتأليف الجيش الجديد الانكشاري على الدخول في الدين الاسلامي. وهكذا افتتحت الدولة هذه الحملة بأن انتزعت ألف غلام نصراني من بيوت آبائهم وأكرهتهم على رفض معتقدهم . بيد أن تطلع هؤلاء إلى مستقبل باهر جعلتهم يتعلقون بشخص السلطان ويخلصون له . والواقع أن القوة الجديدة الانكشارية نظمت تنظيما دينيا.

- تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٤١٤.

وقد نهج على منواله كثير من المؤرخين الأوروبيين وأخذ عنهم بعض المؤرخين المسلمين دون تدقيق في الرواية . وهنا نحن بدورنا نطلب الدليل على هذه الفرية ، لأننا نخالفهم هذا الرأي لنظام الدولة ، وطلب النصراني أنفسهم الانضمام إلى الانكشارية .

(٣) محمد عبد اللطيف البحراوي : من خصائص تاريخ العثمانيين وحضارتهم، مجلة الدارة ، ( ع ٤ ، س ١٢ ) ص ٢٠٤.

(٤) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٨.

البعض (١)، ولا توجد وثيقة واحدة تشير أو تؤيد هذا القول ، بل ان هذه الأسر نفسها كانت تتنافس في تقديم أبنائهم لأعجابهم بالانكشارية ونظام الانكشارية كنوع آخر من الفروسية ، فاق فروسية أوروبا في العصر الوسيط وطمعا أن تنفتح أبواب وظائف الدولة أمام أبنائهم ، إضافة الى نظام أهل الذمة الذى طبقته الدولة كجزء من نظمها الاسلامية قد أبهرت أوروبا في وقت انعدمت فيه الحرية الدينية في أوروبا ذاتها أو كادت ، بل ان اقبال الأسر المسيحية على ذلك هو الذى دفع الدولة أن تشترط أن يكون الغلام هو الابن الخامس أو العاشر في الأسرة الواحدة (٢). وكانت عقيدتهم —————  
التنادى الى السلاح نحو الجهاد في سبيل الله تعالى .

وكان الانكشاريون كتلة واحدة تشعر بواجبها الاسلامي العظيم وبالمهمة التي أعدوا من أجلها ، السيف سلاحهم متى ما احتاجوا اليه ، ودعوة الحق شعارهم ، والرحمة والشفقة تملأ قلوبهم ، ذلك لأن الاسلام دينهم وعقيدتهم والسلطان أبوهم وقائدهم ، كانوا مثقفين متدينين بدين الاسلام ، وقبيل خوض المعركة كانوا يستعدون للشهادة فيتطهرون ويصلون لربهم ويطلبون سجودهم في صلاتهم خشوعا لبارئهم بنفوس مفعمة بالايمان صافية كلها رحمة وعدل (٣).

---

(١) هي ضريبة آدمية فرضتها الدولة على رعاياها المسيحيين الذين يعتنقون مذهب الكنيسة الارثوذكسية الشرقية القائمة في اسطنبول ، وكانت تجمع أولادهم وهم في سن غضة ، وتحولهم الى الدين الاسلامي وتنظم لهم دراسات علمية ، مدنية وعسكرية لتجعل منهم في النهاية أدوات اسلامية للحرب والحكم في خدمة الاسلام .

— عبدالعزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، ج ١ ، ص ١٢٠ .

(٢) محمد عبداللطيف البحراوى : من خصائص تاريخ العثمانيين وحضارتهم ، ( مجلة الدارة ، ع ٤ ، ص ١٣ ) ص ٢٠٤-٢٠٥ .

(٣) عبدالعزيز سليمان نوار : الشعوب الاسلامية ( بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٧٣ م ) ص ٤٨-٤٩ .

وعلى العموم كانت أسرة آل عثمان أكبر عائلة عرفها التاريخ الحديث ، شانت بصرح دولتهم ، ودافعت من الاسلام دفاعا مشهورا ، وزانت رقعته ، كما عملت على نشر الاسلام في معظم الأجزاء الأوروبية (١) .

ثم ان دخول الأتراك الاسلام على مذهب أهل السنة والجماعة ، وقيامهم بدور المجاهد الأول في سبيل الله أمام الامبراطورية البيزنطية أكسب هذه الدولة العثمانية أصالة وحصانة فكرية في الاسلام ، ومكانة عالية في النفوس ، فكانت هذه الدولة تملك قوة روحية كبيرة أصيلة نابغة من القيم والعقيدة الاسلامية الصافية ، تستطيع أن تعتمد عليها من وقت لآخر لاعادة تنظيم نفسها والوقوف على أقدامها كلما تعرضت لنكسة شديدة ، ومعنى ذلك أن الاسلام وحضارته الراقية في جميع المجالات طور الفكر التركي العثماني ، ونماه حضاريا وهذب أخلاقه واقتلع من جذوره البداوة والتعصب وغرس فيه روح التنظيم والجهاد ، وعلى هذا الأساس سارت السياسات العليا العثمانية لتكون نبراسا لكل مسئول يعمل بها ويهتدى بنورها حفاظا على تماسك البناء الاسلامي للرعية والامة الاسلامية ، شعارها الدفاع عن الاسلام (٢) في أى موقع وعلى أى اتجاه وعلى هذا الأساس أقام السلطان أورخان بن عثمان ووزرائه هذا الجيش الذى رافق تكوين دولتهم فكان أداة في انتصاراتها بتوفيق من الله وعونه الى جانب الجيوش الاخرى في الدولة ، حتى فشلت مهمته في الدور الثاني من عصر الدولة .

...

---

(١) عبدالعزيز سليمان نوار: الشعوب الاسلامية ، ص ٦٣ ، ٦٤ .

(٢) عبدالعزيز سليمان نوار: المرجع نفسه ، ص ٦٤ .

## انتشار الاسلام في أوربا في عصر عظمة الدولة : فتح القسطنطينية وتهديد روما:

قبل أن ندخل في تفاصيل فتح القسطنطينية فلابد أن نستعرض بايجاز سلطنة السلطان مراد الثاني الذي استلم العرش سنة ٨٢٤هـ الموافق ١٤٢١ م ، كمدخل لحكم السلطان محمد الثاني ، وخموصا أنه اشركه في الحكم وهولم يبلغ سن الرشيد وقد زاده هذا العمل حنكة سياسية وخبره بالحروب الصليبية كما سيأتي . وقد افتتح السلطان مراد الثاني أعماله بإعادة العاصمة الى أدرنه ، وعقد مصالححة مع أمير القرماني ، وهدنة مع ملك المجر لمدة خمس سنوات ، حتى يتفرغ الى إعادة الولايات التي شقت عصا الطاعة بعد وصول تيمورلنك اليها ، فاسترد ولايات قسطنموني ، وآيدين ، وصاروخان ، ومنتشا ، وغيرها في الامارات التي استولى عليها تيمورلنك بعد وقبل موقعة انقره من السلطان بايزيد الأول ، كما أن السلطان مراد الثاني استرد بلاد القرماني سنة ٨٣١ هـ الموافق ١٤٢٨ م ، وذلك بعد وفاة أميرها من غير عقب ، فأوصى بالملك من بعده للسلطان مراد الثاني (١) . وتفرغ السلطان بعد ذلك لاستعادة ما استقل من بلاد أوربا وخاصة دول البلقان (٢) فاتجه نحو أوربا ، فحارب ملك المجر ، وفتح مدينة كولمبار الواقعة على شاطئ نهر الدانوب الأيمن ، حتى يكون هذا النهر فاصلا بين املاك المجر والدولة العثمانية (٣) . وفي سنة ٨٣٢ هـ الموافق سنة ١٤٣٠ م ، أعاد السلطان فتح سلانيك وعزم على فتح ما بقي من بلاد الصرب والبانيا ( الأرنود ) والفلاخ فأخضع بلاد البانيا ، ثم الفلاخ سنة ٨٣٥ هـ الموافق ١٤٣٣ ، الذي سلم بسيادة الدولة هلعاً من الحرب ، ولكنه مالبت أن تثار مع أمير الصرب لتحريض ملك المجر لهما ، لمحاربة الدولة ، فحاربتهما الدولة وفتحت سمندريه (٤) بسبب عصيان أمير الصرب ، وحاصرت مدينة بلغراد عاصمة بلاد الصرب ، ولم تتمكن من فتحها (٥) .

- 
- (١) محمد فريد بيك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٥٣ - ١٥٤ .  
على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٥ .  
(٢) محمد فريد بيك : المصدر السابق ، ص ١٥٣ - ١٥٤ .  
، احمد عبدالرحين مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٦٣ .  
(٣) محمد فريد بيك : المصدر السابق ، ص ١٥٤ ، على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٥ .  
(٤) معناها القديس اندريا مدينة واقعة على نهر الدانوب (الطونة) تبعد ٥٠ كيلومترا عن بلغراد عاصمة الصرب ، على حسون : المرجع السابق ، ص ٢٥ ، حاشية رقم (١) .  
(٥) محمد فريد بيك : المصدر السابق ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(١) ثم واصل السلطان الغازية على ترانسلفانيا ، فحاصر مدينة ( هرمان ستاد ) التابعة لملك المجر وكان حاكم هذه الاقاليم ( هونياد ) القائد المجري الشهير وقائد عموم جيوش المجر ، فأتى هذا القائد مسرعا ، للدفاع عنها ، فاستطاع الانتصار على العثمانيين ، والزمهم الرجوع الى خلف نهر الدانوب وخلال هذه المعارك قتل قائد القوة العثمانية شهاب الدين باشا ، فحث القائد المجري السير لتخليص بلاد المرب ، فتغلب على السلطان مراد الثاني الذي تصدى له في مدينة نيش (٢) فاصبحت اموال العثمانيين في خطر ، لهذا مرض السلطان مراد الصلح (٣) ، وبمقتضاه استرجعت المرب استقلالها بعودة سمندريه ، وضمت المجر ولاشيا ، كما تنازل السلطان لهم عن الافلاق فاتفق الفريقان على ايقاف الحرب لمدة عشر سنوات ، وتم التوقيع على هذه المعاهدة في سنة ٨٤٨ هـ الموافق سنة ١٤٤٤ م (٤) . عقب ذلك توفي ابن السلطان علاء ، فحزن عليه وسئم الحياة ، فتنازل لابنه محمد الثاني البالغ من العمر آنذاك اربعة عشر سنة ، وذهب الى منفيسيا في آسيا الصغرى ليتفرغ للعبادة والخلة هناك (٥) .

- 
- (١) تقع هذه المدينة هرمنستاد ( Harmannstat ) في رومانيا الى الشمال الغربي من العاصمة بخارست . محمد فريد بك : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٥٦ ، حاشية رقم (٢) .
- (٢) ويقال لها نيسا مدينة في جنوب المرب ، واقعة على الطريق الموصل الى اسطنبول ، وسلانيك ، وهي بلدة يوغسلافية . محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٥٧ ، حاشية رقم (٢) .
- (٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٥٦ - ١٥٧ ، اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٥٠٢ - ٥٠٣ .
- (٤) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٥٠٣ - ٥٠٤ ، محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٥٧ ، احمد عبدالرحيم مصطفى : في اصول التاريخ العثماني ، ص ٦٤ .
- (٥) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٥٧ ، اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٠٤ ، على حسن : تاريخ الدولة العثمانية ( الطبعة الثالثة ، بيروت ، المكتب الاسلامي ، ١٤٠٣ هـ ، ص ٢٤ ، احمد عبدالرحيم مصطفى : في اصول التاريخ العثماني ، ص ٦٥ ، يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ج ٢ ( الطبعة الثالثة ، دمشق ، البصائر ، ١٤٠٥ هـ ) ، ص ٥٤ .



وحيثما تنازل مراد الثاني عن الحكم لابنه محمد الثاني ، قام  
المسيحيون بنقض الصلح (١) ، ونظموا حملة صليبية خامسة للقضاء على  
الدولة العثمانية ، اشتركت فيها عدة دول أوربية (٢) .

فتنادى ملوك النمسا لاعداد الحملة وفعلوا تم اعدادها ، وتوجهت  
تلك الجموع بعد ذلك نحو أراضي البلغار فاجتازوها ، وهجموا على الحاميات  
العثمانية ، وهناك أنزلوا بها صنوفاً من العذاب ثم واصلوا تقدمهم الى  
البحر الأسود واستولوا على وارنه (٣) ، فعاد السلطان من عزلته لصد الحملة  
فأحرز انتصاراً حاسماً على الأحلاف الصليبية ، واسترد مدينة وارنه (٤) ثم  
واهل تقدمه حتى تمكن من اخضاع البوسنة والمصر اللتين اعترفتا من جديد للسيطرة  
العثمانية ، خوفاً من التحول القسري الى الكاثوليكية فيما لو انتصر  
هونيادى زعيم الحلف الصليبي (٥) والعدو التقليدى للدولة  
العثمانية .

عاد السلطان مراد الثاني بعد ذلك الى خلوته من جديد ، فلم يستمر  
طويلاً ، بل انه عندما شاهد تمرد الجيش الانكشارى وثورتهم على السلطان  
محمد الثاني لصغر سنه شن هجوماً كبيراً عليهم حتى استطاع اخماد ثورتهم  
وذلك سنة ٩٥٢ هـ الموافق ١٤٤٥ م .

- 
- (١) يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ج ٢ ، ص ٥٤ ، أحمد عبدالرحيم مصطفى :  
في أصول التاريخ العثماني ، ص ٦٥ ، اسماعيل سرهنك : المصدر  
السابق ، ص ٥٠٤ .
- (٢) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني ، حياته وأحداث  
عهده ، (الطبعة الاولى ، الكويت ، دار الوثائق ، ١٤٠٢ هـ) ص ١٩٠ .
- (٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٦٤ ، يوسف آصاف :  
المصدر السابق ، ص ٥٤ ، علي حسن : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٦ .
- (٤) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٠٥ ، محمد  
فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٥٨ ، علي حسن : المرجع  
السابق ، ص ٢٦ ، أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع  
السابق ، ص ٦٤ .
- (٥) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٦٤ .

وخوفا من رجوعهم الى الثورات مرة أخرى أشغلهم بحرب الموره حتى استسلم أهلها وقبلوا دفع الجزية <sup>(١)</sup> . وخشية من تكرار الثورات والحروب ضد الدولة العثمانية فإنه استمر في ادارة شؤون دولته لمدة ست سنوات ، تمكن خلالها من ايقاع هزيمة بهونيادى <sup>(٢)</sup> ، عندما اراد الغارة على بلاد الصرب ليثأر لنفسه ويعيد ما فقدته من الشرق الأدنى فاصطدم بالجيش العثماني فسي وادى قوصوه في معركة حاسمة انتصر فيها السلطان مراد الثاني نصرًا عظيمًا وذلك في سنة ٨٥٢ هـ الموافق ١٤٤٨م وكأنه أعاد بذلك انتصارات سلفه مراد الأول من قبل على ملك الصرب سنة ٧٩٢ هـ الموافق ١٣٨٩م ، وفي هذا الموقع بالذات .

بعد هذه المعركة بثلاث سنوات وبالتحديد في ٥ محرم سنة ٨٥٥ هـ الموافق ٧ فبراير سنة ١٤٥١م توفي السلطان مراد الثاني في أدرنه ، ونقل جثمانه الى بروسه . حيث دفن هناك فتولى من بعده ابنه السلطان محمد الثاني <sup>(٣)</sup> .

وما ان تولى السلطان محمد الثاني مقاليد السلطة في الدولة العثمانية حتى سارع الى تأمين حدود دولته من ناحية نهر الدانوب ، كما الزم الامبراطور البيزنطي قسطنطين دفع الجزية ، ولم يبق آنذاك من ممتلكات الدولة البيزنطية الا القسطنطينية وضواحيها <sup>(٤)</sup> .

ومن أجل ذلك شرع السلطان محمد الثاني البالغ من العمر عند توليه السلطة تسعة عشر عاما ، في الاستعداد لاتمام فتح ما بقي من بلاد البلقان والقسطنطينية ، حتى يحقق بذلك الحلم الكبير والامنية العظيمة التي طالما تمنّاها اسلافه <sup>(٥)</sup> خاصة وان والده قد شرع من قبل في حصار القسطنطينية ، لكنه

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٥٨ .

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٦٥ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٥٩ ، اسماعيل سرنك

: حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٥٠٥ .

(٤) محمد مصطفى صفوت : فتح القسطنطينية ، ص ١٣ .

(٥) يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ١٣١ ، محمد فريد بك :

المصدر السابق ، ص ١٦١ .

لم يتمكن من فتحها ، لتحالف أوروبا من جهة الغرب والثورات في آسيا من جهة أخرى كما مر بنا <sup>(١)</sup> ، فأخذ السلطان محمد الفاتح ينفذ وصية والده مراد الثاني في التحضير لفتح القسطنطينية <sup>(٢)</sup> ، حيث سبق لأسلافه العثمانيين عدة محاولات لفتحها لشعورهم أنها العاصمة الطبيعية لدولتهم <sup>(٣)</sup> ، والقاعدة التي يجب أن تنطلق منها الفتوحات الإسلامية لتشمل كامل القارة الأوروبية .

وقد أدرك السلطان محمد الثاني أن نجاحه في فتح هذه المدينة يتطلب منه أن يتفرغ تفرغا كاملا لهذه المهمة ، فعمد الى توثيق علاقاته بالقوى المجاورة ، وتجميد الخلافات معهم ، حتى لا تشغله عن هدفه العظيم ، كما كانت تلك رغبة القوى المسيحية المجاورة للدولة العثمانية ، في عقد اتفاقيات المصالحة فقد انتهز يوانيس كومنيوس الرابع امبراطور طرابزون الكاثوليكي والموالي لباباروما وملك الصرب جورج برانكوفيتش ، وأمراء وحكام الافلاق ، ورودرس ، وغلطة ، وغيرهم من الامارات الأوروبية الأخرى مناسبة تسلم السلطان مقاليد الحكم ، فتسابقوا الى ارسال الوفود اليه للتبريك وتقديم الهدايا والتهاني له وعلى أثر ذلك تم عقد معاهدات جديدة ، كما سارع بعضهم الى تجديد المعاهدات القديمة التي كانت بينهم وبين السلطان مراد الثاني .

وقد أظهر محمد الثاني في هذه المناسبة مرونة فائقة ليضمن بذلك تحييدهم وتوقفهم عن تقديم أى مساعدة عندما يقرر توجيه ضربته الفاصلة نحو القسطنطينية ، الا أنه فوجئ في نفس الوقت بعصيان أمير سلطنة القرم —

---

(١) عبدالسلام عبدالعزيز فهمي : فتح القسطنطينية ، ( دار الكاتب العربى ، الهيئة

للتأليف والنشر ، ١٩٦٩م ) ، ص ٣٦ .

(٢) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٥ . محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٦١ .

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٦٥ .

السلجوقية ، فسارع السلطان محمد الثاني الى اخماد هذه الفتنة بعقد الصلح معه .

وبينما كان السلطان في طريقه الى بروسه تواترت اليه الأخبار باعلان عصيان امراء منتشأ، وكرميان ، ضد الدولة العثمانية فارسل قواته الي تلك المناطق وتم اخماد هذه الثورة المسلحة (١) .

ان مثل هذه الثورات قد اغرت الامبراطور قسطنطين الحادى عشر ، فانتهز هذه الفرصة لابعاد الخطر عن القسطنطينية ، فبعث الى السلطان محمد الثاني يهدده بأنه سيمد يد العون الى الأمير أورخان (٢) ، لمنازعته على عرش السلطنة (٣) اذا لم يخصص له بعض المخصصات المالية ، فغضب السلطان غضبا شديدا ، وكان هذا أحد الأسباب القوية حول دفع السلطان لاتخاذ القرار اللازم لفتح القسطنطينية (٤) . اضافة الى ذلك أهمية موقع القسطنطينية لدولته ، نظرا لموقعها الجغرافي عند نقطة اتصال آسيا بأوروبا عن طريق مضيق البوسفور والدرديل اللذين يصلان البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأسود ، بواسطة بحر مرمرة ، ولا يزيد عرض ذلك الممر المائي عن كيلو متر (٥) ، فهو مركز الاتصال البحرى والبرى بين القارتين أوروبا وآسيا وطريق هام للملاحة العالمية (٦) .

- 
- (١) زياد أبو غنيمه : السلطان المجاهد محمد الفاتح ، فاتح القسطنطينية ( الطبعة الثانية ، عمان ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ١٤٠٤هـ ) ، ص ٢٩ - ٣٢ .
- (٢) أورخان هذا هو حفيد سليمان بن السلطان بايزيد الثاني الذي لجأ الى القسطنطينية أثناء الصراع على السلطة عقب موقعة أنقرة .
- ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٦٤ .
- (٣) زياد أبو غنيمه : المرجع السابق ، ص ٣٢ ، أحمد عبدالرحيم مصطفى - في أصول التاريخ العثمانى ، ص ٦٥ / ٦٦ .
- (٤) ابراهيم بك حليم : المصدر السابق ، ص ٦٤ .
- (٥) اضيق نقطة في هذا الممر المائى عند اسطنبول حيث ينخفض العرض الى ستمائة وستون مترا .
- يلمازاورتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ١٣١ .
- (٦) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣١ .

ولكن الدوافع الحقيقية والكامنة وراء محاولة هذا الفتح لاشك  
أنها دوافع اسلامية بحتة حافظها بشارة الرسول صلى الله عليه وسلم (١).

لذلك كان سلاطين الدولة العثمانية ، موجهين أنظارهم الى هذا  
الأمر المهم ، وقد ورد في الحديث الشريف ، عن عبدالله بن أحمد بن حنبل  
عن أبيه أحمد بن حنبل حدثنا عبدالله بن محمد بن أبي شبة ، وسمعه أناس  
من عبدالله بن محمد بن أبي شبة قال : حدثنا زيد بن الحباب قال حدثني  
الوليد بن المغيرة المعافري قال : حدثني عبدالله بن بشر الخثعمي  
عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " لتفتحن القسطنطينية  
فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش " . قال فدعاني مسلمة بن  
عبد الملك فسألني فحدثته فغزا القسطنطينية (٢) . وهذا الحديث  
أورده السيوطي في الجامع الصغير وعزاه الى الامام أحمد بن حنبل في  
المسند ، والحاكم في المستدرک ، ورمز له بالصحة بشر الغنوي (٣)، إلا أنه  
لم يرد في الكتب الستة . ولما كانت أحوال المدينة الداخلية  
في ذلك الوقت مختلة وسيئة من الناحية الاقتصادية ، والدينية  
للاختلاف المذهبي ، حول توحيد الكنيسة في روما (٤) ، ثم ان  
بقاء القسطنطينية في أيدي غيرهم من غير المسلمين سوف يكون من  
شأنه تهديد المواطالت مابين أملاكهم الاوربية والآسيوية ، ففتحها وضمها

---

(١) على حسن : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣٢ .

(٢) أحمد بن حنبل : مسند الامام أحمد ، بيروت ، المكتب الاسلامي ،

ج ٤ ، ص ٣٣٥ .

(٣) محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي : فيض القدير شرح الجامع

الصغير ، (الطبعة الثانية ، لبنان ، دار المعرفة للطباعة ،

١٣٩١ هـ / ١٩٧٢ م ) ج ٥ ، ص ٢٦٢ .

(٤) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٥٠٦ .

للدولة العثمانية كفيل بتشديد قبضة العثمانيين على الأراضي التي يحكمونها، ويخلص عليهم المهابة من الدول المسيحية<sup>(١)</sup> ولينال السلطان محمد الثاني وجيشه الشرف النبوي ليكونوا هم المعنيون بهذا الحديث وقبل الشروع في هذا الفتح فكر السلطان في تحصين بوغاز مضيق اسطنبول حتى يضمن قطع مدد أهل طرابزون وغيرهم من المسيحيين من مديد المساعدة إلى أهل القسطنطينية<sup>(٢)</sup>. ومن أجل ذلك شيد السلطان محمد الفاتح على الشاطئ الأوروبي من البوسفور قلعة روملى حصار أو " بوغازكسن حصارى "<sup>(٣)</sup>، وتقع على بعد سبعة كيلواترات من أسوار القسطنطينية، مقابل القلعة التي بناها السلطان بايزيد الأول، وفي أضيق نقطة منه حتى يتيسر له اغلاق هذا المضيق عند اللزوم<sup>(٤)</sup>.

ولما علم قسطنطين بذلك وهو البادىء بالتحرش والتهديد باطلاق اورخان المذكور، ارسل الرسل يتضرع ليصرف السلطان عن بناء هذه القلعة التي أزعجته فعرض عليه الوفد دفع الجزية التي يقررها، لكن السلطان رفض هذا الاغراء وقال: " لما كنت صغيراً كنتم تظلمون المسلمين، وكنتم لا ترحمونهم ووالسدى حلف بأن يبني قلعة على ساحل الروم، عندما كان في عزوة وارنه وأنا الآن أنفذ وصية والدي لفتح القسطنطينية، كما أننى ابني هذه القلعة في أرضي وخارج أرضكم، وليس لكم الحق في التدخل، ارجعوا إلى امبراطوركم وقولوا له: السلطان

(١) على حسون: تاريخ الدولة العثمانية، ص ٦٥.

(٢) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية، ص ١٦١.

(٣) أي القلعة قاطعة البوغاز.

- يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج ١، ص ١٣١.

(٤) كامل باشا: تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية، ج ١، ص ٧٨.

محمد فريد بك: المصدر السابق، ص ١٦١.

على حسون: المرجع السابق، ص ٣٣.

احمد عبدالرحيم مصطفى: في اصول التاريخ العثماني، ص ٦٦.

عبدالسلام عبدالعزيز فهمي: فتح القسطنطينية، ص ٢٨.

الحاضر ليس كمثله سلفه ، بل مصمم ومقدم على الفتح ، والآن نسمح لكسم بالرجوع لابلاغه ، أما المرة الثانية سأسلخ جلد من أتانى حيا (١).

وبعد ثلاثة أشهر من العمل أكمل السلطان بناء القلعة في شكل مثلث سمك جدارها عشرون قدما ، وفي كل زاوية منها برج ضخ مغطى بالرصا ص سمكه اثنان وثلاثون قدما (٢). ثم قام السلطان بتفقد القلعة التي بناها ، وجهازها بالجيش والمعدات الحربية (٣). فعين فيروز أغا قائدا للقلعة الجديدة ، وضم اليه أربع مائة جندي من خيرة جنود الانكشارية (٤). ثم أصدر أوامره ألا يسمح لاية سفينة أجنبية عبور المفيق الا بعد خضوعها للتفتيش الدقيق ، مع أخذ الرسوم المحددة لذلك وان حاولت المرور بالقوة يطلق عليها النار (٥). ويعنى ذلك أن العثمانيين استطاعوا احكام سيطرتهم على مدخل البوسفور ومن شاطئيه الآسيوى والأوربي ، كما ضمنوا منع وصول أية امتدادات الى القسطنطينية وخاصة من مملكة طرابزون النصرانية (٦). فأصبح العثمانيون من هاتين القلعتين يسيطرون سيطرة كاملة على الطرق الشمالية التي تؤدى الى مدينة القسطنطينية (٧). وبهذه الخطة المحكمة فان السلطان محمد الثاني يعتبر بحق مؤسس نظام المضائق

- 
- (١) كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليية عثمانية ، ج ١ ، ص ٧٨ .  
(٢) عبدالسلام عبدالعزيز فهمي : فتح القسطنطينية ، ص ٣٨ ، زياد أبوغنيمية : السلطان المجاهد محمد الفاتح ، فاتح القسطنطينية ، ص ٢٢ .  
(٣) كامل باشا : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧٩ .  
(٤) عبدالسلام عبدالعزيز فهمي : المرجع السابق ، ص ٤٠ .  
(٥) كامل باشا : المصدر السابق ، ص ٧٩ ، عبدالسلام عبدالعزيز فهمي : المرجع السابق ، ص ٤٠ .  
(٦) زياد أبوغنيمية : المرجع السابق ، ص ٣٤ .  
(٧) محمد مصطفى صفوت : فتح القسطنطينية ، ص ٦٠ .

والقدرة على التحكم بها في العصور الحديثة ، وبعد أن اطمأن السلطان محمد الثاني على سلامة خطته الحربية لفتح القسطنطينية عاد إلى أدرنه وذلك في أوائل عام ١٥٦ / ١٤٥٢م<sup>(١)</sup> . فحول مدينة أدرنه إلى موانع هائلة للأسلحة وجعلها مركزا لتجمع جيوشه القادمة من كل أقطار دولته ، ومخزنا كبيرا للمعدات والذخائر والآلات النارية والمدافع التي تحتاجها تلك الحرب<sup>(٢)</sup> .

وعندما أدرك قسطنطين نوايا السلطان محمد الثاني ، لفتح مدينته ، استعد للدفاع عنها ، فأمر بإغلاق أبوابها<sup>(٣)</sup> ، ثم بعث إلى جميع ملوك الغرب وأمرائه يستصرخهم ويحثهم على نجدة ومساعدته ، كما بعث للبوابا نقولا الخامس يستنمره وفي نفس الوقت يحذره وينذره إذا سقطت القسطنطينية في يد العثمانيين فإنهم سيهجمون بعدها لا محالة على إيطاليا نفسها<sup>(٤)</sup> .

لذلك كثرت البعثات التي أرسلتها القسطنطينية إلى أوروبا تطلب الفوت والنجدة ولكن كان هناك بعض المصاعب التي عرقلت نجاح هذه البعثات وأهمها الاختلاف المذهبي ، والتعصب الديني ، بين الكنيستين الشرقية الأرثوذكسية ، والغربية الكاثوليكية ، ويعني ذلك أن النزاع كان على أشده بين بيزنطة ورومة . ولقد بذلت مساع دبلوماسية أوربية هائلة للتوفيق بين الشرق البيزنطي والغرب الروماني ، رغبة في اتحاد قوتهم أمام المسلمين العثمانيين<sup>(٥)</sup> .

- 
- (١) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص (١٣١-١٣٢) .
  - (٢) محمد مصطفى صفوت : فتح القسطنطينية ، ص ٦٠ - ٦١ .
  - (٣) كامل باشا : تاريخ سياسي دولته عليه عثمانية ، ج ١ ، ص ٧٩ ، يلماز أوزتونا : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٢ ، أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٦٦ .
  - (٤) عبدالسلام عبدالعزيز فهمي : المرجع السابق ، ص ٣٧ ، أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٦٦ .
  - (٥) محمد مصطفى صفوت : المرجع السابق ، ص ٥١ - ٥٢ .



وقد كانت النتيجة الحتمية لبناء قلعة " روملي حصار " هي محاولة القسطنطينية هدمها ومن ثم الاعتداء على عمالها مما جعل السلطان محمد الثاني يعلن الحرب رسميا على الامبراطور قسطنطين ، فأخذت حامية الحصن تغير بانتظام على الجهات المجاورة ، فأدرك الامبراطور البيزنطي أن محاولته للمحافظة على مركزه بأى ثمن لن يفيده شيئا ، فلا شيء يرضي العثمانيين غير فتح القسطنطينية ونشر الاسلام فيها والقضاء على ملكه نهائيا<sup>(١)</sup>، ولذلك أمر الامبراطور باغلاق أبواب المدينة<sup>(٢)</sup>، والقبض على كل العثمانيين الأتراك الموجودين داخل الامبراطورية . عندها أعلن السلطان محمد الثاني الحرب لفتح القسطنطينية وخرج معه جيش عظيم يبلغ نحو خمسين ألفا ونزل بهـم بجوار أسوار القسطنطينية لكنه عندما وظل الى هناك عاد مسرعا الى أدرنه وكان غرضه من هذه الزيارة التي استغرقت ثلاثة أيام ترتيب بعض أموره في عاصمة ملكه كما أنه قام باستكمال دراساته عن موقع القسطنطينية واستعداداتها ، وعلى هذا الأساس بنى السلطان استعداداته ، واكتمل تخطيطه لحصار المدينة من كل صوب . ثم عاد الى مواقع تجمعات جيشه حول أسوار القسطنطينية<sup>(٣)</sup> .

بدأ السلطان محمد الفاتح تحركه بفرب المواقع القريبة والمجاورة للقسطنطينية بقصد اضعافها حتى فقدت المدينة كل اتصال بالبلاد المجاورة لها فكانت عليها أن تعتمد فقط على المؤن والذخائر والرجال الموجودة بداخلها<sup>(٤)</sup> .

- 
- (١) عبدالسلام عبدالعزيز فهمي : فتح القسطنطينية ، ص ٤٠ ، محمد معطفى صفوت : فتح القسطنطينية ، ص ٦٤ - ٦٥ .  
 (٢) عبدالسلام عبدالعزيز فهمي : المرجع السابق ، ص ٤٠-٤١ ، اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٥١٣ .  
 (٣) محمد معطفى صفوت : المرجع السابق ، ص ٦٦ - ٦٨ ، عبدالسلام عبدالعزيز فهمي : المرجع السابق ، ص ٤١ .  
 (٤) عبدالسلام عبدالعزيز فهمي : المرجع السابق ، ص ٤٤ .

وظهر الحيش أمام أسوار القسطنطينية في غرة ربيع الثاني سنة ٨٥٧ هـ ،  
الموافق للخامس من شهر ابريل سنة ١٤٥٣ م ، ويرافقه العلماء الذين يدعون  
له بالنصر منظمين تنظيمًا رائعًا ، وبدأت الفرق بجانب الفرق ، في أعلامها  
وطبولها ، ومدافعها المكونة من أربع عشرة بطارية ، واشنين وستون مدفعًا ،  
ونصب السلطان محمد الثاني خيمته على الشاطئ الأيسر ، محيطًا بالخنادق ،  
أمام الباب المشهور بباب القديس رومانوس فسلطت المدافع البعيدة المدى  
على ذلك الباب (١) لذلك سور القسطنطينية ، وكان المدفع الكبير يطلق ثمانين  
طلقات في اليوم ، لأن تعبثته تأخذ ساعتين من الوقت (٢) ، ثم اتجه السلطان  
نحو القبلية وولى ركعتين ، وولى معه الحيش كله وبدأ من ذلك الوقت الحصار  
الفعلي للقسطنطينية (٣) .

وقد أعد السلطان في فترة الاستعداد أسطولًا عظيمًا في مدينة غاليبولي  
التي هي قاعدة العثمانيين البحرية في أوروبا ، وكان مكونًا من ثلاثمائة  
وخمسين سفينة ، فأمر بعبوره إلى البوسفور ، حيث ألقى مراسيه هناك فلي  
بشكطاش ، وانضمت إليه بعض السفن العثمانية من البحر الأسود ، فأضاف منظره  
إلى منظر الجيوش المحاصرة روعة وقوة بحرية للقوى البرية (٤) .

وهذا أول أسطول عثماني متكامل بالمعنى الصحيح ، وقد كان ظهوره  
مصدر ذعر لسكان المدينة المحاصرة (٥) حيث مهمته تنحصر وتحدد في منح  
وصول التموين الغذائي والحربي عن طريق البحر إلى المدينة ومهاجمة السفن  
التي تحرس السلسلة المعلقة على القرن الذهبي ، ومحاولة الاقتحام على هذا  
القرن الذهبي والقضاء على السفن الراسية فيه ، وبالتعاون مع الجيش البري

(١) محمد مصطفى صفوت : فتح القسطنطينية ، ص ٧٤ - ٧٥ .

(٢) كامل باشا : تاريخ سياسي دولته عليه عثمانية ، ج ١ ، ص ٨٢ .

(٣) محمد مصطفى صفوت : المرجع السابق ، ص ٧٥ .

(٤) - عبد السلام عبدالعزيز فهمي : فتح القسطنطينية ، ص ٤٦ .

(٥) عبد السلام عبدالعزيز فهمي : المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٥) محمد مصطفى صفوت : المرجع السابق ، ص ٧٦ .

في حصار مدينة القسطنطينية (١) ، فحوصرت القسطنطينية من جميع الجهات ماعدا ناحية القرن الذهبي التي كانت تحميه السلسلة والاسطول البيزنطي الموجود في الميناء من خلفها (٢) .

وفي الوقت نفسه قام الاسطول العثماني بمحاولة تحطيم السلسلة الواقعة في مدخل القرن الذهبي لعبورها الى ميناء القسطنطينية ، ولكن السفن الرومية والايطالية التي تحرس هذا الموقع ، صبت قذائفها على السفن العثمانية ، فصدمتها عن محاولاتها (٣) ، كما لم تنجح المحاولة العثمانية في صد خمس سفن نصرانية كانت تحمل مؤنًا وبضائع وسلاح للقوات المحاصرة حيث ظهرت فجأة في بحر مرمرة ، فاستطاعت بذلك الافلات من قبضة السفن العثمانية وهذا يعود الى أن هذه السفن متقدمة في الصنع أكثر من سفن المسلمين ولكن السلطان محمد الثاني لم تلتن عزيمته أمام تلك النكسات ، وهذه من أبرز الصفات التي يتحلّى بها العثمانيون ، إذ أن النكسات لاتزيدهم الا تصميمًا جديدًا (٤) ففكر في طريقة جديدة لادخال سفنه الى داخل القرن الذهبي لاتمام الحصار برا وبحرا ، بعدما فشلت المحاولات في تحطيم السلسلة ، ولاحق في بال السلطان فكرة جديدة وبارعة ، تتلخص في نقل السفن عن طريق البر ولمسافة ميلين من بحر مرمرة ( في بشكطاش ) حتى مياه القرن الذهبي ، ومن خلف مستعمرة غلطة الجنوبية ، ولم تكن المنطقة سهلا بل كانت وهادا وتلالا ، فأمر السلطان بتعبيد الأرض وتسويتها - ثم فرشّت بالواح الخشب التي دهنت بالزيت والشحم لسهولة انزلاق المراكب عليها ، وبهذه الكيفية أمكن نقل نحو سبعين سفينة في ليلة واحدة الى داخل الخليج وتغطية لذلك العمل عن أمين العدو ظلت المدفعية تطلق قذائفها طوال ذلك

(١) عبد السلام عبدالعزيز فهمي : فتح القسطنطينية ، ص ٤٨ ،

- محمد مصطفى صفوت : فتح القسطنطينية ، ص ٧٧ .

(٢) محمد مصطفى صفوت : المرجع السابق ، ص ٧٨ .

(٣) كامل باشا : تاريخ سياسي بولت عليه عثمانية ، ج ١ ، ص ٨٣ .

، عبد السلام عبدالعزيز فهمي : المرجع السابق ، ص ٥٧ .

، علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣٦ .

(٤) علي حسون : المرجع السابق ، ص ٣٦ .

اليوم من المرتفعات خلف أسوار غلطة ، فتقع هذه القذائف في القرن الذهبي في عملية تموينية حتى اندفعت هذه السفن بسرعة الى أعلى الميناء حيث يتوفر لها الحماية البرية (١) ، ومن مظاهر هذا الاعجاز أن هذه العملية تمت في ليلة واحدة دون أن يشعر بها العدو (٢) .

أحدثت هذه العملية انهيارا معنويا للبيزنطيين ، فقد أصبحوا يوم ١٥/٦/٨٥٧ هـ الموافق ١٤٥٣/٥/٢٤ م على منظر الخليج وهو يموج بقطر الأسطول العثماني ، وهذا ما عبر عنه المؤرخ البيزنطي الأمير دوكاس حيث قال: " مارأينا ولا سمعنا من قبل بمثل هذا الشيء الخارق ، محمد الثاني يحول الأرض الى بحر ، وتعبر سفنه فوق قمم الجبال بدلا من الأمواج ، لقد فاق محمد الثاني بهذا العمل الاسكندر الأكبر " (٣) .

فانتشرت بين أهل القسطنطينية مقولة جديدة تقول : " ستسقط القسطنطينية عندما ترى سفنا تمر على اليابسة " (٤) .

وفي يوم ١٨/٥/٨٥٧ هـ الموافق ٢٢ مايو سنة ١٤٥٣ م أمر السلطان الفاتح جنوده بالصيام قبل الهجوم ، تطهيرا لنفوسهم وتقوية لعزيمتهم، ثم قام بتفقد الأسطول والسر من بحر مرمرية الى القرن الذهبي ، بعين فاحصة ، وما أحدثته المدافع من ثغرات ، وما هي المواقع التي لازالت في حاجة الى القصف والهدم (٥) ، فقام بتنظيم الفرق التي ستقوم بالهجوم العام والآخر على كل المحاور ، ثم أمر مدفعيته الامعان في تحطيم الأسوار ، ودكها دكا عند وادي ليكوس لأن هذه النقطة هي أهم النقاط التي يعتبر الاستيلاء عليها بمثابة تأشيرة دخول الى المدينة .

- 
- (١) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية ، ص ٦٢  
 ، يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ج ٢ ، ص ٥٦  
 ، علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣٦  
 ، عبد السلام عبدالعزيز فهمي / فتح القسطنطينية ، ص ٦٢  
 يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ١٣٥  
 (٢) يلماز أوزتونا : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٥  
 (٣) عبد السلام عبدالعزيز فهمي : المرجع السابق ، ص ٦٣  
 (٤) علي حسون : المرجع السابق ، ص ٣٩  
 (٥)

وزار السلطان كل أقسام جيشه يشجعهم ويحثهم على التضحية ، ويقوى فيهم الثقة بالنفس والنصر ، وأمر كل جندي بالمحافظة على موقعه ، وتوعد كل من تحدث له نفسه مخالفة الأوامر أو الإخلال بالنظام ، أو النكوص عن المعركة بالفرار القتل وحذر الجنوبيين المقيمين في غلطة أن يلتزموا بالحياد وعدم تقديم أى مساعدة للمدينة المحاصرة (١).

عند ذلك أعلن السلطان في جيوشه بالاستعداد للهجوم الأخير فـ في ٢٠ جماد الأول سنة ٨٥٧ هـ الموافق ٢٩ مايو سنة ١٤٥٣ م ، وخطب فيهم بأعشاش فيهم الحماس ووعدهم في تمام النصر باقطاعهم الأراضي ، وبذل العطايا ، والمكافآت ، وفي الليلة السابقة التي سبقت اليوم المحدد للهجوم ، أشعل الجنود العثمانيون الأنوار أمام خيامهم للاحتفال بالنصر المحقق ، وظلوا طوال هذه الليلة يهتفون ويكبرون حتى لاح الفجر ، فآدى السلطان صلاة الصبح ، وامتطى جواده وتقدم الى الصف الأمامي فأصدر أوامره بالهجوم (٢) فتقدمت الجيوش وحاصرت أسوار المدينة ووقعوا عليها السلام وأخذوا يتسلقون الى داخل المدينة فدخلوا ورفعوا العلم العثماني (٣).

وعندما رأى السلطان محمد الثاني العلم يرفرف فوق أسوار المدينة تخرج عن حصانه وخر ساجدا على الأرض للرحمن ، حامدا وشاكرا لله سبحانه وتعالى على هذا النصر وتحقيق نبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومنذ تلك اللحظة نال محمد الثاني شرف " الفاتح " (٤) .

لذلك اندفع المهاجمون المسلمون من كل صوب نحو الأسوار المثلومة للاجهاز على البقية الباقية من المدافعين البيزنطيين (٥) ، الذين تخلوا عن

(١) عبدالعزيز عبدالسلام فهمي : فتح القسطنطينية ، ص ٧٧ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٦٤ .

، كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية ، ج ١ ، ص ٨٥ .

(٣) برنارد لويس : اسطنبول ، ص ٢٢ .

(٤) يلماز أورتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ١٣٩ .

، علي حسن : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٤٠ .

(٥) برنارد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

من قسطنطين، وانهزموا يبحثون عن طريق النجاة ، فلما رأى الامبراطور قسطنطين هذه الحالة التي حلت بجنده ترجل عن فرسه وسل سيفه ، وهجم على الجنود العثمانيين فقاتل حتى مات في ساحة المعركة<sup>(١)</sup> ، فدخل العثمانيون وفتحوا لهم جميع المنافذ والأبواب بعد فرار حاميتها وحمايتها<sup>(٢)</sup> .

وهكذا انتهى فتح القسطنطينية ، فوقف الجيش بنظام الصفوف أمام أياصوفيا في انتظار السلطان ، ولم تكن صلاة الظهر قد حانت بعد ، فلم يعتد الجيش على أحد من عشرات ألوف البشر المجتمعين في أياصوفيا ولم يمسهـم بأذى سوء ، ملتزمين بوصاية سلطانهم ، ولكنهم في انتظاره ، ليتلقوا أوامره بشأن هذا الموقف ، فدخل السلطان محمد الفاتح الى المدينة وقت الظهر واتجه الى أياصوفيا فخورا بأنه أصبح الفاتح للقسطنطينية فنال بذلك شرف الفتح العظيم ، كما أنه أصبح بذلك سلطان الروم ، وكان الأهالي في القسطنطينية يستقبلونه بالتصفيق أما الجيش فاستقبله بالتهليل والتكبير . وعند وصوله الى أياصوفيا أمر الرهبان باخلاصها<sup>(٣)</sup> ، ثم قام بتفقدتها وأمر بأن يؤذن فيها بالصلاة اعلانا بجعلها مسجدا جامعاً للمسلمين<sup>(٤)</sup> . ثم صلى هو وجيشه الظهر . وفي الوقت نفسه أمر بالبحث عن جثة الامبراطور ، وأحضرها الى الرهبان وأمر بدفنه<sup>(٥)</sup> .

وبعد تمام الفتح على هذه الصورة ، أعلن في كافة الجهات بأنه لايعارض في اقامة شعائر المسيحيين بل انه يضمن لهم حرية شعائرهم وحفظ أموالهم وأملاكهم فلما رأى المسيحيون هذا التسامح عاد ممن هاجر الى القسطنطينية ، فأعطاهم نصف الكنائس ، وجعل النصف الآخر جوامع للمسلمين

---

(١) كامل باشا: تاريخ سياسي نولت عليه عثمانية ، ج ١ ، ص ٨٦ .

، برنارد لويس : استانبول ، ص ٢٢ .

(٢) كامل باشا: المصدر السابق ، ص ٨٦ .

، عبدالسلام عبدالعزيز فهمي : فتح القسطنطينية ، ص ٨٣ .

(٣) يلمازا اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ١٤٠ .

(٤) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٦٥ .

، برنارد لويس : استنبول ، ص ٢٣ .

(٥) يلماز اوزتونا: المصدر السابق ، ص ١٤١ .

ثم جمع رجال دينهم لينتخبوا بطريقا لهم فاختاروا جورج سكولاريوس واعتمد السلطان هذا الانتخاب ثم جعله رئيسا لطائفة الكاثوليك ، واحتفل بتثبيته كما كان يعمل البطارقة أيام الروم المسيحيين ، وأعطاه حرسا ، ومنحهم حق القضاء بالقضايا المدنية والجنائية بكافة أنواعها ، في مقابل دفع الجزية والخراج (١) ، ثم قام بزيارة غلطة بعد خمسة أيام ، وأمر بتأمين أهلها على أموالهم وحياتهم على دفع الجزية ، وهكذا تم فتح القسطنطينية (٢) .

فسر العالم الاسلامي سرورا لايوصف بهذا الفتح ، وانبرت القاهرة أياما طويلة باقامة الافراح والاحتفالات بهذه المناسبة السعيدة ، فأرسل السلطان المملوكي في مصر وسلطان الهند الجنوبية ، وحكام مسلمون عديدون سفراء خاصين لتهنئة السلطان محمد الفاتح ، واعتبر هذا الفتح أكبر حدث في التاريخ العثماني ، فقد سجل هذا الفتح وبشر العالم الاسلامي بمورة قطعية بأن الدولة العثمانية سائرة في طريق الدولة العظمى .

أما أوروبا فقد أصابها نبال سقوط القسطنطينية في يد المسلمين ، فانتاب المسيحيين الشعور بالذعر والفرع ، وتجم لهم خطر المسلمين ، وتهديدهم لأوروبا المسيحية وأخذ بعضهم يستنفر بعضا ، على ترك الخلافات ، وعقد الاجتماعات بين الأمراء والملوك ، فانبعث فيهم النزعة الصليبية ضد الدولة العثمانية (٣) وماكانت البابوية زعيمة المسيحية لتتنصرف الى اليأس ، أو تخلد الى السكون ، مهما كانت كارهة للأرثوذكس ، فهي لاتسمح بقضاء المسلمين على الامبراطورية البيزنطية ، وفي نفس الوقت تخشى اعتداء العثمانيين على البلاد المجاورة لهم التي تتبع للنفوذ البابوي الديني . ومن هنا تحولت فكرة الصليبية في محاولة انتزاع الأراضي المقدسة من المسلمين الى صراع دفاعي يستهدف منه

(١) محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٦٥ .

Halil Inlik: The Ottoman Empire, p. 57.

، سيرتوماس و. ارنولد: الدعوة الى الاسلام، ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرون ، (الطبعة الثالثة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠م) ، ص ١٧٠ .

(٢) على حسن : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٤٠ .

(٣) عبدالسلام عبدالعزيز فهمي : فتح القسطنطينية ، ص ٩٢ .

، اسماعيل سرهنك: حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٥١١-٥١٢ .

انقاذ أوروبا الكاثوليكية من يد الدولة العثمانية المسلمة (١).

فكان البابا " نيقولا الخامس " أشد الناس تأثراً بنهب سقـوط القسطنطينية فجد في توحيد الدويلات الايطالية ، وتأليبها على قتـال العثمانيين ، وترأس مؤتمرا عقد في روما ، أعلنت فيه الدول المشتركة عزمها على التعاون ضد الخطر الاسلامي المشترك ، وكاد الحلف المليبي أن يتم، لولا أن البابا اشتد عليه المرض فمات كمدا أثر الصدمة في نبأ سقوط القسطنطينية في يد العثمانيين ، فمات في سنة ٨٥٩هـ الموافق ١٤٥٥م (٢).

لذا حاول البابا " بيوس الثاني " الذي تولى البابوية بعده أن يقوم بكل ما أوتي من مقدرة خطابية ومهارة سياسية في تأييد الفكرة الصليبية الجديدة ، وحاول توحيد أوروبا ضد العثمانيين ، فتركزت مجهوداته في عنبرين هامين أولهما : أنه حاول أن يقنع العثمانيين باعتناق الدين المسيحي ولم يقم بارسال بعثات تنصيرية ، بل اكتفى بارسال خطاب الى السلطان محمد الفاتح ، يطلب منه أن يعضد المسيحية كما عضدها من قبله قسطنطين، وكلفوس ، وأن يكفر عن خطايه باعتناق المسيحية مخلصا ، ولم يكن معقولا نجاح هذه المهمة ففشل في خطته الاولى ، عند ذلك لجأ الى خطته الثانية: وهي التهديد والوعيد واستعمال لغة القوة عن طريق اقناع الدول المسيحية بتكوين حملة صليبية جديدة ضد الدولة العثمانية على الأخذ بنصـرة المسيحية (٤) .

لكن الدول الاوربية والجمهوريات الايطالية ، ماكانت لتقوم بتنفيذ مثل هذا المشروع ، على الرغم من الخطر الذي يهدد معظم أقطارها ، مع أن

(١) محمد مصطفى صفوت : فتح القسطنطينية ، ص ١٣٨-١٣٩.

(٢) عبدالسلام عبدالعزيز فهمي : فتح القسطنطينية ، ص ٩٢.

(٣) زياد أبو غنيم : السلطان المجاهد محمد الفاتح ، فاتح القسطنطينية ، ص ١٠٨-١٠٩.

(٤) محمد مصطفى صفوت : المرجع السابق ، ص ١٣٩.



فكرة القيام بحملة صليبية مازالت حية ، فقد وعدت الدول بالاستعداد لتحقيق فكرة البابا ، وعندما جاء وقت الجد اعتذرت دول أوربا لمتاعبها الداخلية (١) . وما كانت أوربا التي ذهبت وحدثها تستطيع الوقوف أمام الدولة العثمانية ، ففي القسطنطينية والبوسفور والدرديل وضع العثمانيون أقدامهم في موقع استراتيجي مهم من العالم ، جعل تقدم روسيا أو نمو النمسا من ناحية الشرق أمرا مستحيلا ، كما سيطروا أيضا بذلك على معظم الطرق البرية والبحرية المهمة بين الشرق والغرب (٢) .

لهذا اعتبرت أوربا هذا الفتح العثماني فاصلة في مصير الدولة البيزنطية ، وفي مصير عاصمتها القسطنطينية ، وتثبيت أقدامها كارثة لا يباهيها كارثة ، في ذلك الجزء من العالم . فولدت في تلك اللحظة المسألة الشرقية التي شغلت أوربا في ذلك الوقت ، ولاتزال تشغلها . كيف تستطيع أوربا وقف تقدم الاسلام ونشره الى الاقطار الأوروبية ؟ ثم لماذا عاد الاسلام مرة أخرى يتراجع منطلقا من هذه الديار ؟ وكيف تعمل أوربا على تقسيم ممتلكاته ؟

وما كانت أوربا تجد لهذه الأسئلة جوابا نهائيا (٣) ، لقوة المسلمين الجهادية الضاربة المتمثلة في الدولة العثمانية التي أجبرت أوربا عندما وقفت عاجزة عن انقراض سقوط القسطنطينية ، جاشية

---

(١) عبدالسلام عبدالعزيز فهمي : فتح القسطنطينية ، ص ١٣٩ .

(٢) محمد مصطفى صفوت : فتح القسطنطينية ، ص ٩٤ - ٩٥ .

(٣) محمد مصطفى صفوت : المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

على ركبتها فازدادت حيرتها عندما شهر الفاتح سيفه لمواصلة الجهاد نحوها ، حينما رأى استيائها وثورتها العارمة ، ومؤامرات باباواتها وامرائها في تشكيل حلف صليبي جديد ، لصد الدولة عن استمرار الفتح في أوروبا ونشر الاسلام بها ، والذي كان هدف الدولة منـذ تكوينها (١) .

وفي سنة ٨٥٩ هـ الموافق ١٤٥٤ م أعاد السلطان الكرة لفتح بلاد الصرب ومر من جنوبها الى شمالها دون أن يلقى أى معارضة ، حتى وصل الى مدينة بلغراد عاصمة بلاد الصرب ، الواقعة على نهر الدانوب ، فحاصرها من جهة البر والنهر ، فدخلها قبل الحصار هونياد القائد المجرى ، ودافع عنها دفاعا شديدا حتى يكس السلطان من فتحها ، فرفع الحصار عنها في سنة ٨٥٩ هـ الموافق سنة ١٤٥٥ م ، الا أنه استطاعوا من اصابة هونياد بجراح بالغة مات هذا القائد بسببها ، وارتاح المسلمون من شره لقوته وشجاعته .

ولما علم السلطان بموته أرسل محمود باشا الصدر الاعظم ، لاتمام فتح بلاد الصرب فقد أتم فتحها في سنة ٨٦٤ هـ / ١٤٦٠ م .

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٦٥ .

، يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ١٤١ .

Halil Inalick: The Ottaman Empire, p.56. ،

وفي هذه الأثناء تم فتح بلاد المورة سنة ٨٦٤ هـ الموافق سنة ١٤٦٠م، ثم بلاد اليونان، فحول السلطان انظاره الى آسيا، لفتح ماتبقى منها (١). فمبار بجيشه وهاجم ميناء أما ستريس، وكان مركزا هاما لتجارة أهل جنوه ولكن سكانها تجارا، فكان لايهمهم الا المحافظة على أموالهم، فقد فتحو أبواب المدينة ودخلها العثمانيون بدون حرب، ثم قصد مدينة طرابزون ودخلها بدون مقاومة، وقبض على ملكها وأولاده وأرسلهم الى القسطنطينية، ثم ضمت بلاد الفلاخ الى الدولة وفي سنة ٨٦٦ هـ الموافق ١٤٦٢م حارب السلطان بلاد البوسنة (٢) لامتناعها عن دفع الخراج، فتدخل ملك المجر لانقاذ بوسنة من العثمانيين، وكان هذا التدخل من اسباب ضم البوسنة الى الدولة كباقي ولايات الدولة وقد دخل أكثر شبابها تطوعا في الجيش الانكشاري، واسلم اغلب سكانها (٣).

وعندما أراد السلطان فتح بلاد البغدان سنة ٨٧٩ هـ الموافق ١٤٧٥م، ارسل جيشا الى هناك، وبعد حرب عنيفة قتل فيها الكثير من الجيشين المتحاربين، عادت الجيوش العثمانية بدون فتح هذا الاقليم (٤)، حينئذ عزم السلطان على فتح بلاد القرم حتى يستعين بفرسانها المشهورين في القتال لمحاربة بلاد البغدان، فأرسل اليها عمارة بحرية، فاستطاعت جيوش الدولة من فتحها، ثم واصلت العمارة البحرية سيرها ففتحت آق كرمان، ثم واصلت طريقها لفتح بلاد البغدان، وبينما كان السلطان يسير بالجيش مجتازا به نهر الدانوب، اذ تفهقر امامه جيش البغدان لعدم استطاعته الحرب في البر، فتبعه الجيش العثماني حتى توغل خلفه في غابة كثيفة يجهل بمفاوزها، عندئذ انقض عليه الجيش البغداني، وهزم الجيش العثماني (٥).

- 
- (١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية، ص ١٦٦ - ١٦٨ .
  - (٢) البوسنة : تشكل البوسنة والهرسك اليوم أحد مقاطعات يوغسلافيا التي يتركز فيها المسلمون، على حسن : تاريخ الدولة العثمانية، ص ٤١، حاشية رقم (٢) .
  - (٣) محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٦٩ - ١٧٠ .
  - (٤) محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٧٣ .
  - (٥) محمد فريد بك : المرجع السابق، ص ٤١ .
  - (٥) محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٧٣ - ١٧٤ .

اتجه السلطان بعد ذلك الى فتح بلاد البنادقة سنة ٨٨١هـ الموافق سنة ١٤٧٧ م ، فخاف البنادقة على مدينتهم ، وابتروا الصلح معه تاركين له مدينته كرويا <sup>(١)</sup> ثم مدينة أشقودره <sup>(٢)</sup> ، وبعض القلاع الأخرى في المنطقة ، وفي سنة ٨٨٤ هـ الموافق سنة ١٤٨٠ م ، استطاعت الدولة من فتح بعض الجزر اليونانية ، ثم واصل الجيش مسيره لفتح اوترانت <sup>(٣)</sup> بإيطاليا . التي عزم السلطان على فتحها مهما تكن الظروف ، وأقسم بأن يربط فرسه في كنيسة القديس بطرس بمدينة روما مقر البابا ففتحت مدينة اوترانت عنه في ٤ / ٦ / ٨٨٥ هـ الموافق أغسطس / ١٤٨٠ م . فاهتزت إيطاليا ، في الوقت الذي أرسل فيه السلطان عمارة بحرية أخرى لفتح جزيرة رودس <sup>(٤)</sup> التي كانت مركزا لرهبة القديس حنا الارشليمي ، وكان رئيسها بيير الفرنساوي الأصل ، وكانت هذه الجزيرة محصنة تحصينا منيعا ، فحاصرها العثمانيون واستمروا حصارها ثلاثة أشهر ، حاول خلالها العثمانيون الاستيلاء عليها . ولكنهم تفهقروا لبسالة أهلها ودفاعهم عنها ، فرفعوا الحصار <sup>(٥)</sup> .

وفي يوم ٤ / ربيع أول / ٨٨٦ هـ الموافق ٣ / مايو / ١٤٨١ م توفي السلطان محمد الفاتح بعد أن أكمل مقاصد أجداده في فتح القسطنطينية ، ثم مملكة طرابزون الرومية ، والصرب والبوسنة والبانيا ، وجميع أقاليم آسيا ولم يبق في بلاد البلقان

- (١) كرويا : الى الجنوب من مدينة أشقودره . وتكتب هكذا ( Kruja )  
 - محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٧٤ ، حاشية رقم (١) .  
 (٢) أشقودره : مدينة قديمة ، كانت تابعة للصرب ثم انتقلت الى البنادقة ويقال أن مؤسسها اسكندر المقدومي ، ثم انتقلت من ذلك اليوم الى العثمانيين ولا تزال حتي اليوم .  
 - محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٧٥ ، حاشية رقم (١) .  
 (٣) : تقع على ساحل إيطاليا في أقرب نقطة ، ساحل البانيا وفي هذه المنطقة الضيقة من بلاد من بحر الادرياتيك ، تطله مع البحر المتويط يعرف باسم مضيق اترانت .  
 - على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٤١ ، حاشية رقم (٢) .  
 (٤) رودس : جزيرة قريبة من شاطئ آسيا الصغرى طيبة الهواء ، فتحها السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٢٢ م . ولا زالت تابعة للدولة حتى الآن .  
 - محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٧٦ ، حاشية رقم (٢) .  
 (٥) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٧٤ - ١٧٦ .

الا مدينة بلغراد التابعة للمجر وبعض الجزر التابعة للبنادقة ،وقد دفن في اسطنبول<sup>(١)</sup>، وبموته انقذت ايطاليا خاصة من الخطر العثماني وأوربا بصفة عامة ويعتبر أول من ثبت اركان الدولة في أوربا<sup>(٢)</sup> .

ولكنه مات من أثر السم الذى دسه له بصورة تدريجية العميل اليهودى البندقي أحد أطبائه الخاصيين المسمى ( Master Lacopo ) الذى ادعى أنه اهتدى الى الاسلام ويسمى يعقوب باشا ،وكان مدسوسا لقتله ،فمزق الاتـــسراك العثمانيون هذا البندقي اليهودى ،قبل أن يتسلم مكافأته من أسباده ،فعلمت البندقية خبر موت الفاتح بعد ستة عشر يوما من الحادث ،كانت الرسالة التسي أوصلها حامل البريد السياسى لسفارة البندقية في اسطنبول تحتوى هذه الجملة " مات النسر الكبير " فجرت المراسيم لمدة ثلاثة أيام بلياليها .بأمر البابا دقت معها أجراس كافة الكنائس الأوربية<sup>(٣)</sup> .

بعد أن أشاد السلطان محمد الفاتح دولة عظيمة ،كانت من أقوى الدول في القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ،واتخذ عاصمة ببلاده سيدة البلقان اسطنبول ،التى كانت تشرف على ممتلكاتهم الآسيوية والأوربية ،على البر والبحر فمهدت فتوحات السلطان الطريق لفتوح العثمانيين من بعده في المجر وأواسط اوربا ،وفي الشام والعراق<sup>(٤)</sup> ،والحجاز فأرسي بذلك قواعد الدولة العثمانية المتينة<sup>(٥)</sup> .

- 
- (١) محمد فريد بـــــــــك : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .  
على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٤٠ - ٤١ .  
(٢) احمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ الاسلامي ، ص ٧٢ .  
محمد مصطفى صفوت : فتح القسطنطينية ، ص ١٧٠ .  
(٣) يلماز اورتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ١٧٧ .  
(٤) محمد مصطفى صفوت : المرجع السابق ، ص ١٧٢ .  
(٥) يلماز اورتونا : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٧ .

## الفصل الثاني : الدولة العثمانية في عصرها الثاني

أ - إتساع الدولة وكمثرة مشكلاتها .

ب - الخلل : السلاطين - العلماء - الإنكشارية - التوقف والركود .

ج - الخطة الجديدة للعالم النصراني نحو الدولة : فشل الحلول العسكرية ، الفوز

الفكري ، سياسة الرجل المريض .

## ٢ - اتساع الدولة وكثرة مشكلاتها :

هكذا بعد أن بينا قوة الدولة وعظمتها وقهرها لأوروبا ، وتراجع أوروبا للدفاع عن نفسها ، خوفًا على سقوط روما ، مقر البابوية الكاثوليكية أمام جهاد العثمانيين ، فلا بد أن نجل الأحداث التي أعقبت سقوط القسطنطينية وبعض المدن اليونانية والإيطالية ، التي قادت الدولة إلى العالمية ، على محاور القارات الثلاث ، آسيا وأفريقيا وأوروبا ، في عهدي السلطان سليم الأول بن بايزيد الثاني ، والسلطان سليمان الأول بن سليم الأول ، لنصل مع القارئ إلى اتساع رقعة الدولة مما نتج عنه تعدد مشكلاتها ، مرورًا بالسلطان بايزيد الثاني ابن السلطان محمد الفاتح وهو كما يلي :

تسلم بايزيد الثاني ابن السلطان محمد الفاتح مقاليد السلطنة في الدولة بعد وفاة والده سنة ٨٨٦ هـ الموافق ١٤٨١ م ، وكان هذا السلطان ميالا للسلم ، إلا أنه اضطر لخوض بعض المعارك الداخلية والخارجية ، ولكن بالرغم من ذلك فإنه لم تكن فيه همة الفاتح أو طموحاته (١) .

وفي عهده بدأت العلاقات السياسية مع بعض دول أوروبا ، ومنها قيام الاتصالات الودية مع مملكة بولونيا بعقد معاهدة سنة ٨٩٦ هـ الموافق ١٤٩٠ م ، ولكنها لم تلبث مدة حتى تكدر الصفو بين الدولتين ، بسبب ادعاء كل منهما حق السيادة على بلاد البغدان (٢) ، فأغار ملك بولونيا عليها ، وقام العثمانيون بطرد المجر منها ، والغارة على حدود بولونيا بمساعدة أمير البغدان الذي قبل حماية الباب العالي (٣) . كما وصل إلى اسطنبول أول سفير روسي ومعه جملة من الهدايا وذلك في سنة ٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م . وفي الوقت نفسه

- 
- (١) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٤٢ .  
، أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٧٣ .  
(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٨٣-١٨٤ .  
، على حسون : المرجع السابق ، ص ٤٢ .  
(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

بدأت بعثات الدول الأوروبية تتزاحم في العاصمة العثمانية الكل منهم يجتهد في محالفة الدولة العثمانية للاستعانة بها على أعدائها ، وقطع العلاقات مع من خالفها (١) .

لهذا تميز عهد السلطان بايزيد الثاني ببدء العلاقات الدبلوماسية مع أوروبا ، لكن جنوح السلطان الى السلم كان مرتبطا بالتزام الاطراف الأخرى لهذا لم تمنعه الاتفاقات من قيامه بقمع أي تحرك ضده (٢) ، وذلك حينما استطاع الايطاليون ايقاع الفتنة والنفرة بين الدولة العثمانية والبنانقة عندئذ أرسل السلطان جيوشه برا وبحرا لقمع تحركات البنانقة على ساحل البلقان ، فاستولى على جزر ليانتو أو " ليبانت " وموزون ، ونافاريين من بلاد اليونان ، وكانت كلها تتبع لجمهورية البندقية ، فخافت البندقية من تقدم العثمانيين واسقاط حكومتهم ، فاستغاثت بالدول النصرانية في أوروبا ، فأنجدها البابا ، والدول الأخرى بالقوة اللازمة ، وبالرغم من ذلك استطاع العثمانيون من الاستيلاء على ميناء رودستو الواقع على بحر الادرياتيك (٣) .

وقد كانت المواقع التي احتلها العثمانيون من البنانقة تشكل مراكز استراتيجية هامة يمكنها أن تساعد على التقدم والتوغل في شرق البحر المتوسط ، بل أيضا في حوضه الغربي ، وهذا جعل البنانقة يطلبون عقد الصلح بين الطرفين (٤) ، وكان بإمكان السلطان بايزيد عدم قبول الصلح وضم بلاد البنانقة اليه لولا عصيان أولاده عليه (٥) واضطراب الأحوال الداخلية

- 
- (١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٨٤-١٨٥ .
  - على حسن : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٤٢ .
  - (٢) محمد عبد اللطيف الهريدي : الحروب العثمانية الفارسية ، ص ٤١ .
  - (٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٨٥ .
  - (٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٧٣ .
  - (٥) تكدر صفاء حياة السلطان بايزيد الثاني في السنوات الأخيرة من حكمه بعصيان أولاده الثلاثة : كركود ، وأحمد ، وسليم ، لاختلافهم في المشارب السياسية ، فعين كركود على أحد الولايات ، وأرسل أحمد الى أماسيا (=)



مما أجبره على إبرام الصلح مع البنادقة سنة ٩٠٢ هـ الموافق ١٥٠٢ م وفي السنة التي تلتها تم الصلح مع ملك المجر (١).

لكن مشاكل بايزيد الثاني ازدادت هي الأخرى من الشرق لحربه مع دولة المماليك حول دولة بني ذى القدر ، ومع الدولة الصفوية في إيران، التي بدأت تثير القلاقل في الأناضول ، إضافة الى الخلافات الأسرية داخل البيت العثماني خاصة مع أخيه جم الذى يطالب بعرش الدولة ، وقد حدثت بينهما عدة حروب حالت دون تقديم المساعدة لآخوانه المسلمين فـي غرناطة (٢).

أعقب ذلك عصيان أولاده وتنافسهم على العرش المرتقب ، مما أدى الى الاختلال في أمن البلاد ، وازدياد نشاط الدعاة الذين أثاروا الفتن والقلاقل في الأناضول . ونتيجة لذلك استمرت هذه الحالة حوالي عامين من ( ١٥٠٩-١٥١١ م ) استنزفت بالسلب والنهب واراقة دماء المسلمين، وهذا مما جعل الأمير سليم الأول حاكم طرابزون في أقصى الأناضول يحسم الموقف لضبط البلاد ، ويطالب والده بالتنازل عن العرش ، وذلك بعدما رأى عن كثب ماخطط له الصفويون وتغلغل خطر الشيعة بين رعايا الدولة فـي الأناضول (٣) .

(=) وعين سليم على طرابزون ، ففرق بينهم ، وعين سليمان بن سليم على بلاد القرم ، فلم يرض سليمان ، وكان محبوب الانكشارية ، فانتقل الى ولده سليمان ، وخاطب والده من هناك بتعيينه في احدى الولايات الاوربية ، فلم يقبل السلطان فعصى الابن وقام بحرب الدولة فجرد والده جيشا فاستطاع قمعه ، ولكن الامر انتهى بعفو الوالد لولده فأتى بالانكشارية في اسطنبول لوالده واستطاعوا اقناع السلطان بالتنازل لابنه عن الملك ، ولمزيد من المعلومات ارجع الى :  
- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٨٦-١٨٧ .

(١) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٨٥ .

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٧٤-٧٥ .

(٣) محمد عبداللطيف هريدي : الحروب العثمانية الفارسية ( الطبعة

الاولى ، القاهرة ، دار المصنوعة للنشر والتوزيع ، ١٤٠٨ هـ ) ص ٤٧-٤٨ .

وقد أدى ذلك الى تنازل بايزيد الثاني لابنه سليم الاول في سنة ٩١٨ هـ الموافق ١٥١٢ م عن الحكم وذلك بمساعدة الانكشارية (١).

فالسultan سليم الاول الذي تسلم دفة الحكم كان من قبل حاكماً لطرابزون ، وبذلك كان على علم بشئون حدوده الشرقية التي كانت تواجه غزو الممويين (٢) الذين تولوا الحكم في ايران (٣).

ونتيجة لذلك وصلت الى السلطان سليم تقارير تقول " ان المبتدعين من الصوفية والشيعة قد استفحل خطرهم وزاد عددهم وباتوا يعيثون فساداً في القرى بالسلب والنهب حتى انهم لم يتورعوا عن قتل الرجال وسبي النساء وأتوا على الأخضر واليابس " (٤).

وكانت الدولة العثمانية في ذلك الوقت تتربع على عرش الأناضول وشبه جزيرة البلقان ، فأصبحت بذلك على مفترق الطرق ، وبين خيارين مهمين هما: هل تستمر في فتوحاتها نحو أوروبا ؟ أو أنها تتجه نحو الشرق وتمتد بدولة فارس ثم المماليك ؟ وبعد دراسة مستفيضة للموقف على الجبهتين قرر السلطان اختيار الخيار الثاني والتوقف مؤقتاً عن فتوحاتها في أوروبا للاتجاه نحو بلاد فارس لخطورة الموقف هناك ولا يقف التحرك الفارسي الشعبي الذي أخذ ينتشر في الأناضول والعراق ، وبدأ يحرض أقلية الشيعة الى الثورات ضد الحكم العثماني السني كما سبق (٥).

---

(١) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٤٢.

(٢) تنتسب الى صفى الدين وهو من اردبيل وكان من المتصوفة الزاهديين ومنذ القرن التاسع الهجري انتقلت الصوفية من التأمل الصوفي الى العقيدة الشيعية ، وكانت هذه الاسرة زعيمة لحركة تركمانية صوفية.

- أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني ، ص ٧٦-٧٧.

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٧٦-٧٧.

(٤) محمد عبد اللطيف هريدى : الحروب العثمانية الفارسية ، ص ٤٢ ، ٤٨ ، نقلاً عن ( وثيقة رقم ٦٥٢٢ بطوب قابي ) .

(٥) محمد كمال الدسوقي : أهمية الحجاز في مطلع العصور الحديثة ، نقلاً عن وثيقة رقم ٦٥٢٢ بطوب قابي ( مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، العدد الثاني ، السنة الثانية ) ص ٤١٦-٤١٧ .

عند ذلك نهض السلطان سليم الأول في وجه هذا التحدي الصفوي ، وسل سيفه ، ورفع راية أهل السنة ، وغزا بلاد فارس ليضع حداً لتهرات الشاه ولهذه الأمة ، فهزم الشاه اسماعيل في موقعة جالديران سنة ٩٢٠ هـ الموافق ١٥١٤م ، ودخل السلطان مدينة تبريز قاعدة ملك الدولة الصفوية . ولكنه اضطر فيما بعد للعودة الى بلاده لتنظيم صفوف جيشه ، مما مكن الشاه من العودة الى عرشه من جديد ، ومحاولة مد نفوذه الديني الى الدولة . والواقع أن السلطان لم يقض على استقلال فارس بل بقيت الدولة العثمانية وفارس على عداوة مستمرة ، وبذلك فان الدولة العثمانية استطاعت اضعاف نفوذ الدولة الصفوية في العراق وتركستان ، مما مهد للدولة العثمانية امتلاك العراق في عصر السلطان سليمان الأول كما سيأتي (١) .

وحين عاد السلطان سليم الأول الى مواقع جيشه ، علم أن دولة المماليك كانت تميل لنصرة الدولة الصفوية أثناء حربها معها (٢) . فقد أرسل الشاه وفداً الى سلطان مصر يطلب منه التحالف ضد الدولة العثمانية في حربه معها مبيناً أنها اذا لم يتفقا معا ، حاربت الدولة كلا منهما على حدة للاستيلاء على أملاكها (٣) .

ومن تلك الأمور التي ظهرت واضحة للسلطان سليم الأول هو تدخل السلطنة المملوكية أثناء حربه مع الشاه ، فرغم اعلان المماليك حيادهم التام حين دعاهم السلطان سليم الأول للاتفاق معه لحرب الشاه اسماعيل فانهم بعثوا بجنودهم ليقطعوا خطوط المواصلات المتجهة لامتداد الجيش العثماني في شمال حلب عبر الأراضي المملوكية (٤) مما أغضب السلطان سليم الأول وأدرك أن المماليك يعملون ضده ، وعليه أن يتخذ الاجراء السليم الذي يكفيه شرم أو انتزاع الاقطار السورية منهم .

---

(١) محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس في العوامل التاريخية ،

ص ١٢٤ .

(٢) احمد جودت باشا : تاريخ جودت ، ج ١ ، ص ٤٣ .

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٨٩ .

(٤) محمد عبداللطيف هريدي : الحروب العثمانية الفارسية ، ص ٥٤ .

لذلك سعت الدولة في التحالف والتفاهم والوحدة بين الدول  
الثلاث لتكون هجمتها نحو الغرب موحدة ، ولكن الخلاف المذهبي بين  
الدولة العثمانية والدولة الصفوية في ايران جعل الدولة تجرد حملتها  
جالديران سنة ٩٢٠ هـ / ١٥١٤م كما سبق . كما أن حرص المماليك في  
مصر والشام على زعامة العالم الاسلامي بالرغم من ضعف المماليك وعدم  
قدرتهم على مواجهة البرتغاليين وصد حملاتهم ، جعل السلطان سليم  
الاول يتحرك نحو الشام ، فاستعد له سلطان المماليك قانموه الغوري  
عند حلب على الحدود الشمالية ، فالتقى الجمعان في معركة مرج دابق  
سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦م وبعد قتال شديد انهزم الغوري وقتل في ساحة  
المعركة ، فدخل سليم حلب وجميع المدن السورية (١) .

حينئذ سارع قادة المماليك في مصر الى تعيين طومان بـاي  
نائب الغيبة حاكما على مصر ، ولما علم السلطان سليم بذلك أرسل  
اليه يعرض عليه الصلح بشرط اعترافه بالسيادة العثمانية ، فرفض ذلك ،  
فغزا سليم الاول مصر ، وانتهت المعركة بالقضاء على دولة المماليك  
في موقعة الريدانية سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٧م (٢) .

وبعد ضم مصر للدولة العثمانية أراد سليم الاول ضم الحجاز ففي  
تلك الفترة (٣) حضر أبونمي ابن الشريف بركات شريف مكة الى مصر ،  
فقدم الطاعة للسلطان سليم الاول ، وأطلق عليه لقب حامي الحرمين  
الشريفيين (٤) ، وخليفة الاسلام ، زيادة على لقب السلطان ، فجمع للسلطان  
سليم الاول بين الخلافة والسلطنة ، فوطدت الدولة في عهده الى أعلى  
المراتب ، واتحدت كلمة المسلمين على يده ، فأصبحت بذلك الزعامة

- 
- (١) محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس في العوامل التاريخية ،  
ص ١٢٥ .
- (٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٩٢-١٩٣ .
- (٣) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، ج ١ ، ص ٤٣ .
- (٤) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٩٤ .
- (٥) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٥٨ .

### الاسلامية للعثمانيين (١).

وقد ظل السلاطين العثمانيين دائما سلاطين غزاة أو مجاهدين في سبيل الله لحماية العالم الاسلامي ، ولكنهم استثمروا موقف الخلافة بمعنى جديد وبمفهومه الخاص ، على أنهم حماة العالم الاسلامي في جهادهم ضد الصليبيين (٢).

ولم يستخدم ذلك اللقب صراحة ، الا في أيام السلطان عبدالحميد الثاني ابان اعلان حركة الجامعة الاسلامية ، ولعل ذلك اعترافا من سلاطين آل عثمان ومن ثم تبقى الخلافة للعرب ، دون منازع اكتفاء بلقب حامي الحرمين الشريفين وهذا اعلان موجه الى أوروبا المسيحية وطلائع الاستعمار الأوروبي على الحدود الجنوبية للعالم الاسلامي (٣).

وبعد ضم مصر والحجاز للدولة العثمانية عاد السلطان سليم الى اسطنبول فوصلها في بداية عام ٩٢٤ هـ الموافق ١٥١٨م بعد أن مكث في دمشق خمسة أشهر ، ثم غادر اسطنبول الى ادرنة بقصد الراحة وهو يفكر في بدء القتال ضد الأعداء في أوروبا بعد أن تم له توحيد الجبهة الاسلامية كما أراد وبعد أن سبر حملة الى اليمن لاختطافها للحكم العثماني (٤).

فأخذ السلطان سليم الأول يحضر هذا الأسطول لحصار جزيرة رودس لقتال فرسان القديس يوحنا ، ولكن وافته المنية قبل اتمام مشروعه في ٩ شوال سنة ٩٢٦ هـ الموافق ١٥٢٠م (٥) ، وعندما وصلت وفاته الى العالم المسيحي

---

(١) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، ج ١ ، ص ٤٣

(٢) Halil Inalcik: The Ottoman Empire , p. 57

(٣) محمد عبداللطيف البجراوى : من خصائص تاريخ العثمانيين وحضارتهم ، مجلة الدارة ، ع ٤ ، ص ١٣ ، ص ٢٠٣

(٤) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٥٨

(٥) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٩٧

شعروا بالفرحة ، وأن الخطر الذي كان يهددهم قد انزاح لأنهم كانوا يتوقعون في ابنه السلطان سليمان الأول أنه رجل سلام هادئ الطبع ميال للسلم ، وأنه لا يميل الى الحرب الا فيما ندر (١) ، فظنوا أن الخطر قد زال ، وبحق فقد جانب توقعهم الصواب . ذلك لأنه عندما تولى السلطان سليمان الأول ( القانوني أو المنظم ) كان العلم العثماني يرفرف فوق معظم القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا .

الا أنه في سنة ٩٢٧ هـ الموافق ١٥٢١ م تغير الموقف وذلك عندما أرسل السلطان سليمان الأول ، بهرام سفيرا لجمع الجزية من أهل المجر لكنهم امتنعوا وتمردوا وثاروا عليه ، فقتلوا بهرام رسول السلطان ، فغضب السلطان وبعث بحملة لمحاصرة مدينة سابتس القريبة من بلغراد بقيادة أحمد باشا ففتحها عنوة سنة ٩٢٧ هـ الموافق ١٥٢١ م ودخلها السلطان في اليوم الثاني ثم انطلق منها الى بلغراد عاصمة الصرب ، ففتحها عنوة بعد حصار شديد في ٢٥ رمضان من نفس السنة ، وكانت قد امتنعت عن أسلافه من قبل لقوة تحصينها (٢) ، فدخلها السلطان وصلى صلاة الجمعة في أكبر كنائسها فحولت الى مسجد للمسلمين (٣) ، وكانت هذه المدينة الحصينة معقلا من معاقل المجريين يحتمون وراءها كلما أغاروا على الدولة العثمانية ، ففتحها يعني حرمان المجريين من هذا الدرع الواقي من هجمات الدولة لتوسطها من القارة الأوروبية (٤) . ولأهمية موقعها أصبحت بلغراد قاعدة الدولة العثمانية للزحف الى ما وراء نهر الدانوب (٥) ، أو لوسط أوروبا ،

---

(١) V.J. Parry: A History of the Ottoman Empire to 1730, p. 95.

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٩٩-٢٠٢ .

، هيئة التحرير : سليمان الكبير ( مجلة الهلال ، الجزء الاول ، السنة الاولى ١٣١٠ هـ / ١٨٩٢ م ) ص ٣٥ .

، علي حسن : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٦٥-٦٦ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

(٤) محمد عبداللطيف هريدي : الحروب العثمانية الفارسية ، ص ٦٠ .

(٥) علي حسن : المصدر السابق ، ص ٦٦ .

وقد استغرق حصارها شهرا كاملا وكان مايميز هذا الحصار هو انضمام طلبية المعاهد الدينية التي شيدها العثمانيون في البلقان الى صفوف المقاتلين العثمانيين طلبا للجهاد في سبيل الله ، وهذا مايدل على أن الدولة العثمانية بدأت تجنى ثمرة جهودها في سبيل نشر الاسلام في أوروبا (١) . فعاد السلطان بعد هذا النصر العظيم الى اسطنبول عاصمة البلاد ، فأرسل اليه قيصر الروسي سفيرا يهنئه ، وكذلك رؤساء جمهوريتي البندقية وراجوزة (٢) يتقربون اليه خوفا من غاراته وهجماتاته على بلادهم (٣) .

ولكن عند أوائل سنة ٩٢٨ هـ / ١٥٢٢ م منحت الدولة العثمانية أولى الامتيازات التجارية في الدولة ، فوقعت معاهدة تجارية مع جمهورية البندقية ، خولت فيها قنصلها في اسطنبول ، حق حضور المرافعات أمام المحاكم حين الفصل في قضاياها ، اذ كانت الدول الأوروبية تعتبر النصرى كلهم رعاياها بالاضافة الى بعض البنود الأخرى ، أما السبب المباشر لهذه المعاهدة التجارية ، فقد كانت اقتصادية الهدف ، منها محاولة من الدولة العثمانية في اعادة النشاط التجارى الى البحر المتوسط ، بعد الدوران حول رأس الرجاء الصالح بواسطة البرتغاليين وأن السلطان سليمان كان في اعتقاده أنه مادام قويا فانه باستطاعته أن يلغيها متى شاء وفي أي لحظة عندما يحس بخطرها (٤) .

ثم ولى سليمان وجهته لفتح جزيرة رودوس التي لاتزال حصنا منيعا أمام الدولة (٥) ، فقد تأسست خلال الحملات الصليبية في عكا للجهاد ضد

---

(١) محمد عبداللطيف هريدى : الحرب العثمانية الفارسية ، ص ٦٠ .

(٢) راجوزة : ميناء تجارى ببلاد دلماسيا على الساحل الشرقى من بحر

الادرياتيكي .

- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٠٢ ، حاشية رقم (١) .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

، هيئة التحرير : السلطان سليمان الكبير ، مجلة الهلال ، ج ٢ ، ص ١ ، ص ٣٥ .

(٤) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٦٦ .

(٥) كمال الدسوقي : العثمانيون وقرصنة رودس (مجلة البحث العلمى ، كلية

الشريعة والدراسات الاسلامية ، العدد الثانى ، ١٣٩٩هـ) ص ١٧٠ .

المسلمين (١)، وكانت تناصب الدولة العثمانية المترامية الاطراف العداء  
السافر ، وتقف منها موقف المتحدى لمناعة حصونها ، فلم يحرق أحد من  
سلاطين آل عثمان قبل السلطان محمد الفاتح الذي حاول حصارها ثلاث مرات  
ولم يوفق في فتحها (٢). لذلك أخذ السلطان سليمان الأول يستعد لفتح  
الجزيرة برا وبحرا ، لأنها نقطة الاتصال بين اسطنبول ومصر (٣) ، ثم الى  
سوريا والحرمين الشريفين (٤)، وذلك لكسر شوكة النصارى المتمركزين وسط  
البلاد العثمانية (٥) باعتبار أن هذه الجزيرة تعد من أقوى المراكز  
الدفاعية في أوروبا ، وكان قراصنتها يأسرون أعدادا كبيرة من السفن  
الاسلامية التي كانت تجلب الحنطة والذهب من الولايات العربية والتي تنقل  
معهما الحجاج الى الأماكن المقدسة عبر البحر الابيض المتوسط (٦) ، لهذا  
أراد السلطان الاسراع في اتمام هذا العمل الذي عجز عنه أسلافه (٧). فأمر  
السلطان في الحال غزوها برا وبحرا ، وبعد أربعة أشهر من حصارها استسلمت  
الجزيرة على شروط معينة وهي كالتالي :

- 
- (١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٠٣.
  - (٢) يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ٢٦٢.
  - (٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٢٠٣ ،  
مجلة الهلال ، ج ٢ ، ص ١ ، ص ٣٠٥.
  - (٤) مجلة الهلال ، المصدر السابق ، ص ٣٥.
  - (٥) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٦٦.
  - (٦) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٨٩ .
  - V.J. Parry: A History of the Ottoman Empire  
to 1730. p. 79.
  - كمال الدسوقي : العثمانيون وقراصنة رودس ، (مجلة البحث العلمي ،  
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، ع ٢ ، ١٣٩٩ هـ ) ص ١٦٩.
  - (٧) يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ج ٢ ، ص ٧٢ .
  - محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .



- ١ - أن تصان الكنائس النصرانية .
- ٢ - أن تقام الشعائر الدينية .
- ٣ - أن لا يفرض على الأهالي ضرائب لمدة خمس سنوات .

وكان رئيس الجزيرة فيليب دى ليل آدم ، الذى طلب مقابلة السلطان وقد وافق السلطان على تلك الشروط ، وبعد مدة أبحر ليل آدم ومعه أربعة آلاف من أتباعه وذهبوا الى إيطاليا ، ومنها الى مالطة (١) .

الا أن فتح السلطان سليمان الأول لجزيرة رودس أمن أملاكه ، وتحركاته في شرق البحر المتوسط (٢) .

حينئذ توافدت الى السلطان الوفود من ملوك وأمراء لتنهضته بذلك النصر ، وخاصة بعد فتح جزيرة رودس التي بفتحها زادت هيبة الدولة ونالت عظمة على عظمتها (٣) ، فسعى فيرنسوا الأول ملك فرنسا بإرسال الرسل للتحالف مع الدولة العثمانية ضد خصمه شارل الخامس ملك النمسا الذى كان يحيط بأملاكه كالسوار بالمعصم عدا البحر (٤) ، فقد كان ملكا لأسبانيا وهولندا وألمانيا وجزء عظيم من المدن الإيطالية (٥) ، وحين تعزز نفوذ الدولة العثمانية ، ووطدت سيطرتها القوية على البحر الأبيض المتوسط وجد فرنسوا في العثمانيين حليفا قويا مهاب الجانب ، حينما أصبح لهم كلمة عليا في السياسة ، فأرسل سفيره الى اسطنبول طالبا منه وبكل خضوع

---

(١) يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ج ٢ ، ص ٧٤ .

V.J.Parry: A History of the Ottoman Empire, p.80. ،

(٢) أحمد عبدالرحيم ممطفى : في اصول التاريخ العثماني ، ص ٨٩ .

(٣) هيئة التحرير : السلطان سليمان الكبير ( مجلة الهلال ، ج ٢ ، ١٨٩٢ ،

س ١ ، ) ص ٣٦ .

(٤) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٦٧ .

(٥) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٠٨-٢٠٩ .

(١) مهاجمة ملك المجر أحد خلفاء شارل الخامس ، في محاولة من فرنسوا  
اشغال الحرب بين العثمانيين والنمساويين ، وهو يأمل من ذلك تخفيف  
الضغط الهابسبرجي الذي كان واقفا على أبواب مملكته نفسها ، بعد هزيمته  
سنة ٩٣٢ هـ / ١٥٢٥م في بافيا ( Pavia ) وكان السلطان سليمان واعيا لذلك  
ومتفهم حالة العداء بين المسيحيين والامبراطور شارل الخامس ( ملك  
الامبراطورية المقدسة ) وفرنديناد ملك النمسا ، لهذا رجب السلطان  
سليمان بمطلبه لتحقيق هدفه ورغبته في السيطرة الحقيقية على مملكة  
المجر (٢) ، فأرسل رسالة الى فرنسوا بالموافقة على تنفيذ طلبه والاستعداد  
لحرب خصمه (٣) ، والعدو التقليدي للعثمانيين منذ أن وطشت أقدامهم في  
شبه جزيرة البلقان ، فهي اما خصمه المباشر أو حليفه لخصم (٤).

سار السلطان سليمان الأول ملبيا طلب صديقه فرنسوا يقود الجيش  
بنفسه الذي كان قوامه مائة ألف جندي ، وثلاثمائة مدفع ، وثمانمائة سفينة ،  
فشق طريقه عن طريق صربستان الى بلاد المجر حتى وصل قلعة بلغراد حيث  
اتخذها قاعدة لجيشه ثم واصل سيره حتى وصل وادي موهاكس (٥) فاصطدمت  
القوتان فقتل ملك المجر في ساحة القتال وكثير من نبلائه وكهنته في  
موقعة موهاكس ، فسقطت بودا عاصمة الصرب في يد العثمانيين ودخلها  
السلطان وجنوده دخول الفاتحين (٦) .

---

(١) على حسن : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٦٧ .

(٢) V.J. Parry: A History of the Ottoman Empire  
to 1730, p. 81.

(٣) على حسن : المرجع السابق ، ص ٦٧ .

(٤) محمد عبداللطيف هريدي : الحروب العثمانية الفارسية ، ص ٦١ .

(٥) موهاكس : Mohacs تقع اليوم في جنوب بلاد المجر بالقرب من  
الحدود اليوغوسلافية .

- محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية ، ص ٢١١ حاشية رقم (٢) .

(٦) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٢١٠-٢١١ .

، على حسن : المرجع السابق ، ص ٦٧ .

، أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٩٠ .

V.J. Parry: A History of the Ottoman Empire  
to 1730, p. 81.

وبدحول العثمانيين المجر خلق هذا احتكاكا مباشرا مع النمسا  
نتج عنه ادعاء ملك النمسا فرديناند الأحقية في ملك بلاد المجر بسبب  
قربته لملكها لويس الذي قتل في معركة موهاكس في أواخر سنة ٩٣٤ هـ الموافق  
١٥٢٧ م (١) . ولكن عليه أولا أن يقضى على منافسه في بودا ( Buda )  
زعيم ترانسلفانيا جون زابولي الذي طالب به النبلاء ليعتلى عرش المجر  
بناء على موافقة السلطان كما سبق (٢) .

فسار بجيشه لحرب زابولي ملك المجر ، واستطاع ازاحته عن حكم  
المجر ، فأرسل زابولي الى السلطان بهذا الأمر يستنجد به ، فقــاد  
السلطان بنفسه الجيش سنة ٩٣٦ هـ الموافق ١٥٢٩ م وتوجه الى بودا عاصمة  
المجر ، وما ان وصلها السلطان حتى فر منها فرديناند وتوجه الى فيينا  
عاصمة النمسا، ودخل السلطان البلاد ثم أعاد زابولي الى عرش المجر (٣) .

ولم يتوقف السلطان سليمان الأول عن تعقب ملك النمسا الفار فلقد  
توجه معه زابولي ملك المجر الى فيينا وأخذ يضرب حولها الحصار كما سلط  
مدافعه على أسوارها وهدم جزءا منها فأمر الجنود بالهجوم ، فاندفعوا  
لدخول المدينة عدة مرات خلال أربعة أيام ، فحمد أهل فيينا أمامهم  
فلم يستطع الجنود العثمانيون دخول المدينة ، فأصدر السلطان أوامره  
بالرجوع لحلول فصل الشتاء القارس على أن يعاود الكرة عندما تحين  
الفرصة (٤) .

وفي سنة ٩٣٨ هـ الموافق ١٥٣١ م قام ملك المجر مرة أخرى بإرسال  
جيش لمحاصرة بودا عاصمة المجر ، لانتزاعها من زابولي ، ولكن الحامية  
الاسلامية التي وضعها السلطان لحماية هذه المدينة استطاعت صد هذا الهجوم  
النمسي (٥) .

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٢١٠-٢١١ .

(٢) V.J. Parry : A History of the Ottoman Empire to 1730 , p. 82 .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٢١٥-٢١٦ .

(٤) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٢١٦-٢١٧ .

، على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٦٨ .  
(٥) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٢١٨ .

وكعقاب لملك النمسا على تكرار هجومه على عاصمة المجر كمر السلطان غزو فيينا في نفس السنة ٩٣٨ هـ / ١٥٣٢م للمرة الثانية وكان في هذه المرة ممصما على فتحها ، ولكنه لما اقترب من فيينا ، بلغه استعداد أهلها للدفاع عن المدينة ، وقد جمعوا لهذه الحرب الى جانب الجيوش النمساوية جيوش المانية واسبانية الى غير ذلك ، فعاد السلطان الى عاصمته وكانت هذه اول مرة لا يحرز فيها السلطان سليمان نصرا (١) ، والواقـع أن اقتران موسم المطر وفشل العثمانيين في نقل مدافعهم الثقيلة عـبـر الدانوب كل ذلك كان من أهم أسباب رفع الحصار والعودة عن فيينا (٢) .

وقد انتهزت القوى الصليبية في اوربا انشغال السلطان العثماني بالحروب البرية داخل اوربا فهاجموها بحرا بقيادة الاميرال اندري دوريا الجنوى ، الذى التحق بخدمة شارلكان فاحتلت كورون وباتراس Patras التابعة لبلاد المورة ، ولكن ملك النمسا توقع رد الفعل العثماني ، فأرسل سفيرا الى السلطان سليمان يطلب فيه الصلح فلم يقبل الا بشروط معينة (٣) وهي تسليم مدينة ( جران Gran ) فقبل ملك النمسا وتحررت بيـن الطرفين معاهدة الصلح في سنة ٩٣٩ هـ / ١٥٣٣م وأهم ما في المعاهدة هو رد مدينة كورون للدولة ، وان ماتتفق عليه النمسا مع زابولي ملك المجر لا ينفذ ما لم يعتمده السلطان ، وهذه اول معاهدة صلح بين النمسا والدولة العثمانية وقع الطرفان عليها (٤) . وقد تعني هذه المعاهدة للصلح مع المسيحيين علامة واضحة بما أصاب الدولة من أعباء واجهاد اضطر سليمان الاول لقبول

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٢١٨ .

، احمد عبد الرحيم مصطفى : في اصول التاريخ العثماني ، ص ٩٠ .

، على حسن : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٦٨ .

، محمد عبد اللطيف البحر اوى : فتح العثمانيين عدن ، ط ١ ، القاهرة ، دار التراث ، ١٣٩٩ هـ /

١٩٧٩ م ) ، ص ٩٠ .

(٢) محمد عبد اللطيف البحر اوى : المرجع السابق ، ص ٩١ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٢١٩ .

، على حسن : المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(٤) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٢١٩ .

الصلح مع النمسا ، وبدأ الخوف الذي سيطر على نفوس الاوربيين يقـل من نفوسهم ، وعرفوا ايضا ان الجيش العثماني من الممكن صده والوقـوف في طريقه (١) .

وقد أعقب هذه المعاهدات عدة معاهدات وامتيازات منها أنه فـي عام ٩٤٢ هـ الموافق ١٥٣٦م قامت الدولة العثمانية بعقد اتفاق مع ملك فرنسا ، وقد خول هذا الاتفاق اعطاء بعض الامتيازات للفرنسيين بالأراضي العثمانية (٢) ، وهي تشبه المعاهدة التي منحت للبنادقة وهذه الاتفاقية كانت بمثابة الرمز المرثي للمداقة بين الدولتين (٣) .

وقد خول هذا الاتفاق الطرفین حق التجول والاتجار والملاحة البحرية ، كما أجاز التبادل الاقتصادي دون ضرائب ، وأصبح للقنصل الفرنسي فـي اسطنبول والاسكندرية حق التقاضي بموجب القوانين الفرنسية لرعاياهم دون تدخل الدولة ، ولا يحق للقضاة المسلمين الحكم على تجار ورعايا فرنسا ، الا في حضور الصدر الأعظم أو من يمثله ، كما أعفى من تبع الرعية الفرنسية من دفع الخراج والضرائب (٤) ، واشترط ملك فرنسا بأن يكون للباسباسا وملك انجلترا اخيه وحليفه الحق في الاستفادة او الانتفاع من المعاهدة واجابه العثمانيون بالقبول (٥) ، مما أشار المشكلات فيما بعد ، وكانت هذه المعاهدة اول اسفين يخط في نعرش الدولة العثمانية (٦) . وهذا الاتفاق من اسباب تدخل فرنسا نفسها ، وباقي دول اوربا في شئون الدولة العثمانية

---

(١) محمد عبداللطيف البعراوى : فتح العثمانيين ، عدن ، ص ٩١

(٢) محمد فريد بـك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٢٣ .

(٣) V.J.Parry: A History of the Ottoman Empire to 1730. , p. 86.

(٤) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٦٨-٦٩ ،

، احمد عبدالرحيم مطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٩٥ .

(٥) محمد عبداللطيف البعراوى : فتح العثمانيين ، عدن ، ص ٩٢ .

(٦) على حسون : المرجع السابق ، ص ٦٩ ،

، محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٢٣٠ .

وخصوصا في عصرها الثاني (١) تحت حماية الامتيازات للدفاع عن نصارى  
الدولة ، وخاصة في بلاد الشام (٢) .

والحقيقة كان هدف السلطان في ذلك الوقت من هذه الامتيازات  
هو دعم دولة فرنسا ثم الانجليز خلال نضالهما ضد بابا روما وهابسبورج  
النمسا ويتجلى ذلك في عقد الحلف الذى تم بين ملك فرنسا والسلطان  
في مواجهة اسرة الهابسبورج على أن تبقى هذه المعاهد سرية بين الطرفين  
حتى لا يتعرضا لخطر شعبيهما في وقت كان يسوده التعصب الديني . وهذا  
الاتفاق جعل الدولة تتجه بفتحها نحو مقلية واسبانيا بدل النمسا بالتعاون  
مع ملك فرنسا حسب المعاهد السرية ، ولكنها لم تنفذ هجومها مع الدولة  
على ايطاليا ، كما اتفقا على خطة الهجوم نظرا لخطر الراى العام النصراني  
على ملك فرنسا لتحالفه مع المسلمين ، ثم عاود السلطان الهجوم لفتح  
ايطاليا سنة ٩٤٤ هـ / ١٥٣٨ م بالاتفاق مع ملك فرنسا على أن يكون  
هجوم السلطان من الشرق وملك فرنسا من الغرب الذى تخلى عن مهمته  
وقد نجم عن ذلك فشل الدولة في فتح ايطاليا كما تحالف مع ملك فرنسا  
مع شارل كان على الدولة ، وهكذا أخذ موقف ملك فرنسا يتذبذب وهذا ما جلب  
عليه الاعداء ، ثم نراه يعود فيطلب العفو من السلطان ويجدد المعاهدة  
فاستجاب السلطان لطلبه وبقي على هذا الموقف حتى توفي (٣) . وهكذا  
اعتاد الفرنسيون التمثل من تعهداتهم ومواثيقهم والتزاماتهم كلما  
خفت حدة التوتر بينهم وبين الهسبرج ، او كلما توصلوا الى اهدافهم  
واغراضهم المادية والسياسية (٤) . أما النمسا العدو التقليدى للدولة  
العثمانية في هذا الوقت فقد كثرت غاراتها على املك الدولة وخاصة

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٣٠ .

(٢) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٦٩ .

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٩٤ ، ٦٩ .

(٤) محمد عبد اللطيف البجراوى : فتح العثمانيين عدن ، ص ٩٢ .

على حلفائهما المجر وفرنسا ، مما أثار العداء ، ونقض العهد ، حتى استؤنف القتال من جديد بسبب غارتهم على امتلك المجر التابعين للدولة (١) . فاشتعلت نيران العثمانيين فمزالمت تهدم قلاع النمسا وتسقطهم حتى اضطر ملك النمسا والامبراطور شارل الخامس والبابا وملك فرنسا وحاكم جمهورية البندقية الى الدخول في مفاوضات مع السلطان لعقد هدنة لمدة خمس سنوات (٢) فعقدت هذه الهدنة في سنة ٩٥٤ هـ الموافق ١٥٤٧م على شرط أن يدفع ملك النمسا جزية قدرها ثلاثون الف دوك نظير ما بقي تحت يده من بلاد المجر (٣) . وأن تبقى بلاد المجر التي توفي واليها زابولسي لابنه وتحت وصاية أمه ورعاية الدولة العثمانية (٤) ، وهذه هي أول معاهدة قضت على دولة النمسا باداء الجزية السنوية لسلطين آل عثمان (٥) . في الوقت الذي جاء فيه سفراء الهند يستغيثون بالسلطان سليمان الاول ضد البرتغال (٦) .

وبعد أن عقد السلطان الصلح مع دولة النمسا ، تفرغ لمواجهة الغزو البرتغالي والفارسي ، فكان الصفويون في ذلك العصر تحت قيادة طهماسب ابن اسماعيل الصفوي ، يشيرون القلاقل في اوساط التركمان في الاناضول في الوقت الذي شهد فيه العراق الاوسط والجنوبي - بما في ذلك بغداد والبصرة ، في محاولة لفرض المذهب الشيعي ، والتفريق فيه على أهمل السنة ، وقد أشارت هذه الاعمال غضب السلطان سليمان الاول باعتباره زعيم

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٣٨ .

(٢) محمد عبداللطيف البجراوى : فتح العثمانيين عدن ، ص ٩٣-٩٤ .

(٣) قد استمرت النمسا على دفع الجزية للدولة العلية حتى ابطلت في معاهدة كارلوفتس .

- محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٢٣٨ حاشية رقم (٣) .

(٤) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٢٣٨-٢٣٩ .

، هيئة التحرير: سليمان الكبير ( مجلة الهلال ، ج ٢ ، ص ١ ، ١٩٨٢ م )

ص ٣٩ .  
V.J. Parry. A History of the Ottoman Empire to 1730, P.84.

(٥) مجلة الهلال : المصدر السابق ، ص ٣٩ .

(٦) محمد عبداللطيف البجراوى : المرجع السابق ، ص ٩٤ .

العالم السني ، اضافة الى استيلاء الدولة الصفوية على فارس والعراق .  
مما عرقل مرور التجارة بين الشرق الاقصى وأوروبا حين تحولت سيطرة  
البرتغاليين على البحار الشرقية الى حصار عام لكل الطرق القديمة  
بين الشرق والغرب (١) . وحولت التجارة عبر رأس الرجاء الصالح فـ  
محاولة من البرتغاليين قتل الملاحة العربية في البحار العربية ، وحين  
سقطت دولة الماليك في يد الدولة العثمانية ، فقد ورثت عنها نفوذها  
في الحرمين ورعايتهما ، كما ورثت عنها سيادة النفوذ في البحر الاحمر  
وسواحه اضافة الى مسئوليتها في محاربة البرتغاليين (٢) في مصر  
الاستعمار الاوربي الحديث ، عندما وصل التهديد الصليبي ولاول مرة في التاريخ  
الى جنوب العالم الاسلامي أو البحار الاسلامية (٣) ، وقد حاول القاء  
البرتغالي "البوكرك" دخول البحر الاحمر في سنة ٩١٩ هـ / ١٥١٢ م للاستيلاء  
على مكة المكرمة والمدينة المنورة كاجراء مقابل لوجود الأماكن المقدسة  
المسيحية في ايدي المسلمين في فلسطين وللقضاء على تجارة البحر الاحمر  
التي ركزت في جدة ، وقد فشلت هذه الحملة ، لجهل قائدها بالملاحة  
في البحر الاحمر (٤) ، لذلك اضطر العثمانيون فتح الميدان الجنوبي لمواجهة  
الغزو البرتغالي المسيحي الذي بدأ يهدد البحار العربية واقامة حزام  
امن لحماية الأراضي المقدسة الاسلامية (٥) مكة والمدينة من التهديد  
البرتغالي .

ونتيجة لذلك وضعت الدولة لنفسها خطة لحماية الأماكن المقدسة  
فأرسل السلطان سليمان أسطولاً من السويس ، قد صنع لهذا الغرض بقيادة

- 
- (١) احمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٩١ ،  
V.J.Parry: Op.cit., p.85.
  - (٢) محمد شفيق غربال: منهاج مفصل لدروس في العوامل التاريخية ، ص ١٢٥ .
  - (٣) محمد عبداللطيف البعراوى : فتح العثمانيين عدن ، ص ٩٢ .
  - (٤) عمر الفاروق السيد رجب : دراسات في جغرافية المملكة العربية  
السعودية ، الطبعة الأولى ، جدة ، دار الشروق ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ص ٢١٥ حاشية (١) .
  - (٥) خلف دبلان الوديناني : الاحساء في القرن الثاني عشر الهجري ، رسالة  
ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى ، ١٤٠٥ هـ لم تنشر ، ص ٤٩-١٥٠  
، محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الأسود ، ص ١٧١-١٧٢ .



سليمان باشا ، لفتح عدن واليمن ، فعبر به البحر الاحمر واستطاع  
اغلاق وتأمين منافذه أمام التحدي البرتغالي ، ثم احتل عدن واتخذها  
قاعدة بحرية لمواجهة البرتغاليين في المحيط الهندي ، لكن البرتغاليين  
نجحوا في اخذ مضيق هرمز أهم قاعدة في الخليج العربي ومنه هددوا  
الخليج العربي ومآحوله ، ولكن الدولة العثمانية استطاعت مدهم  
عن التقدم الى الامام نحو المقدسات الاسلامية عبر الخليج العربي  
اذ لابد أن تؤمن الدولة ظهرها أثناء حروبها في أوروبا بعد أن لمحت  
التحالف الصفوي (١) البرتغالي لحرب الدولة العثمانية ، ولضمان حماية  
الاماكن المقدسة من التهديد البرتغالي (٢) ، وعلى اثر ذلك سار السلطان  
سليمان الأول سنة ٩٤٠ هـ / ١٥٢٣ م من عاصمته نحو الشرق ، فاستطاع  
الاستيلاء في طريقه على المنطقة الواقعة بين أرض روم وبحيرة وان بهند  
الاستيلاء على اذربيجان ، ثم زحف بقوة كبيرة على أواسط فارس (٣) .

أما الشاه طهماسب فقد تجنب المصادمة في بداية الامر مع الدولة  
العثمانية ، لان معركة جالديران مع والده لازالت عالقة في ذهنه وكانت  
أكبر درسا له ، لهذا انسحب التبريز الواقعة في قلب اذربيجان  
وهي منطقة جبلية بعيدة جدا عن اقرب قاعدة عثمانية وان اى محاولة للحاق  
به هناك تكون ضربا من ضروب المخاطرة او الجنون لهذا اصدر السلطان  
أمره بالتقهقر حتى يحين الوقت المناسب .

قبل ذلك ركز السلطان سليمان في الاستيلاء على العراق . فسقطت  
في يده بغداد وباقي العراق دون مقاومة ثم ضم البصرة في عام ٩٤٥ هـ / ١٥٢٨ م ،

---

(١) فقد سعت الدولة الصفوية في التحالف مع الدول الاوربية وقد اتطلت  
بملك المجر والمانيا ، لاجل عقد حلف دفاعي هجومي ضد الدولة العثمانية

- محمد عبداللطيف البجراوى : فتح العثمانيين عدن ، ص ١١٥ .

(٢) محمد عبداللطيف هردى : الحروب العثمانية الفارسية ، ص ١٢٠ .

(٣) V.J.Parry: History of the Ottoman Empire, to 1730, p.85-86.

وما لبث الحكم العثماني ان امتد الى الاحساء في سنة ٩٦٣هـ/١٥٥٥م وهكــذا استطاع سليمان الاول انقاذ المذهب السني من الخطر الشيعي وحفظ للعراق هويته الاسلامية السنية وتأكدت بذلك زعامة الدولة العثمانية على العالم الاسلامي (١) .

في الوقت الذي أحرزت فيه الحملة نتائج طيبة (٢) في مد نفوذها على العراق والبصرة كما مربنا وانحسار نفوذ الدولة الصفوية من العراق، وصد البرتغاليين من الشرق لحماية الاراضي المقدسة من أعداء الاسلام .

ورغم استيلاء سليمان على كردستان ومعظم اجزاء العراق ، الا انه لم يوقع الهزيمة بالصفويين الذين احتفظوا باذربيجان وبعض اجزاء من شرق العراق وجنوب القوقاز (٣) .

وبعد ذلك عاد السلطان سليمان الاول الى اسطنبول لتنظيم شئون دولته الداخلية والخارجية ولاحتياط للتطورات التي كانت الاوربية على الدولة الاسلامية العثمانية . الا ان السلام مع النمسا لم يفتح حدا للعداوات المحلية على حدود الدانوب والمناطق المجاورة وذلك ان المحاربين على حدود البوسنة وسمندريا ، كانوا من المجاهدين المسلمين يغزون دار الحرب لبعض المخالفات الحدودية على المسلمين هناك من قبل الاعداء المجريين الذين يقطنون الحدود النمساوية المجرية ، كانوا مندفعين للدفاع عن المسيحية فكانوا يتحرشون بالمسلمين ولم تستطع اسطنبول ولا النمسا من ايقاف هذه الحرب للتعصب الديني بين الطرفين (٤) ، وان كنت أرجح بان النمسا قد دفعتهم لفعل هذه الاعمال ، وتزويدهم بكل ما يحتاجون اليه لضعاف شوكة الاسلام في تلك الديار .

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٩١ .

(٢) V.J. Parry: History of the Ottoman Empire to 1730, p. 86.

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٩١ .

(٤) V.J. Parry : Op.cit., p.86.

ويتضح هنا عندما توفي ملك النمسا فرديناند سنة ١٥٦٤م خلف ابنه مكسمليان عرش الحكومة ، فاحتل مدينة توكرى من أعمال بلاد المجر ، فكان السلطان سليمان الاول مريضا وكانت المجر تحت السيادة العثمانية منذ ملكها زابولي فوعد السلطان اسطفن بن زابولي ملكها انذاك باعادة 'ماسلب' منه فقصد قلعة ارلو من اعمال النمسا وهو في الطريق بلغه ان امير اسكودار اغار على فرقة من جيشه ، فوجه السلطان الغزو الى تلك المدينة وقام بحصارها فاحتلها بعد اسبوعين من الحصار ، وبالرغم من ان السلطان سليمان الاول توفي اثناء الحصار الا ان قائد الجيش اخفى خبر وفاته وارسل الى ابنه سليم الثاني في مدينة كوتاهية يخبره بما حدث ويستعمله الحضور لاستلام زمام الامور خوفا من الفتن والقلقل .

وبهذه المعركة كانت نهاية عصر السلطان سليمان الاول ، الذى يعتبر للدولة العثمانية عصر المجد واقصى المد (١) .

ثم استطاع طرد الاسبان وصدّهم عن تعقب العرب بعد سقوط غرناطة من طرابلس الغرب وقد هزم البابا وامبراطور المانيا ودوقيه البندقية سنة ٩٤٥ هـ الموافق ١٥٣٨م في معركة بحرية بعد ان روعهم قبطانه ببروسا في سواحل البحر الابيض (٢) كما نقل الجهاد الاسلامي الى الغرب بدلا من البحر المتوسط واواسطه مما مهد للدولة السيطرة على شمال افريقيا باستثناء مراكش (٣) اما تونس فانها أصبحت قصب السبق بين الاسبان والعثمانيين حتى استقرت أخيرا في يد العثمانيين الذين قضوا على الاسبان والحفصيين معا . وانقذ المغرب العربي من خطر الاسبان وأصبحت تونس ولاية عثمانية كما أصبحت من قبل بلاد الجزائر وطرابلس الغرب . وقد كان النزاع بين الاسبان والعثمانيين لا يتمثل في السواحل الافريقية فقط . بل كان يجرى أيضا حول سيادة البحر الابيض المتوسط وتمكن الاسطول العثماني فرض السيادة على هذا البحر مما جعل الاساطيل النصرانية تتلاقى ملاقاته الا مجتمعة ومتحالفة لاسيما بعد أن أصبح خير الدين بربرسا متوليا

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٥١ .

(٢) محمد عبد اللطيف البحر اوى : من خصائص تاريخ العثمانيين وحضارتهم ،

ع ٤ ، ص ٣ ، ص ١١٢ .

(٣) احمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسر الحاكمة (القاهرة ،

الناشر دار المعارف ١٩٧٢م) ص ٤٤٣-٤٤٤ .

قيادة الأسطول العام " قبودان باشا" (١) ، وقد أصبحت أملاك السلطان سليمان الأول تمتد من بودابست على نهر الطونة الى اسوان بالقرب من شلالات النيل ومن نهر الفرات الى مسافة قريبة من مضيق جبل طارق (٢) .

وقد رفض السلطان سليمان الاعتراف بحق شارل الخامس بلقب امبراطور وانما أقر به ملكا فقط على أسبانيا وكان يشجع علنا أية قوة تقف في سبيل مطالب شارل الخامس في الحصول على السلطنة كما كان يهتمهم بالسيطرة على العالم المسيحي كله (٣) .

صحيح ان انتصارات سليمان قد أعطت للعثمانيين أبعد مايمكن من الحدود الصالحة والفتح العظيم . فالحرب بين العثمانيين والفرس التي يسعى فيها العثمانيون لضم جورجيا وارمينيا الفارسية واذربيجان (٤) لتقليص النفوذ الشيعي في المنطقة الذي أصبح خطرا كبيرا يهدد الدولة العثمانية السنية كما أن حروب الدولة العثمانية مع الفرس قد كبدها نفقات كبيرة وكان من نتائج ذلك توقف حركة الفتح الاسلامي نحو الغرب كما أنه في الوقت نفسه كان من العوامل الأساسية في ضعف الدولة أمام فينا لأن الدولة أدت بهذا العمل الى فتح جبهتين احدهما في أوروبا والاخرى في فارس اضافة الى مقاومة البرتغاليين في البحر الأحمر والمحيط الهندي والخليج العربي لتحركات الأساطيل العثمانية هناك .

---

(١) محمد العروسي المطوي : الحروب الطليبية في المشرق والمغرب ، ص ٢٧١ - ٢٧٤ .

(٢) أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسر الحاكمة ، ص ٤٤٤ .

(٣) V.J. Parry : A History of the Ottoman Empire to 1730, p. 94.

- الخلل في: السلاطين والعلماء والانكشارية ، والتوقف والركود :

من تتبع الأحداث السابقة يشاهد أن العثمانيين شيدوا دولتهم على أسس اسلامية اتعفت بالقوة والتعاون والنظم الراقية ، فتمكنت بتوفيق من الله من قهر أعدائها ، فكان ظهور الدولة على مسرح التاريخ أشبه بمعجزة حيث نمت بسرعة فائقة ، فضمت اليها بلدان واسعة في ثلاث قارات هي آسيا وأوروبا وأفريقيا . (١)

وبما أن الأحكام الأساسية لكل دولة يمكن أن تنقسم الى قسمين رئيسيين هما: احقاق الحق للعباد باجراء العدل في داخل البلاد ، وحماية الحدود من تعرض الأجانب ، فان رفعة شأن كل دولة وبلوغها الى أقصى درجات المنعة والعظمة وحصولها على أرفع مراتب القوة والجلال ، انما يكون على قسـدر سعيها واقدامها في هذين القسمين . وقد كانت الدولة العثمانية في الأصل مهتمة غاية الاهتمام بايفاء هذين القسمين المذكورين .

فكان سلاطين آل عثمان يعتنون بذلك كل الاعتناء ويهتمون بالمصالح المتعلقة بأمور الدين والدولة ويحضرون بأنفسهم في الديوان . وكان أمراء الولايات لا يتم تعيينهم في الولايات الا بعد تعيينهم مدة من الزمن في امانة السناجق حتى يكون الواحد منهم عارفا مدربا على أمور الادارة وكذلك أمراء السناجق لا يتم تعيينهم الا بعد التأكد من ولائهم للدولة ومعرفتهم بأمور الدين . وتنحصر أنظارهم فيما فيه عمران البلاد ورفاهية العباد أيام السلم ، فاذا وقعت حرب ساروا اليها بجنود منظمة وأسلحة تامة (٢) .

فتقدمت الفتوحات في عصر السلطان سليمان الاول (القانوني) ، وبلغت أوج مجدها ، وأخذت بعده في التوقف تارة والتقهر تارة أخرى (٣) ، ولعل السر في ذلك أن الدولة لم تجد فسحة زمنية لدراسة هذه الفرعيات من هذه الأصول وتفهمها (٤) .

---

(١) محمد عبد اللطيف البحراوى : فتح العثمانيين عدن ، ص ٨٤ .

(٢) أحمد جودت باشا : تاريخ حودت ، ج ١ ، ص ٩٧ .

(٣) محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٥٢ .

(٤) محمد عبد اللطيف البحراوى : المصدر السابق ، ص ٨٤ .

قيل في المثل "الورد يلزمه الشوك"، والدفينة تأوى إليها الأفاعي " فقد كانت الثروة التي جمعت بسبب الفتوحات العديدة والغنائم الكثيرة داعية إلى الشهوات والوقوع في الأخطاء التي أفسدت نظام الدولة وتساهل السلاطين بالحفاظ عليها (١)، وكل أمة سادت فيها المفارقة في المصروف والتعالي في الزهو والترف، لابد لها من التأخر (٢).

لهذا مرت الدولة العثمانية بعصرين متميزين أولهما مانسميه بعصر عظمة الدولة أو بمعنى آخر عصر السلاطين العشرة الأوائل والأقوياء أو عصر قوة الدولة، وعصر استقرار النظام فيها، وقد تشكل هذا وترتب على صلاح العناصر الثلاثة التي ارتكزت عليها الدولة في عصرها الأول وهي السلطان والشيخ والجندي. فالدولة قوية مالم يتسرب الخلل إلى السلاطين أو إلى هيئة كبار العلماء أو إلى القوة المحاربة في الدولة وهم الانكشارية (٣).

وكان العثمانيون قد استلهموا أن الفتح يستلزم عناصر أربعة أيضاً هي الرجال والمال والممتلكات ثم القوانين فنقص أحداها يسبب ضياعها جميعاً ويؤدي إلى انهيار الدولة بأسرها (٤).

فقد كان الأمراء من أبناء السلاطين في العصر الأول يفقدون الجيوش فيمحبون الانكشارية مع أبناءهم في ميدان القتال أو لإدارة إحدى الولايات فإذا وصلوا إلى عرش السلطنة كان باستطاعتهم إدارة الحكومة إدارة حازمة فيقومون بتطبيق ما تعلموه من علوم على حياتهم العملية (٥)، وكان الانكشاريون

(١) أحمد جودت باشا: تاريخ جودت، ج ١، ص ٤٧.

(٢) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية، ص ٢٥٢.

(٣) خلف ديلان الودينياني: الإحصاء في القرن الثاني عشر الهجري، (رسالة

ماجستير، نوقشت بجامعة أم القرى عام ١٤٠٥ هـ، لم تطبع)، ص ٦١.

(٤) محمد عبد اللطيف البحراوى: فتح العثمانيين عدن، ص ٨٤.

(٥) محمد عبد اللطيف البحراوى: حركة الإصلاح العثماني، ص ٤٠.

لا يخرجون الى الحرب الا اذا كان السلطان أو أحد أبنائه معهم ، ولذا كانت أهم الحروب والغزوات تحت إمرة السلطان وقيادته أو أحد أبنائه ، لأنه إن لم يخرج بنفسه أو ابنه لما حاربت الانكشارية التي هي الدعامة الأولى في الحروب (١) .

ولذلك نلاحظ أن الخلل تسرب الى الدولة من خلال عناصرها الأساسية وذلك عندما أتى بعد السلاطين الأقوياء سلاطين ضعفاء كانت أوضح صفاتهم الخجل وعدم الكفاءة ، فأسندوا السلطة الى الصدور العظام والوزراء والحريم (٢) .

وقد ظهر ذلك جليا عندما غير السلطان سليمان الأول هذه السنة الحميدة وأجاز للانكشارية القتال تحت إمرة قائدهم الأكبر ولو لم يكن السلطان موجودا فكان هذا التغيير سببا في تقاعس أغلب من جاء خلفه من السلاطين عن الخروج من قصورهم وتفضيلهم البقاء بين غلمانهم وجواريهم على مختلف الأجناس على الخروج للقتال وتكبد المشاق (٣) .

إضافة الى ذلك عندما بلغت قوة الدولة درجة الكمال في عصر السلطان سليمان ، احتجب السلاطين عن الناس وتركوا الحضور الى الديوان مع أنه قبل ذلك كان السلطان يحضر الى الديوان ويلقى السمع الى الأمور من وراء حجاب وكان منصب المدايرة لا يوجه الا لمن ثبت لياقته وأهليته بين الوزراء ، واستعمل في السنجق ثم إمارة الولايات ثم إمارة أمراء الأناضول ثم إمارة أمراء الروم ايلى ، وجرب أحوال العالم ، لا يأخذ هدية ولا رشوة على توجيه المناصب بل كان الاستحقاق سائدا والأهلية معمولا بها (٤) .

لكن السلطان سليمان الأول خالف أسلافه حينما عين لمقام المدايرة رأسا ابراهيم أغا بعد أن أصبح الوكلاء بمثابة آلات في يده والا لم يكن نصب

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٥٢ .

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الإصلاح العثماني ، ص ٤٠ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٢٥٢ .

(٤) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، ج ٢ ، ص ١٠٣ .

ابراهيم آغا الذى تربى تحت أنظاره مضرا بالدولة في زمانه ، الا أن هذا العمل كان مثالا سيئا احتذى من بعده ، حيث أخذ خلفاؤه سلاطين عصـر الدولة الثاني هذا العمل سنة وساروا عليه ، حيث أخذوا يعينون في مناصب الوزراء من يرغبون فيه بالرغم من أن بعضهم كان من الشباب غير المجرب لأمور الحياة ، ولعدم معرفتهم بإدارة هذه المناصب السلطانية فانهم كانوا يصدرن أحكامهم من عدم خبرة أو معرفة بل حسبما يرونه ومن غير أن يتنازلوا باستشارة أهل العلم والمعرفة ، غير مراعين في ذلك لأحكام القانونية . فاختلت أنظمة الدولة وتبدلت قوتها ضعفا .

ومعروف أن اسناد الأمور لمثل هؤلاء مخالف للقاعدة الكلية المبنية على منطوق الآية الكريمة ﴿ ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ (١) .

ومن جملة ما يلاحظ أيضا على سلاطين هذه الفترة أن السلطان سليم الثاني الذى خلف والده السلطان سليم الأول ماكاد يجلس على كرسي السلطنة حتى ولى أغوات الانكشارية قائدا للبحرية ، وحيث أن هذا الرجل يجهل أمر البحر فقد كان سببا في حرق الأسطول الهمايوني في مرسى (بانتو) (٢) .

وبما أن الموضوع هو خلل السلاطين ، اذ لا يهتمنا استعراض أعمالهم السياسية ، بقدر ما يهتمنا استعراض اجمال أسباب ذلك الخلل ، فإنه إضافة الى ما سبق ، فقد كانت الفترة الواقعة بين وفاة السلطان سليم الأول (القانوني) سنة ٩٧٤هـ / ١٥٦٦م حتى تولية السلطان سليم الثالث سنة ١٢٠٤هـ / ١٧٨٧م وهي ما يقارب مائتين وثلاثون سنة حكم الدولة خلالها سبعة عشر سلطانا كان منهم ثلاثة سلاطين (٣) على درجة عالية من الكفاءة أما السلاطين الآخرون فقد كانوا يتصفون بالضعف . كما أنهم كانوا لا يمارسون الحكم الا بواسطة

(١) سورة النساء آية (٥٨) .

(٢) احمد جودت باشا : تاريخ جودت ، ج ٣ ، ص ١٠٣ .

(٣) (محمد الثالث (١٥٩١-١٦٠٣) ، ومحمد الرابع (١٦٢٣-١٦٤٠) مصطفى الثالث

(١٧٥٦-١٧٧٣) .

عبد العزيز توار : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ١٥٣ .



وزراء كانوا مثالا للفساد والانحدار. وكان بعضهم قد وصل الى الحكم وهم صبية مغار مثل كل من السلطان أحمد الأول ، والسلطان عثمان الثاني ، فانهما وصلا الى السلطنة في سن الرابعة عشرة فكان مصير السلطان عثمان الثاني القتل ، كما تولى محمد الرابع بعد وفاة والده في السنة السادسة من عمره (١) .

ومن السلاطين من كان معتوها ، مثل مصطفى الأول ، وكم سلطان عـزل عن منصبه بمهانة وتحقير ، كما كان عدد من السلاطين قبل أن يتولوا العرش مجرد سجناء في ظلمات سوداء انعكست هذه المظلمة على سلوكهم خلال حكمهم للدولة ، فمنهم من كان شديد الاسراف في المظاهر والقتل ، ومنهم من شغل بالقصر والنساء والشراب وسطى على مالية الدولة وأخذ الرشوة ، وبإساءة المناصب (٢) ، والحق قد ظهر في نهاية عصر السلطان سليمان الأول (القانوني) لقاء الأمراء بجانب الحريم بدلا من قيامهم بإدارة حكم الأقاليم وقبادة الجيوش وتمرينهم على الحروب (٣) ، وبالرغم من أن السلطان سليم الثاني كان يتدخل من وقت لآخر في إدارة شؤون الدولة ومحاولة ضبط الأمور ، إلا أنه قضى جل سنوات عمره بجانب نساء القصر ، تاركا حكم البلاد في يد المصدر الأعظم محمد صوقوللي (٤) . وكانت النتيجة هي "بدأت سلطنة الحريم" كما أوضحنا من قبل ، التي برزت بشكل واضح في هذا العصر ، عصر الخلل في الدولة العثمانية وضعف السلاطين وذلك بعد أن تخلى السلطان عن تدريب أبنائه على الحروب وإدارة الولايات ، فركن الأمراء الى حياة الترف والنعيم وقضوا حياتهم بين حريم القصر دون أن يكتسبوا علما أو خبرة تفيدهم عند توليهم سلطنة البلاد (٥) .

- 
- (١) عبدالعزيز نوار : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ١٥٣
  - ، خلف دبلان الوديناني: الاحساء في القرن الثاني عشر الهجري ، ص ٦٢ .
  - (٢) عبدالعزيز نوار : المرجع السابق ، ص ١٥٣-١٥٤ .
  - (٣) محمد عبد اللطيف البحراوي : فتح العثمانيين عدن ، ص ٩٤-٩٥ .
  - (٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٤٨ .
  - (٥) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

وهذا يعني أن الأمراء من أبناء السلاطين قد ركنوا الى الدعشة  
(١)  
حتى اذا وصلوا الى عرش السلطنة فانهم ليسوا على مستوى عرش الخلافة  
وكان لنساء البلاط تأثير قوي على السلاطين وخاصة السلطانة الوالدة (٢)، هؤلاء  
الحريم كانوا في عهد السلاطين الأول في شبه عزلة ، عن بقية الخاصة  
السلطانية ، وكن قليلات التأثير على تسيير أمور الدولة (٣) .

ولكن منذ عهد السلطان سليمان الاول بدأ تأثير الحريم على السلطان  
وسياسته اذ وقع تحت تأثير زوجته حزم سلطان  
المعروفة باسم ( روكسلانا ) التي تدخلت للتأمر بقتل  
ابنه الاكبر الأمير مصطفى من زوجة أخرى وعلى أثر هذا التآمر قتل الأمير  
لتضمن لابنها سليم الثاني العرش بعد وفاة والده (٤) .

ولكن عندما بدأ الضعف يدب في جسم الدولة أصبح تدخلهن واضحا ، وكان  
ذلك يعد من أهم الأسباب في فساد نظم الدولة وانحلالها . فالسلطان مراد  
الثالث ( ٩٨٢ - ١٠٠٤ هـ / ١٥٧٤-١٥٩٥ م ) وقع تحت تأثير حاشيته وندمائيه  
وخضع لسيطرة والدته وزوجاته وكبيرة وصيفات القصر ، فأخذت هؤلاء في  
التدخل في شؤون الدولة العامة لتحقيق مصالحهن الخاصة ، وعملن على اجبار  
رجال الدولة بما فيهم الصدر الأعظم على تنفيذ رغباتهن ، وتبديس  
المؤامرات اذا رفضوا أحيانا تنفيذ رغباتهن (٥) .

---

(١) محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٧٠ .

، محمد عبداللطيف البعراوى : حركة الإصلاح العثماني ، ص ٨٠ .

(٢) عبدالعزيز نوار : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ١٥٤ .

(٣) أميرة المداح : العثمانيون والامام القاسم بن محمد بن علي في اليمن ،

( الطبعة الاولى ، جدة ، مطبوعات تهامة ، ١٤٠٢ هـ ، ) ص ١٥٠ .

(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٠٢ .

(٥) أميرة المداح : المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

وهذا على سبيل المثال لا للحصر ، بل أكثر النماذج أو الأمثلة الواردة أصبحت أحداث متكررة تحدث طوال فترة ضعف الدولة العثمانية سواءً ما سبق منها أو ما سيلحق على شاكلة ذلك ، وخاصة حينما تولى المناصب العليا وزراء جهلة لا يعرفون شيئاً عن أحوال سياسة الدولة وليست لهم تجربة سابقة بأمور الإدارة في الدولة ولا يهتمون بشيء من الإصلاح ، وكان بعضهم ينتمون أملاً إلى عناصر أجنبية لا يهتمهم مصلحة الدولة .

كما كانت قصور السلاطين والوزراء وكبار رجال الدولة مملوءة بالأجنبيات من الجوارى والسبايا الحسان ، وكان بعضهن عيوناً لدولهن لكشف مواقع الضعف في الدولة العثمانية لدولهن (١) ، وأهمل بعض السلاطين عقد الديوان الذي اقتصر على المراسيم والأعمال المظهرية ، وفسد القضاء وأصبحت الأمور تسير فيه بالرشوة لا كما كان بالعدل في عصر سلاطين الدولة العثمانية الأولى (٢) .

ونتيجة لذلك تسرب الخلل والفساد إلى طبقة العلماء الذين كانوا يأتون في المرتبة الثانية في الدولة بعد السلطان ، فقد كانت السلطة القضائية في يدهم ، فالكتاب والسنة هما مصدر التشريع ، فإذا قال العلماء في قضية هذا أمر الله قال الكل السمع والطاعة ، فلا يخالفه أحد (٣) .

لهذا كان من حق كل عثماني حق الانتظام في هيئة العلماء والقيام بتدريس الطلاب في مدارس ملحقة بمساجد المدن الهامة معروفة باسم ( صوفت ) حيث يدرس فيها الطلاب اللغة العربية والفلسفة والفلك وعلموم الدين ، فيعقد لهم امتحان يختارون فيه المتقدمون للاستمرار في الدراسة لاعدادهم لمناصب القضاء ، أما البقية الباقية فيلحقون أئمة للمساجد .

- 
- (١) محمد كمال جمعه : انتشار دعوة الشيخ محمد عبد الهاب ( الرياض ، مطبوعات دار الملك عبد العزيز ، ١٣٩٧/١٩٧٧ ) ص ١٢ .  
(٢) عبد العزيز نوار : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ١٥٤ .  
(٣) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، ج ١ ، ص ١٢٤ .

فيخضع المختارون لبرنامج دراسي مطول ، ويخضعون كذلك لامتحانات متتالية حتى يصل كل منهم على درجة ملازم ، وهي أول رتبة في سلك القضاة ، ومن هؤلاء يختار القضاة ونوابهم ، أما من يريد رتبة مدرس فعلياً أن يواصل دراسته التي تصل مدتها الى سبع سنوات فوق دراسته العادية ، ومن شروطها أن يجتاز المدارس امتحانا معبأ بإشراف مفتي الدولة نفسه ، ومن هؤلاء يتم اختيار من يشغلون مراكز القضاة العليا بكل اتقان بعلمهم بعلوم الشريعة الإسلامية (١) .

وحين اختل نظام العلماء اختلت معه الطرق العلمية للتدريس بالتالي ، اختل النظام الأساسي للاختبار الملازمين والقضاة فدخل في هذه المهنة أشخاص غير مؤهلين لوظائف الملازمة والقضاء (٢) ، بعد أن كان العلماء الحقيقيين يصلون الى مراكزهم بعد اجتياز عدة مراحل من التعليم والامتحانات فتسرب الخلل الى هذه الهيئة لان هذا العصر عصر الخلل ، فكان أولاد العلماء يعفون من الدراسة المنتظمة ، ويمنحون الاجازات العلمية دون أن يعقد لهم الامتحان وهم في بيوت آبائهم ، اضافة الى بعض مناصب السلك التي تمنح لهم كنعام ، فقد وصل كثير من ذلك المصنف الى قمة هيئة العلماء دون مشقة أو عناء (٣) .

ومن مظاهر ذلك الاختلال في طبقة العلماء أنه أصبح القضاة يبيعون أوراق الملازمة فيصبحون ملازمين بواسطة الدراهم والدنانير ، وفي مدة قصيرة يصل هؤلاء الى وظائف القضاة والمدرسين ، ونتيجة لذلك امتلأت المدارس بالجهلة (٤) .

---

(١) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، ج ١ ، ص ١٢٨-١٢٩ .

، محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الإصلاح العثماني ، ص ٤١ .

(٢) أحمد جودت باشا : المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

(٣) محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الإصلاح العثماني ، ص ٨٠ .

، أحمد جودت باشا : المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

(٤) أحمد جودت باشا : المصدر السابق .

ولعل هذا هو السر في وجود مجموعة ضمن هيئة العلماء في ذلك العصر تتصف بالجهل في الاسلام وأحكامه<sup>(١)</sup> وذلك بعد أن أهمل امر التقدم والامتياز في العلم والاستحقاق والأهلية في العمل واعتبر أمر الاقدم فالأقدم قاعدة استثنائية تعرف بمصطلح المدرسين بالظفرة ، وهي أن المنتسبين إلى ذوى الشرف والمتذرعين بواسطة ذوى الشفاعة من المقربين كانوا يتقدمون على كثير من القدامى ، وهذه القاعدة أيضا أخذ بها في تعيين رتبة الصدور والموالي (٢) .

وهنا نورد للقارىء تقريراً لبيان ما آلت إليه هذه الهيئة من فساد . كتب هذا التقرير عبدالله أفندى ، الحائز على رتبة قاضي روم إلى قس نظام الدولة حيث قال مانصه : " ان كثيرا من الذين أدخلوا قس سلك التدريس نالوا المولوية ثم ترقوا إلى رتبة قاضي عسكر الرفيعة من دون استحقاق ولا قابلية ولا أهلية ولا فائدة تحصل منهم للدولة ، ومع ذلك فانهم يرون ذلك قليلا عما يستحقونه ، ثم انهم يتفاخرون ببلوغهم إلى رتبة قاضي عسكر فيظهرون الجبروتية ويتكبرون ويصرفون اوقاتهم في ذكر مساوىء بعضهم والقييل والقلالات في حق بعضهم الآخر ، فلاشغل لهم الا هذا ، حيث أن هؤلاء بلغوا إلى هذه الرتب السنية فأصبحت المحافظة على مقامها واعتبارها من واجبات السلطنة السنية ، ولاشك أن ادارة هؤلاء حمل ثقل عسسى الدولة بلا فائدة (٣) . ومن هذا النص يتضح لنا مدى ذلك الجهل المطبق المنتشر بين هؤلاء الفئة التي فرضت على المجتمع العثماني وما ينشأ عنها من قرارات وأحكام وفتاوى .

هذه الأمور أدت إلى فساد وخلل كلى للبلاد والملة (٤)

- 
- (١) محمد عبد اللطيف السحراوى : حركة الإصلاح العثماني ، ص ٨٠ .
  - (٢) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، ج ١ ، ص ١٢٥ .
  - (٣) أحمد جودت باشا : المصدر السابق ، ص ١٢٦-١٢٧ .
  - (٤) أحمد جودت باشا : المصدر السابق ، ص ١٢٧ .

أما الانكشارية ، فكما تسرب الخل الى السلاطين ثم العلماء ، فقد لحق هذا الخل أيضا بالانكشارية ، الذي أقاموا مجد الدولة ، فكانوا يقيم هؤلاء في الشكنات منذ عهد السلطان أورخان ابن عثمان ، يواظبون على تعلم الفنون الحربية ومتى سار السلطان ساروا معه ، فتسيب كل فرقة بلوازمها في مزيد من الرغبة والطاعة والانقياد لضباطهم فكانوا أثناء اقامتهم في الشكن لا تجول أفكارهم الا في كيفية الهجوم وانتظارهم نداء الجهاد في سبيل الله اما النصر واما الشهادة ، لانهم تربوا منذ الصغر على بذل النفوس ومتعطين الى الجهاد غير مباليين بالوقوع في المهالك والمخاطر ، بل كانوا يتلقون العدو بصدورهم وقوة ثباتهم ، فكان الظفر والغلبة متلازمين لهم . فاذا عجزوا عن الحرب ، تعطف عليهم الدولة وتمنحهم معاش المتقاعدين وحينئذ يتزوج هؤلاء المتقاعدون (١) .

ويعني ذلك أن هذا العجز اما لكبر سن الانكشاري أو أصابته اصابة بالغة في الحروب وبالتالي لا يكون لائقا للخدمة العسكرية ، الا أنهم كانوا يغذون الانكشارية بأبنائهم أيضا ، فكانت الممالك في ذلك الوقت محفوظة ومحروسة من الظلم والاعتداء والثغور الاسلامية وحدودها منيعة لا يتجاوزها الأعداء ، فكان الشعب العثماني في ذلك راتعا في بحبوحة الراحة والأمن في الحرب والسلم ، فأخذت الممالك في العمران يوما بعد يوم ، فاتسع نطاق الدولة وزادت قواها ، وخاصة في عصر السلطان سليمان الأول (القانوني) .

وكما أخذ الكمال يتدرج في أيام السلطان سليمان المشار اليه ، كذلك أخذ الانحطاط يتكون في الوقت نفسه ، غير أنه لم يشعر بهذا الانحطاط ، لأن الدولة كانت آنذاك في أزهى قوتها ، فأخذت الدولة في تطبيق القوانين على ما استحسنته عقول رجالهم ، وبهذه الأسباب ظهر الاختلال في نظام القوانين شيئا فشيئا ، وبعد فترة ظهرت آثاره السيئة (٢) .

(١) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، ج ١ ، ص ٩٧ .

(٢) أحمد جودت باشا : المصدر السابق ، ص ١٠٢ .

هذه القوانين التي أصدرها سليمان القانوني ، وطبقها وهو اجازة السلطان للانكشارية القتال تحت أمره قائدهم الأكبر ، ولو لم يكن السلطان موجودا . ولقد أعطى هذا النظام تقاعس أغلب من خلف السلطان عن الخروج من قصورهم ، وتفضيل البقاء مع الغلمان والجواري (١) .

ومعنى ذلك أن الانكشارية هي أساس قوة الدولة كما ينطق به تاريخ الدولة نفسه ، وسبب عظمتها ، ثم صار سبب توقفها ونكستها وضعفها ، خاصة حين قبع السلاطين في السراي كما أشرنا الى ذلك سابقا ، مما أدى الى ضعف الروح العسكرية والقتالية والنظام في الجيش الانكشاري الذي كان رمز قوة الدولة . (٢)

لذلك كان هؤلاء الانكشاريون أخطر العناصر التي تسرب اليها الخلل حينما قاموا بحركات عصيانية وتوالت هزائمهم في كافة ميادين الدولة ، وأصبحوا مصدر اضطراب وفوضى في العاصمة (٣) .

والحقيقة أن نظام الانكشارية تعرضت نتيجة لذلك للتصدع منذ عهد السلطان مراد الثالث حين سمح في سنة ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م بدخول عدد كبير من المجندين غير المدربين في صفوفهم ، بالرغم من معارضة اغا الانكشارية ويعتقد أن مراد كان راغبا في افساد تنظيم الانكشارية ، بهد أن لاحظ مدى خطرهم على الدولة لقوة نفوذهم (٤) .

أما الرواية الثانية هي أنه عندما احتفل بختان ابنة محمد ، تزاحمت الاقدام لحضور هذا الختان حتى مات منهم خلق كثيرون دهسا تحت الأرجل بسبب كثرة الحضور فأسهم بعض الأجلاف في حفظ النظام ، فآلح عليه أقرباؤه ، وندماؤه بادخال هؤلاء الأجلاف ضمن صفوف الانكشارية كنوعا من رد الجميل

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٥٢ .

(٢) محمد عبد اللطيف البعراوى : حركة الإصلاح العثماني ، ص ٨٢ .

(٣) علاء موسى ، كاظم نورس : مسئولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية ، (المجلة التاريخية المغربية ، السنة التاسعة ، العدد ٢٥-٢٦) ١٩٨٢ ص ١٠٤ .

(٤) خلف دبلان الوديناني : الاحساء في القرن الثاني عشر الهجري ، ص ٨٣ .





وزاد هذا العجز أيضا فوضى واضطرابات الانكشارية ، ففي عصر السلطان مصطفى الثاني ( ١١٠٧ - ١١١٥ هـ / ١٦٩٥-١٧٠٣م ) تعددت ثوراتهم من أجل مرتباتهم (١) .

عندها أصبح نظام الانكشارية نظاما للارتزاق ، حتى صار لكل ضابط أو جندي تذكرة يحصل بمقتضاها على راتب (علوفه ) نقدية أو عينية ، ولما ضعفت الدولة وقصرت في دفع رواتبهم تولى هؤلاء تحصيل حقوقهم بالقوة ، أو بيع تذاكرهم لمن يدفع قيمتها ، والشارى يصبح صاحب التذكرة وبالتالي يصبح انكشاريا ، حتى وجد في قوائم أسماء الانكشارية آلاف من أصحاب الحسرة والسيدات بسبب ذلك (٢) .

وهكذا بذرت بذور الفساد ، ودخل الانكشارية عناصر لا يعرف أصلهم ولا منشأهم فكانوا بذلك علة خراب فترايدت أسماء الانكشارية يوما بعد يوم ولكن الاشخاص الذين يعول عليهم في الحرب تناقصوا وحل محلهم هؤلاء المعاليك (٣) فكان هؤلاء الرجال حين يطلبون التسجيل رسميا ، كان الاجراء مغريا ، فقد يحلفون يمين الانضمام ثم بعد ذلك يلبسون شعار كتيبتهم (أورطتهم ) الموشوم على اذرعهم وسيقانهم ، وحينما يتم ذلك فانهم يتمتعون بمركز ممتاز فمثلا كانوا يشبهون الانكشارية الاصليين في اعفائهم من عقاب السلطات المدنية ، وكانوا يستطيعون ان يسخروا نفوذ الفرقة لمصالحهم كما أن الانكشاريين الاصليين قد حصلوا بهذه الاعداد على قوة جديدة او اضافية تعينهم على التمرد أكثر (٤) .

---

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الاصلاح العثماني ، ص ٨٤ .

(٢) عبد العزيز نوار: تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ١٥٦ .

علاء كاظم نورس ، مسئولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية ،

( المجلة التاريخية المغربية ، السنة التاسعة ، العدد ٢٥ ، ٢٦ ، ١٩٨٢ ) ص ١٠٨ .

(٣) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، ج ١ ص ١٠٥ .

(٣) علاء كاظم نورس : مسئولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية ، (المجلة

التاريخية المغربية ، السنة التاسعة ، العدد ٢٥ ، ٢٦ ، ١٩٨٢ ) ص ١٠٨-١٠٩ .

فدب الفساد في الانكشارية في أول القرن الحادي عشر الهجري الموافق للقرن السابع عشر ، بشكل ملفت للنظر ، وأخذ هذا الفساد يتزايد ويستشري وكان علة العلل هو فساد الحكم واضطراب المجتمع ، اختلال الجند ونظامها .

وهنا يمكن القول بأن حركات الانكشارية من ثورات وتمرد وشغب وعصيان منذ ثورتهم على السلطان عثمان الثاني ( ١٠٢٧-١٠٢٢هـ / ١٦١٨-١٦٢٢م ) حتى ثورتهم على السلطان سليم الثالث ( ١٢٠٤-١٢٢٢هـ / ١٧٨٩-١٨٠٧م ) كانت تمثل صورة واحدة ومتكررة ، من حيث الأسباب والنتائج . فقد قاد عثمان الثاني جيشا منهم وعبر بهم نهر بروث ، فهزم البولونيون المجتمعيين على نهر دينستر ، تلك المعركة التي أعادت للمسيحية الخوف والقلق ولكن تمرد الانكشارية وعدم انقيادهم قلب ميزان الانتصار الى نصر غير حاسم فعقد ملحا استفاد به البولونيون ، فاشتد الضيق بعثمان وقرر أن يستخدم جندا غير هؤلاء<sup>(١)</sup> ، فعزم على استبدالهم وأمر بتجنيد جيوش جديدة من ولايات آسيا وتنظيمها وتدريبها على القتال ، لكن جنود الانكشارية أحسوا بذلك التنظيم ، فهاجموا وماجوا وتدمروا وعقدوا الامر على عزل السلطان عثمان الثاني وكان ذلك في سنة ١٠٣١هـ / ١٦٢٢م فتم لهم ذلك ، وعينوا مكانه السلطان مصطفى الأول<sup>(٢)</sup> ، ولكنهم لم يكتفوا بعزله بل اقتحموا قصره ومادوه قهرا الى ثكناتهم ثم نقلوه من ثكناتهم الى القلعة المعروفة بذات السبع قلل ( يدى قلعة ) ، حيث كان بانتظاره داود باشا وأعوانه ،

---

(١) محمد عبد اللطيف البعراوى : حركة الإصلاح العثماني ، ص ٨٣ .

محمد فريد بـ : تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٧٨ .

عبد العزيز نوار : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ١٥٥-١٥٦ .

آرنولد تونبي : تاريخ البشرية ، ج ٢ ، ص ١٣٥ .

(٢) الذى عين خلفا للسلطان أحمد الأول ، ولكنه لم يلبث في الحكم سوى ثلاثة أشهر تقريبا ، ثم عزله أرباب الحاحات والغايات وفي مقدمتهم المفتي وقيز أغاسي ، وساعدهم في ذلك الانكشارية لتوزيع الهبات عليهم لتعودهم عند تولية كل سلطان جديد ، فعزل سنة ١٠٢٧ هـ الموافق

١٦١٨م ، وعينوا مكانه السلطان عثمان الثاني .

— محمد فريد بـ : المصدر السابق ، ص ٢٧٨ .

فأعدموا السلطان غير مباليين بهذا الجرم العظيم (١) . وكان هذا أول سلطان عثماني يقتل على أيدي رعاياه ، وكانت الخمس عشرة سنة التالية عصرا مخيفا ، وذلك لأن الانكشارية والسباهية (الفرسان) قاموا بالتمرد والعصيان وعاشوا في البلاد طولا وعرضا (٢) ، وبعد هذه الاحداث الدموية أصبح للانكشارية شأن سياسي أخذوا من خلاله في اغتصاب سلطات السلطان كما أصبح أمر تصريف شئون الدولة تحت قبضتهم ، فأرهبوا الحكام وأخذوا ينصبون الوزراء ويعزلونهم على حسب أهوائهم ، فعزلوا داود باشا قاتل السلطان بعد بضعة أيام من منصبه وصاروا يمنحون المناصب لمن يجزّل العطايا فكانت الوظائف تباع علنا (٣) ، فأنكرت المدن كل طاعة للدولة ، وصارت العاصمة ميدانا مخيفا للمذابح البشرية (٤) . ومنذ ذلك الوقت سرى انحلال الانكشارية في الولايات وفشل الباشوات في مواجهة أعمال العدوان التي كانوا يقومون بها (٥) .

فتطورت هذه الأحداث واضطربت الولايات بسبب تمرد الانكشارية وأعوانهم فأشهر والي طرابلس الشام استقلاله وطرده الانكشارية من ولايته فانتهمج أثره والي ارضروم المدعو أباطة باشا مدعيا أنه يريد الانتقام للمرحوم السلطان عثمان الثاني شهيد الانكشارية ، فسار بمن تبعه الى أن وصل أنقره فاستولى عليها ، وصادر كلما آل الى الانكشارية من التزامات واقطاعات ملكا للسلطان ، كما أنه قام بالقبض على كل من وقع عليه بصره من الانكشارية .

- 
- (١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٧٨ .
  - (٢) محمد عبد اللطيف البعراوى : حركة الاصلاح العثماني ، ص ٨٣ .
  - (٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٧٨-٢٧٩ .
  - علاء كاظم نورس : مدى مسئولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية (المجلة التاريخية المغربية ، السنة التاسعة ، العدد ٢٥-٢٦ ، ١٩٨٢م )
  - ص ١٠٤ .
  - (٤) محمد عبد اللطيف البعراوى : المصدر السابق ، ص ٨٣ .
  - (٥) علاء موسى كاظم نورس : المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

فاستمرت هذه الاضطرابات والفتن الداخلية مدة ثمانية عشر شهرا متوالية  
شعر بعدها المفكرون بما ورثته هذه الفوضى من انحلال الدولة وخرابها  
والتي شبع من جرائها بالمال المتمردون عن طريق النهب والسلب طوال هذه  
المدة حتى ارتبك النظام وصار عدم النظام هو الصفة السائدة في البلاد، عندها  
أسند أمر الدولة الى على باشا صدرا أعظم، فأشير عليه بعزل مصطفى  
الأول مرة ثانية، لضعف عزمته ووهن قواه العقلية، فعزلوه وعينوا مكانه  
السلطان مراد الرابع سنة ١٠٣٢هـ / ١٦٢٣م .

وحيثما تسلم مراد الرابع سلطنة البلاد كانت الدولة تواجه أخطارا  
وكوارث اذ كان يصل من كل أجزاء الدولة رسائل وتقارير جامعة أنبياء  
غير سارة، فهؤلاء الفرس يربطون على الحدود، أما الناصر أباطة باشا (١)  
صاحب الأمر والنهي في آسيا الصغرى، فقد استولى عليها، وهناك بعض  
القبائل الخارجة عن طاعة الدولة علنا، كما أن حكام مصر والولايات الأخرى  
آنذاك أصبح ولاؤهم يتأرجح، وليس هذا فقط، بل ان الأساطيل القوقازية  
المغيرة لم تكتف بما كانت تسلبه باستمرار على طول البحر الأسود فأخذت  
تنتقل الى البوسفور وراحت تنهب الأماكن القريبة جدا من العاصمة .

أما في اسطنبول نفسها فان الخزينة كانت خاوية، ودار الصناعة معطلة  
والنقود قليلة القيمة لانخفاض قيمة الذهب والفضة فيها لتلافي النقـص  
الحاصل أثناء سكها، كما أن مخازن الذخيرة كانت تفتقر الى الذخائر  
والمعدات العسكرية، وسكانها في حاجة للغذاء، أما الجند فانه بلغ  
بهم الفجور أقصى مراحل (٢)، فكان السلاطين يخشون الدخول في ذكر مسألة  
الاصلاح لهذه المسألة الخطيرة، "خوفا من الانكشارية حتى قال يوما الصدر  
الاعظم للسلطان مصطفى الثالث أفندم أن هذا الجيش لا ينفع العمر وضروري من

(١) محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٧٩ .

(٢) علاء موسى كاظم نورس : مدى مسئولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية

( المجلة المغربية السنة التاسعة ، ١٩٨٢ م ، ع ٢٥-٢٦ ، ص ١٠٦ ) .

ايحاد النظام الجديد ، فاندھش السلطان ونظر يمينا وشمالا هل موجود في محضره من يفشي هذا القول للبيكجريين ، ثم قال: ان جيشنا عظيم يريـد بذلك اخفاء هذا الخبر ، وغمز الى الصدر الأعظم بالسكوت ، وبعد هذا المجلس طلب الصدر الأعظم بمفرده وقال له : انك قلت قولاً عظيماً يخشى منه الخطر ، أما أنا ففي حيرة من قبل توليتي السلطة بسنين عديدة في مسألة اختلال الحيش ولكن خوفاً من الخطرات العظيمة أخفي هذا الداء في جوفـي كالقروح " . ثم سأل يوماً أحد رجال الدولة جندياً انكشارياً ماذا تقول في النظام الجديد؟ فكان جوابه اننا ماكفرنا ولن نكفر ، يريد القـول أن اتخاذ النظام الجديد ضرب من ضروب الكفر (١) .

والحق لا نريد أن نسهب في ذكر ضروب الفساد الذي حل بالانكشارية ، الذين تحولوا من أداة فعالة لبناء الدولة الى معول هدم وهزيمة وشخريب وفساد استمرت تمرداتهم خلال القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي ، وقد أوردنا بعض النماذج منها ، ولكن أخطرها تلك التي حدثت في عهد السلطان أحمد الثالث ، إذ تمكن الانكشارية من فرض سيطرتهم التامة على العاصمة سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣٠م (٢) ، وظلوا لمدة ثلاثة أيـام متتالية يطالبون برأس الصدر الأعظم ، وعدد من كبار رجال الدولة على مختلف القطاعات ، وذلك لأسباب الانتصارات التي أحرزها الصفويون ضد القـوات العثمانية في أراضيهم مما سبب اضطراباً وهياجاً في العاصمة العثمانية (٣) .

وقد اضطر السلطان أحمد أن يستجيب لمطلبهم خوفاً من أن يطيح تمردهم بعرشه ، ولكن الشيء الذي خاف منه وقع ، حيث أعدم الصدر الأعظم واثنـين من أعيان الدولة ، وبالرغم من انصياع السلطان أحمد لهم وتسليمه بماطلبوه

---

(١) محمد عبد اللطيف البحر أوى : حركة الإصلاح العثماني ، ص ٨٤ .

(٢) كامل باشا : تاريخ سياسي لدولة عليية عثمانية ، ١٩٨٢م ، ج ٢ ، ص ١٤١-١٤٢ .  
علاء موسى كاظم : مدى مسئولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية (المجلة التاريخية المغربية ، السنة التاسعة ، ١٩٨٢م ، ع ٢٥ - ٢٦ ) ، ص ١٠٦ .

(٣) محمد فريد بـ : تاريخ الدولة العلية ، ص ٣١٨-٣١٩ .

علاء موسى كاظم : المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

لم يمنعهم من التمرد والعميان عليه ، فأعلنوا اسقاطه عن العرش (١) .

وهكذا اتوا الى تمرد الانكشارية حتى أصبحوا ثقلا كبيرا على كاهل الدولة وصار كل سلطان يحاول التخلص منهم أو استبدالهم (٢) وعندئذ يثرون عليه فيعزلونه أو يقتلونه ، حتى أصبح هذا ديدنهم أو شعارهم ضد كل إصلاح ، رؤوس تريد المنفعة والسلطة ، وأفكارها محدودة لاتهمها مصلحة الدولة بل كانت الدولة ضحيتها (٣) . حتى عزم السلطان سليم الثالث على استبدالهم لاستبدالهم في أمور الدولة ، حيث يعزلون ويولون كما يريدون (٤) . ونتيجة لذلك لحق بالدولة العثمانية في المجال الخارجي طوال القرن الثاني عشر الهجري الموافق القرن الثامن عشر الميلادي هزات خطيرة من الدول الأوروبية (٥) .

فكان التوقف والركود ، بعد أن بلغت الدولة العثمانية شأوا رفيعا منذ عهد السلطان سليمان الأول من النصر والانتعاش وبسطت رقعتها في ثلاث قارات ، سببا أدى الى انكماش الدولة وتدهورها وكثرت هزائمهما التي أصابت الجيوش العثمانية ، وعقدت معاهدات تتلوها الأخرى لم تجن منها الدولة غير الذل والعار ، وفقدت من ممتلكاتها ، لضعف بعض السلاطين وجهلة الحاكمين وحمق السياسيين .

ولاننس كما سبق أن هناك رجال كانوا يملحون ويدعمون ، وقد أصابت العساكر بعض الظفر ، ولو كان ذلك قليلا في عصر الدولة الثاني (٦) . بعد الانتصارات التي أحرزها الأتراك العثمانيون عندما حملوا راية الاسلام ،

---

(١) علاء موسى كاظم : مدى مسئولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية

(المجلة التاريخية المغربية، السنة التاسعة، ١٩٨٢، ع ٢٥-٢٦) ص ١٠٦

، كامل باشا : تاريخ سياسي دولة عليه عثمانية ، ج ٢ ، ص ١٤١-١٤٢ .

(٢) هيئة التحرير : تاريخ الجند العثماني (مجلة الهلال ، ج ٨ ، ص ١٧ ، ١٩١٨)

ص ٤٦٧ .

(٣) محمد عبد اللطيف البحر أوى : حركة الاملاح العثماني ، ص ٨٤ .

(٤) هيئة التحرير : تاريخ الجند العثماني ، المرجع السابق ، ص ٤٦٨ .

(٥) علاء موسى كاظم : المرجع السابق ، ص ١٠٦-١٠٧ .

(٦) حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، ج ٢ ، ص ١١٤-١١٥ .

وساروا بفتوحاتهم صوب الغرب ، ولما داخلهم الغرور جنحوا الى الكسل ، وتهاونوا في الأخذ بمبادئ الاسلام الداعية للعمل والجهاد ، ومسايرة الزمن وتطوراته ، فانشغلوا بخلافاتهم وشهواتهم ، وأصبحوا في غفلة من الحوادث العالمية ، وعما يخبئه القدر عندما قنع السلاطين العثمانيون بما حصلوا عليه من نصر حربي ، وهذه للأسف من الأسباب التي ساعدت على الركود (١) ، إضافة لما سبق .

ومنذ ذلك التاريخ بدأت عوامل الضعف تتسرب الى كيان الدولة وبنيتها الداخلية بشكل تدريجي وملحوظ ، ولم تظهر آثار هذه العوامل الا في سنة ١٠٩٥ هـ / ١٦٨٣ م أثناء حصار فيينا الثاني ، وما أعقبه من انسحاب الجيش العثماني (٢) .

وكان انهيار الجيش العثماني بعد فشله في الاستيلاء على فيينا مؤشرا أو نذيرا بفترة قادمة جديدة في علاقتها مع دول أوروبا التي اتخذت سياسة هجومية بعد أن أدركت ضعف الدولة العثمانية (٣) .

وكانت النتيجة انتصار المسيحيين في هذه الحملة على العثمانيين بقيادة السلطان مصطفى الثاني ، لاختلاف الجيش العثماني وعدم تنظيمه ، كما أن جزءا من الجنود الانكشاريين تمرد في ذروة المعركة بالرغم من ثبات البقية الباقية من الجيش ، ولكنهم لم يستطيعوا الوقوف أمام التحالف الصليبي ، وبعد هذه الكارثة لم يكن أمام الدولة الخيار الا البحث عن السلام بغض النظر عن الهزيمة التي تلقاها الجيش العثماني وقواده ، ولأول مرة فسي تاريخ الدولة العثمانية يتم التوقيع على معاهدة (كارلوفتيز) سنة ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م على نهر الدانوب ، والتي خسرت فيها الدولة العثمانية ولاية بأكملها

- 
- (١) محمد عبد الله بن ماضي : النهضة الحديثة في جزيرة العرب ، ( الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ١٣٧٢ هـ / ١٩٧٢ م ) ص ٢٢-٢٣ .  
(٢) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد ، حياته واحداث عهده ، ص ٢٧ .  
(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٥٥ .

المجر بأكملها ، وتراسلفانيا ، وكانت هذه المعاهدة هي الاولى التى خرجت منها الدولة خاسرة .

وقد كان هذا الاتفاق اىذانا ببداء عصر جديد من تاريخ الشرق وانسحاب الاتراك الى فينسيا ، ولم يكن الأمر مجرد خسارة العثمانيين لاقاليم واسعة بل كان تحطيما لآمالهم وتفوقهم العسكرى ، فظهر الخلل واضحا وجليا فى أنظمة الدولة العثمانية وفي التكتيك العسكرى أمام تفوق النمسا أو التفوق الأوربي على المستوى الدولي .

يقول كريزى في هذا الشأن " منذ تلك اللحظة وصاعدا لم يكن هنالك أى خوف حقيقي من القدرة العسكرية التركية " .

وقد أصبح التفكك واضحا ومستمر في الدولة العثمانية ، كما ظهرت عوامل ضعفها تزداد يوما بعد يوم ، بعد أن كانت الجيوش العثمانية متميزة بالشجاعة والقوة والمهابة (١) .

وهكذا كان صلح كارلوفينر الذى أنهى حرب مايسمى " بالعصبة المقدسة " أول سلسلة من الاتفاقات بين العثمانيين والمحالقات الأوربية المشكلة ضد الدولة ، مما جعل انتقال موازين القوى أو قلب موازين القوى العثمانية من الهجوم الى الدفاع ، وقد وصف هذا الصلح بأنه أول تفكيك لواصل الدولة العثمانية ، الذى استمر ببطء منذ ذلك الوقت . وكان اعتراف العثمانيين بالتنازل عن أراضي كانت تشكل جزءا من أملاكها مع بداية الانسحاب الفعلي العثماني من أوربا (٢) .

وفي ( سنة ١١٨٢ - ١١٨٨ هـ / ١٧٦٨ - ١٧٧٤ م ) خسرت الدولة العثمانية حربها مع روسيا لأول مرة في التاريخ (٣) . وبغض النظر عن الدخول في تفاصيل

---

(١) William Stearns Davis: A Short History of the Near East , pp. 271-272.

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٥٨ .

(٣) دخلت الدولة العثمانية في أربعة حروب مع روسيا قبل هذه المعركة ، انتصرت فيها جميعا .

— أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني حياته واحداث عهده ، ص ٢٧ ، حاشية رقم (١) .



المعارك الحربية التي دارت بين الطرفين ، ولكن النتيجة لهذه الخسارة هو عقد معاهدة ( كوجيك كينارجي ) التي حصل بها القرم على استقلاله ، وأمام هذا التوقف والركود بل التراجع بدأت الدولة في محاولات لاصلاح جوانب التدهور المختلفة والتي شملت النواحي الاقتصادية والعسكرية السياسية والعلمية والنفسية (١) . ففي الوقت الذي كان فيه العثمانيون قد وضعوا أيديهم على معاتيج الطرق العالمية الكبرى ، ولكنهم آثروا سياسة العزلة والانكفاء فعملوا على قتل كل فكرة اصلاحية جديدة سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية فساعد ذلك على الركود والضعف ، وزاد من طمع الغرب فيهم رويدا رويدا لنشر سيادته ونفوذه واستقطاع ما يريد من أملاك الدولة (٢) .

وهذا مما أدى الى ظهور اتجاه جديد في الدولة العثمانية بدعوة الى اصلاح الدولة ونظم الحكم فيها وهو الاتجاه المعروف بحركة الاصلاح والتجديد (٣) والذي واحة تحقيقه سلسلة طويلة من العراقيل ، لذلك فـان الدولة العثمانية باصلاحاتها الجديدة لم تدخل في طور التاثير الا في القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي كما سيأتي في باب (٤) ، وبالتالي ظهرت المسألة الشرقية في وضعها الأخير ،حيث انشغل القائمون بالامر حول السلطان بالدسائس والسعي وراء تحقيق الأغراض والأموال ،يفضون في ذلك بمصالح الدولة والمصالح العام (٥) وهذا الضعف الذي أصاب الدولة في عصرها الثاني لكل من جرائ الخلل كان امتداد لما أصاب السلاطين والعلماء والانكشارية من تدهور شامل كما مر بنا .

- 
- (١) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني ،حياته وأحداث عهده ، ص ٢٧ .  
(٢) محمد عبدالله ماضي : النهضة الحديثة في جزيرة العرب ، ص ٢٢-٢٣ .  
(٣) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٦٢ .  
علاء موسى كاظم نورس : مدى مسئولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية (المجلة المغربية ص ٩ ، ١٨٩٢ ، ع ٢٥-٢٦) ، ص ١٠٨-١٠٩ .  
(٤) ساطع الحصري : المرجع السابق ، ص ٦٢ .  
(٥) محمد عبدالله ماضي : المرجع السابق ، ص ٢٥ .

- الخطة الجديدة للعالم المسيحي نحو الدولة : فشل الحلول العسكرية ،

الغزو الفكري ، سياسة الرجل المريض :

ان الغزو العسكري هو غزو ظاهري ويمكن مواجهته بنفس الأسلوب

والقوة ، أما الغزو الفكري فهو غزو خفي يعمل على تخريب المعنويات وتدمير النفوس ، كما أنه يعمل على تعطيل طاقات الأمم .<sup>(١)</sup>

والغزو الفكري يكاد يكون من معطيات العصر الحديث الذي بلـى

بأنواع عديدة من مثل هذا الغزو ، أتى بها الاستعمار وعملاؤه مـ

ما جاؤا به للبلاد الاسلامية ، فالغزو الفكري في التاريخ هو أن يحـول

العدو بين أمة من الأمم وبين تاريخها وماضيها المجيد وسير الصالحين

من أسلافها ، للتشكيك فيهم وفي معتقداتهم الاسلامية<sup>(٢)</sup> . وان مفكر الغرب

ومؤرخيه من مستشرقين ومنصرين نتيجة لقوتهم المادية والعلمية التي

وصلوا لها في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين الموافق للقرنين

الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين اعتقدوا أن قوتهم المادية هي أصل

جميع الحضارات في التاريخ كما اعتقدوا ان العقلية الغربية هي العقلية

الدقيقة التأمل والتي تستطيع أن تفكر تفكيراً سليماً ، أما غيرهم

من الشعوب وبخاصة الشعوب الاسلامية فان عقليتهم ساذجة بسيطة وذلك على حد تعبير

المستشرق جب في كتابه " وجهة الاسلام " ، ويقصد أن العقلية الاسلامية

تدرك الأمور بواسطة الجزئيات ولا تدركها ادراكاً كلياً<sup>(٣)</sup> ، ليحل محل ذلك

تاريخ العقلية الأوروبية أو الدولة الغازية وسير أعلامها وقادتها ، فيشـب

المثقف من أبناء تلك الأمة المقهورة وليس في نفسه مثل الا ما يقرأ عنـه

في تاريخ الدولة الغازية ، وليس في خلده ابطال الا أبطالها ولا مفكرين

الا مفكروها ، بل يصبح لا يعرف من الحق والباطل الا مآراته هذه الأمة

الغازية التي تشبع بأفكارها ومفكرها حقاً أو باطلاً ، فتشوه رؤيتها

الحقيقية للناس والأشياء ، وبالتالي ينسى تاريخه المجيد التليد وسير

الصالحين من أسلافه فيجنح عن حاضره ومستقبله ويضل عن معالم الطريق

المستقيم<sup>(٤)</sup> . ففشل الصليبيين في حروبهم المتوالية على الشرق الاسلامي

(١) محمد جلال كشك : الغزو الفكري ، ( الطبعة الرابعة ، القاهرة ، المختار الاسلامي للطباعة والنشر ، ١٣٩٥ هـ ) ص ٧٠

(٢) على عبد الحليم محمود : الغزو الفكري والتيارات المعاديل للاسلام :

من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الاسلامي لجامعة الامام محمد بن سعود

الاسلامية بالرياض سنة ١٣٩٦ هـ ، ص ٨٠

(٣) اسماعيل الكيلاني : فصل الدين عن الدولة ، ص ١٢٩-١٣٠

(٤) على عبد الحليم محمود : المرجع السابق ، ص ٨-٩

كان دافعا للمزيد من الاهتمام بالدراسات الشرقية، وكان القســـــــــــــــــرآن أول ماصبوا اليه سهامهم وشنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرجوا بعد ذلك على خلفائه الراشدين ، ثم التاريخ الاسلامي الذي شوهوا حقائقه (١) ، مما أدى الى ازدياد التعصب الديني للحقد على الاسلام ومقاومته ، فاتجهــــــــــــــــوا الى اتجاه فكري جديد هو الاستشراق ، فقد اتخذ الغربيون المسيحيــــــــــــــــون طريقة طعن الاسلام والتغلب على المسلمين ، وقد شرع نفر منهم في تعلم اللغة العربية ، لاحبا فيها ، ولكن لاتخاذها وسيلة الى قراءة القســـــــــــــــــرآن ومناقشته في محاولة لتشويه معانيه وتنفير الناس منه ، عن طريق الهدم المعنوي في حركة ظاهرها طلب العلم والبحث وباطنها المكر والخبث (٢) ، والكيد للاسلام والمسلمين عن طريق بتر الآيات القرآنية والمغالطة بهــــــــــــــــا للتدليل على آرائهم الخاطئة من اجل تشكيك المسلمين في دينهم .

وقد ظهرت أول دعوة للاستشراق على لسان البارون " دويتز " سنة ١٠٧٥ هـ الموافق ١٦٦٤م ، أي في أواخر القرن الحادى عشر الهجرى السابع عشر الميلادى ، حيث طالب بتأسيس مدرسة أو كلية ، تكون قاعدة لتعليم التنصير ، ويعلم فيها لغات الشرق للطلاب الذين يبنط بهم امر التنصير . وقد ارتأى أحد أحبــــــــــــــــار الكنيسة أن يعهد الى الأروام ، بمسئولية تنصير الأتراك ، لكن البارون فشل في مشروعه (٣) .

وهكذا يكون الغزو الفكرى بالوسائل غير العسكرية التي اتخذــــــــــــــــها الغزو الصليبي لازالة مظاهر الحياة الاسلامية وصرف المسلمين عن التمســــــــــــــــك بالاسلام بالعقيدة الاسلامية الصافية ، ومايتصل بها من افكار وتقاليــــــــــــــــد وأنماط وسلوك (٤) .

(١) محمد عبدالفتاح عليان : أضواء على الاستشراق : ( الطبعة الاولى ، الكويت ، الناشر دار النشر للطباعة ، ١٤٠٠هـ ) ص ١٠ .

(٢) محمد عبدالفتاح عليان : المرجع السابق ، ص ١٠ .

(٣) نجيب عفيفي : المتششرقون ، ( الطبعة الرابعة ، القاهرة ، دار المعارف ) ج ٣ ، ص ٦١٢ .

(٤) أول شاتليه : الفارة على العالم الاسلامي ، ترجمة محب لخطيب ومساعد اليافي ، ( الطبعة الرابعة ، ١٣٩٨هـ ) ، ص ١٣ .

(٤) محمد قطب : واقعنا المعاصر ( الطبعة الرابعة ، جدة ، الناشر مؤسسة ..... )

ويتركز الدافع الرئيسي للاستخدام الغزو الفكري في أنه —————  
فشل المليبيين في حملاتهم المتوالية على الشرق الاسلامي عملوا على الاهتمام  
بالثقافة الإسلامية ، وقد ظهر ذلك واضحا من خلال وثيقة خطيرة تلقى الضوء  
على تحول المليبيين من الغزو العسكري ، الى الغزو الفكري ، وهذه الوثيقة  
تتضمن وصية ( القديس لويس ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية الثامنة  
التي انتهت بالفشل والهزيمة ووقوع ( لويس ) أسيرا في أيدي المصريين  
في مدينة المنصورة ، ولم يطلق سراحه الا بعد تقديم فدية عظيمة استطاع  
بها الخلاص من الأسر ، وبعد أن عاد الى فرنسا أيقن أنه لاسبيل الى النصر  
والتغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية ، لأن تدينهم بالاسلام دفعهم  
للمقاومة والجهاد وبذل النفس والنفيس في سبيل الله لحماية دار الاسلام  
وصون أرضهم ومقدساتهم وأعراضهم ، والمسلمون قادرون دوما للانطلاق من  
عقيدتهم الى الجهاد وحر الغزاة ، وأنه لابد من سبيل آخر وهو تحويل التفكير  
الاسلامي وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكري . بأن يجند العلماء  
الاوربيين بدراسة الحضارة الاسلامية ليأخذوا منها السلاح الجديد ثم يغزون به  
(الفكر الاسلامي) (١)

ويعتبر لويس التاسع ملك فرنسا هو رائد حركة الغزو الفكري  
لانه كاد أن يذهب ضحية الحملة الثامنة سنة ١٢٤٧/١٢٤٩م لولا المبلغ الكبير الذي دفعه  
لانتقاذ نفسه ، لذا نادى بهذا الرأي وكتب به وصية .

وهكذا تحولت المعركة من ميدان السلاح الى معركة في ميدان العقيدة  
والفكر بهدف تزييف عقيدة المسلمين الراسخة التي تحمل معنى الجهاد  
وتدفع المؤمنين الى الاستشهاد .

وقد سار الاوربيون في طريق تنفيذ هذه الوصية للوصول للهدف

---

(١) على محمد جريشة وآخرون : اساليب الغزو الفكري للعالم الاسلامي ،  
(دار الاعتصام ) ص ١٩٠

المرسوم (١)، وبخاصة عندما تأكدوا من فشلهم في الحروب الصليبية وعدم تحقيق أهدافهم ، اجتمع رجال الكهنوت والسياسة والفكر لديهم لمناقشة طرد المسلمين من الأراضي المقدسة ، ووضع الخطط التي تكفل لهم تخليص بيت المقدس من المسلمين وإعادة الأراضي الإسلامية الى السيطرة النصرانية ، فقام القسيس الأسباني ( ريمون لول ) ينادى باستخدام سلاح التنصير ، والغسزو الفكري بدلا من الحروب الصليبية (٢).

هنا أصبحت الأمور واضحة أن أسباب الحروب الصليبية أسباب كان ظاهرها دينيا غايتها تخليص بيت المقدس من يد المسلمين ، بينما كانت في حقيقتها سبيلا للسيطرة على الشرق الإسلامي بما فيه من خيرات . فتاريخ التنصير المسيحي يعود الى القرون الوسطى وذلك عندما قام " ريمون لول " الأسباني فتولى الدعوة الى التنصير بعد فشل الحروب الصليبية في مهمتها ، بعد أن تعلم اللغة العربية بكل مشقة وطاف البلاد الإسلامية ، وناقش علماء المسلمين في بلاد كثيرة (٣) . فلقد ذكر آرست باكر مانصه : " وظهر أمثال ريمون لول الذي كان ينادى بوجوب استبدال الحملة الصليبية ببعثة تنصيرية وأن يقوم التنصير السلمي مقام الحملة الحربية " (٤) .

ومن الطريف أن ريمون لول هو أول من نادى باستخدام التنصير كسلاح للسيطرة على البلاد الإسلامية واضعاف الإسلام ، وهو أول من نادى كذلك بايجاد كرسي للدراسات الشرقية الإسلامية في الجامعات الأوروبية . وهكذا نشأ الاستشراق نظرا للفشل الذي آلت اليه الحروب الصليبية أيضا ، وذلك لدراسة الإسلام ونقده وتشويهه باعداد دراسات غريبة عنه وعمن تاريخه ، لتقديمها جاهزة حسب التفكير الغربي . وبما يخدم مصالحه

(١) على محمد جريشه وآخرون : أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، ص ١٩٠ .

(٢) مصطفى خالد وفروخ : التبشير والاستعمار ( الطبعة الخامسة ، ١٩٧٣م )

ص ١١٤-١١٥

(٣) أ.ل. شاتليه : الغارة على العالم الإسلامي ، ص ١٢-١٣ .

(٤) اسماعيل الكيلاني : فصل الدين عن الدولة ( الطبعة الاولى ، بيروت ،

المكتب الإسلامي ، ١٤٠٠هـ ) ص ١٢٦ .

ويحقق غايته للموفدين الشرقيين لمتابعة تحصيلهم العلمي في ديار الغرب ، وعودتهم الى بلادهم وجها آخر حسب التشكيل الجديد أو للعملية التي يريدها المستعمر (١) .

ومن أهداف الاستشراق والتنصير هو تدبير المؤامرات والدسائس لاجداث الفتن والانقلابات في الوطن الاسلامي (٢) .

ولكن لما أرادت معظم دول الغرب عقد العلاقات السياسية بدول الشرق والاعتراف من تراثه والانتفاع من علمه والتزاحم على استعمارها أحسن كل دولة الى مستشرقيهها ، فضمهم ملوكها الى حاشيتهم أمناء أسرار وترجمة ، مع انتدابهم للعمل في سلك الجيش والدبلوماسية في بلدان المشرق الاسلامي ، فولوهم كراسي اللغات الشرقية في كبرى الجامعات والمدارس الخاصة والمكتبات العامة والمطابع الوطنية ، ومنحوهم القاب الشرف وعضوية الجامعات العلمية ، كما أجزلوا لهم العطايا والمنح في الحل والترحال (٣) .

إذا الاستشراق هو دراسة يقوم بها الغربيون لثراث الشرق وبخاصة كل ما يتعلق بتاريخه ولغاته وآدابه ، وفنونه وعلمه وتقاليده وعاداته ، فالمستشرق بهذا الاعتبار هو الغربي الذي يدرس تراث الشرق ، ولا بد من دراسة هذا التراث الضخم من اداة بواسطتها توصله الى بغيته المنشودة وهذه الاداة التي يجب للمستشرق اتقانها هي مفتاح الشرق أو لغة الشرق والتخصص في ابرزها في الآثار وفي التاريخ والفنون والآداب والعلوم وهي اللغة العربية لارب ، وأن الهدف من الاستشراق هو التنصير ، وهو محاولة اقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الاسلام واجتذابهم الى الدين المسيحي (٤) .

(١) اسماعيل الكيلاني : فصل الدين عن الدولة ، ص ١٢٩ .  
(٢) عبدالله التل : جذور البلاء ، (الطبعة الثانية ، بيروت ، المكتب

الاسلامي ، ١٢٩٨ هـ ) ص ٢٠٦ .

(٣) نجيب عفيفي : المستشرقون ج ٣ ، ص ٦٠٤ .

- محمد حسين الصغير : المستشرقون والدراسات القرآنية (الطبعة الأولى ،

بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٤٠٣ هـ ) ،

ص ١٨-١٩ .

(٤) محمد حسين صغير : المصدر السابق ص ١١ ، ١٥ .

فكانت الحروب الصليبية أحد منابع الاستشراق ، فاطلعت الغربيين على مواطن الضعف في دينهم ، فكانت المقارنة بين الاسلام وبين أديانهم ——— تحتاج الى نظرة شاملة فاحصة أو التعديل ، وهذا ما أسماه الغرب بحركة الإصلاح الديني ، ثم كانت الرغبة أيضا في التبشير بالمسيحية في الشرق ، كل هذه الأمور استلزمت منهم دراسة اللغة العربية على أيدي المستشرقين ، ومن هنا تلاقى وجهتا الاستعمار والتنصير والاستشراق (١) .

وقد بدأت محاولات الغزو الصليبي الحديث في القرن التاسع الهجري الموافق للقرن الخامس عشر الميلادي بعد سقوط مدينة غرناطة آخر المعاقل الاسلامية في الأندلس سنة ٨٩٨ هـ الموافق ١٤٩٢م بعد عدة حروب وسلسلة من المعارك ضد المسلمين وقد بارك البابا هذا الانتصار الصليبي وشجع ——— المسيحيين على متابعة طرد وتعذيب المسلمين من بقية بلاد الاسلام ——— في الأندلس (٢) .

ففي القرن العاشر الهجري الموافق للقرن السادس عشر الميلادي الذي ازدهرت فيه النهضة غرب أوروبا قام الأسبان والبرتغال باعنف وأقسى ——— مشهده التاريخ البشري من الارهاب والتعصب الديني ، وهذا المشال يصور لنا مقام به الكاردينال "خيمينيث سنيروس ( Ximenez de Cesnero ) وكان ذا مكانة دينية كبيرة في قشتاله ( أسبانيا الحالية ) فدعا إلى إكراه بقايا المسلمين الذين كانوا يعرفون بالموريسكيون على التنصير ——— وترك الاسلام ، ولكي يقطع صلتهم بالعلوم الاسلامية أشار بحرق جميع كتب المسلمين . وقد تم بالفعل حرق ثمانين ألف كتاب من كتب العرب الاسلامية بعد جلائهم عن أسبانيا . ثم أنشئت محاكم التفتيش ليس فقط لحرق كل من لم يرتد عن الاسلام ولكن لحرق كل نصراني لا يدين بالمذهب الكاثوليكي .

---

(١) نجيب عفيفي : المستشرقون ، ج ٢ ، ص ٦١٢-٦١٣ .

(٢) محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، ص ١٨٦ .

أما بالنسبة للارثوان ( البرتغال الحالية ) فإن الملك فيليب الثاني أصدر قانونا في سنة ١٥٥٦/١٥٧٤م يحرم على بقايا المسلمين فيها أيضا كل شيء يربطهم بالاسلام حتى لغتهم وأساليب معيشتهم وبلغ من غلوهم (١) أن اعتبر الحمامات التي أنشأها المسلمون بقايا نجسة فأصدر قرارا بهدمها .

وإذا كان الاسلام قد أفل في سماء الأندلس فقد بزغ على أيدي الأتراك العثمانيين في بلد آخر ، وتربعوا على الأناضول سيدة البلقان بعد فتحها ثم توغلوا في جنوب شرقي أوروبا أولا : لمد الغزو الفكري عن المشرق الاسلامي ، وثانيا : لنشر لواء الاسلام هناك ، حتى دانت لحكمهم كل شبه جزيرة البلقان التي تشمل اليوم كل من أراضي رومانيا، وبلغاريا، واليونان، ويوغوسلافيا ، والمجر ، وألبانيا ، وقد حطمت الأخطاف المسيحية المتعددة التي تحالفت ضدهم حلفاء حلفاء كما مر بنا في فصل سابق . فامتدت انتصارات المسلمين في أوروبا وعلت أصوات المؤذنين في مساجدها ، وقد ترتب على ذلك أن اكتسب الاسلام أنصارا يقدر عددهم بعشرات الملايين (٢) فقامت الدولة العثمانية ضمانا لحماية الشرق الاسلامي بأن تقيم سياجا على المناطق التي تتبعها ، وذلك ضد كل محاولة للنيل من الاسلام ، الا أن هذا السياج فيما بعد أحرم هذه البلاد من الاستفادة العلمية التي تقدمت آنذاك على أيدي الأوروبيين فظهرت آثار ذلك على البحث العلمي لدى المسلمين الذي أصيب بالتوقف والركود ، كما أصيبت الدولة بالضعف والخلل وتطرق اليها الوهن في أواخر القرن الثاني عشر الموافق لأواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، فتكالبت عليها الدول الأوروبية الاستعمارية ، وهكذا ضعفت الدولة العثمانية فظهرت أطماع الدول الأوروبية فيها (٣) .

---

(١) محمد عبدالفتاح عليان : أضواء على الاستشراق ، ص ١٢ .

(٢) محمد عبدالفتاح عليان : المرجع السابق ، ص ١٢-١٣ .

، محمد قطب : واقعنا المعاصر ، ص ١٨٧ .

(٣) محمد عبدالفتاح عليان : المرجع السابق ، ص ١٣ .



ولم يكن عمل المستشرقين منفصلا عن أعمال المنصرين بل كانت مهمة كل طائفة متممة للغة الأخرى ، فالاستشراق تولد عنه الاستعمار والتنصير (١) .

ومما هو معروف أن الاستشراق أيضا من أدوات التنصير ثم استفاد فيما بعد لتحقيق مطامع الدول الاستعمارية . وقد نزل كثير من الأساقفة الى ميدان الاستشراق بقصد التنصير وتدريب المنصرين على العمل في بلاد الشرق . لهذا كان لابد من تكليف بعضهم بتعلم اللغة العربية ، فانتشر تعليمها في المعاهد الدينية وبعض الجامعات وكان الهدف من دراسة اللغة العربية لرجال الدين من المسيحيين هو تخريج أهل جدل يقارعون فقهاء المسلمين ويردون عليهم ببراهين من الكتب الإسلامية (٢) .

لذا يرى المستشرق الألماني المعاصر " البرت ديتريش أن المستشرق : هو الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه ، ولن يأتي له الوصول الى نتائج سليمة ما لم يتقن لغات الشرق ، وكانت دوافع الاستشراق بوجه عام من خلال دراساته العربية والإسلامية دوافع متفاوتة شدة وضعفا ، اتسم بعضها بهدف تنصيري واتجه البعض الآخر لغرض استعماري ، أما القسم الثالث باتجاه علمي ، فشكلت بذلك دوافع تنصيرية ، وثانية استعمارية وأخرى دوافع علمية " (٣) .

والحملة الفرنسية تؤكد ماسبق من القول ، فقد صاحب ذلك مستشرقين ومنصرين ، اضافة الى أنها صورة من الاطماع الأوروبية في العصر الحديث في الشرق . ففي هذه الحملة استعان الفرنسيون بعدد كبير من المستشرقين لتحقيق الاهداف الاستعمارية ، وقد لجأ نابليون بونابرت الى اللغة العربية في

---

(١) على محمد جريشه وآخرون : أساليب الغزو الفكري ، ص ١٩-٢٠ .

(٢) محمد عبد الفتاح عليان : أهواء على الاستشراق ، ص ٢٤-٢٥ .

(٣) محمد حسين الصغير : المستشرقون والدراسات القرآنية ، ص ١١-١٥ .

منشوراته ولوائحه ، كذلك طبع كتباً في تعليم اللغة العربية بالمطابع التي جلبها معه مع حملته . وكان هؤلاء المستشرقون الذين أصبحوا في هذه الحملة علماء متخصصين في كثير من فروع المعرفة ، فمنهم الأثريون ومنهم المهندسون والأطباء والمترجمون ، فكان بعضهم شرقياً من مصر ولبنان وسورية . وبعد وصول نابليون إلى مصر أمر بتأليف المجمع العلمي المصري ، وتأسيس مطبعة عربية ( مطبعة بولاق حالياً ) وأصدر ثلاث صحف واحدة منها باللغة العربية ، وأنشأ متحفاً ومكتبة ومصنعاً ومختبراً ، ومسرحاً ، وفتح أبوابها أمام المصريين . وقد ظهر نابليون أمام المصريين بصورة المستشرق ، فتظاهر باعتناق الإسلام وشارك المصريين في احتفالاتهم الدينية ، وارتدى العمامة والجبّة ، وزار علماء الأزهر في بيوتهم (١) .

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا لماذا أتى نابليون من فرنسا إلى مصر طالماً أنه مسلم كما يدعي ؟ هل كان يريد أن ينشر الإسلام في مصر ؟ إذا ما هو هدف هذه الحملة ؟

قد أجاب على ذلك صاحب كتاب واقعنا المعاصر حيث ذكر أن قسودم نابليون إلى مصر كان محاولة منه في تنحية الشريعة الإسلامية ، وكانت أولى المخططات التي بدأ تنفيذها بالفعل ، ولكنه لم يستطع الاستمرار في مخططه حتى كشفه أحد علماء الأزهر الذي ضاق منه ومن أكاذيبه ونفاقه ، حيث قال له في وجهه : لو كنت مسلماً حقاً كما تدعي لطبقت الإسلام وشريعته في بلدك فرنسا ، بدلاً من تنحية الشريعة هنا ، ومحاولة وضع القوانين الوضعية بدلاً عنها (٢) ، ولما انكشف أمره امتنع علماء الأزهر عن تنفيذ أوامره ولم يستجب له منهم أحداً نظراً لتصرفاته الحاقدة على الإسلام ، شار وأزبد حينما رأى علماء الأزهر يقودون الشعب ضد هذا المستعمر الدخيل ، عندها

(١) محمد عبد الفتاح عليان: أضواء على الاستشراق ، ص ٢٦-٢٧ .

(٢) واقعنا المعاصر ، ص ٢٠١ .

قام بتصويب مدافعه المقامة على قلعة الجبل الى الجامع الأزهر، فاقترح بجنده الحامع الأزهر وهم يمتطون الخيل ، فدخل الجيش الأزهر وظهت أطماع استعمارهم على حقيقتها ، فانكشفت للشعب المصري حقيقتها وان ماتظاهروا به وادعاه من حب للإسلام والمسلمين ليس بحقيقة (١). وأن هذا متناف مع النشرة التي أرسلها من الاسكندرية الى مصر ، كما وردت في كتاب الجبرتي حيث قال : " بسم الله الرحمن الرحيم . لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك له في ملكه ، من طرف الفرنساوية (٢) المبني على أساس الحريية والتسوية ، السر عسكر (٣) الكبير امير الجيوش الفرنساوية بونابارته يعرف أهالي مصر جميعهم ان من زمان مديد الصناجق الذين يتسلطون في البلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار في الملة الفرنساوية . يا أيها المصريون ، قد قيل لكم انني مانزلت بهذا الطرف الا بقصد ازالة دينكم فذلك كذب فلا تسدقوه ، وقولوا للمفتريين انني ما قدمت اليكم الا لأخلص حقكم من يد الظالمين وانني أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى واحترم نبيه والقرآن العظيم ، وقولوا أيضا ان جميع الناس متساوون عند الله وأن الشيء الذي يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل فقط . . . . . أيها المشايخ والقضاة والأئمة و ( الجرجية ) (٤) وأعيان البلد قولوا لأمتكم ان الفرنساوية هم أيضا مسلمون مخلصون واثبات ذلك أنهم نزلوا في روما الكبرى وخربوا فيها كرسي البابا الذي كان دائما يحث النصراني على محاربة الاسلام . . . . . ومع ذلك فان الملة الفرنساوية في كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثماني وأعداء أعدائه أدام الله ملكه " (٥).

(١) محمد عبدالفتاح عليان : أضواء على الاستشراق ، ص ٢٧ .

(٢) الفرنساوية : فرنسا .

(٣) السر عسكر : قائد الجيش .

(٤) الجرجية : الاغريقية .

(٥) عبدالرحمن الجبرتي : تاريخ عجائب الاثار في التراجم والاخبار ،

(بيروت ، دار الجيل ) ج ٢ ، ص ١٨٢-١٨٣ .

بل أعلن أنه لم يأت لاحتلال مصر بل على أنه حليف البابا العالي و أتى لتوطيد سلطته ومحاربة المماليك المعاصين وقد قالها الانجليز فيما بعد عند احتلالهم مصر سنة ١٢٠٠هـ/١٨٨٢م (١) . كلهم مستعمرين وأهدافهم واحدة .

الأمر الثاني الذى يؤكد سوء نية نابليون انه دخل الى مصر بدون علم السلطان العثماني ، الذى يتبجح بحبه وطاعته وولائه وهذا أيضا مسلك آخر في المراوغة .

فقد أرسلت فرنسا سنة ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨م بوناپرت القائد الشهير الى مصر لاحتلالها بغير اعلان حرب على الدولة العثمانية وأوصت فرنسا هذا القائد بكتمان الخبر حتى لا تعلم به انجلترا ، فتسعى لاحباطه ، وكان الهدف مبين هذا الاحتلال لمصر هو منع مرور تجارة الانكليز عبر أراضي مصر الى الهند وبالعكس (٢) . وفي أثناء الحملة الفرنسية على مصر أعدت فرنسا خطة الزحف الى الهند عبر سوريا والعراق بمحاذاة نهر الفرات لبسط نفوذها على الشرق (٣) . ولكن لم يدم الاحتلال أكثر من سنتين وقد تعاون الانجليز مع الدولة العثمانية لاجراج نابليون وجيشه من مصر والشام سنة ١٢١٦هـ/١٨٠١م (٤) .

أما الوجه الآخر لسياسة نابليون وماسارت عليه أوربامند تفكيرها في الغزو الفكرى ، هو نبش الأرض الاسلامية لاستخراج حضارات ما قبل التاريخ لذبذبة ولاء المسلمين بين الاسلام وبين تلك الحضارات ، تمهيدا لاقتلاعهم نهائيا من الولاة الاسلامي ، وهذا هو هدف البعثة العلمية التى أتى بها نابليون الى مصر (٥) ، اضافة الى ذلك أشارت الخلافات المذهبية بين

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٣٧٣ .

(٢) محمد فريد بك : المصدر السابق ص ٣٧١-٣٧٣ .

(٣) لوتسكي : تاريخ الاقطار العربية الحديث ، ترجمة عفيفه البستاني (موسكو دار التقدم) ص ٧٦ .

(٤) محمد فريد بك ، المصدر السابق ص ٣٧٣ .

(٥) محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، ص ٢٠٢-٢٠٣ .

المسلمين حتى يتصارعوا من أجلها وينصرفوا عن دينهم وبلادهم حتى يتسللوا بين صفوفهم لزيادة الجفوة فيستغلون تلك الخلافات لغزو العالم الاسلامي كل على حدة .

وبعد خروج الفرنسيين من مصر ، اعتلى محمد على حكم مصر ، ك نابليون فكلاهما عملة لوجه واحد فكان محمد على تحركه أهداف علمانية ، وكان طموح نابليون الذى حققه في أوروبا بعد رحيله من مصر أكبر عوض عن فشل تحقيقه في الشرق ، ثم ان الاستعمار نفسه لم يخسر شيئا فقد استطاع أن يحقق أهدافه عن طريق المسلمين أنفسهم الذى لم يستطع تحقيقه ، وهذا لايعني أن فشل نابليون في حصار عكا وغزوها ، أن تظل مغلقة ، وليكن الاستيلاء عليها في هذه المرة عن طريق قائد مسلم هو ابراهيم بن محمد علي .

ولقد كانت حروب محمد علي في عكا وفلسطين وسوريا واسطنبول ، وشبه الجزيرة العربية لحرب الدعوة السلفية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي انطلقت من الدرعية لتعيد للاسلام وحدته تحت راية الاسلام ، كانت بسلاح فرنسي ومشورة فرنسية ، وخبراء فرنسيين ، اضافة الى أن الحروب التي قادها محمد علي ضد المسلمين هي تحقيقا للتخطيط الذى رسمه المستشرق الفرنسي الكونت ( فولتي ) قبل حملته على مصر ، إذ كان ينادى هذا المستشرق بأن السيطرة على الشرق لانتم الا بعد الاستيلاء على مصر والشام وتحطيم الخلافة العثمانية .

إذا فكل الذى يهيم الدول الاستعمارية هو القضاء على وحدة الشعوب الاسلامية . ولما لم يستطيعوا تحقيقها في احتلال مصر والشام بسيف نابليون ، فليكن تحقيق الخطة بيد محمد علي وابنه ابراهيم . (١) الأمر الذى جعل محمد على يستمر في تلك التيسارات

---

(١) السيد أحمد فراج جذور العلمانية ، (الطبعة الثالثة ، المنصورة ،

قراية أربعين سنة وكان ذلك نابع من فكره رفاعة الطهطاوي (١) الذي قاد حركة التحديث في مصر في أول عملية منظمة تدعو الى ضرورة تغيير العقلية المصرية ، وتقبل المبادئ الأوروبية (٢) ، والتي استمرت حتى نهاية حكم محمد علي علي مصر ومجيء سعيد باشا بعده فيما بعد عام ١٢٧١هـ / ١٨٥٤م (٣)

وهكذا دخل الغزو الفكري عن طريق بلاد الشام ممثلا في الارساليات المسيحية من نتاج التسامح الديني الذي تميز به حكم ابراهيم باشا بن محمد علي بعد استيلائه على بلاد الشام ، فقد فتح هذا التسامح الباب أمام

---

(١) درس في فرنسا ، وتأثر بأفكارها ونظمها وأساليبها فترجم بعد عودته الي مصر تصدير هذه الافكار والنهضة الفرنسية ومحاولة تطبيقها في مصر .

(٢) السيد أحمد فرج : جذور العلمانية ، ص ٢٨ .

مصطفى خالد وعمر فروخ : الاستعمار والتبشير ، ص ١١٨ .

(٣) وهذه السنة التي دخل فيها المنصران الامريكيان مكاج وبارنت مصر ليبدأ في الارساليات وقد أهدى لهم سعيد سنة ١٨٦٢م للارسالية الامريكية مبني كبير ليباشروا فيه نشاطهم فمنحوه لقب (الاميرالطيب المستنير ) وذلك أسوة بالارسالية الكاثوليكية الفرنسية التي قد وهبها مثل ذلك من قبل ، ثم ان أعمال التبشير قد تقدمت اثناء حكم سعيد باشا ولقد تأسست هذه الارساليات في عهده على أسس متينة قوية لا يـكـون بعد ذلك هدمها بسهولة في ظل الحكومات التي تدعمها القوى العلمانية الاوربية ولكن عندما حكم اسماعيل باشا سنة ١٢٨٠هـ / ١٨٦٢م كان قويا وضيق على المبشرين عندما بدأوا يتدخلون في شئون الدولة من اجل ذلك وصفه المنصرون ( متكبر ومستبد ) . كل ذلك لانه اراد ايقاف الأصابع الخفية التنصيرية داخل مصر في اغلاق مدارس المنصرين البروتستانت لأن هؤلاء كانوا يتدخلون في سياسة البلاد ويشيرون الاضطرابات ويزيدون مشاكل البلاد . ولكن القنصلية الامريكية والانجليزية قد ايدت المنصرين وحملت الحكومة المصرية على التقيد بالخط الهمايوني " الدستور العثماني " الذي ينص على احترام الحرية الدينية . هذا صحيح ولكن الدستور لا ينص على ان بعض الناس يحملون الاخرين على تغيير دينهم بالقوة ولكن اسماعيل باشا في نفس القوت قام بالغاء المحاكم الشرعية واحل محلها القانون ، ففصل بذلك بين المسلمين والخيـط (=)

البعثات التنصيرية الغربية • ويرجع وجود هذه البعثات التنصيرية الأجنبية في بلاد الشام الى منتصف القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ولكن كان مجال نفوذها أو جهودها في أول الأمر محدودا اقتصر على انشاء عدد قليل من المدارس والمعاهد في أماكن متفرقة ، ونشر كتب العبادات وكانت البعثات كلها كاثوليكية ومعظمها من الفرنسيين وتنسب الى اليسوعيين أو الكبوشيين أو الكرمليين • وكان من العسير عليها آنذاك، بحكم التعصب الشديد الذي كان يسود ذلك العصر أن تعمل خارج نطاقها، ولذلك اضطرت أن تحصر معظم جهودها في رعاية الطوائف المسيحية الموالية لكنيسة روما<sup>(١)</sup>. ولم يكن الشام حديث عهد بالبعثات التبشيرية، بل كانت البلاد ميدانا لنشاط الارساليات ، وذلك بسبب كثرة المسيحيين ووجود الأماكن المقدسة بها<sup>(٢)</sup>.

وقد زادت هذه الامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية للفرنسيين بعد معاهدة الهدنة التي عقدتها الدولة العثمانية مع ملك فرنسا شارل التاسع سنة ٩٦٦هـ الموافق ١٥٦٩م التي نصت على اقامة التمثيل القنصلي واعفاء كل فرنسي من دفع الخراج الشخصي، واعطاء القناصل حق البحث عن يكون لدى العثمانيين في حالة الرق مع اطلاق سراحهم ومجازاة من تعرض لهم ورد ما يأخذه قراصنة البحر من المراكب الفرنسية وأن تكون البحرية ملزمة بحوادث المراكب الفرنسية التي تكون على شواطئ الدولة ، وحفظ مابها من مال ورجال وعتاد ، وتكون الامتيازات الفرنسية الممنوحة لها مساوية للامتيازات الممنوحة للبنادقة ، فأصبحت بهذا فرنسا ملكة التجارة في البحر الأبيض المتوسط وجميع البلاد التابعة للدولة العثمانية ، ونتيجة لهذه المعاهدات

---

(=) الباقي الأخير الذي يربطهم بدينهم عندما أنجز قلم الترجمة برئاسة رفاعه الطهطاوى ، حيث ترجم القانون الفرنسي المدني والجنائي الى العربية في مصر ، سنة ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م •

— مصطفى خالد وعمر فروج : الاستعمار والتبشير ص ١١٨-١١٩.

، السيد أحمد فرح : جذور العلمانية ، ص ٢٨ ، ٣٥.

(١) جورج انطونيوس : يقظة العرب ، تعريب علي حيدر ، ( دمشق ، مطبعة

الترقي ، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م ) ص ٩٢.

(٢) محمود صالح منسي : حركة اليقظة العربية ، ص ٩٢.

السابقة أو اللاحقة أو تحت مظلتها قامت فرنسا بارسال ارسالياتهم الى  
الدينية الكاثوليكية الى كافة بلاد الدولة العثمانية الموجود بهم  
مسيحيون وخصوصا بلاد الشام ، لتعليم أبنائهم وتربيتهم على محبة فرنسا  
وكان من أهم نتائج هذه البعثات حفظ جنسية ولغة كل شعب مسيحي حتى اذا  
ضعفت الدولة أمكن هذه الشعوب من الاستقلال بمساعدة الدول المسيحية (١)  
كما سيأتي .

وبعد ذلك وصلت البعثات التنصيرية الامريكية الى بلاد الشام،  
وأخذت تحول بعض الأفراد من الطوائف الكاثوليكية الى المذهب البروتستانتي  
وكان اتباع الكنيسة المشيخية أول من وصل من الامريكان في سنة ١٢٣٦ هـ /  
١٨٢٠م وكانوا يخضعون لاشراف المجلس الامريكي لمراقبة البعثات التنصيرية  
في الخارج وكان هذا المجلس قد أسس مركزا في مالطة ثم أجس أن الواجب  
يدعوه الى مزاوله نشاطه الديني في المشرق ، فأسس في بيروت أول مركز لهم .  
وهذا المركز بقي من أهم مراكزهم .

أما الكاثوليك فكان اليسوعيون أنشط هذه الجمعيات ، وتعود صلتهم  
بالشام الى سنة ١٠٣٥هـ / ١٦٢٥م وقد استمروا في نشاطهم في الشام يقاومون  
الفقر حتى عطلت جمعيتهم في سنة ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م فتشتتوا وأغلقوا أكثر  
مؤسساتهم وسلموا الباقي للبعثات اللغازرية لتديرها ولكنهم عادوا في  
سنة ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م وكان السبب في عودتهم وصول البعثات الامريكية التنصيرية  
التي وصلت الى بلاد الشام والتي أخذت تحول الكاثوليك الى البروتستانت  
كما سبق . وقد أدى نشاطهم هذا الى اشارة روح العداوة في نفوس علماء  
الشريعة الاسلامية في بلاد الشام ، غير أن ذلك لم يثن من عزمهم رغم  
العوائق التي اعترضت طريق هذه البعثات التنصيرية قبل الفتح المصري  
لبلاذ الشام ان لم يكن عطل جهودها تعطيلًا كاملا ، مما اضطر الأمريكان  
منذ وصولهم أن يحصروا أنفسهم داخل بيروت . (٢)

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٥٤-٢٥٥

(٢) جورج انطونيسوس : يقطعة العرب ، ص ٩٨-٩٩

، موفق بن المرحه : صحوة الرجل المريض أو السلطان عبدالحميد الثاني  
والخلافة الاسلامية ( الكويت ، مؤسسة صقر الخليج ، ١٩٨٤م ) ص ١٦٥-١٦٦



ومقاومة أساليبهم والحفاظ على طوائف الكاثوليك للانسخراط في المذهب البروتستانتي . فلما جاء ابراهيم وأحدث سياسته في الحكم كثيرا من التغييرات ، فتح المجال بذلك امام البعثات التنصيرية ، فتقاطر المنصرون على بيروت ومنها انطلقوا الى جميع أنحاء الشام . وكانوا جادين فسي افتتح المدارس في أنحاء متعددة في بلاد الشام وكانت أولى منشآتهم في بيروت والقدس وجبل لبنان (١) .

وقد انطلقت حركتهم تحت ستار تحقيق الغايات الانسانية والتخفيف من الآلام البشرية عن طريق اقامة المستوصفات أو مدارس التعليم أو تقديم المساعدات المادية الى غير ذلك من الأمور التي تهدف الى غاية أساسية وهو استعمار الغرب للشرق بتحويل آسيا الى النصرانية ثم القضاء على الاسلام وهو هدفهم الأسمى . لأن القوة التي تكمن في الاسلام هي التي تخيف أوروبا (٢) ، فلا بد من العمل على أن يمحو الاسلام من العالم . هذه أمنية المنصر جب (٣) ، وقد قال المنصر وليم بالكراف : مايفيد بأنه متى توارى القرآن ومدينة مكة المكرمة عن بلاد العرب أمكن السيطرة على الأمة الاسلامية وتحقيق الأهداف النصرانية فيها (٤) . وهذا لن يكون الا كما قال لورنس براوان : " اذا اتحد المسلمون أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا . أما اذا بقوا متفرقين فانهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير . أما القس سيمون فكان أوضح في التعبير حيث كان يرى أن الوحدة الاسلامية تجمع آمال الشعوب وتساعد على التخلص من السيطرة الأوروبية . من أجل ذلك يجب أن يحول بالتنصير مجارى التفكير في الوحدة الاسلامية حتى تستطيع النصرانية أن تتغلغل في المسلمين (٥) .

فاذا أرادت أوروبا أن تثير على المسلمين حربا صليبية جديدة عن طريق التنصير فلا بد من نشر الكنائس والمدارس والمستشفيات في البلاد

(١) جورج انطونيوس : يقطعة العرب ، ص ٩٩ ، ١٠٦ .

(٢) اسماعيل الكيلاني : فصل الدين عن الدولة ، ص ١٢٦ .

، مصطفى خالد وعمر فروخ : التبشير والاستعمار ، ص ٣٦ .

(٣) اسماعيل الكيلاني : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(٤) اسماعيل الكيلاني : المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

(٥) مصطفى خالد وعمر فروخ : المرجع السابق ، ص ٣٦-٣٧ .

، اسماعيل الكيلاني : المرجع السابق ، ص ١٢٦-١٢٧ .

الاسلامية وارسال المنصرين الى مختلف بلاد العالم ، ومن هذا المنطلق تستطيع حركة التنصير تحقيق مآربها السياسية ومظامعها الاقتصادية (١) .

ومن ثم حلت روح التنصير ونشر المسيحية محل الروح الصليبية —————  
اى أن اوربا اخذت تتجه الى فتح عقلي وثقافي وغزو فكري تستكمل غزوها —————  
العسكري والسياسي (٢) حينما بدأت الكتابب التنصيرية تتقاطر على العالم الاسلامي — كما سبق — . وكان ذلك على شكل موجات من الرهبان والراهبات الى الجزائر وتونس ومصر والشام ، بدعوى افتتاح المدارس والمستوصفات فكان هؤلاء أوائل الكتابب لجيش وجهته البابوية في غزو فكري يستهدف العالم الاسلامي ، هذه الارساليات التبشيرية تمهيدا لانقراض الحملات العسكرية الأجنبية على الدولة الاسلامية بهدف تصفية الحسابات القديعة منذ الحروب الصليبية (٣) ، فانطلقت البعثات التنصيرية ساعية لتحقيق غايتها مستخدمة جميع الوسائل المتاحة لها دون تفريق بين وسيلة فكرية أو عسكرية ، فكانت طليعة الغزو الاستعماري الجديد ، واذا حدث أن هذه الارساليات اشارت بأن يتقدمها الجيش أولا فان ذلك لم يحدث على التحقيق قبل القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي بعد ان يستطيع المنصرون تمهيد الطريق لتلك الحملات . وقد ظهر ذلك جليا في أواخر ايام الدولة العثمانية بعد ان بلغت من الضعف ما يمكن معه اختراق سورها عن طريق القوة العسكرية (٤) .

- 
- (١) مصطفى خالدي وعمر فروخ : التبشير والاستعمار ، ص ١١٥ .
  - (٢) محمد عبد اللطيف البحراوي : التاريخ المعاصر وعلاقته العضوية بالآزمنة العضوية ، مجلة دارة الملك عبد العزيز ، ع ٢ ، ص ١١ ، ص ٨١ .
  - (٣) موفق بن المرجه : صولة الرجل المريخ ٠٠٠ ص ١٦٥-١٦٦ .
  - (٤) اسماعيل الكيلاني : فصل الدين عن الدولة ، ص ١٢٧ .

وقد عملت هذه الرسائل التنصيرية على احتكار العلم والتعليم فقامت بفتح المدارس لجميع مراحل التعليم بدءاً من رياض الاطفال وانتهاءً بالدراسات العليا ووضعت المناهج التي تحقق غايتها في جميع المناطق التي سيطر عليها الاتسعمار الغربي ، أو تتركز في أيدي النخبة التي تربت على المناهج التي وضعها هؤلاء المنصرون والتي أصبحت ترى أن السير خلف الحضارة الأوروبية هو عنوان كل شيء ومصدر كل رقي وتقدم . لأن التعليم الآن هو السلم الحقيقي للوصول الى الزعامة ، وعن طريق هذه الزعامة يمكن تحقيق الأهداف التي تخدم النهاية التي من أجلها خرجت هذه الرسائل (١) .

وحين تعددت هذه الرسائل التنصيرية وتضارب نشاطها اتفقت فيما بينها بحيث تغطي أنحاء دولة الخلافة الإسلامية (٢) .

وكان الأتراك العثمانيون على حق حينما بدأوا يرتابون منذ أمد بعيد من حركة التنصير في الدولة العثمانية ، ولاخرو فان المنصر يسبق الجيش الى كل مكان (٣) ، ويمهد له الطريق . رغم أن الدولة لم تعترف بالكنائس الكاثوليكية حتى القرن الثالث عشر الهجري : التاسع عشر الميلادي ، حينما انحصرت رعايتها بالارثوذكس الذين يتمتع بطريقهم في اسطنبول بنفوذ كبير ، وبعد اصطدام الكنائس الكاثوليكية بالارثوذكسيين أصبحت هي الأخرى تتمتع بالاستقلال (٤) .

وكان السبب في ذلك أن الكاثوليك بموجب الامتيازات الممنوحة لهم عام ١١١٣ هـ حصلوا في الدولة العثمانية على حقوق خولتهم امتلاك الكنائس فيها

---

(١) اسماعيل الكيلاني : فصل الدين عن الدولة ، ص ١٢٨-١٢٩ .

(٢) موفق بن المرجه : صحوة الرجل المريض ، ص ١٦٦ .

(٣) مصطفى خالد وعمر فروخ : التبشير والاستعمار ، ص ١١٦ .

(٤) موفق بن المرجه : المرجع السابق ، ص ١٦٥ .



وبعدها بقليل أنشئت في بيروت كلية القديس يوسف ، التي تعبر اليوم ( بالجامعة اليسوعية ) وهي جامعة كاثوليكية ، وتدير أعمالها إرسالية التنصير الكاثوليكية في بيروت ، فكان لها الحظ الاوفر في نشر الافكار الفرنسية في بلاد الشام (١) ، وكانت هاتان الكليتان تصولان وتجولان في ميدان الثقافة في الوقت الذي لم يكن فيه في الشام كليسة اسلامية ، الأمر الذي فتح الباب على مصراعيه للأفكار الهدامة لتحل عقول طلاب المثقفين الذين سارعوا للانخراط في صفوفهما (٢) .

وقد اشتهرت هذه الرسائل بخطتها ووفرة الوسائل التي أعدتها وتسلمت بها لمقاومة دين الاسلام (٣) . وكان الطلاب المسلمون في الكلية الامريكية يجبرون على الدخول يوميا الى الكنيسة التابعة للكلية الامريكية ليشهدوا بعض الطقوس المسيحية ، حتى احتج بعض الطلاب المسلمين الغيورين على اسلامهم في سنة ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٩ م .

فأصدرت الكلية في بيروت منشورا رادا على احتجاجهم ويتفخ من مادته

الرابعة مايلي :

" ان هذه كلية مسيحية أسست بأموال شعب مسيحي هم اشتروا الارض وأقاموا الابنية ، وهم أنشأوا المستشفى وجهازه ولا يمكن للمؤسسة أن تستمر اذا لم يسندها هؤلاء وكل هذا قد فعله هؤلاء ليجدوا تعليمات يكون الانجيل من مواده فتعرض منافع الدين المسيحي على كل تلميذ... وهكذا نجد أنفسنا ملزمين بأن نفرض الحقيقة المسيحية على كل تلميذ... وان كل طالب يدخل مؤسستنا يجب أن يعرف مسبقا ماذا يطلب منه... " (٤) .

- 
- (١) مصطفى محمد رمضان : العالم الاسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر ، ص ١٤٩ .
  - محي الدين الخطيب : الغارة على العالم الاسلامي ، ص ٨ .
  - (٢) مصطفى محمد رمضان : المرجع السابق ص ١٤٩ .
  - (٣) محيي الدين الخطيب : المرجع السابق ، ص ٨ .
  - (٤) مصطفى حالي و عمر فروخ : التبشير والاستعمار ، ص ١٠٥ .
  - ، مصطفى محمد رمضان : المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

ثم تلى ذلك ان أعلن مجلس أمناء الكلية في هذه المناسبة —————  
" ان الكلية لم تؤسس للتعليم العلماني ولا لبث الاخلاق الحميدة ، ولكن  
من أول غاياتها أن تعلم الحقائق الكبرى التي في التوراة ، وأن تكون  
مركزا للنور المسيحي وللتأثير المسيحي ، وأن تخرج بذلك على الناس  
وتوصيهم به " (١) .

وهنا يتجلى لنا أهداف هذه المؤسسات الغربية المسيحية واضحة وسافرة  
ليعلم كل مسلم مدى تأثير هذه الافكار الغربية التي تتعرض لها البلاد  
الاسلامية ، والتي لاتخلو عاصمة اسلامية من بعض المعاهد البروتستانتية ،  
ومعهد كاثوليكي أو مدارس للارساليات الأجنبية المتعصبة (٢) .

وكانت الارساليات الأمريكية في المقدمة رغم تأخر وصولها ———  
ارساليات اليهود الانجليز الذين استهدفوا اسطنبول وأزمير وسالونيك (٣) ،  
فتنبهت الدولة العثمانية لهذا التحرك فأخذت تراقب المنصرين مراقبة دقيقة  
حتى تضيق عليهم الخناق في تلك المناطق ، وكانوا يخشون من المنصريين  
البروتستانت لأن هؤلاء كانوا يتوارون خلف العلم البريطاني ثم أيضا من  
المنصرين اليسوميين لأنهم يشتغلون لحساب السياسة الفرنسية ، فأخذت تقاوم  
المنصرين في جميع أرجاء الدولة العثمانية وتحول بين المنصرين وبين وصولهم  
الى بلاد العرب ، ثم وقفت الدولة من المنصرين كلهم موقفا حازما أصبح التنصير  
في الدولة العثمانية مستحيلا للرقابة الشديدة التي فرضتها عليهم . فعندما  
فتحت الجمعية التنصيرية بضع مدارس في ( لبنان ) لاطفال الدروز في عام  
١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م اجبرتها الحكومة العثمانية للتخلي عنها أمام الحزم  
العثماني ، على أن الدولة لم تستطع أن تتخذ سياسة علنية تجاه المنصريين  
لأن هؤلاء في بادئ الأمر كانوا يأتون في الظاهر كرعايا انكليز أو أمريكيين

---

(١) مصطفى خالدي وعمر فروخ: التبشير والاستعمار ، ص ١٠٥-١٠٦ .  
، مصطفى محمد رمضان: العالم الاسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر ،  
ص ١٥٠ .

(٢) مصطفى محمد رمضان: المرجع السابق ، ص ١٥٠-١٥١ .

(٣) موفق بن المرجه : صورة الرجل المريض ، ص ١٦٦ .

أو دنمركيين أو فرنسيين . فإذا استقروا في الدولة أخذوا يدعون ســــرا إلى التنصير ما أمكنهم لذلك كان هؤلاء إذا وجدوا مضايقات من الدولة لحاوا إلى قنصلهم وكانت هذه القنصل تدافع عنهم كرعيا أجنبيا في الظاهر أيضا . ولكن عندما صعب على البروتستانت الوصول إلى المسلمين التفــــوا حول الأرثوذكس والأرمن فلجا بطريق الأرمن إلى الباب العالي فحرص الباب العالي على حماية الأرمن من المنصرين البروتستانت فتدخل السفير البريطاني فاخذ يسعى لدى العثمانيين حتى استطاع سنة ١٢٦٧ هـ / ١٨٥٠م أن يحصل على مرسوم عثماني يعترف بوجود طائفة بروتستانية وطنية منحت من الحقوق مثل ما منحت به الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية في الدولة العثمانية (١) .

ولما أدركت الدول الأوروبية أن المنصرين آلة فعالة في تاييد النفوذ الأجنبي في الدولة العثمانية أخذت الدول تتسابق في استخدام المنصرين فكانت انكلترا لها الدور الريادي في ذلك الأمر ولكنها كانت لاتخشى من النفوذ الأمريكي كما كانت تخش النفوذ الفرنسي والإيطالي . لكن الدولة العثمانية لما فقدت سياستها الحكيمة تجاه المنصرين ، فقد ظلت تمنح الأطفال المسلمين من دخول المدارس التنصيرية قبل الانتهاء من التعليم الابتدائي في المدارس الرسمية . ثم كانت تلزم أن يكون التعليم الديني في تلك المدارس قاصرا على المسيحيين وحدهم .

وعندما ظهر ضعف الدولة العثمانية أخذت الدول الأجنبية تزيد في تظاهرها بدعم المنصرين . ولقد كان المنصرون يطلبون من دولهم أن تؤيدهم ولو كان ذلك مخالفا للعرف الدولي فتستجيب الدول لرغبة منصريها تاييدا لنفوذها السياسي والديني فكانت تضغط على الدولة العثمانية بين الحين والآخر حتى تلين أمام رغبات هؤلاء المنصرين (٢) . فحرصت بريطانيا على

(١) مصطفى خالدي وعمر فروخ : التبشير والاستعمار ، ص ١١٦ .

(٢) مصطفى خالدي وعمر فروخ : المصدر السابق ، ص ١١٧ - ١٢١ .

حماية ارسالياتها البروتستانتية خاصة سواء كانت هذه الارساليات انجليزيسية  
أم أمريكية أو ألمانية ، لنفوذها الفعال في الدولة في ذلك الحين .  
وحين أرادت الدولة العثمانية منع باعة الاناجيل الدوارين من التجول في  
المدن والقرى قاموا قاناصل الدول يتدخلون حتى حملوا الدولة العثمانية  
على عودة السماح لهم بذلك (١) .

تلى ذلك اغلاق الدولة العثمانية مدارس المنصرين الامريكيين في بيروت  
سنة ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٨م لأن هذه المدارس فتحت أبوابها بلا رخصة أو إذن من  
الحكومة . ولكن القنصل الأمريكي في بيروت تدخل في الأمر حتى سمح الوالي  
العثماني في بيروت على رضا باشا بأن تعود تلك المدارس الى فتح أبوابها  
على أن لا تقبل الا التلاميذ المسيحيين فقط . ولكن القنصل مازال يسعى حتى  
حمل الوالي على الغاء هذا الشرط . مع أن امريكا مثلاً لا يمكن أن تقبل  
لمدرسة ان تستقبل الطلاب الامريكيين بلا رخصة في فتحها ثم تلقنهم بعد ذلك  
ما يخالف المبادئ الأمريكية (٢) . فكيف وأنها تنصر المسلمين . ولكن  
المنصرين وصلوا الى اسطنبول منذ عام ١٢٦٣ هـ / ١٨٤٦م فقد اصبحت مركزاً  
لاعمال المنصرين ووكراً اخر بعد الشام آمينا لنشاطاتهم ولا سيما بعد تأسيس  
الكنيسة البروتستانتية سنة ١٢٦٧ هـ / ١٨٥٠م ولم يكن اختيار المنصريين  
لاسطنبول كمركز رئيسي لنشاطهم مجرد صدفة بل لأنها كما يقول " بلس " محط  
أنظار المسلمين وعاصمة المسلمين وعاصمة أمير المؤمنين وفيها رأي  
الاسلام على اتساع رقعة العالم الاسلامي . لذلك فقد سعت الارساليات التنصيرية  
للمركز بها بشكل أو بآخر مما يساعدها على رصد الحركات السياسية  
ومتابعة التطورات اولا بأول تحت شعار الخدمات الطبية والتعليمية  
والتنصيرية (٣) .

(١) موفق بن المرجه : صحة الرجل المريض ، ص ١١٨ .

(٢) مصطفى الخالدي وعمر فروخ ، ص ١١٩-١٢٠ .

(٣) موفق بن المرجه : المرجع السابق ، ص ١٦٦-١٦٧ .



وعلى الرغم من أن خط كلخانه عند صدوره سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م لم يشر إلى التعليم فإن السنوات التي تلت إصداره شهدت تغيرا ملحوظا في التفكير الحر في داخل الدولة العثمانية . فقد أنشئت المدارس على حساب بعض الأتراك الذين درسوا في أوروبا أو زاروها ، وقد تأثروا وامتثلوا حماسة للمعاهد التي شاهدوها . ولهذا فإنهم بعد عودتهم وضعوا الخطط لبناء المصانع دون إيجاد الرجال المدربين لتشغيلها . كما جرى الحديث عن إنشاء جامعة دون وجود أي كوادر إسلامية مؤهلة للتدريس فيها . وقد بدى في إنشاء مدارس ثانوية جديدة وقليلة ، كما قامت كنيسة غلطة سراي بتشجيع من فرنسا بتوفير التعليم الغربي للأولاد من كل الملل والنحل قوامه اللغة الفرنسية كما أنشئت أيضا المدارس الخاصة للبنات ولتدريب المعلمين ، ففي عام ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م أنشئت مدرسة لتدريب الموظفين ليكونوا إداريين المستقبل يدرسون الشؤون العامة والدولية .

ونتيجة لذلك التحرك من بعض الأتراك انفصلت مدارس الحكومة بصفة رسمية عن إشراف العلماء ، ووضعت تحت إشراف إدارة جديدة ذات صفة علمانية ، فتوسع التعليم الحديث بشكل سريع منذ حرب القرم واشتمل على فروع العالوية عسكرية ومدنية ، ثم جرى تطوير مدارس الطوائف الدينية بافتتاح المعاهد العليا . فزاد عدد الأرساليات الأجنبية أمريكية ونمساوية وفرنسية وإنجليزية وألمانية وإيطالية . (١)

ألا أن الباب العالي في آخر الستينات من القرن التاسع عشر شدد قيوده على المؤسسات التعليمية التنصيرية التي اعتبروها مراكز لاثارة القومية والثورة لدى الأقليات الدينية . مع العلم أن النظام التعليمي العثماني لم يجتذب إلا عددا قليلا من المسيحيين ، ولكن الفترة التي تلت تطبيق قانون التعليم في سوريا من قبل الدولة وهو سحب تلاميذ المسلمين الذين التحقوا بمدارس المنصرين . ثم تلى ذلك صدور أوامر الدولة العثمانية التي منعت الحاق المسلمين بمدارس الأرساليات في حالة وجود مدرسة حكومية أو مدرسة إسلامية خاصة في منطقة الشام . فرد المنصرون على ذلك بزيادة عدد

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢١٨ .

مدارسهم خاصة وأنهم فسروا السياسة التعليمية الجديدة التي اتخذتها الدولة لحماية أبناء المسلمين من الوقوع في حركة التنصير والردة عن الاسلام بأنها تهدف الى شل حركتهم (١).

ولم يكن ميدان الغزو الفكرى أو التدخل السياسى عن طريق التنصير قامرا فقط على الأمريكيين أو الانجليز أو الفرنسيين أو الايطاليين وحدهم بل ان روسيا القيصرية ارادت أيضا أن تدلى بدلوها فتنهبت أن في الدولة العثمانية طائفة أرثوذكسية ، فأرادت أن تسيطر أولا على البطارقة والأساقفة الارثوذكسيين وتتخذهم وسيلة لتحقيق اطماعها السياسية في الدول العثمانية عن طريق التنصير، وهكذا أخذ الروس في ايجاد الأراضي ، فأخذوا يشترون الأراضي في فلسطين خاصة ويقيمون عليها الأبنية حتى يتدخلون بمسألة ذلك في الأمور الدينية والسياسية (٢)، وقد اقتصر نشاط الارسلات الروسية القيصرية على فلسطين فقط (٣). على أن نزول الروس الى ميدان التنصير قد وقف فيوجهه المعاصر الانجليزية والفرنسية والايطالية (٤) .

يتضح لنا هذا الموقف من خلال دراستنا للوثائق البريطانية التي توضح روح التنافس الاستعماري التنصيري بين بريطانيا وروسيا وفرنسا من خلال الارسلات والمعاهد الكنسية خدمة للأهداف التنصيرية والتي تكشف عن النفوذ الروسي في فلسطين والشام . ومن أهم عوامل روسيا بلا شك أن جهودها قد توجهت الآن بالنجاح الذى جعل السيطرة والسياسة في يدها حالياً . على أساس حماية وتدعيم الكنيسة الأرثوذكسية التي يديرها اسما الأساقفة ورجال الدين اليونانيون .

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢١٩ .

(٢) مصطفى خالد وعمر فروخ : التبشير والاستعمار ، ص ١٢١ .

(٣) موفق بن المرحه : صحة الرجل المريض ، ص ١٦٧ .

(٤) مصطفى خالد وعمر فروخ : المرجع السابق ، ص ١٢١ .

، موفق بن المرحه : المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

وهناك أيضا منصر آخر هو بناء المدارس الروسية ، وتشجيع هجرة اليهود الى فلسطين . بالرغم من موقف الدولة العثمانية الحازم ضد هجرة وتسرب اليهود الا أن الروس حاولوا تهجير اليهود الى هذه المنطقة لتوطيد نفوذهم في تلك البلاد . كما كان الروس لا يغفلون أيضا حمايتهم الشاملة على اليهود ليضيفوا لقوسهم السياسي أيضا وترا ثانيا لا يقل عن قوة الأول (١) .

ويتضح من هذه الوثائق ظاهرة أخرى هو أن السياسة البريطانية تتهم دوما السياسة الفرنسية وخاصة في الأماكن المقدسة ، وتلقي باللوم على سياستها التي اتسمت بالتقصير خاصة في مجال التنصير والنشاط الثقافي والعتباب البريطاني هو ظن بريطانيا أن فرنسا مقصرة ، فلا بد أن تكون اللغة الفرنسية سائدة في الشام كله مع النفوذ السياسي أيضا ، لما للروس من سيطرة ونفوذ لاترغبه بريطانيا اطلاقا ، الا أنهم اشادوا في تقاريرهم عن ذكاء اليهود ومثابرتهم في الشام ونشاطهم الدراسي في كلية الزراعة في يافا ، لأنهم كانوا يتحدثون الفرنسية بطلاقة اضافة الى لغتهم العبرية .

هذه هي أهم نتائج هجرة اليهود من البلدان الأوروبية المختلفة الى فلسطين والذين كانت لديهم الرغبة في الإقامة الدائمة في فلسطين وعدم العودة الى أهلهم ومواطنهم الأصلية في روسيا وأوربا (٢) .

كما أنه من الواضح أن اتجاه روسيا وفرنسا وبريطانيا من خلال هذه الوثيقة وما سياستي هو تشجيع وتمهيد الاستيطان اليهودي في فلسطين .

كما أن نبرة الاحتقار بالنسبة للعرب المسلمين في المنطقة بالكسل وهذه الفكرة صدى لما كان يدور أو يخطط له في أروقة الخارجية البريطانية والتمهيد له لما بعد ، حول اعلان وعد بلفور .

---

F.O.: 424/197 Sir N. o'coner to the Marquesses of (١)  
Salisbury. No: 91, 24-12-1898.

Ibid. (٢)

أما القنصل الروسي عندما يحمي هؤلاء اليهود في فلسطين سيكسب  
أو سيضيف من مراسي النفوذ في البلاد العربية التابعة للسلطان العثماني  
لاستغلاله يهود السلاف لحل مشاكلهم من أوربا لكسب سياسة جديدة ، والعمل  
على خلق مشاكل للسلطان في ميدانه .

ففي هذه الوثيقة أيضا إشارة الى أن الحقائق التي يراها من الممكن  
أن تحقق توقعات (لورد بيكم فيلد) . كما أنها يمكن أن تكون عاملاً  
مهما في وجود حل للمسألة الشرقية ، ويؤكد النفوذ السياسي الروسي في  
البلاد لأنه هو النفوذ السائد في فلسطين والأراضي المقدسة ، ولا يستبعد في  
الوقت نفسه أن تفرض الوصاية على الأماكن المقدسة (١) . ويؤكد أيضا انتشار  
النفوذ التعليمي والديني الروسي في سوريا وفلسطين لأن مسيحي سوريا ليسوا  
كثيري العدد وإنما ينقسمون في اتجاهاتهم العقدية الى عدد كبير من  
الكنائس المختلفة التي يعتمد بعضها على روما والبعض الآخر منعزلاً عنها .  
فالمجموعة الأولى تشمل اللاتين والذين يتبعون الطقوس الرومانية العديدة  
لكل الكنائس اليونانية والسورية والكاثوليكية الأمريكية والمارونية  
نتيجة لجهود الارساليات التنصيرية الفرنسية والإيطالية والروسية  
التي دخلت بلاد الشام .

وعموماً كان اهتمام هذه الارساليات بسوريا وفلسطين من خلال رحلات  
الحج التي تنظمها جمعية فلسطين الأرثوذكسية التابعة لروسيا (٢) وذلك من أجل  
تركيز نفوذهم في المنطقة العربية والإسلامية .

وتتحدث هذه الوثيقة أيضا عن جمعية فلسطين ونشاطها وسيطرتها على  
أقوى سلاح والمتمثل في هيمنتهم على المدارس الأرثوذكسية التي تمكنهم  
تدريجياً من نشرها على طول البلاد وعرضها . وينقل المحرر عبر الوثيقة تخوفه

---

F.O.: 424/198-Sir N. O. Conor to M. Salisbury, (١)

No, 76, 26-4-1899.

Ibid.

(٢)

من خلال هذه المدارس سوف ينم بناء جيل جديد ينتمي الى روسيا بالولاء والروح . كما تشير هذه الوثيقة الى الجهود المتواصلة التي تقوم بها الحكومة الروسية من خلال جمعية فلسطين لتحقيق هدف التنصير في ولايات سوريا ولبنان . وتنفق هذه الجمعية بسخاء مالا يقل عن (٦٠٠٠) ستة الاف جنيهه تركي سنويا ، لدفع ايجار المباني المدرسية المستأجرة في تلك البسلاط ، ومرتبات المدرسين مع ايجاد طبيب روسي في دمشق .

هذا الطبيب اضافة الى عمله طبيا فكان يعمل جاسوسا للجمعية وكان يقوم برحلات في كافة البلاد يعالج فيها مجانا من كل من يقابله ، بل ويقدم المساعدة لمرضاه يقدم لهم الكشف والادوية اللازمة مجانا ، وكان غالبية هؤلاء المدرسين من الروس ، وزيادة في نشر اللغة الروسية في البلاد يتم تعليمها محانا على أن هذه المدارس مدارس عثمانية اسميا ، اذ لا يعترف بها أنها مدارس روسية رسمية حتى تضمن الاستمرارية (١) .

ومن الأحداث في سوريا ما صرح به مصدر مسئول قوله : ان بعض القسرى المجاورة للقدس ، التي كانت كاثوليكية منذ خمسة وعشرين سنة تحولت الآن الى أرثوذكسية تماما بسبب الاغراءات المالية والمساعدات الشخصية من خلال المساعدات الروسية لأباء وأطفال الملتحقين بالمدارس الروسية ، وينقل صاحب هذا التقرير ما رآه غير مانقله عن طريق المخبرين في قرية على الطريق بين القدس وبيت لحم تسمى ( بيت يانا ) ، هذه القرية تحول سكانها جميعا الى أرثوذكسيين تماما .

وتشير هذه الوثيقة الى أن أعمال جمعية فلسطين التنصيرية الأرثوذكسية قد حصرت أكثر أعمالها في مجال التعليم ، فانه من المرجح ما كانت تقابل مقاومة كبيرة من السلطات الكنسية المسئولة عن المجتمع المحلي والتي أسعدها

---

F.O.: 424/198, Sir N. O'Connor to M. Salisbury,  
N: 76, 26-4-1899.

(١)

أن تتلقى مساعدات مالية من هذه المؤسسة لمدارسها (١).

وبسبب هذه الاغراض والمساعدات الكبيرة التي تغدقها روسيا عليهم فاننا نرى نبرة القنائل ومساعدتهم في الأماكن المقدسة يرفعون تخوفهم ويفصلون لدولهم مايرونه من النشاط البارز لروسيا في بلاد الشام ونفوذها السائد. كما يظهر الخلاف واضحاً بين السياستين البريطانية والروسية في الصراع المذهبي الذي أقلق انكلترا من بسط النفوذ التعليمي الروسي في سوريا والشام ، أو الغزو الفكري الذي تتزعمه روسيا لتحويل أهل سوريا ولبنان وفلسطين إلى أرثوذكس. كما يظهر هذا القلق من المذكرة التي تلقي اللوم على السلطات الكنسية الإيطالية والفرنسية التي تغشى بالمال الروسي وما حققته روسيا في القدس لا يمكن للقارىء العادى أن يغفله.

ففي الأماكن المقدسة تجد أن الكنيسة الأرثوذكسية هي المسيطرة في كل مكان وحتى في المدينة نفسها ، وعلى ما يجاورها كلها كانت مكتظة بالمؤسسات الروسية . ويؤكد هذا التقرير أن كل مبنى هام جديد هنالك إما كنيسة روسية أو دير روسي ، أو تكية لاستقبال أفواج الحجاج المسيحيين الذين يقدون على دفعات مابين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف شخص (٢) في جهود مكثفة لاستيعاب سكان هذه المناطق للدخول إلى ملتهم الأرثوذكسية دون ملل ودون كلل، في تقديم المساعدات المادية والعينية من أجل بناء المدارس والكنائس في تلك المناطق .

هذا التقرير المفصل ينقل لنا معلومة أخرى هي أن العملة الروسية هي السائدة إذ اغرقت البلاد وأصبحت كثيرة التداول والاستخدام في المجتمعات المسيحية الأخرى التي لا تنتم إلى كنيسة روما والتي نلمس منها يوماً الدخول أفواجا إلى المذهب الأرثوذكسي الروسي لأسباب اقتصادية بحتة . مع أنهم

F.O.: 424/198, Sir N. O'Connor to M. Salisbury, (١)

No.: 76, 26-12-1899.

Ibid .

(٢)

فرنسا بأنها غير قادرة على مقاومة التنصير الروسي صراحة ، ويبدو أن ممثلي القنصلية الفرنسية في فلسطين وسوريا تبذل جهودها ولكنها جهود سريسة لمواصلة تأييد اللاتينيين الكاثولكيين الذين لازالت فرنسا تحميهم في الشرق ولكن الواضح أنها لم تستطع أن تنجح في مسعاها (١) .

وهذه وثيقة أخرى عن بعض المدارس الروسية أيضا في الجليل تبين نتائج جولة السيد انيشيوف عضو مجلس الشيوخ الروسي ورئيس جمعية فلسطين الروسية على تلك المدارس في الناصرة وحيفا للبنين والبنات ، هذه المدارس أقيمت على نفس النظام الذي انتهجه الروس ، حيث يدرس في هذه المدارس اللغة الروسية والعربية ، كما يدرس بها حصة أو حصتين في الأسبوع في فن النجارة ، والحرف الأخرى للبنين ، كما يوجد بالمدرسة طبيبان من رجل وامرأة ملحقان بالمدرسة يقدمان الرعاية والخدمة الصحية مجانا (٢) .

وهنا ينقل لنا القنصل الانجليزي ريتشارد من القسطنطينية بالتقرير السرى رقم (١٠) عن انتشار النفوذ التعليمي الروسي في دمشق لابلاغه لحكومته عن الأرثوذكسيين اليونانيين الذين سلموا مدرستين واحدة للبنين والأخرى للبنات تضم الأولى مائة وخمسين طالب والثانية مائة طالبة ، للقنصل الروسي ، وقد سبقتها مدرسة يونانية سلمت أيضا للقنصلية المذكورة ، والسبب في ذلك هو النقص المالي الذي تعانيه تلك المدارس حتى تضمن دفع مرتبات المدرسين والكتب للطلبة وغيرها من المصروفات المستقبلية .

إضافة الى ذلك تحول مدرستين من المدارس اليونانية في لatakيا الى الكنيسة الروسية ، وقال التقرير ان التأثير الروسي في سوريا

---

F.O.; 424/189, Sir N. O'Connor to M. Salisbury, No.: 76,

26-4-1899.

(١)

F.O. 424/199, From Consul General Drummond Hay to  
sir N. O'Connor No. 3/1, 3/2, 15/16-6-1899.

(٢)

لا زال في تقدم ونمو مستمر (١) .

وهذا التقرير أيضا يسجل ظاهرة أخرى من النفوذ الروسي أو جمعيتها  
فلسطين التنصيرية على المدارس اليونانية التي حولتها الى حظيرتها  
بالاغراء المالي لهذا نراها أيضا تسيطر على المدارس وتتبنها للمصروف  
عليها لا بل تحولها الى ارتوذكسية روسية مما زاد قلق بريطانيا في هذا  
الشان الى جانب المذاهب أو الملل الأخرى النصرانية لرعاياها هناك .

الا أن القنصل ريتشارد مطمئن لأنه من بين جميع المدارس الأرثوذكسية  
اليونانية في دمشق ان مدرسة البنين لازالت تحتفظ باستقلالها عن النفوذ  
الروسي ويعلل ذلك بان عدم ضم هذه المدرسة هي سياسة مرضية ولا بأس بها .

أما عدد المدارس التنصيرية الروسية في سوريا وفلسطين تبلغ نحو ( ١٠٠ )  
مائة مدرسة للبنين والبنات ، تشمل نحو ( ٨٠٠٠ ) ثمانية آلاف تلميذ ، تحت  
الإدارة الروسية وأنها تكلف جمعية فلسطين للتنصير حوالي ( ١٠٠.٠٠٠ ) مائة  
ألف نابليون (٢) تدفعها روسيا بسخاء (٣) .

ويواصل ريتشارد في تقريره التصويري عن المدارس الروسية وأنظمتها  
لدارسين بها فيشرح ذلك بأن كل مدرسة تعلق صور القيصر على الحائط جنباً الى  
جنب مع صورة مريم العذراء ، أو أحد القديسين حيث ينحني أمامها التلاميذ  
بصحة مدرسيهم ثلاث مرات في اليوم ويرسمون بيدهم علامة الصليب . ثم ان  
التلاميذ يتعلمون كيف يتحدثون عن الامبراطور الروسي بكلمة " ملكنا " وهو  
تعبير يعني لرعايا الدولة العثمانية المتحدثين باللغة العربية  
السلطان فقط .

---

F.O.:424/200-Consul Richards to Sir N . O'conor (١)  
No. : 23, 19-2-1900.

(٢) النابليون : عملة فرنسية تساوي ٢٠ فرنك . الوثيقة السابقة رقم (٢٣) .

F.O.:424 /200 , Ibid. (٣)



ويضيف الكاتب ريتشارد في تقريره قوله : " وربما يعترض البعض بقوله أن هذه أشياء تافهة ، بالعكس فإنها ليست عديمة الفائدة إذا نظرنا اليها كفضائيات تبين لنا اتجاه الرياح " (١) .

أما شروط الدخول للتلاميذ فإنه أقل من خمس سنوات لايسمح لهم بدخول هذه المدارس ولكن لا يوجد قيد زمني فيما يتعلق بمدارس البنات وتفسير ذلك أن عقل الطالب ينمو بسرعة اكبر من عقل الفتاة وأنه كلما بدأ مبكراً في مرحلة التعليم كلما قل احتمال محو ما في عقولهم عند استمرار معرفتهم وتعلمهم حقائق الحياة (٢) كما يراها هؤلاء المنصرين . وبمعنى آخر لغسل مخ التلاميذ الذين ينضمون الى هذه المدارس .

وقد أساء المنصرون الى العلم لما اتخذوا منه وسيلة الى التنصير ، فالأب يأتمن على ابنه عند دخوله المدرسة حيث يقدم آثمن مالهديه وهو يظن أنه وضع ابنه بين يدي أنبل الناس ، بين يدي المعلمين .. ولكن المعلم المنصر انسان خلت من قلبه أجمل معاني الانسانية . فقد الأمانة والاستقامة والصدق (٣) ، وهذا ما أشار اليه التقرير السابق عن شروط دخول المدارس التنصيرية بالنسبة للاطفال والوبين الاعمار المطلوبة لدخولهم والسبب في ذلك وخامة البنين (٤) .

وفي الحقيقة هذه من أهم صفات المعلمين أو المدرسين وخاصة في المراحل الأولى من تعليم الطفل الابتدائي ، فإذا فقد المعلم فقد مقومات الأمانة العلمية .

---

F.O. 424/200, Consul Richards to Sir No.O'conor, (١)  
No.: 23, 19-2-1900.

Ibid. (٢)

مصطفى خالدي وعمر فروخ : التبشير والاستعمار ، ص ٧٦ . (٣)

Ibid. (٤)

والمنصر اذا تعرض لرجل ناضج حاول استمالته بشتى الطرق ليقنعـــــــــــــــــــــــــه  
بصواب مذهبه . أما أن يتخذ رجل أشرف مهنة أسبغها الله على الانسانية  
وسيلة ليخادع بها الاطفال ومن فوقهم فهذا في منتهى الكفران للامانة  
العلمية التي علقت في رقاب الناس . فقد قال أحمد شوقي في هذه المهنة  
الجليلة مايلي :

قم للمعلم وفه التبجيلا	كاد المعلم أن يكون رسولا
أعلمت أشرف أو أجل من الذي	يبني وينشئ أنفسا وعقولا

وهذا الذي ظنه شوقي وظنه الناس كلهم قد جاءوا الى بلادنا بعنوان الانسانية  
بينما تنطوى نفسه على أشياء أخرى استغله في أشرف مكان وهو المدرسة .  
فاستغل المنصرون العلم ستارا لغايات هي بدورها لغايات أخرى هم ومــــــــــــــــــــن  
استخدمهم ليصلوا عن طريق هذا النشاط الى استعباد الشرق واستغلاله سياسيا  
واقتصاديا .

فقد حصل رامون لل على مقابلة البابا سلعستين الخاص وكان ذلك عام  
١٩٩٤ هـ / ١٢٩٤م وقدم له كتابين فيها خطة للتنصير بين المسلمين :  
أولهما : أن تتخذ الكنيسة العلم والمدارس وسيلة للتنصير .  
ثانيهما : ينصر المسلمون بالقوة اذا لم تنجح فيهم الجهود .  
ومع أن البابا لم يمع الى خطط رامون كما قيل . وهكذا نرى أن التنصير  
عن طريق التعليم مشروع باباوى في أساسه وتطوره (١).

وللتعليم أيضا عند المنصرين غاية واحدة هي تنصير التلاميذ الذين  
يحضرون الى المدارس . ومعلوم أن في الكلية الانكليزية في القدس طلاب مسلمون  
ونصارى ويهود ، وكانت سياسة المدرسة أن تنصرهم كلهم ، الا أن المقصــــــــــــــــود

(١) مصطفى خالدي وعمر فروخ : التبشير والاستعمار ، ص ٢٦-٢٧ .

بالتنصير الحموع الاسلامية . لهذا اختار المنصرون ميدان التعليم ———  
لان للتعليم اثرا فعلا ، بل هو اقوى وسائل التنصير ، والمنصرون يــــرون  
ان الوسيلة التي تأتي بأحسن الثمار في تنصير المسلمين انما هي تعليم ———  
اولادهم الصغار ومن اجل ذلك لاستغرب ان يدمو المنصرون الى بناء مدارس  
كثيرة في البلاد الاسلامية . فقد انشا اول مدرسة في الدولة العثمانية  
للبنا ببيروت عام ١٨٣٠ م .

بهذه الطريقة يخرج التلاميذ المسلمون من عناية المدارس المسلمة .  
ولكي يكون التنصير كاملا كان يرى المنصرون ان يتولوا هم التعليم في جميع  
انواعه في البلاد العثمانية واقطارها ، فرياض الاطفال مهمة جدا للاطفال  
لان التعليم الديني في هذه المدارس يجعلها بابا مفتوحا للتنصير ولتأثيره  
في عقول الاطفال الغضة ، ثم ان الذين يشرفون على مدارس رياض الاطفال  
يكونون اكثر اتصالا باهل الطلاب .

وكذلك التعليم الابتدائي وسيلة شمينه للتنصير لانه يمكن للمنصريــــن  
ان يثبتوا اقدامهم في القرى تحت ستار التعليم الابتدائي الذي تحتاج اليه  
القرى ، وللمدارس الابتدائية فضل على الكليات بصفة عامة لانها تمكن المنصر  
من ان يصل الى العقول وهي لاتزال تتأثر بما يلقي اليها (١) .

وهنا نرى أيضا بعض المنافسة بين الروس والانجليز لاثام الروس بضعف  
التعليم لديهم لطول الدراسة للغة الروسية وتجاهل بعض الموضوعات الأخرى  
الأكثر أهمية للأطفال مما جعل الأطفال يفضلون التعليم في مدارس الارساليات  
البريطانية حتى أصبحوا من حين لآخر يفضلون العودة الى مدارسهم الأساسية  
ويتركون المدارس الروسية على اعتبار أنها أفضل من الارساليات الروسية (٢) .

---

(١) مصطفى خالدى وعمر فروخ : التبشير والاتسعمار ، ص ٧٦-٧٧ ،  
F.O. 424/200 Consul Richards to sir N. O'conor No:23, 19-2-1900.

F.O. 424/200 : Ibid.

(٢)

هذا النفوذ في مجال التعليم يوضح بجلاء الدور الروسي في عملية  
الغزو الفكرى في منطقة اسلامية مهمة من الدولة العثمانية .

كما يظهر تغلغل التنصير الروسي وغيره في البلاد العربية في دمشق  
وفلسطين ولبنان . ثم نلمس أن هناك محاولة للسيطرة على رئاسة الناحية  
الدينية . وأيضا انعكاس ومؤثر لاطماع روسيا القيصرية في الدولة  
العثمانية ومظاهرها من مظاهر الغزو الفكرى في مجال التعليم .

فالتعليم في مدارس الارساليات المسيحية انما هي واسطة الى غاية ،  
هذه الغاية هي قيادة الأفراد الى الدين النصراني وتعليمهم حتى يصبحو جموعا  
وأفرادا نصارى .

فكل التقارير تبين التنافس الاستعماري بين بريطانيا وروسيا وتوظيف  
الارساليات والمعاهد التعليمية والكنسية خدمة لأهداف الاستشراق والتنصير  
والاستعمار .

وهنا نرى موقف فرنسا كرد للنفوذ الروسي خلال فقدانها لمركزها  
عندما قام السيد جيسويت بإنشاء مدرسة طبية ، وهذه الخطوة لاشك أنها خطوة  
مضادة للنشاط الروسي في الشام (١) .

ثم ان المجتمع المسيحي قام مؤخرا بشراء قطعة أرض في شارع دمشق  
في مدخل بيروت لاقامة مدرسة طبية على أن يلحق بهذه المدرسة مؤسسة علاجية  
للقاية من الديدتيريا ، الذي يعج في تلك البقاع ، ولما علمت الحكومة  
الفرنسية ساهمت بحوالي مليون فرنك للمساعدة البريطانية في هذا المشروع ،  
وقد تم بناء سور حول هذه الأرض (٢) ، وهذا كرد فعل للنشاط الروسي  
في الأماكن المقدسة .

---

F.O: 424/200, Sir. N. O'conor to Marguess of  
Salisbury No: 55. 22-5-1900. (١)

F.O: 424/200 Consul-General Drummond Hay to N.  
O'conor, No. 55/2, 26-4-1900 . (٢)

ويتابع القنصل العام دارموند حديثه عن نشاط الروس فيذكر بـأن طراسوف مفتش المدارس الروسية في طرابلس قد قام بزيارة المدارس المشتركة الروسية في فلسطين ، وقد قرر في هذه المدارس تدريس اللغة الروسية والعربية وتدرس كتاب يشمل على العقيدة الأرثوذكسية واللغة الفرنسية والتركية ، وسوف تواصل فتح مدارس أخرى في طرابلس بنفس النظام (١) .

يلاحظ في هذا التقرير أو التقارير رصد قنصل بريطانيا لكل من نفوذ روسيا وفرنسا في الدولة العثمانية في مجال التعليم والتنصير . ويأتي هذا انطلاقاً من روح التنافس الاستعماري التي سادت بين القوى الأوروبية وأطماعها في ممتلكات الدولة العثمانية ثم في وسائل التنصير عن طريق الخدمات التعليمية والعلاجية والدعم المالي المهائل من الدول الأوروبية كما يتضح ذلك من مساهمة الحكومة الفرنسية فأصبحت بهذا أرض الشام أرض مناورة أولية للصراع بين الملل والمذاهب المسيحية حول نفوذ كل ملة من هذه الطوائف على أرض سوريا وفلسطين ولبنان حتى اسطنبول ، لم تخل من ذلك التنافس على كسب أكبر أرض من الدولة العثمانية على مختلف قاراتها الثلاث ، ومحاولة تنصير الأمم الإسلامية وردهم عن دينهم إلى دين النصرانية عن طريق التعليم المجاني والخدمات الطبية والمساعدات الزراعية .. إلى غير ذلك من أساليب تحايل دول الغرب عن طريق الغزو الفكري .

وما يهمنا هنا هو تناول الغزو الفكري من الناحية التاريخية وبالأسلوب التاريخي في بلاد الشام وعاصمة الدولة العثمانية ————— حسب خطة البحث ، وتأثير ذلك على عقيدة ناشئة المسلمين بالطرق والأساليب الملتوية حول تحويل منهج الطليبيين من الغزو العسكري إلى الغزو الفكري للمشرق الإسلامي حين فشلت حلولهم العسكرية لاستكمال حلقات المؤامرة الصليبية الشرسة لهدم الخلافة الإسلامية كما سيأتي في باب .

---

F.O. 424/200, Consul-General Drummond Hay to (١)  
N. 55/3, 7-5-1900.

أما سياسة الرجل المريض : فهي من حملات التشهير بالدولة العثمانية والتي كان منها اطلاق عدة مسميات أو صفات على السلطان العثماني فهو " المريض الذى لايرجى شفاؤه " و " المريض المشرف على الموت " و " رجل أوربا المريض " (١).

ولقد جاءت هذه التسمية نتيجة لاتساع كيان الدولة العثمانية وعدم استطاعتها تجديد أنظمتها وإدارتها ، ولما كانت عظمته مبنية على أساس قوتها العسكرية لذا عندما سقطت هيبتها العسكرية سقطت بالتالي الدولة لفروبات التي سدها الغرب المسيحي اليها في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين الموافق للقرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، وذلك بعد أن تغلغلت فيها الامتيازات الأوروبية التي شجعت الغزو الفكرى الذى ساعد في تمزيق الافكار والأوطان . وبعد أن أصبحت بلدان الخلافة العثمانية في يد الاحتكارات الأوروبية الرأسمالية وظهرت معها الأطماع الاستعمارية لاقتسام أملاك الدولة العثمانية التي أطلقوا عليها تركة الرجل المريض ، وحاول سلاطين آل عثمان أن يقوموا بمحاولات اصلاحية اتخذت النظام الغربى نموذجا لها ، وقد بدأ الاصلاح في المقام الاول الى اصلاح آلة الحرب والنظم العسكرية ، وقد فشلت هذه المحاولات الاصلاحية أيام سليم الثالث ( ١٢٤٠ - ١٢٦٢ هـ ) وأيام محمود الثاني ( ١٢٢٣ - ١٢٥٥ هـ ) وغيرهما من السلاطين الذين أتوا بعدهما في القرن الثالث عشر الهجرى الموافق للقرن التاسع عشر الميلادى ، نظرا لأن هذه المحاولات لم تأخذ بعين الاعتبار الميحات المخلصة المنبعثة من الجزيرة العربية التي تنادى بالاصلاح على أساس التوحيد الخالص من كل دخيل وعلى أساس عقائد السلف الصالح ، أى بالبناء على قواعد الماضى المجيد التي أسسها الجدود ، وبدلا من أن تتعامل الدولة العثمانية مع هذه الميحات وتمضى لها التفتت اليها لتضربها كما سنرى فيما بعد (٢) .

---

(١) عبدالعزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ،

ج ٢ ، ص ٨٣٠ .

، حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، ج ٢ ، ص ١٣٧ .

(٢) محمد مصطفى رمضان : العالم الاسلامى الحديث والمعاصر ، ص ١١٢ .

ولكن أطلقت هذه المسميات أول ما أطلقت في بادئ الأمر على المجال الدبلوماسي المغلق ، وعلى أعلى المستويات ، ولكن لم تمض عدة سنوات حتى أعلنت هذه المسميات علنا على الدولة العثمانية وما أحاطت به من ملابسات فوقف على هذه التسميات الرأي العام البريطاني . ثم انتقلت الى سائر الدول الأوروبية ، فتلقفها المؤرخون والباحثون ورجال السياسة الحاقدون أو المتحاملون على الدولة العثمانية أو أعداء الاسلام واتخذوا منها مادة للتشهير بالدولة العثمانية (١).

والحق أن دعاية الرجل المريض دعاية مفرضة ، أطلقت على الخلافة العثمانية في سنواتها الأخيرة فكانت هذه الدعاية دعاية يهودية انطلقت أو خرجت من يهود الدونمة من داخل تركيا نفسها ، فهذا التعبير لم يكن إذا ترجمة حقيقية لوضع الخلافة قبل السقوط (٢) إنما هو مجرد دعاية للتشهير بضعف الدولة العثمانية وإيهام الناس بذلك لزعة ولاء ولاياتها أو شعبها لاتخاذها حجة لانفصال ، وهذا ما فعله محمد علي حين ثار على الدولة العثمانية فانفصل عن الدولة سنة ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠م وقد سبقه في ذلك اليونان .

وبعد القضاء على ثورة محمد علي ، عادت روسيا الى سياستها التقليدية في محاولة تدمير الدولة العثمانية عن طريق الضغط العسكري وأشارة الاضطرابات في البلقان (٣).

وسواء كان هذا التوجه للتشهير بالدولة العثمانية وللحط من قيمتها من بعض حكومات الدول الأوروبية ، أو جاءت كتاباتهم بوحى من أفكارهم

---

(١) عبدالعزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، ج ٢ ، ص ٨٣٠ .

(٢) هيئة الاخبار : الرجل المريض ، دعاية يهودية ، مجلة التضامن الاسلامي ، السنة ٤٤ ، الجزء ٥ ، ص ٥٩ - ٦٠ .

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٠٧ .

وحقدهم فقد كان الهدف من ذلك كله هو النيل من الدولة باعداد وتخطيط  
فكرى مسبق ، لدى الدول الأوروبية بأن سقوط الدولة العثمانية لامحالة  
أمر وشيك وأن نهايتها آتية لا يختلف فيه اثنان (١).

وهذا التخطيط مبني على حقد دفين من هذه الدول للدولة العثمانية  
التي حمت راية الاسلام لعدة قرون ، وقد أجهضت الحروب الصليبية التي  
قادت بها أوروبا نحو الشرق لاجراج الدولة العثمانية من أوروبا واحتلال  
بيت المقدس ، فقد ردت عليهم الدولة وشتت جموعهم الصليبية حلفا بعد حلف  
وجعلتهم في حالة الدفاع عن النفس بعد الاستيلاء على القسطنطينية وتهديد  
روما كما سبق . هذا الحقد وراء الاشهار باطلاق هذه المسميات " الرجل  
المريض " الى غيره من المسميات الأخرى ، التي تنم عن الحقد الدفين  
والقصد منها احباط الدولة في مسيرتها وتحريك كوامن الأقليات النصرانية  
داخل هذا الكيان واشعال الثورات لتزيد من تفاقم الأزمات في الدولة  
ويسهل تدخل الدول الأوروبية لحماية أقلياتها.

وان أول من أطلق هذا الاسم أو عبارة " رجل أوروبا المريض "  
( The Sickman of Europe ) هو نيقولا الأول قيصر الروس  
( سنة ١٢٤١ هـ / ١٨٢٥ م - ١٢٧٢ هـ / ١٨٥٥ م ) في حديث جرى سنة ١٢٦٠ هـ / ١٨٤٤ م ،  
بينه وبين أبردين ( Aberdeen ) رئيس وزراء بريطانيا في  
وندسور Windsor في إنجلترا وكانت تجمع بين الاثنين صداقة  
حميمة ، وهذا التمريح لم يكن جديدا أيضا على القيصر ، فقد أعلن رأيا من  
قبل أشد لهجة وأكثر بعدا عن اللباقة الدبلوماسية حيث قال : " ليس في  
استطاعتي أن أبعث الحياة في الموتى . ان الامبراطورية العثمانية دولة ميتة ، وليس

---

(١) عبدالعزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ،



لدى ثقة أن يستمر هذا الجسم العجور محافظا على الحياة ، انه في حالة انحلال في جميع النواحي " (١) .

هذا التمريح جاء في وقت كان الرأي العام الأوروبي يطالب أوربيا بطرد العثمانيين من القارة بفضهم وقضيتهم واقتسام أملاكهم بين الدول النصرانية (٢) .

ثم أعاد القيصر عبارة الرجل المريض في سنة ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م أي قبيل نشوب حرب القرم ، فقد تحدث القيصر مع سير هاملتون سيمور ( Sir Hamilton Seymour ) السفير البريطاني لدى روسيا ومع غيره من رجال السياسة وكانت هذه الأحاديث تدور حول اعتقاد نيقولا الاول أن سلطان الدولة العثمانية رجل مريض للغاية وقد يلفظ أنفاسه الأخيرة فجأة ، وأن من الخير للسلام العالمي ان تفكر الدول الأوروبية مليا في توزيع ممتلكاته قبل وفاته . وأعرب عن رأيه بإمكان تسوية الأمور بين بريطانيا والروس دون الحاجة الى قيام أي حرب (٢) .

فاقترح استيلاء روسيا على اسطنبول وبريطانيا على مصر وكريت . فلم يجبه السفير الانكليزي جوابا شافيا بل أجاب القيصر بأن الأولى أن نعالج هذا الرجل المريض ، وتعهد بالعناية حتى تعود اليه قوته كما كان سابقا ، لأنه لو مات حملت بعده حروب تهدر فيها الدماء أنهارا في سبيل تقسيم تركته ، ولم يكن ذلك من الدولة الانجليزية حبا بتقوية الدولة العثمانية أو حبا في بقائها بل كان خوفا من امتداد روسيا في الشرق واحتلالها لاسطنبول فتشارك انكلترا في ملك البحار الذي انفردت به .

---

(١) عبدالعزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفتري عليها ،

ج ٢ ، ص ٨٣٠ - ٨٣١ .

، حسين لبيب : تاريخ الاتراك العثمانيين ، ج ٢ ، ص ٣٧٠ .

(٢) عبدالعزيز الشناوي : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٨٣١ .

ومن جهة أخرى خابر نابليون الثالث حكومة بريطانيا بشأن الاتحاد مع الدولة العثمانية لتحديد مصير الأماكن المقدسة في فلسطين حتى لا ينتشر نفوذ الروس بين رعايا الدولة العثمانية الأرثوذكس الذين ربما يبلسغ عددهم احد عشر مليوناً ، لاسيما وأن حماية روسيا للقدس وماجاورها يجعل انكترا في خطر على أقرب طرقها لمستعمراتها الهندية وهي طريق مصر ، فاقتنعت بضرورة مقاومة نفوذ روسيا في هذه الأماكن خصوصاً بعد أن اطلعت على مقاصد القيصر عن طريق سفيرها في روسيا (١) . وهذا النفوذ الروسي الذي لمسناه فيما سبق من خلال الوثائق والتقارير حيث تركزا اهتمامها أساساً على حماية وتدعيم الكنيسة الأرثوذكسية التي يديرها الأساقفة ورجال الديـن المسيحيين وهذا ما نقله نابليون الى حكومة بريطانيا للتحالف ضد هذا النشاط الروسي في الأماكن المقدسة ، وهو بلاشك توجه من روسيا للموقف السياسي في فلسطين ، وهو من العوامل التي توجت نجاح روسيا والسيطرة السياسية في المنطقة (٢) .

ولكن هذا التعبير الأوربي الذي أطلق على الدولة العثمانية يعني المرض الذي انتاب السلطان العثماني - انما هو تعبیر سياسى قصد به الضعف السياسى والعسكرى بعد أن بلغ بالدولة حد الاضمحلال والتدهور وذلك في أواخر القرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى . في الوقت الذى تتقدم فيه أوربا نحو الأمام ، وكانت الدولة الأوربية الكبرى مسئولة عن جانب كبير من ذلك الضعف الذى ألم بالدولة (٣) لكثرة ثورات واضطراب الاقليـات المسيحية داخل الدولة والتدخل من هذه الدول الأوربية بقصد الحماية .

---

(١) محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٩٣ .

(٢) F.O. 424/197 , Sir. N. O'Concor to the Marguess of Saliabury, No: 91, 24-12-1899.

(٣) عبدالعزیز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفتـرى عليها ، ج ٢ ، ص ٨٣١ .

ولكني أقول حين تركت الدولة العثمانية التمسك بالكتاب والسنة وحاولت تطبيق القانون الوضعي واقتباس الانظمة الغربية أتاها الضعف ، لأن هذه القوانين الوضعية لاتوافق بأى حال من الأحوال طبيعة الدولة الاسلامية وهذا الخط هو الذى جرف الدولة عن مسارها القويم . ثم ان معارضة العلماء لكل اصلاح جديد لايتنافى مع الشريعة هو أيضا سبب من أهم أسباب ضعف الدولة ، ولا ننسى أن هذا التشهير بالدولة أيضا غزو فكري لخطط سابقة وهي زحزة الدولة العثمانية الاسلامية عن النظم الاسلامية والمواقف بالنظم الأوروبية ، لأن نظرة الاستشراق الأوربي هو القضاء على الاسلام والمسلمين من الكرة الأرضية واستعبادهم واستغلال ممتلكاتهم ، حتى تجعل الشعوب الاسلامية بهذه الدعايات تؤمن بعجزها عن تحقيق أى تقدم في المجالات الاقتصادية والفكرية والاجتماعية والسياسية ، واستحالة تقدمها مادامت مصر على التمسك بدينها ، واتهامهم بأن هذا الدين هو السبب الحقيقي لتخلفهم .

يقول هانوتو " الدين الاسلامي يبعث في الانسان الخمول والكسل ولا يوقظه منهما ٠٠٠ وان تقدم المسلمين مستحيل ونجاحهم بعيد . لأن الاسلام معتقدهم يحول دون ذلك ، وأن كل حكومة انفصلت عن الشرق وسارت على منهاج أوربــــــــــــا علما ومدنية نجحت " (١) .

فعملاء الغزو الفكرى قد عملوا منذ نهاية القرن الثالث عشر الهجرى التاسع عشر الميلادى ، وبعبارة أصح منذ أن استقر في أوكار الصهيونية والاستعمار ، تدمير الخلافة الاسلامية ، عند ذلك عملوا على تخريب الفكر الاسلامي وتشويه عقل المسلمين وهم مازالوا يعملون حتى الآن ، الأسماء تتغير ، والشعارات تتلون ولكن الهدف واحد ، هو تجريد المسلم من أقوى سلاح وهو ايمانه بالله وان كتاب الغزو الفكرى ( الطابور الخامس ) الذى يعمل داخل صفوفنا

---

(١) السيد أحمد فرج : جذور العلمانية ، ص ٣٦

ليجهز على مقاومتنا (١) .

هكذا نرى أن التعاون بين السياسة والتنصير قد أعطى ثمرته الأولى حين أخذت الأقطار الشرقية تسقط تحت السيطرة أو النفوذ الأجنبي إلا أن هذه الدول لم تقص المنصرين بعد أن نالت حاجتها من جهودهم بل زادت تقريبتهم لأنهم أصبحوا أعرف الناس للبلاد وأهلها واتجاه الريح فيها . لذلك وقف المنصرون ورجال السياسة وجهها لوجه أى الفريقين يجب أن يتقدم على الآخر وكان المنصرون من قبل يدخلون البلاد وبعد ذلك يأتي الجيش على أثر ذلك ولكن في أواخر القرن الثالث عشر الهجرى التاسع عشر الميلادى أخذ المنصرون بتقديم الجيش أولا لأن ذلك يسهل مهمتهم (٢) .

معنى هذا أن تغيير هذا النظام يعطينا دلالة واضحة على هدف الدولة العثمانية وعدم استطاعتها المقاومة كما كانت في سابق عهدها لبعد هذا الميدان عن الدولة المنشغلة في مشاكلها الداخلية وما أكثرها آنذاك .

لهذا فضل المنصر أن يعمل بعد الاحتلال ، فكان حكام هذه المناطق على حق في تخوفهم حينما يعتقدون أن مجيء المنصرين ينهي دائما تدخل الدول النصرانية في بلادهم ثم بعد ذلك يفقدون جزءا منه (٣) .

...

- 
- (١) محمد جلال كشك : الغزو الفكرى ، ( الطبعة الرابعة ، القاهرة ، المختار الاسلامي للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٩٥ هـ ) ص ٧٠ .
- (٢) مصطفى خالدى وعمر فروخ : التبشير والاستعمار ، ص ١٤٤-١٤٥ .
- (٣) مصطفى خالدى وعمر فروخ : المرجع السابق، ص ١٤٥ .

## الفصل الثالث : عوامل الغزو الفكري الأوروبي للدولة

- أ - أثر الموقع الجغرافي .
- ب - تطورات التاريخ الأوروبي الحديث : العلمانية والقومية والحركة الدستورية
- ج - صدى الثورة الفرنسية .
- د - انطماع الدولة الأوروبية في ممتلكات الدولة الإسلامية .
- هـ - أنشطة الماسونية والصهيونية .

### أثر الموقع الجغرافي السياسي :

يأتي أهمية موقع القسطنطينية السياسية على الكرة الأرضية نظرا لموقعها الجغرافي حيث تقع عند نقطة اتصال آسيا بأوروبا عن طريق مضيق اسطنبول "البوسفور" الذي يصل البحر الأبيض بالبحر الأسود بواسطة بحر مرمرة (١).

وهذا الموقع يعد من المواقع الاستراتيجية على الكرة الأرضية لتحكم القسطنطينية في هذا المضيق بين البحر الأبيض والأسود، ولهذا اسموها في القديم باسم الفاروق لفرقها بين البرين والبحرين، أي (بين بر آسيا وأوروبا والبحر الأسود والأبيض) (٢)، فكان عرض هذا المضيق المذكور في أقرب نقطتين بين البرين أقل من كيلو متر (٣).

وقد قال نابليون في القسطنطينية " لو كانت الكرة الأرضية في حوزة دولة واحدة لكان يلزمها أن تتخذ القسطنطينية عاصمة لها " (٤).

ولتلك المدينة أهمية خاصة لدى المسلمين، وقد وردت البشارة النبوية بفتحها (٥)، فكانت أمنية من أكبر آماني المسلمين، وقد حاولوا عدة محاولات لفتحها، لكنها لم تكمل بالنجاح حتى شاءت إرادة الله أن يقوم السلطان محمد الثاني " الفاتح " بفتحها، فكان ذلك نصرا عظيما للإسلام والمسلمين وتحقيقا لحلم طالما ترقبوا طول انتظاره (٦).

- 
- (١) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، ج١ ، ص ٤١-٤٢ ،  
على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣١ .
  - (٢) محمد بيرم الخامس التونسي : صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والاقطار  
(بيروت ، دار صادر ، طبع بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٣هـ) ج ٥ ص ٤٢-٤٣ .  
أبو الحسن علي الندوي : ماذا خسر العالم بالانحطاط المسلمين (الطبعة الثالثة ، الكويت ، دار القلم ، ١٤٠٢ هـ) ، ص ١٦٢ .
  - (٣) على حسون : المرجع السابق ، ص ٣١ .
  - (٤) أحمد جودت باشا : المصدر السابق ، ص ٤٢ .
  - (٥) أبو الحسن علي الندوي : المرجع السابق ، ص ١٦٢ .
  - (٦) على حسون : المرجع السابق ، ص ٣١ .
  - (٦) محمد مصطفى صفوت : فتح القسطنطينية ، ص ٤٢ ، ٤٥ .

وقد عرفت هذه المدينة التي على ضفاف البوسفور بأسماء عديدة ، فكان اسمها عند السلاف ( زارغراد ) : أى مدينة الامبراطور ، وعند سكان شمال أوربا ( ميكالاغارد ) أو ( ميكل غارث ) ( Myklagaardor ) ( Micklegarth ) أى البرج العظيم (١) .

ألا أن اليونان والرومان عرفها باسم بيزنطة أو بيزنطية  
( Bysanca ) نسبة الى مؤسسها بيزاس ( Bisas ) وهو بحار يوناني ترك بلاده سنة ٦٥٢ ق . م . مع بعض رفاق له وبعدما مخرت بهم سفنهم في بحر ايجه مروا بالدردنيل ، ووصلوا الى البوسفور فاحتلوا القرن الذهبي لانه أوى سفنهم ، ومع توالي الزمن كثر عددهم وعظم شأنهم وسمو موقعهم بيزنطة ( Bysance ) وبعد مرور الزمن أصبحت مدينة بيزنطة حاضرة الدولة البيزنطية . لذلك نقسـل قسطنطين الأول سنة ٣٢٤م مقر ملكه من روما الى بيزنطة وسمى المدينة باسمه ( القسطنطينية ) (٢) . وبهذا الاسم اشتهرت عند المسلمين والمسيحيين وغيرهم . وفي عهد سلاطين آل عثمان سميت حينئذ فتحها السلطان محمد الفاتح باللغة التركية اسلام بول ، أى مدينة الاسلام (٣) . ومنذ ذلك التاريخ أصبح اسمها اسطنبول بعد أن جرى بعض التعديل على الاسم التركي لها . (٤)

وسميت أيضا استانة (استانبول) وهي كلمة فارسية معناها العتبة ، عتبة الدولة أى العاصمة (٥) ، كما سميت "دار السعادة" (٦) .

- 
- (١) برنارد لويس : استنبول ، ص ١١ .  
(٢) عزيز خانكي بك : ترك واثاتورك ، (القاهرة المطبعة العصرية ، الفجالة) ص ١١٨ .  
(٣) كامل باشا : تاريخ سياسي دولة عليية عثمانية ، ج١ ص ٨٠ .  
(٤) عزيز خانكي بك : المرجع السابق ، ص ١١٨ .  
(٥) Ferit Develligla : Osmanli Ca-Turkce , Ansiklopedik Lugat. ( مادة استانة ) .  
(٦) عزيز خانكي : المصدر السابق ، ص ١١٨ .

ونظرا لموقعها السرى والبحرى الفريد فانها كانت ميناءا بحريا تمر به تحارة الشرق والغرب وتحدوها المياه من ضلعيها ، ففي الشمال الغربي القرن الذهبي ، وفي الجنوب الغربي يقع بحر مرمرة ، وبين البحرين يجرى المضيق (البوسفور) ، وتقع هذه المدينة على سبع تلال ، فمناخها معتدل ليس بشديد الحرارة صيفا ولا شديد البرودة في فصل الشتاء (١) .

ويجدر بنا الآن القول بأن موقع اسطنبول موقع استراتيجي هام حيث أنها تربط قارتين هامتين هما آسيا وأوربا وقد اشتهرت بالصناعة والتجارة (٢) ، وكانت التجارة تأتي اليها بحرا عن طريق البحر الابيض والبحر الاحمر والبحر الأسود ، وبرا من القارتين آسيا وأوربا وأهم تلك التجارة تجارة بلاد فارس والهند وغيرها من البلاد الاسلامية وكذلك تجارة الشرق الاقصى والتجارة القادمة من شرقي أوروبا وغربها فهي مجمع لتجار العالم المعروف آنذاك ، تأوى اليها السفن من كل صوب الى مينائها في القرن الذهبي الذي يعج بحركة دائمة . وقد اهتمت الحكومات التي سبقت الدولة العثمانية وكذلك الدولة العثمانية بهذه المدينة وتسهيل حركة التجارة بها وتأمين سبل الراحة والعيش لهم ، فاشتهرت أسواقها بمواد الترف والزينة والمصنوعات والاعطور، والمنسوجات الحريرية والكتانية الجميلة ذات الألوان الباهية الى جانب ذلك كان الصيارفة يزاولون مهنتهم بنجاح منقطع النظير .

وقد عملت الدولة العثمانية على نشر الاسلام فيها وتحويلها الى حاضرة اسلامية كما أنها عملت على سن سياسة خاصة بمرور السفن بمضيق

---

(١) عبدالسلام عبدالعزيز فهمي: فتح القسطنطينية ، ص ١٦٠ .  
(٢) كامل باشا: تاريخ سياسي لدولة عثمانية ، ج ١ ، ص ٨٠ .



البوسفور والدردنيل وذلك لأنهما يمثلان نقطة اتصال عالمية بين الشرق والغرب كما أن هذه النقطة تمثل عنق الزجاجة بالنسبة للبحر الاسود والمخرج الوحيد له للمياه الدافئة حيث يمكن لتجار البحر الاسود الاتصال بالبحار العامة والمحيطات عن طريق تلك المضائق ، وكانت سياسة الدولة العلية هي فرض سيادتها على المضائق (١) . فالسلطان محمد الفاتح هو مؤسس نظام المضائق حين شيد القلعتين المتقابلتين في أضيق نقطة في مضيق اسطنبول كما سبق ذكره (٢) .

فاستندت الدولة على ممارسة السيادة على المضائق تمشيا مع القاعدة القانونية التي تقول: اذا كان المضيق واقعا في أرض دولة واحدة وكان اتساعه لا يزيد على ستة أميال فان مياهه تعتبر مياهها اقليمية ، وتتبع لهذه الدولة ، واذا زاد اتساعه عن ستة أميال فانه لا يدخل تحت سلطة الدولة منه أكثر من ثلاثة أميال من كل ناحية من ناحية هذا المضيق ، على اعتبار أن المضيق كله تابع للدولة صاحبة شاطئيه اذ جرى العرف بذلك . وعلى اثر ذلك اتبعت الدولة العثمانية سياسة ناجحة في فرض سيادتها على البحر الاسود ، وكانت لها في ذلك الزمان حرية التصرف تفتحته لسفن بعض الدول على حسب اتفاقيات خاصة وللبعض منها استثنائية وتقبله عن تشاء ومتى تشاء (٣) وخاصة اذا كانت السفن سفن حربية او تحمل معدات حربية فيها خطر على البلاد الاسلامية . فالدولة بحكم موقعها الجغرافي معبر بين أوروبا وآسيا او بمعنى آخر بين بلاد الاسلام وبلاد المسيحية ، فهي المكان التي التمقت فيه القارتان وتقابلت فيه الديانتان وجهها لوجه ، في العصر الحديث ، فقد هاجمت الدولة العثمانية الاسلامية أوروبا في عصر قوتها ، من هذا الموقع الا أنها أصبحت في موقف الدفاع عن النفس في عصرها الثاني

---

(١) عبدالعزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفتري عليها ، ج١ ، ص ١٩٠ .

(٢) يلماز أورتونا : تاريخ الدولة العثمانية ج١ ص ١٣١ .

(٣) عبدالعزيز الشناوي : المرجع السابق ج١ ص ١٩٠-١٩١ .

الذي يستدعي نظرة شاملة في كل أمورها<sup>(١)</sup>. وخاصة في مشكلة المضائق البحرية لموقع الدولة بوجه خاص ، فمشكلة مسألة المضائق مشكلة دقيقة ، بل كانت صورة حساسة لمركز الدولة العثمانية من حيث القوة والشمول أو الاضمحلال والضعف<sup>(٢)</sup>.

لذلك جعلت مسألة المضائق الجغرافيا والسياسة شيئا واحدا ، فهي مشكلة ناشئة عن موقع الدولة أو أهمية موقع الدولة ومركز اسطنبول الخليفر من حيث تحكمها في المضائق وهذا جد خطير للغاية بالنسبة لدولة ضعيفة التسلح ، وعلاقتها العدائية بروسيا التي تريد الخروج من سجنها عبر هذه المضائق الى البحار الدافئة في عصر كان المستقبل فيه للبحر والتوجه اليه لهذا ينبغي للحركة الإصلاحية أن تعالج هذه الأوضاع وأن تدفع هذه الأخطار المحدقة بها من كل صوب ، حين ظهر بوضوح أن قوة الدولة قد اضمحلت في القرن الثاني عشر الهجري ، القرن الثامن عشر الميلادي ، وأصبحت قوة مصطنعة وأن الدولة اذا لم تستيقظ من نومها وتصلح من شأنها فانها سوف تنهار قوتها ومركزها عاجلا أو آجلا<sup>(٣)</sup> . فالدولة العثمانية كانت في عصرها الأول قوية الجانب استطاعت ان تفرض سيادتها على المضائق والبحر الأسود مع احترام الدول لهذه السيادة ، الى حد ان الرعايا الروس اذا أرادوا ممارسة التجارة بين موانئ البحر الاسود كان عليهم أن ينقلوا بضائعهم على سفن عثمانية تحمل العلم العثماني ، أما الدولة في عصرها الثاني فقد اضمحلت وتعرضت لضغوط سياسية وعسكرية أحيانا من الدول الأوروبية التي تسابقت في معاهدات اعطاء حق المرور لسفنها التجارية الحربية في البحر الأسود في وقت الحرب والسلم حتى بلغ الهوان والضعف بالدولة لاعترافها في احدى

(١) محمد عبد اللطيف البعراوى ، حركة الإصلاح العثماني ، ص ٦٤ .

(٢) عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفتري عليهم ،

ج ١ ، ص ١٩٦ .

(٣) محمد عبد اللطيف البعراوى : المرجع السابق ، ص ٦٤ .

المعاهدات بأن الدفاع العسكرى عن المضايق انما هو مسئولية مشتركة بينها وبين الروس . وهذا يعد انتهاكا لسيادة الدولة العثمانية وعصفها بسياستها العليا ، للهزائم العسكرية التي تعاقبت عليها ، والاطار التي جثمت عليها لضعف شخصية سلاطينها في الفترة الثانية (١) . كما سيأتي الحديث عنهم حين تكالبت الدول الأوروبية للضغط على الدولة من كل صوب ، في اشارة المشاكل بين الاقليات المسيحية في البلقان والصرب ، لايجاد المبرر للتدخل الاجنبي بحجة حماية الاقليات المسيحية . وهكذا أصبحت الدولة في اضطرابات دائمة ، حتى أصبح التفكير جادا بين دول أوربا لاقتسام ممتلكات الدولة العثمانية ، الا أن البعض الآخر كان يرى المحافظة على ممتلكات الدولة وأن تبقى الحالة كما هي عليه خوفا من اندلاع الحرب بينهما حول هذه التركة .

...

---

(١) عبدالعزیز الشناوی : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفتري عليها ،

ب - تطورات التاريخ الأوربي الحديث :

ان تطورات التاريخ الأوربي الحديث قد أوجد الحركة العلمانية والقومية والحركة الدستورية ، وهي أحد عناصر الغزو الفكري الأوربي الذي تسرب للدولة العثمانية بصورة خاصة ، أو للعالم الاسلامي بصورة عامة بقصد تفتيت الوحدة الاسلامية وخلق جو من الاضطرابات والصراعات داخل جسم الدولة العثمانية .

فالعلمانية هي من نتاج الصراع الذي حصل بين البابوية والأباطرة أيهما أعلى ، البابا أو الامبراطور ؟ فانتهى هذا الصراع بعد قرنين من الزمان بهزيمة البابوية وظهور العلمانية ، لاصدار الدساتير لبيان حدود الحاكم والمحكوم ، ويعني ذلك تحلل أوربا من الاقطاع الذي خيم على أوربا خلال العصور الوسطى ، وايجاد الدول الحديثة المنظمة ، لاستحالة العودة لنظام أوربا الاقطاعي (١) .

ويؤكد عبدالكريم المشهداني أن معنى " العلمانية في المفهوم الغربي تعني أن شئون الحياة امر خاص بنشاط الانسان وسعيه بمعزل عن اى نظام ديني او روعي، فهي تعني الدنيوية أو العصرية أو الزمنية ، والتفرييق فيها واضح بين شئائيات الله والقيصر والكنيسة والدولة والامبراطور والبابا والقانون الكنيسي والقانون الوضعي " . فالدولة الاوربية تقف من الديين موقف المحايد ، لامعه ولا عليه مع كفالة حرية المعتقد وحرية العبادة ، وحرية التنصير الديني على شرط ألا يخل هذا بالنظام العام وعدم التزام الدولة بأى عقيدة دينية وحتى لا تميز اى عقيدة على الأخرى (٢) .

والتفسير الشائع للعلمانية في الكتب الاسلامية المعاصرة هو " فصل الدين عن الدولة " والحقيقة ان هذا التفسير لا يعطي المدلول الكامل

---

(١) محمد عبد اللطيف البحراوى : التاريخ المعاصر وعلاقة العضوية بالازمنة

الحديثة ، (العدد ٢ السنة الحادية عشرة ، ١٤٠٦هـ) ، ص ٩٢ .

(٢) العلمانية وآثارها على الأوضاع الاسلامية في تركيا ، ص ١٣ .

لمعنى العلمانية الذى ينطبق على الافراد وعلى السلوك الذى لا يكون له صلة بالدولة ولو قيل أنها فصل الدين عن الحياة لكان أصوب، وذلك فـ————ان المدلول الصحيح للعلمانية هو " إقامة الحياة أو الافراد في موقفهــــــــــــــــــــا من الدين بمفهومه الضيق المحدود : فبعضها تسمح به كالمجتمعات الديمقراطية الليبرالية ، وتسمى منهج ( العلمانية المعتدلة - Noreligious ) أى أنها مجتمعات لادينية ولكنها غير معادية للدين وذلك مقابل ما يسمى ( العلمانية المتطرفة - Anti Relious ) أى المضادة للدين ويعنون بها المجتمعات الشيوعية ومشاكلها .

أما موقف الاسلام من هذا لافرق عنده بين المسيحيين فكل ما ليس ديننا فـفى المبادئ والتطبيقات فهو في حقيقته مضاد للدين ، فالاسلام والإلادينية نقيضان لا يجتمعان ولا واسطة بينهما (١) .

ولقد كان للصراع الدائر بين الكنيسة ورجال الدين الحر في أوربــــــــــــــــا اثر بعيد في التطرف ، ونقل معنى العلمانية الى معنى يكاد يقرب مــــــــــــــــــــن الالحاد ، فقد كانت الكنيسة تتمتع بسلطان مطلق لاحدود له ، لافى شــــــــــــــــــــون الدين فحسب بل في شئون الدنيا أيضا . فكان لها وحدها تفسير الكون ووضع النظريات الفلكية والجغرافية دون الدخول في تفاصيل تلك القضايا ، ثم فــــــــــــــــى المبدأ والمصير وقوانين المجتمع بكل تفاصيلها ، ولو خالف ذلك العقــــــــــــــــل والمنطق ، وزاد شعور الناس بعبء سلطان الكنيسة حين وقفت في طريق التقدم الفكرى والعلمى وراحت تلاحق العلماء وتعدمهم حتى جاءت الثورة الفرنسية فصمت هذا الموقف لصالح اللادينية ( العلمانية ) (٢) .

---

(١) سفر عبدالرحمن الحوالي : العلمانية ، ( الطبعة الأولى ، مكة ، دار مكة للطباعة والنشر ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ) ص ٢٣-٢٤ .  
(٢) عبدالكريم المشهداني : العلمانية وآثارها على الأوضاع الاسلاميــــــــــــــــة في تركيا ، ص ١٣-١٤ .

، محمد أبوزهرة : محاضرات في النصرانية ، ( الطبعة الرابعة ، الرياض ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية ، ١٤٠٠ هـ ) ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .  
، سيد قطب : المستقبل لهذا الدين ، ( الطبعة السابعة ، القاهرة ، دار الشريعة ، ١٤٠٧ هـ ) ، ص ٤٠ - ٤١ .

ولكن قبل ذلك كان النظام الاجتماعي الذي كان يسود الحياة الأوروبية في تلك الفترة  
أو طيلة القرون الوسطى هو نظام " الاقطاع " وهذا النظام أبشع وأظلم  
النظم الاجتماعية التي عرفها التاريخ. فالظلم دائما سمة من سمات الحكم  
الجاهلي لأي مجتمع في كل مكان وزمان ، ولكن صورته في المجتمع الأوروبي  
الاقطاعي كان أشد قسوة ، في الوقت الذي كان فيه المشرق الاسلامي ينعم  
بحياة هادئة في ظل العدالة الاسلامية ، أفضل نظام اجتماعي على مر العصور  
عندما كان المسيحي في المقابل يعيش نير نظام الكنيسة البغيض . فليس هناك  
مقارنة ، وكان الاحتكاك المباشر بالمسلمين هو أولى محاولات الانسداد  
محاولة الانفلات من المظالم الاقطاعية وذلك عن طريق الفتوحات الاسلامية فسي  
أوربا ، وبلغ الاحتكاك ذروته ابان الحروب الصليبية ، وليس غريبا  
أن يكون أرقاء فرنسا ، هم رواد الثورة الاقطاعية لموقعها الجغرافي  
المحاذي للمسلمين في الاندلس ، وبعد مركز البابوية عنها وهذا من الأسباب  
التي دفعتها الى روح التحرر والانطلاق (١).

إضافة الى ما سبق لاننى الفتوحات العثمانية التي توغلت في أوربا  
لنشر الاسلام بها ، مما جعل هذه الدول تتعرف على الاسلام في عقر دارها ، مما  
أعطى دفعة قوية أيضا للثورة على افساد نظام الاقطاع والتحرر من القيود  
الكنسية التي أصبحت لاتجارى طموحاتها كما هو الاسلام الذي يملح أو يواكب  
كل زمان ومكان .

لذلك انطلقنا الثورة الفرنسية ١٧٨٩م لتكون آخر مسمار فسي  
نعش السمو الكنيسي تلك الثورة التي كان واحدا من شعاراتها ( اشنقوا  
آخر ملك بأمعاء آخر قسيس ) وبذلك تم الفصل بين الدين والدولة فسي  
أوربا لتصبح أوربا اللادينية ( علمانية ) والتي قلصت سلطان الديـ  
حين حصرت داخل جدران الكنيسة فمن أراد فليذهب اليه هناك (٣).

(١) سفر عبدالرحمن الحوالي : العلمانية ص ١٦٥

(٢) اسماعيل الكيلاني : فصل الدين عن الدولة ص ١١٦-١١٨ .

(٣) عبدالكريم مشهاني : العلمانية وأثارها على الاوضاع الاسلامية في

تركيا ، ص ١٤-١٥ .

لذلك يقول ويلز " كانت ثورة الشعب على الكنيسة دينية ، فلم يكن اعتراضهم على قوة الكنيسة بل على مساوئها ، ونواحي الضعف فيها ، وكانت حركات تمردهم على الكنيسة حركات لا يقصد بها الفكك من الرقابة الدينية بل طلب الرقابة دينية أتم وأوفى .. وقد اعترضوا على البابا لأنه الرأس الديني للعالم المسيحي بل لأنه لم يكن كذلك أي لأنه كان أميراً ثرياً دنيوياً ، بينما يجب أن يكون قائدهم الروحي " (١) . والحقيقة ان المناداة التي سبقت بفصل الدين عن الدولة في تاريخ الكنيسة ، في الواقع العسودة الى ما كانت عليه في وضعها الأول الصحيح وأن انحرافها عن هذا هو الذي جرّها الى البلاء والشقاء .

أما موقف الاسلام من هذا فان المناداة بفصل الدين عن الدولة فهو انحراف عن وضعه الصحيح ، بل وقوع هذا الفصل في بعض مراحل التاريخ قد جر على الاسلام والمسلمين البلاء (٢) .

لذلك لم تكن الثورة الفرنسية حدثاً هاماً في تاريخ فرنسا فقط ، انما هي أبرز احداث القارة الأوروبية ، فقد وضعت حد للنظام القديم القائم على الاستبداد في الحكم ، وفتحت الباب أمام نظم جديدة ، ملكية كانت أم جمهورية (٣) ، لادينية تقوم فلسفتها على الحكم باسم الشعب ( وليس باسم الله ) وعلى حرية التدين والحرية الشخصية بدلا من التقيد بالأخلاق الدينية وعلى دستور وضعي بدلا من قرارات الكنيسة ، ثم قامت بحل الجمعيات الدينية وسرحت الرهبان ، وصادرت أموال الكنيسة ، وألغت كل امتيازاتها وحاربت

---

(١) معالم تاريخ الانسانية ، ج ٤ ص ٩٨٩-٩٩٠  
سفر عبدالرحمن الحوالي : العلمانية ص ١٦٦-١٦٧

(٢) اسماعيل الكيلاني : المرجع السابق ، ص ١٢٠-١٢١

(٣) عبدالعزيز سليمان نوار وآخرون : التاريخ المعاصر ، (بيروت ، دار

النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) ص ١٩٠

الثورة العقائد الدينية علنا وبشدة في هذه المرة وأصبح رجل الدين —  
المسيحي موظفا مدنيا لدى الحكومة (١) .

فكانت أوروبا تشكو مما كانت تشكو منه فرنسا حيث كان الملوك يمارسون  
الحكم المطلق على شعوبهم والطبقات الممتازة ( الاقطاعيون ) يهيمنون  
على خيرات البلاد في كل مكان ، والكنيسة تتمتع باسم الدين بامتيازات لاحد  
لها ، وباعفاءات من الضرائب والواجبات تجاه الدولة ، والحريات العامة  
لاوجود لها الا في صدور الأحرار ، والشعوب لاسيطرة لهم ولا سلطان لهم (٢) ،  
فالثورة الفرنسية جاءت تعالج هذه العلل وتحاول أن تجد لها حولا تصلح  
لفرنسا كما تصلح لغير فرنسا في حالات كثيرة أبان العصر الحديث (٣) ،  
فالثورة التي حدثت في القرن الثالث عشر الهجري / الموافق للقرن التاسع  
عشر الميلادي بالنسبة لشعوب أوروبا المظلومة كانت بمثابة المدرسة  
الرائدة في مجال التحرر ، تأثرت بها واستنارت بكثير من أفكارها  
ومبادئها الجديدة ، لمعالجة أوضاعها السياسية والاجتماعية (٤) .

ومن هذا نصل الى أن العلمانية في أوروبا أو الحركة الدستورية رد فعل  
خاطيء لدين محرف وأوضاع خاطئة ، وأنها نبات نكد من تربة خبيثة  
ونتاج سيء لظروف غير طبيعية (٥) أشعلتها أو تزعمتها الثورة الفرنسية ،

- 
- (١) سفر عبدالرحمن الحوالي : العلمانية ، ص ١٦٩ .
  - (٢) عبدالعزيز سليمان نوار وآخرون : التاريخ المعاصر ، ص ١٩ .
  - (٣) عبدالعزيز نوار وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٩ .
  - محمد عبداللطيف البجراوى : التاريخ المعاصر وعلاقته بالأزمنة  
الحديثة ، (الدار ، العدد الثاني ، السنة الحادية عشرة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م)  
ص ٩٣ .
  - (٤) عبدالعزيز نوار وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٩-٢٠ .
  - (٥) سفر عبدالرحمن الحوالي : المرجع السابق ، ص ٦٤٨ .



عندما كانت الحكومات والشعوب الأوروبية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين الموافق للقرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين — تعيش في حركة ، في جو الأزمات الفكرية وأزمات التنظيم الاجتماعي والحروب والثورات الدينية ، فحاولت الثورة الفرنسية أن تجد حلاً لجميع المشكلات وفعلاً حلت مشكلات وأصبحت هي ذاتها مشكلة (١) وسنتناول ذلك في الفقرة التالية .

...

---

(١) محمد شفيق غريال : منهاج مفصل لدروس في العوامل التاريخية فسي بناء الأمة الإسلامية ، ص ٨٢ .

ج - صدى الثورة الفرنسية في الدولة العثمانية :

لقد كانت الثورة الفرنسية بداية لتغير سياسي على الخريطة الأوروبية بشكل جذري كشفت للعالم عن مطامع نابليون التوسعية ، فنتيجة لذلك اتسعت فرنسا بعد الثورة وبشكل غير معقول ، لم تعهده فرنسا نفسها ، فأصبحت تضم بلاد بلجيكا ، وكل الأراضي الواقعة بين الحدود الفرنسية حتى نهر الراين ، ثم أخذ الساحل الايطالي من الحدود الفرنسية الى روما (١) .

فقد أثارت هذه المطامع أوروبا كلها ، فواجه نابليون العداء الشديد من تلك الدول ، نتيجة للسلطات التي آلت اليه ، فكان مبعث خوف أوروبا أولا من الميول الاستعمارية التي تجلت في حملات نابليون العسكرية على ايطاليا وألمانيا وهولندا وسويسرا ، حتى دانت له تلك المناطق التي جعلها نابليون من ممتلكاته الشرعية الجديدة (٢) ، فأصبحت هذه المكاسب الثورية مصدر رعب لملوك أوروبا المحافظين لاعتناق أبناء هذه الشعوب مبادئ الثورة . وهذا يعنى أن هذه هي بداية النهاية لسلطانهم خاصة اذا ما أشار شعوبهم عليهم طلبا لهذه الحرية (٣) .

لذلك رأوا أن الحل هو الصدام العسكى المباشر مع فرنسا ، لوقف انتشار أفكار هذه الثورة في أوروبا . وكان على رأس هؤلاء روسيا وأسبانيا فانتهزوا وفاة الامبراطور ليوبولد وارتقاء ابنه فرنسيس عرش النمسا الذى كان أكثر قوة وأقل حذرا وميلا للمصالمة من والده فشجعوه على إعلان الحرب ضد فرنسا (٤) .

- 
- (١) عبد المجيد نعنعي : أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة ، (بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٨٣م) ص ٣١٩ .  
، عبد العزيز نوار وآخرون : التاريخ المعاصر ، ص ١٢٥-١٣٦ .  
(٢) آمال السبكي : أوروبا في القرن التاسع عشر ، (الطبعة الاولى، جدة ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، ١٤٠٥/١٩٨٥م) ص ٩٥ .  
(٣) آمال السبكي : المرجع السابق ، ص ٩٥-٩٦ .  
(٤) عبد العزيز نوار وآخرون : المرجع السابق ، ص ٥٠ - ٥١ .

وقد انتهت تلك الحرب بانتصار الحلفاء على فرنسا ، رغم محاولة نابليون وأنصاره كبح جموح الجيوش المتحالفة الأوروبية ، وذلك للقضاء على نظام الملكية وانتصار مبادئ الثورة الفرنسية التي تدعو إلى ( الحرية والعدالة والمساواة ) (١) .

وأمام هذا الخوف من تجدد الثورة وللمحد من اتساعها باشرت الدول الكبرى إلى اتخاذ بعض الترتيبات الكفيلة لتحقيق تحالف ضد هذه الثورة (٢) بين ملوك روسيا والنمسا وبروسيا . ودمى ملوكا آخرين للانضمام اليه ظنا منهم انهم يوم هزموا نابليون قد هزموا الثورة ، وأرجعو الساعة لأرجائها وأعادوا الملكية العظمى للأيد (٣) ، وغفلوا أن نابليون قام بإدخال المبادئ الأساسية للثورة الفرنسية في كل بلد ضم إلى الامبراطورية الفرنسية ، وقد أوجد في كل مكان تقريبا أنصارا ومؤيدين لاصلاحياته الدستورية من أبناء الطبقات الشائرة ، وقد أعطى كل بلد من هذه البلدان مع الدستور الجديد القانون المدني الذي أقرته الثورة الفرنسية ( القانون الفرنسي ) (٤) .

هذا الحلف رسم بتوجيه من البارونة فون كرونر التي كانت المدبرة الدينية للامبراطور الروسي . وتنص وثيقة هذا الحلف على إلزام المشتركين فيه " بأن يفعوا أنفسهم ورعاياهم وجيوشهم في مكان الوالد من العائلة " وأنهم " اذ يعد احدهم الآخر مواطنا له " يشد أحدهم الآخر ويجمعون الدين المسيحي ويحثون رعاياهم على تقوية أنفسهم وتدريبها على القيام بالواجبات المسيحية حيث ينص أحد بنود الحلف بأن المسيح هو الملك الحق لكل الشعوب المسيحية وأن الملوك المتربعين

---

(١) عبدالعزيز نوار وآخرون : التاريخ المعاصر ، ص ٥١ .  
ل . ج . شيني : تاريخ العالم الغربي . ترجمة مجد الدين حفني  
نامف ، ( القاهرة : الناشر دار النهضة العربية ) ص ٣١٠ .  
(٢) عبد المجيد نعنعي : أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة ،  
ص ٣٢٥ .

(٣) هـ . ج . ولز : معالم تاريخ الانسانية ، ج ٤ ، ص ١٢٦٠ .  
(٤) عبدالعزيز نوار وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٣٦-١٣٧ .  
عبد المجيد نعنعي : المرجع السابق ، ص ٢٢٠-٢٢١ .

على دولهم بمثابة المحافظين باسم الملك المسيح ويحكمون باسم هـذا الملك (١).

وقد وقع هذا الحلف كل من بروسيا وروسيا والنمسا سنة ١٢٣١ هـ / ١٨١٥م وانضمت اليهم فرنسا فيما بعد (٢) محاولة للبقاء في الصف الأوروبي بعد اقالة نابليون واعادة الملكية في حكمها ، أوبالأصح عودة ملوكها آل بوربون .

ورغم الصبغة الدينية لهذا التحالف الا أنه في الواقع لايمثل الا رغبة ملوك أوروبا في القضاء على كل محاولة للخروج عن طاعتهم أو قيام جمهورية شوربية في أوروبا والعالم على شاكلة الثورة الفرنسية ، والواقع أن فكرة هذا التحالف فكرة خيالية تعارض الأماني الشعبية الاوربية السائدة في تلك الأيام . وقد صاحب هذا التحالف معارضة من الانجليز لعدم التوقيع على هذا الحلف لاعتبار مبادئه غامضة للجميع وغير عملية ، خاصة وأن المبادرة لهذا الحلف أتت من روسيا المعروفة بمطامعها الواسعة في أوروبا مما جعل الشكوك تساور بريطانيا حول غاية ومقصد هذا التحالف .

اضافة الى ذلك ، أن ملك بولنده (بولونيا ) هو الآخر لم يوقع لأنه لم يكن له ملك في بولنده ، لأن الاسكندر الروسي قام وألحق بولنده ببلاده ، فأصبح حلفهم مخالفة قانونية بين الدول حلت محلها عصبة أمم هي " اتحاد أوروبا " (٢) وسرى هذا الاتحاد القومي ينقض على الدولة العثمانية يدا واحدة في ثورة اليونان لتسكين الحرب ثم السعي في استقلاله وخلاصه من الدولة العثمانية .

فاللولة العثمانية كلما فتحت اقليما اوربيا اكتفت للأسف الشديد من أهله بالخراج والجزية غيرمتدخلة في دينهم أو لغتهم أو عاداتهم الاجتماعية (٤) لتطبيق الدولة الشريعة الاسلامية مع أهل الذمة .

(١) هـ.ج. ولز: معالم تاريخ الانسانية ، ج ٤ ، ص ١٢٦٠-١٢٦١.

(٢) عبدالمجيد بنعني : أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة ، ص ٣٢٥-٣٢٦.

(٣) هـ.ج. ولز: المرجع السابق ص ١٢٦١.

(٤) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٤١١.

ولهذا حين سنحت أول فرصة لهذه الدول طالبت باستقلالها من الدولة (١) . فالصورة التي خلفتها الحملة الفرنسية في مصر ثم تركتها انعكس صداها وامتد أثرها في أجزاء متفرقة من الدولة وفي العاصمة لأن نابليون أرسل وهو في مصر رسالة إلى علي باشا والي يانينا يحرضه فيها على التمرد والعصيان فورا في صراع مع السلطان ، إلا أن السلطان سليم الثالث أعلن عام ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م أن السفير الفرنسي المقيم في اسطنبول والفرنسيين فيها يرسلون رسلهم إلى الروملي والمورة وجزر الأرخبيل للحث على ثورة هذه البلدان ضد الدولة العثمانية (٢) . عندما اكتشف ذلك .

ولما قامت الثورة الفرنسية بدعوى الحرية والمساواة والاخاء انتشرت مبادئها في جميع أنحاء أوروبا التي وطئها نابليون بجيوشه كما أسلفنا بل تعدت حتى وصلت آثارها وأفكارها إلى بلاد اليونان فوجدت الباب سكاها مغرما فنمت فيه تحت ظل زعمائها في اليونان (٣) فأهجت أوروبا الاهالي في تلك البلاد ضد الدولة العثمانية واقتتن شبابها بمبادئ الثورة الجديدة وخاصة ممن درسوا في أوروبا (٤) .

فبلاد اليونان جبلية وأرضها وعرة المسالك اشتهر أهلها في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين الموافق للقرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين على حب العصيان والميل إلى شق عصا الطاعة ولما أراد أهلها الخروج على طاعة الدولة متأثرين بالثورة الفرنسية اجتمع زعماءهم ووجدوا رأيهم (٥) فألفوا عدة جمعيات لنشر العلم والمعرفة بين أفراد الأمة ، وبت الوطنية وشكلوا جمعيات أخرى سياسية متخصصة وجعلوا مراكزها في روسيا والنمسا ، وأهم هذه الجمعيات الجمعية السريّة

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٤١١ .

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثماني ، ص ٧٠ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٤١١ .

(٤) على حسون : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٣٢ .

(٥) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن نول البحار ، ج ١ ، ص ٦٦٧ .

المسماة ( هيتيرى ) (١) تشكلت بتحريض من اسكندر الاول حتى يتسنى له تنفيذ وصية بطرس الاكبر ليجعل مدينة القسطنطينية مفتاح الممالك الروسية (٢)، باطنها بث روح الفساد والفتنة لتنفيذ المقاصد السياسية وكان من أهم أعضاء هذه الجمعية كثير من كبار اليونان والقساوسة في بلاد روسيا (٣). وهنا يتضح دور الكنيسة الارثوذكسية في روسيا ونفوذها في اليونان مما يوضح دور الغزو الفكرى لنشر هذه الافكار واثارة اليونان ضد الدولة العثمانية كما نلمس محاولة بث الروح الصليبية لتعود مرة أخرى في هذه الثورة ، لأن الكنيسة خلفها كما يظهر من أعضاء هذه الجمعية .

فانتشرت جمعية الهيتيرى بين اليونان في اقليم المورة حتى بلغ عدد أعضائها عام ١٢٣٧هـ/١٨٢١م عشرين ألفا وجميعهم من الشباب القادرين على حمل السلاح ، متأهبين للثورة عند اول شرارة تبدو لهم ، وهذه الشرارة ساعد على اشعالها عصيان علي باشا والي يانينا الذى شق عصا الطاعة وكان ينوى استقلال بلاده (٤). فاعتبرت ثورة علي باشا هي مطلع الثورة اليونانية (٥).

لهذا انتهز اليونانيون هذه الفتنة وأشهروا عصيانهم على الدولة العثمانية فأخرجوا الجنود المحتلة لحصونهم واحتل الثوار محل الحكومة العثمانية ، الا أن السلطان محمود الثاني سير جيشا بقيادة خورشيد باشا الى علي باشا فاستطاع هذا الجيش قمع تلك الثورة وقتل والي يانينا سنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م ومن ثم واصل سيره لقمع ثورة اليونان بأمر من السلطان واخضاعها للدولة ، لكن اليونان في هذه المرة استطاعت هزيمة خورشيد سنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م فمات هذا القائد كمدا من هذه الهزيمة (٦).

(١) هيتيرى: كلمة يونانية معناها (أخويه) أطلقت على جمعيتين أسست احدهما في مدينة وبيانه عاصمة النمسا بدعوى تأسيس المدارس ونشر العلوم بين اليونان. والثانية لقصد سياسي محض وهو السعي في استخلاص بلاد اليونان من الدولة العثمانية وبقيت سرية الى سنة ١٨٢١م حيث ابتدأت الثورة جهارا وكان مركزها أولا في مدينة اودسا ثم انتقلت الى مدينة كييف وكلتاهما ببلاد روسيا الامر الذى يدل على أن لروسيا فلعا مهما في تأسيسها والصرف عليها.

— محمد فريد بك: تاريخ الدولة العثمانية ص ٤١١ ، حاشية رقم (١).

- (٢) محمد فريد بك: المصدر السابق ، ص ٤١١ .  
 (٣) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ج ١ ص ٦٦٧ .  
 (٤) محمد فريد بك : المصدر السابق ص ٤١٢ .  
 (٥) محمد عبد اللطيف البجراوى : حركة الاصلاح العثماني ، ص ٧٠ .  
 (٦) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٤١٢ .

ولما كانت النمساتميل الى مساندة السلطان محمود الثاني فــــد  
اى تدخل روسي لمعاونة الثوار فقد أشارت عليه بان يستعين بواليهــــه  
في مصر محمد على ، والحقيقة لم تكن النمسا صادقة في موقفها ولكنها  
تريد أن تقف في وجه روسيا من التدخل في شئون البلقان (١) . لذلك رأى  
السلطان محمود الثاني ان يحول هذه المهمة فعلا الى واليه في مصر ،  
ليشغله أيضا عما كان يظن أنه ينويه في طلب الاستقلال ببلاده ، فأصدر  
السلطان مرسوما في سنة ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٤م بتعيين محمد على واليا على جزيرة  
كريت واقليم مورة وهما بؤرتا هذه الثورة (٢) .

وفي الحال أصدر محمد على أوامره هو الآخر باستعداد الجيش للسفر  
لهذه المهمة وعين ابراهيم باشا قائدا لهذه الحملة التي أبحرت مــــن  
الاسكندرية على سفن مصرية تكتنفها سفن حربية أيضا من الاسطول البحرى الذى  
أنشأه محمد على فسارت السفن حتى وصلت جزيرة رودس للاجتماع بالبحريــــة  
العثمانية ومنها انطلق ابراهيم باشا الى جزيرة كريت فاحتلها وتمكــــن  
من انزال جيشه في ميناء مولون بعد مقاومة شديدة من أهله وكان الســــراي  
في أوروبا ملتهبا ، ولولا مساعدة أوروبا لليونانيين عن طريق المــــال  
والرجال لما أمكنهم مقاومة الجيش العثماني (٣) .

وقد ظل اليونان من قبل يقاتل قتال المستيئسست سنوات ، على حين  
وقفت حكومات أوروبا تنظر اليهم متفرجة ، فاحتج الراى العام على هــــذا  
الجمود (٤) لهذا انضم الى الثوار كل من تطوع من مشاهير أوربــــه

- 
- (١) محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ( القاهرة  
دار الثقافة للطباعة والنشر : ١٩٧٦م ) ، ص ١٤١ .  
(٢) محمد فريد بــــك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٤١٢ .  
، محمد كمال الدسوقي ، المرجع السابق ، ص ١٤٠-١٤١ .  
(٣) محمد فريد بــــك : المصدر السابق ، ص ٤١٣-٤١٥ .  
، اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٦٧٩ .  
، محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق ، ص ١٤١ .  
(٤) هـ.ج. ولز : معالم تاريخ الانسانية ، ج ٤ ، ص ١٢٦٦ .

وأمرىكا وعلى رأس هؤلاء وشنطون ابن محرر أمريكا ، واللورد بيرن الشامر الانكليزي ، وغيرهما الذين وقفوا حياتهم للدفاع عن مبادئ العلمانية (١) ، ولبت أفكار الثورة الفرنسية في الأقطار الأوروبية التابعة للدولة العثمانية وفي كل مكان . حتى العناصر المعادية للثوار اليونانيين في بعض الدول الأوروبية أظهرت تعاطفا مع الثورة اليونانية لأن اليونان يقاتلون المسلمين وقتال المسلمين يتفق مع الروح الصليبية المعادية للإسلام (٢) .

كانت قوات ابراهيم باشا قد اكتسبت العديد من المواقع الحربية في اليونان ، عندما استولت على مولرن وميسولونجي وآشينا واصبحت المصرة بأكملها تحت السيطرة العثمانية بفضل من الله وتوفيقه (٣) .

ولما استرد الجنود العثمانيون هذه المدن سكنت الثورة ببلاد اليونان لاختراع معظمها (٤) بينما ابراهيم لا يزال مستمرا في فتح ماتبقي من البلاد وأثناء ذلك تدخلت الدول الأوروبية بين الدولة العثمانية واليونان بحجة وقف القتال وحماية اليونانيين في الظاهر ، اما الوجه الآخر فهو فتح المسألة الشرقية وتقسيم ممتلكات الدولة الإسلامية بينهما سرا (٥) . ففي سنة ١٢٤٢ هـ / ١٨٢٧ م رأت أوروبا أن تمكن اليونانيين من استقلالهم ، فاتحدت روسيا وانجلترا وفرنسا على التدخل السريع لمناصرة بني جلدتهم حسب الحلف سالف الذكر ، أو الاتحاد الأوروبي ، وعقدوا لاجل ذلك مؤتمرا بمدينة لندن في سنة ١٢٤٢ هـ / ١٨٢٧ م قرروا فيه بالاجماع الزام الباب العالي قبول استقلال اليونان ( سمي باسم معاهدة لندن ) استقلالا اداريا بشرط أن يدفع اليونان للباب العالي مبلغا يتفق على مقداره فيما بعد كما يتفق على حدود البلدين .

(١) محمد فريد بـ : تاريخ الدولة العلية ، ص ٤١٤-٤١٥

، اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ص ٦٧٩

(٢) محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٤٥

(٣) آمال السبكي : أوروبا في القرن التاسع عشر ، ص ٢٠٠

(٤) اسماعيل سرهنك : المرجع السابق ، ص ٦٧٩

(٥) محمد فريد بـ : المرجع السابق ، ص ٤١٦



وبعد أن صادق عليه المجتمعون قاموا بإبلاغه إلى الباب العالي وأعطوه مهلة شهر من تاريخه ليتمكن من وقف أعماله العسكرية برا وبحرا (١). فبادرت الدولة بالرد ، بأنها لا تقبل هذا التدخل اطلاقا ، من قبل روسيا وفرنسا وبريطانيا ، واعتبرت هذا العمل تدخلا سافرا في شئونهم الخاصة .

فاغتازت الدول من الدولة العثمانية واتفقت فيما بينها على إلزام الدولة بمنح بلاد اليونان استقلالها الإداري بموجب المعاهدة ، ولكنهم انتظروا حتى انقضت المهلة المخصصة للدولة العثمانية ، عندئذ أصدرت هذه الدول الثلاث المتحالفة الأوامر إلى أساطيلها بالتوجه إلى سواحل اليونان لمواجهة الموقف عندئذ طلبوا من إبراهيم الكف عن مواصلة حربه ضد اليونان واجتمعت سفن الحلف الأوربي في ميناء نافارينو لمنع الأسطول التركي المصري (٢) . وما لبثت أن دمرت هذه الأحلاف الأسطول التركي في عمل مشترك في معركة نافارينو سنة ١٢٤٣ هـ / ١٨٢٧ م (٢).

وهكذا انتهت المعركة وانسحبت قوات محمد علي بعد أن اعتذرت منه انكلترا عن خطأ قصف الأسطول ووعده أن هو لزم الحياد عن مساعدة الدولة العثمانية بالاعتراف له مستقبلا باستقلال مصر ، فقد قبل العذر الواهي وقبل وعود الاعتراف له باستقلال مصر (٤) .

فعقدت الدول الثلاث في سنة ١٢٤٤ هـ / ١٨٢٨ م مؤتمرا للنظر في مسألة استقلال اليونان حين رفضت الدولة العثمانية ذلك وتعيين حدوده . فأرسلوا إلى الباب العالي دعوة لحضور هذا المؤتمر فرفض حضوره محتفظا بآرائه واحتجاجا لانعقاده (٥) .

---

(١) اسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج١ ، ص ٦٧٩-٦٨٠.

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٢٧.

(٣) ، هـ ج . ولز : معالم تاريخ الإنسانية ج٤ ص ١٢٦٦-١٢٦٧.

اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ص ٦٨٠.

محمد كمال الدسوقي : تاريخ أوربا الحديث ( القاهرة مطبعة النهضة الجديدة ) ص ٧١-٧٢.

(٤) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٦٨٢.

.....

ومدر قرار الدول الثلاث في لندن سنة ١٢٤٤ هـ / ١٨٢٨ م بوضع استقـلال بلاد اليونان تحت حمايتها وأن ينصب عليها أمير مسيحي تنتخبه الدول الثلاث ، ويعوض المسلمون عن مافقدوه من املك وأن تدفع هذه الامـارات للباب العالي جزية مقدارها خمسمائة الف فرنك ، هذا القرار لم يـرض الجانبين وبذلك عاد الحرب بين الجنود العثمانية الباقية في بلاد اليونان ، ولم يحسم هذه الحروب الا انتصار روسيا على الدولة العثمانية وتدخل الدول الاوربية وعقد معاهدة ادرنة (١) كما سيأتي الحديث عنها في فقرة تالية .

وهكذا تمكنت الحروب الفرنسية من تحضير الشعوب البلقانية لمرحلة التمرد والعصيان (٢) ، حين شغلت ثورة اليونان الدول الاوربية جميعـا نظرا لموقعها الهام ، فأوجدت توترا بين الدول الكبرى والدولة العثمانية ، كاد أن يكون سببا في نشوب حرب كبرى (٣) تقوئها الاطمـاع في املك الدولة .

ولم تكن في الواقع ثورة اليونان الا مقدمة للثورات التي نشبت في كل أنحاء أوربا سنة ١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م وكننتيجة حتمية للسياسة التي سارت عليها النمسا وروسيا وبروسيا بزعامة ميتونيك وزير خارجيـة النمسا في الفترة من ( ١٢٣١ - ١٢٤٦ هـ / ١٨١٥ - ١٨٣٠ م ) وهي باسم العودة الى النظم القديمة التي سادت في أوربا سياسيا قبل حرب نابليون كمـا مر بنا (٤) .

ولكن في سنة ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٨ م وهو العام الذي برزت فيه الحركة الدستورية والقومية بشكل قوى فالتغييرات التي طرأت على أوضاع الدول خلال هذه الفترة أصبح واضحا وحتميا ، ولقد أدى ذلك الى حدوث تغييرات جذرية ضد الاوضاع القديمة عن طريق الثورة لرغبة كل شعب

---

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٦٨٢ .

(٢) علي حسون : العثمانيون والبلقان ( الطبعة الثانية ، بيروت ، المكتب الاسلامي ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ) ص ١٧٨ .

(٣) محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١١٩ .

(٤) محمد كمال الدسوقي : تاريخ أوربا الحديث ص ٧٢ - ٧٣ .

أن يحكم نفسه بنفسه بواسطة أحكام دستورية مقيدة (١).

ومهما يكن فقد حدثت في أوروبا سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م الحركة الدستورية للحصول على النظمات الدستورية ووضع حد لاستبداد الملوك فبدأت هــ هذه الثورة من باريس أيضا سنة ١٨٤٨م بإسقاط حكومة لويس فيليب (٢) ملك فرنسا وظهور الجمهورية الثانية.

عند ذلك تسربت هذه الأفكار أو صدى هذه الثورة الى جميع دول العالم الى برلين وفيينا وبراغ، وغيرها من العواصم الأوروبية الأخرى طلبا للحرية (٣).

وكان من نتائج هذه الحركة الدستورية سنة ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٨م والتي عمت جميع أوروبا قد تسربت أفكارها الغربية الى الممالك الأوروبية التابعة للدولة العثمانية فتاقت (الأفلاق والبغدان) الى الاستقلال والانضمام الى ترانسلفانيا لتكوين دولة رومانية جديدة فثار الاهالي على أميرى الولاياتين المذكورتين فاضطرتهما للفرار فأقاموا حكومة مؤقتة حينئذ قامت الدولة العثمانية بإرسال حيوشها تحت قيادة القائد الشهير عمر باشا فأعاد الأمور الى ماكانت عليه .

الا أن روسيا أرسلت جيشا الى بلاد البغدان لطرد الحكومة المؤقتة فاحتلت بذلك الأفلاق سنة ١٢٦٥ هـ/ ١٨٤٨م مما أدى الى معارضة الدولة العثمانية

---

(١) عبد المجيد نعنعي : أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة ، ص ٣٣٦ ،  
موريس دوفر جييه : دساتير فرنسا : ترجمة أحمد حبيب عباس ، القاهرة ،  
الناشر : مكتبة الآداب ، المطبعة النموذجية ، الحمية الجديدة ، ص ٧٨ .

(٢) انتخب كما مر بنا ملكا على فرنسا بعد عزل شارل العاشر الذي خلفه  
أخاه لويس بعد موته سنة ١٨٢٤م وبقي ملكا حتى أجبره الثوار  
سنة ١٨٤٨م الى اللجوء الى انكلترا حتى توفي سنة ١٨٥٠م .

— محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٨٩ حاشية رقم (١) .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٤٨٩-٤٩٠ .

، اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٦٩٢ .  
، علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٥٢ .

ضد هذا الاحتلال حتى أصبحت الحرب وشيكة بين الطرفين ،لولا حدوث المخابرات التي انتهت باتفاق الدولتين على احتفاظ السلطان العثماني بحق تعيين الامراء بالولايتين كما كان وان تبقى البلاد تحت حكم مشترك عثمانسي روسي لمدة سبع سنوات حتى يستتب الأمن في البلاد . وقد سمي هذا الاتفاق باتفاق ( بلطة ليمان)<sup>(١)</sup> ،نسبة الى المكان الذي تم فيه الاتفاق والتوقيع وهكذا استطاعت الثورة الفرنسية ان تخترق الحواجز السياسية والدينية لمجتمعات اوربا الغربية ، وتعمل على تغير النظم القديمة في اوربا " فالأمة الفرنسية ستجود بالاخاء وبالمساعدة على جميع الشعوب التي تتحس عميقا الرغبة في استرجاع حريتها المهيضة " وكان من الطبيعي ان تخرج هذه الافكار عبر الحدود والمحيطات<sup>(٢)</sup> ، مع توسعات نابليون في اوربا انتشرت التقاليد الفرنسية وقامت في اسطنبول جمعيات تعلم افرادها في باريس وكانوا يضعون شارة مثلثة الالوان على العمامة ويتغنون بأغاني الحرية التي انبعثت في عصر الثورة ،وان أهم العوامل التي شجعت اليونانيين على فكرة الاستقلال هي المعاني العلمانية التي نشرتها الثورة الفرنسية<sup>(٤)</sup> ، ومن أتى على شاكلتهم فيما بعد طلبوا لاستقلال بلاده سواء ضد النظم القديمة الاوربية او الانفصال عن الدولة العثمانية بالتحريض والتدخل من الدول الاوربية والروسية .

اذكل هذه الأحداث السابقة سواء كانت قومية او خلاف ذلك وما سيلحق بها مدى للثورة الفرنسية ، فالمحرك الأول والأخير هو تسرب افكار مبادئ الثورة الفرنسية التي تدعو للعلمانية بموجب قوانين مقيدة ومشروطة لم تنج منها حتى الدولة العثمانية فقد تسربت لها هذه الأفكار .

(١) هي قرصة صغيرة على بوغانز البوسفور (مضيق اسطنبول الحالي) من ضواحي اسطنبول الآن .

- اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ج١ ص ٦٩٢ .

(٢) محمد فريد بـ : تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٩٠ .

اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٦٩٢ .

على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ص ١٢٥-١٢٦ .

(٣) عمر عبدالعزيز عمر : تاريخ المشرق العربي ص ٢٥٨ .

(٤) محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثماني ، ص ٧٢-٧٣ .

ويعزو المؤرخ عمر عبدالعزيز عمر نجاح الافكار الفرنسية الغربية وتأثيرها على الدولة العثمانية الى القوة المادية للغرب واقامة اقتصاد اوروبي متحكم وتفوق عسكري وسياسي يفوق كثيرا ، ماكان لدى العثمانيين — أو أية أمة اسلامية وخاصة في عصرالدولة الثاني . ويبدو أن أفكار الثورة الفرنسية في عالم الاسلام ، وفي الدولة العثمانية كان يرجع الى أنها كانت اول ثورة اجتماعية في اوربا تدعو الى العلمانية ولا تتأثر بالعقيدة المسيحية (١) .

ولم تستثن الدولة العثمانية نفسها أو الولايات الخاضعة لها من التأثيرات لهذه الثورة اذا كانت التأثيرات الفرنسية في الدولة العثمانية عسكرية ودبلوماسية أكثر منها فكرية الا أن هذه المؤثرات قد فتحت قنوات تسرب منها الفكر والتقنية الاوربية لأول مرة الى عالم الاسلام عن طريق المدرسين والخبراء الفرنسيين . حيث وجد العثمانيون انه من الضروري تعلم اللغات ، وهكذا أخذ العثمانيون ينقبون في الآداب الغربية ، فأخذت بهذه الطريقة الافكار الغربية وافكار الثورة الفرنسية تتغلب على حواجز الرفض الاسلامي لكل ما هو مسيحي وسار تقدم الدولة الحديثة في هذا المجرى المضاد للاسلام .

والواقع ان هذا التأثير قد اصاب المجتمع العثماني بكل طبقاته ولئن كان التأثير في أول الأمر ضعيفا ، الا أنه أصاب الفئات المسيحية التي كانت تعيش تحت مظلة الدولة العثمانية ، زادت خلال القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي حيث استطاعت هذه الافكار ان تؤثر في بنية المجتمع العثماني وان تصيب جميع فئاته بدرجات متفاوتة بكلمات ثلاث براقية ( حرية - اخاء - مساواة ) (٢) كانت تمهيدا للحركة الدستورية ولحرب القرم وصودر الخط الهمايوني سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م كما سيأتي الحديث عنه في بابه .

(١) عمر عبدالعزيز عمر : تاريخ المشرق العربي ، ص ٢٥٨ .

(٢) عمر عبدالعزيز عمر : المرجع السابق ، ص ٢٥٨-٢٥٩ .

د - أطماع الدول الأوروبية في ممتلكات الدولة الإسلامية :

كانت الدولة العثمانية بحكم موقعها الجغرافي همزة الوصل بين آسيا وأوروبا والمكان الذي التمقت فيه القارتان وتقابلت فيه الديانتان وجهها لوجه في العصر الحديث (١) .

فعندما استطاع الأتراك العثمانيون منذ سقوط القسطنطينية سنة ١٤٥٣/٨٨٥٧م أن يندفعوا في فتوحاتهم الإسلامية نحو البلقان وظلوا مسيطرين على معظم بلاده حتى القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي حين دب الفساد والخلل في الدولة العثمانية .

الا أن السياسيين درجوا على تسمية البلقان " برميل البارود " لأن بلاده كانت مئارا للحرب منذ القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي، فقد كان يسكنه شعوب مختلفة الاجناس والعادات والتقاليد متنافرة الشعور والأهواء والميول وقد تقاسم النفوذ في تلك المنطقة دولتان هما الامبراطورية النمساوية والدولة العثمانية كما مر بنا في الفصول السابقة لذلك كانت الفرصة سانحة لكل من روسيا والنمسا أن تحققا أطماعهما (٢) .

مع العلم بان الدولة العثمانية شهدت فترة انتعاش، بعد ان فشلت اسطولها سنة ١٥٧٩/٨٩٧٩م في معركة لبانتو ( Lepanto ) حين استطاع اسطول البنادقة وحلفائهم بقيادة دون جوان النمسي من الحاق هزيمة ساحقة به في عصر السلطان سليم الثاني بن سليمان القانوني عند تولي الأسرة الالبانية كوبرولو منذ منتصف القرن الحادي عشر الهجري الموافق للقرن السابع عشر الميلادي التي استحوذت على أعلى مناصب الدولة

---

(١) محمد عبد اللطيف البجراوى : حركة الاصلاح العثماني ( الطبعة الاولى،

القاهرة ، دار التراث ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ) ص ٢٦ .

(٢) عبد الحميد البطريق : التيارات السياسية المعاصرة ( الطبعة الاولى ،

بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٤م ) ، ص ٤٧ .



وإذا كانت معاهدة كارلوفتز قد أنهت الصراع التقليدي النمساوي العثماني فقد بدأ صراعها مع دولة حديثة وهي روسيا فلقدنمت روسيا في دوقية موسكو في أواخر القرن التاسع الهجري الموافق لواخر القرن الخامس عشر الميلادي حتى أصبحت دولة فتية مغيرة وبدأ الاحتكاك بين الدولتين الدولة العثمانية والدولة الروسية الحديثة على امارات الحدود غير أن الوقت تغير بوصول بطرس الأكبر الى عرش روسيا ، وكانت سياسة القيصر واضحة تنحصر فيفتح آفاق جديدة في البلطيق وفي البحر الأسود (١).

فقد رسم سياسة روسيا التي سارت على نهجها كاترين الثانية ثم اسكندر الاول ، نحو الدولة العثمانية ، حيث اخذت كاترين الثانية تتطلع لليوم الذي تسير فيه الى القسطنطينية ولهذا الهدف اوقفت جهدها وقد ذهبت الى أكثر من ذلك فقد أعدت حفيدها قسطنطين لاعتلاء عرش بيزنطة في مقابلة للامبراطور جوزيف الثاني ملك النمسا في كرسون ( Kherson ) فأقيم احتفال بهذه المناسبة وقد مر الاثنان من تحت قوس كتب عليه " هذا الطريق الى بيزنتيوم " وفي هذه المقابلة تم تقسيم أملاك الدولة العثمانية في أوروبا بحيث يتكون كل من موريا وتساليا ومقدونيا وثرانيا والقسطنطينية امبراطورية يونانية .

اما كيف الوصول الى الهدف فقد اتبعت كاترين ما اسماء بعض المؤرخين بالميكافيلية المسكوفية وهي اشارة الحروب الاهلية والاضطرابات في أملاك الدولة ، وخلق فرص للتدخل ثم مقاومة اي حركة اصلاحية عثمانية قصد تؤدي الى القضاء على هدفها ، أو الابطاء به ولذلك كان الاشتباك بين الدولتين يكاد يكون متملا في القرن الثاني عشر الهجري ومطلع القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرنين الثامن عشر ومطلع القرن الذي يليه الميلاديين ، وكان القصد من ذلك هو نشر الخلل الاداري وابعاد البلاد بقلع

---

(١) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق الأدنى ، ص ١٦٨ .



الامكان من الاصلاح الممكن (١) حتى لاتستعيد الدولة سابق قوتها.

وكانت النتيجة أن اتجهت مطامع هذه الدول نحوها فلم تملك الدولة العثمانية سوى الوقوف امام هذه المطامع موقف الدفاع ، بعد أن كانت في السابق في موقف الهجوم ، لذلك بدأت الدول الأوروبية في تقدم مستمر ودائب ، والضعف والانحلال ينخر جسم الدولة ، فتكالبت دول الاستعمار لالتهام الدولة العثمانية والضعيفة في نفس الوقت ، ولكن هذه الدول الأوروبية وروسيا أثناء سباقها لالتهام الدولة العثمانية كانت تجسد نفسها وجها لوجه في كثير من الاحيان ، وقد تساعد احدى هذه الدول الدولة العثمانية وتعتد معها المعاهدات لا لتأمين سلامتها بل خشية وقوعها في احضان المنافسين دون أن تأخذ حصة مناسبة وهذا هو ماسمي في التاريخ بـ " بالمسألة الشرقية " (٢).

والحقيقة ان المسألة الشرقية لها معنيان : الأول: عصر قوة الدولة وخوف أوروبا من تقدم العثمانيين في أوروبا . اما المعنى الثاني : فهو العصر الأخير للدولة والخوف من سقوطها ونشأة صراع أوروبي حول تقسيم ممتلكاتها .

يؤكد ذلك التشابك المتقلب الوعر من مصالح متضاربة ، ومن شعوب متنافسة ، ومن أديان متنازعة نقنعها بقناع شفاف ونطلق عليها اسم يسير : المسألة الشرقية غير ان المسألة الشرقية كما يعرفها كل باحث حق المعرفة ، هي وجود الاتراك العثمانيين في أوروبا وفتحهم لمدينة القسطنطينية - ذلك الموقع الفريد - وسيطرتهم الاسلامية على شعوب مسيحية " (٣) .

(١) محمد عبد اللطيف البحر اوى : حركة الاصلاح العثماني ، ص ٦١-٦٣ .

(٢) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني حياته و احداث عهده ، ص ٣٠ .

(٣) زين نور الدين زين : الصراع الدولي في الشرق الاوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ( الطبعة الثانية ، بيروت ، دار النهار للنشر :

١٩٧٧م ) ، ص ٢٢ .

John Morely: the Life of Willem Ewart Goldstone  
Vol. 1. (1809-1859) London, p . 476.



وهذا مقالته الاوربيون انفسهم ، ليكون حجة على من سواهم ، والحق  
ماشهد به الأعداء .

ويعزز ذلك الرأي قول فارلى ( Farley ) : " ان السلطان  
الحاكم في القسطنطينية هو خليفة المسلمين ، واسطنبول عاصمة للدولة  
العثمانية ولكنها في نفس الوقت مركز للخلافة الاسلامية ، كما أن روما  
عاصمة للديانة المسيحية ، وعلى هذا فان المسألة الشرقية مسألة  
دينية كذلك " (١) .

لذلك ارتبطت الاقليات المسيحية في الدولة العثمانية بأوروبا  
ارتباطا دينيا ، ومذهبيا بوجه عام ، ففرنسا اعتبرت نفسها حامية للمذهب  
الكاثوليك في لبنان ، لما كان للمارونية من مجهود خاص في الحروب  
المليبية فقد اكتسبوا منذ ذلك الحين نوعا من الحماية الفرنسية ، وكانوا  
يخضعون مكانا في كنائسهم للقنصل الفرنسي .

أما روسيا فقد جعلت نفسها حامية للمذهب الارثوذكسي في ممتلكات  
الدولة العثمانية ، ومن خطتها جذب الارثوذكسي نحوها وتحريضها ضد الدولة  
العثمانية الا انها تركت للنمسا الارثوذكس السلاف في الصرب مقابل مساعدة  
النمسا لروسيا في إعادة الامبراطورية البيزنطية كما سبق .

أما إنجلترا فقد كانت المصالح الاقتصادية هي شغلها الشاغل في توجيه  
سياستها لذلك كانت الدولة العثمانية في مطلع القرن الثالث عشر الهجري  
الموافق لمطلع القرن التاسع عشر الميلادي امام مصاعب مادية نتيجة للارتباط  
المذهبي بين جماعات من رعاياها داخل الدولة وبين الدول الاوربية التي  
أشرنا اليها . (٢)

---

(١) محمد عبداللطيف البحر اوى : حركة الإصلاح العثماني ، ص ٢٧ .

(٢) محمد عبداللطيف البحر اوى : المرجع السابق ، ص ٢٧-٢٨ .

ولاشك أن هذا النشاط الديني كان حجر الأساس في بعث القوميات في البلقان ، الذي مر بمراحل الإشارة ثم النضال ثم التدخل الأوربي المستمر ثم المرحلة الأخيرة وهي الاستقلال (١) .

يتضح من ذلك تدخل عوامل الغزو الفكري والعسكري في شئون الدولة العثمانية جنباً إلى جنب لحماية الأقليات ظاهرياً أما الوجه الآخر فهو القضاء على الإسلام وطرد الدولة العثمانية من أوروبا متذرعين باسم الامتيازات الممنوحة لهم منذ عهد السلطان سليم القانوني .

لذلك كان الأوروبيون يؤلمهم بمسألة خاصة خضوع شعوب مسيحية لحكومة إسلامية فهي إذا لا تكره سقوط الدولة العثمانية واختفاء رايته تماماً وكانت كل من الدول تحب أن ينالها شيئاً من ولاياتها (٢) .

لتوطيد علاقتها المباشرة مع جميع طوائفها غير الإسلامية فسي داخل كيان الدولة العثمانية فاهتزت الدولة لهذا الأمر وأصبحت في موقف يستدعي نظرة شاملة في شئونها الخارجية والداخلية وذلك في أواخر القرن الثاني عشر الهجري وما يليه الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي (٣) .

لهذا كانت المسألة الشرقية أيضاً ذات شقين : " هما الدولة بنظمها في جانب وثورات مستمرة من شعوب هم رعايا للدولة ويحاولون التخلص من سيادتها من جانب آخر وبين هذين العنصرين عنصر ثالث هو تدخل الدول الأوروبية الكبرى في شئونها . وقد أدى ذلك إلى ضعف الدولة واختلال النظم فيها وخلق ميدان فسيح للصراع والتنافس الأوربي من أجل اقتسام أملاك الدولة العثمانية فيما بينها طوال القرن التاسع عشر الميلادي .

- 
- (١) محمد عبد اللطيف البعراوى : حركة الإصلاح العثماني ، ص ٢٧ - ٢٨ .  
(٢) محمد شفيق غربال : العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية على ماهي عليه اليوم ، ص ٨٢ .  
(٣) محمد شفيق غربال : المرجع السابق ، ص ٨٥ .  
(٤) محمد عبد اللطيف البعراوى : المرجع السابق ، ص ٦١ .

لكن الدول الكبرى أصبحت سياستها ترتبط بمصالحها الخاصة مما جعلت كل دولة تفحى بكل شيء عدا مصالحها فكانت كل دولة تنظر بمنظارها الخاص وتعمل من أجله ، فكانت بعض الدول ترى من مصلحتها التعجيل بتقسيم الدولة وتحطيمها لتحصل على الأجزاء التي ترغب فيها ، بينما البعض الآخر يريد المحافظة عليها على أن يكون له النفوذ الراجح ، فنشأ ماسمي باسم سياسة التدخل وتقابلها ما أسميت باسم سياسة التكامل (١) .

وتعنى سياسة التدخل : العمل على طرد المسلمين العثمانيين من أوروبا أو تحرير الأجناس الأوروبية الخاضعة لهم . أما فكرة التكافل فهي : تعنى تكامل الدولة العثمانية وتحقيق سيادة السلطان على رعاياه . وتسرى بين الفكرتين روح صليبية فكانت السياسة الأولى ( التدخل ) خلق ثورة بين رعايا السلطان ثم تتدخل الدول الكبرى بحجة المحافظة على تكامل الدولة (٢) .

فروسيا كانت تطمح في الخروج من سجنها بالقارة وانجلترا تريد ابعاد روسيا عن طريق الهند ، والنمسا ترى في القسطنطينية وسالونيك مركزا هاما لها فكان هناك وفاقا بين السياسة الروسية والنمسا ، والعكس بين سياسة انجلترا وروسيا ، لذلك نرى أن روسيا تثير المشاكل للدولة وبريطانيا تبحث عن الحل لها . ففي تغاير السياستين الروسية والبريطانية أعطى الدولة فرصة للبقاء أكثر في أوروبا (٣) .

الا أن قيام الثورة الفرنسية كان لها الاثر الواضح في انصراف الدول الأوروبية وفي مقدمتها روسيا والنمسا عن الاعتداء على أراضي الدولة العثمانية (٤) .

---

(١) محمد عبد اللطيف البحر اوى : حركة الإصلاح العثماني ، ص ٦٣ .  
عائض خزام الروقي : حروب محمد علي في الشام واثرها في الجزيرة العربية (رسالة ماجستير من جامعة ام القرى ، لم تنشر ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م) ص ٤٦ .

(٢) محمد عبد اللطيف البحر اوى : المرجع السابق ، ص ٦٣ .

(٣) محمد عبد اللطيف البحر اوى : المرجع السابق ، ص ٦٣-٦٤ .

(٤) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ١٦٩ .

فانشغال أوروبا المسيحية بالصراع مع فرنسا والثورة ، كان مفيداً للدولة العثمانية من الناحية السياسية ، ففي ١٢٠٧ هـ / ١٧٩٢م قال أحمد أفندي ، السكرتير الخاص للسلطان سليم الثالث " ليجعل الله الثورة في فرنسا تنتشر كالزهر في أعداء الدولة العثمانية ، ويخلصهم في صراع طويل مع بعضهم البعض بحيث تكون النتيجة بما ينفع الدولة العثمانية .

لذلك كانت ترى الدولة العثمانية ان توسع الثورة الفرنسية في أوروبا سوف يبعد عنها أطماع النمسا وروسيا في أراضيها . فقد كانت الدولة العثمانية تشحن المؤن الى فرنسا من موانئها كما استعانت الدولة نفسها من فرنسا بالخبراء العسكريين والبحريين ولم يكن تاخر اعتسراف الدولة العثمانية بالجمهورية الفرنسية الا بسبب التحذيرات والاحتجاجات من جانب النمسا وروسيا (١) .

ولكن هذه الهدنة كانت قصيرة اذ سرعان ما أصبحت الدولة العثمانية مرة أخرى مجال توسع لفرنسا (٢)

قد كانت وجهات نظر الحلفاء صحيحة حينما اشاروا على الدولة العثمانية بأن الثورة الفرنسية تهدد الدولة العثمانية كما تهدد الدول المسيحية جاء ذلك في التقرير الذي رفعه احمد ماطف للسلطان بصدد طلب الحلفاء اشتراك الدولة العثمانية في عمل موحد ضد فرنسا (٣) . فجاءت الأحداث تبرهن صدق هذا القول ، عندما اختار نابليون مصر كنقطة انطلاق خارج أوروبا ، أقلق هذا العمل بريطانيا بصورة جعلتها تقيم علاقات سياسية ودفاعية دائمة مع الدولة العثمانية لتقف بذلك في وجه الأطماع

---

(١) عمر عبدالعزيز: تاريخ المشرق العربي ، ص ٢٦٠ .

(٢) محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ١٧٠ .

(٣) عمر عبدالعزيز : المرجع السابق ، ص ٢٦١-٢٦٠ .

الفرنسية حتى لا تقترب من حدود الهند والمداخل البحرية للخليج العربي والبحر الأحمر ، لأن هذين الشريانين المائيين هما الطريقان المؤديان الى دورة التاج البريطاني في الهند (١) .

ومع أن فرنسا اضطرت الى الجلاء سنة ١٢١٦هـ / ١٨٠١م إلا أن هذا الجلاء لم يكن في الحقيقة نتيجة انتصار عسكري للدولة العثمانية بل جاء نتيجة للتدخل الانجليزي البري والبحري ، لكن الحملة الفرنسية نظرا لفشلها فقد فتحت الباب على مصراعيه للتطاحن والتنافس بين فرنسا وبريطانيا حول مصر وغيرها من ممتلكات الدولة العثمانية الأخرى (٢) .

وقد اتضح من تلك الانطلاقة ان دور فرنسا لم يعد ينحصر على حماية الكاثوليك كما كان سائدا قبل ذلك بل بدأت تفكر في مصالحها السياسية والتجارية لتأخذ طابعا مميزا وتشارك مع الدول العظمى كبريطانيا والنمسا وروسيا (٣) .

ويؤكد ذلك عندما انسحبت الحملة الفرنسية من مصر ، أعاد السلطان لفرنسا امتيازاتها القديمة وعادت السياسة الفرنسية تسعى للحصول على صداقة الدولة العثمانية حتى عاد صوت فرنسا من جديد في اسطنبول (٤) .

وفي الوقت الذي حاولت فيه كاترين الثانية اغراء النمسا للموافقة على اقتسام الدولة العثمانية اخذت تشير القلائد والاضطرابات حتى تنازل لها السلطان عن شبه جزيرة القرم (٥) .

- 
- (١) عايض خزام الروقي : حروب محمد علي في الشام ، ص ٤٦٠ .
  - (٢) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ١٧٠ .
  - (٣) زين نور الدين زين : الصراع الدولي في الشرق الاوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ، ص ٣٤٠ .
  - (٤) عمر عبد العزيز عمر : تاريخ المشرق العربي ، ص ٢٦١ .
  - (٥) عايض خزام : المرجع السابق ، ص ٤٧-٤٨ .

بموجب معاهدة كتشك فينارجه سنة ١١٨٨ هـ / ١٧٧٤م وبمقتضاها  
اكتسبت روسيا حقوقا تجارية وبحرية ، فأصبح من حقها انشاء قنصليات  
في ممتلكات الدولة العثمانية واصبح لرعاياها حق التجارة في املاك  
الدولة العثمانية كما فتحت لسفنها حرية الملاحة في أوقات السلم في البحر  
الاسود عبر المضائق التركية ومن أهم المكاسب التي حصلت عليها روسيا  
نتيجة لهذه المعاهدة هو اعطائها الحق في اقامة كنيسة ارثوذكسية في  
اسطنبول كما أصبح من حق رعايا روسيا الحج الى الاماكن المسيحية التي تقع  
في ممتلكات الدولة العثمانية ، لهذا فقدت الدولة العثمانية انفرادها  
بالسيطرة على البحر الاسود ، كما أصبح في امكان روسيا التدخل في شئون  
الدولة العثمانية بحجة حماية رعاياها المسيحيين الارثوذكس ، والواقع  
انه منذ ذلك الوقت تحدد الطريق للتدخل الروسي في شئون الدولة العثمانية  
فاضى في امكان روسيا ان تزحف على الدولة العثمانية وهي رابطة الشعوب  
السلافية للعمل على اشارة المتاعب للدولة في البلقان كما مر بنا .

الا أن إنجلترا عادت وغزت مصر سنة ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م وكان هذا الغزو  
في الحقيقة نابعا من داخل الموقف الأوربي ابان الحروب النابوليونية  
حتى استثرت هذه الحروب بعد معاهدة فينا سنة ١٢٣٠هـ / ١٨١٥م (١) ، لأن غزو  
إنجلترا لمصر كان ناتجا من خوفها من الدول الاوربية وخاصة فرنسا  
التي تريد عن طريق مصر الوصول الى الهند .

في الوقت الذي كان فيه نابليون حريصا على اقتسام املاك الدولة  
العثمانية لاعتقاده بأن ذلك فرصة لتوجيه ضربة قوية ضد بريطانيا  
في الهند (٢) ، حاولت روسيا اقناعه باقتسام املاك الدولة العثمانية

---

(١) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ١٦٩ .

(٢) عايض خزام الروقي : حروب محمد علي في الشام ، ص ٤٨ .



سنة ١٢٢٣ هـ / ١٨٠٨ م على أن ترضي النمسا بطعم من تلك الغنيمة (١)

الا أن الدول الأوروبية طيلة القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي كانت تخاف من الشبح الروسي اضافة الى الغموض الذي كان يكتنف سياسة روسيا (٢)، هذا الخوف سيطر على نابليون وحال دون قبول ذلك التقسيم .

أما بريطانيا رغم وجود بعض الفتور في علاقتها مع الدولة العثمانية خلال الفترة من (١٢٢٣-١٢٢٤ هـ) - (١٨٠٨-١٨٠٩ م) فإنها لم تغفل عن الخليج العربي وطرق الهند، فقد أرسلت البعثات للدولة العثمانية وعقدت معاهدة للوقوف معها يدا واحدة ضد النفوذ الفرنسي والروسي كان ذلك في سنة ١٢٢٩ هـ / ١٨١٤ م وكان انجلترا تترجم بذلك لواقع سياستها تجاه الدولة العثمانية مع اعتبارها مع فارس منطقة عازلة للهند البريطانية آنذاك لأن وقوع أي جزء من تلك الدولتين وبالذات الدولة العثمانية في أيدي الدول الأوروبية حري به تعريض الهند للخطر الأوروبي (٣).

ولكن بعد توقيع معاهدة فيينا سنة ١٢٣٠ هـ / ١٨١٥ م أصبحت هــ المعاهدة حجر الزاوية في سياسة كل من فرنسا وانجلترا والذي ترتب عليها قيامها بحماية املاك الدولة العثمانية والمحافظة على تكاملها السياسي ضد الغزو من جانب روسيا بل ضد الانهيار من الحركات الداخلية المنبعثة من داخل الدولة العثمانية كحركة محمد علي كما سيأتي (٤).

فالمحافظة علي كيان الدولة العثمانية وتماسك ممتلكاتها هو نهج السياسة الانجليزية منذ مؤتمر فيينا سنة ١٢٣٠ هـ / ١٨١٥ م (٥).

- 
- (١) محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، ص ١٠٤
  - (٢) عبد الحميد البطريق : التيارات السياسية المعاصرة ، ص ١١٨
  - (٣) عايش خزام الروقي : حروب محمد علي في الشام ، ص ٤٨
  - (٤) سليمان بن محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة محمد علي التوسعية، ( الطبعة الاولى ، جدة ، نشر تهامة ، ١٤٠٠ / ١٩٨٠ م ) ص ٤٧
  - (٥) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ١٧٠

أما الامبراطورية النمساوية فقد نجت في طرد العثمانيين من بلاد المجر وكان يرضيها أن يسود نفوذها السياسي والاقتصادي في البلقان، وخاصة في نهر الطونة الذي يخرج من المجر للبلقان ليصب في البحر الاسود، فهو منفذ من منافذ الامبراطورية النمساوية الاقتصادية لان الافرادار ايضا يلتقي به وينتهي في الارخبيل وهذا المخرج الثاني للامبراطورية النمساوية .

داخل الدولة نفسها من الحركات الثورية في أملاكها الأوربية . غير أنه من المهم أن نذكر أنه منذ حرب الاستقلال الصربية من سنة (١٢٢٠-١٢٢٩ هـ) (١٨٠٥-١٨١٣ م) أخذت بلدان البلقان طريقها الى الاستقلال الواحدة تلو الأخرى (١).

فكانت ثورة المورة أو استقلال اليونان التي اشرنا اليها في الفقرة السابقة يقال عنها انها الناقوس الذي دق للتنبيه عن أهمية مناقشة أحوال الدولة العثمانية امام الدول الأوربية (٢) المتحالفة ضد الدولة العثمانية التي أخذتها العزة بالاثم عندما تكالبت وتدخلت في الحرب الدائرة بين الدولة العثمانية واتباعها في اليونان وحولت نصر الدولة الى خسارة منفذين في ذلك حلف فينا سنة ١٢٣٠ هـ / ١٨١٥ م .

لذلك بدأت الدول الأوربية تشير مناقشة هذه المسألة وتساءلت فيما بينها هل تسرع بتقسيم الدولة ؟ أو تحاول بقدر المستطاع حماية تلك الدولة وعدم تفتيتها؟ (٣)

في تلك اللحظة مات كاننج ( Canning ) وزير خارجية بريطانيا فخلفه دوق ولنجتون الذي اتبع سياسة مخالفة لسياسة كاننج فاعتذر عن حدوث الكارثة التي لحقت بالأسطول العثماني في نفارينو وظهر رأيها مؤيدا لتركيا ضد أي تدخل روسي هادفا بذلك منح أي استغلال لهذه الأزمّة من شأنه أن يهدد وجود الدولة العثمانية . إلا أن السلطان محمود لم يقتنع بتلك الأعذار الواهية التي أبدتها الدول لتحطيم أسطوله مثلما اقتنع بها محمد علي (٤). الذي أمر ولده بالانسحاب بما تبقى له من الأسطول الى مصر ، لأن روسيا وفرنسا وبريطانيا لم تبأشر معه استعمال القوة

(١) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ١٧٠ .

(٢) أمال السبكي : أوربا في القرن التاسع عشر ، ص ٢٠٢ .

(٣) أمال السبكي : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

(٤) محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ٤٩-٥٠ .

المسلحة ، لفرض الهدنة لان بريطانيا تدرك أن قوة الجيش العثماني الحقيقية هي قوات محمد علي للخلل الذي أصاب الانكشارية في ذلك الوقت وقد استطاعت بريطانيا اقناعه بالانسحاب ببعض الوعود (١).

أما السلطان محمود الثاني فقد واصل استعداداته لمواصلة الحرب في بلاد اليونان ، وخذ روسيا التي أعلنت عليه الحرب (٢)

ولكن لمواصله خبر حادثة نفارينو ارسل بلاغا الى سفراء هذه الدول الثلاث يقيم الحجة ويشجب هذا العمل المخالف للقوانين الدولية ، ويطلب من الدول عدم التدخل في شئون بلاده ، وأن تدفع له تعويضا عن الخسائر التي لحقت باسطوله ، فلم يجبه احد بل غادروا بلاده . فعمد السلطان الى عمل بيان أو منشور وزعه على جميع الولايات بين فيه مقاصد الدول الثلاث المذكورة وخاصة روسيا نحو الدولة العثمانية الدولة الاسلامية الوحيدة مبينا فيه للامة الدافع الحقيقي من هذا العدوان الديني لا السياسي وختم هذا المنشور بحث المسلمين على القتال دفاعا عن الاسلام ودياره فاغتازت روسيا لذلك واعلنت الحرب على الدولة العثمانية سنة ١٢٤٣هـ/ ١٢٢٨م (٣) . محاولا بذلك تحقيق الخطوة التي حاول كانج طوال السنوات السابقة منعها وهكذا اعلنت روسيا بمفردها ضد الدولة العثمانية دون النظر الى سياسة انجلترا وفرنسا اللتين كانتا في غاية التخوف من التدخل الروسي أن تبتلع روسيا أملاك الدولة العثمانية وهذا يسبب للدولتين العديد من المشاكل ويختل التوازن الدولي (٤).

فسارت روسيا بجيوشها التي كانت مستعدة ومتأهبة على الحدود فاجتازت باختصار نهر بورث الفاصل بين أملاك الدولتين واحتلت مدينة ( يساس )

- 
- (١) سليمان محمد الغنام: قراءة جديدة لسياسة محمد علي التوسعية ، ص ٧٠
  - (٢) محمد كمال الدسوقي: الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ص ١٤٩-١٥٠
  - (٣) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ٠٠ ج ١ ، ص ٦٨٢
  - محمد فريد بـسـسـك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٨٢٧-٨٢٨
  - (٤) محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق ، ص ٤٩٠

عاصمة البغدان ثم بعد ذلك اجتازت نهر الطونة فاخترقت جبال البلقان  
بعد تغلبها على الجيوش العثمانية واخيراً وصلت الى مدينة ادرنة واحتلتها  
عنوة .

ولم يبق أمامها عائق يوقفها عن التقدم الى اسطنبول الا عدم رغبة  
الدول في سقوطها في ايدي الروس بل كان الاتفاق ضمنا حول اضعافها  
الحد لا يمكن معه التقدم والارتقاء لتبقى عقبة أو حاجزا بينها وبين  
البحر الأبيض المتوسط (١) التي ترغب الروس الوصول اليه بشتى الطرق .  
فاوقفت روسيا الحرب ودارت المحادثات بين الدولتين المتنازعتين بتوسط  
بروسيا التي أنهت المسألة بالموافقة على الصلح ووقع بهذا معاهدة  
ادرنة سنة ١٢٤٥هـ / ١٨٢٩م (٢) .

استغل بولنيك ( Polignac ) وزير خارجية فرنسا  
هذه الحادثة بتقديم مشروع تحالف فرنسي روسي على تقسيم املاك الدولة  
العثمانية تقسيما كاملا لاعادة تخطيط حدود الدول الاوربية في ضوء هذا  
التقسيم (٣) . ومن الغريب أن روسيا قد خرجت من هذه التجربة بفكرة مفائرة  
تماما بالنسبة للدولة العثمانية (٤) .

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٣١-٤٣٣ .

(٢) محمد فريد بك : المصدر السابق ص ٤٣٣ .

(٣) محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ص ١٥١ ،  
هذا المشروع بأن يمتد اليونان حتى القسطنطينية ويصبح ملك  
الأراضي المنخفضة ملكا عليها . وتأخذ روسيا الافلاق والبغدان وأجزاء  
من آسيا الصغرى وتحصل النمسا على المرب والبوسنة ، وتقسم مملكة  
الأراضي المنخفضة ، فتأخذ بروسيا هولنده ، وتأخذ فرنسا بلجيكا وتحصل  
بروسيا على مملكة ساكس وتترك أراضيها على الضفة اليسرى للراين  
لكي تصبح دولة تحت حكم ملك ساكس السابق . وتحصل بريطانيا على  
المستعمرات الهولندية .

— محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق ، ص ١٥٠ حاشية رقم (٢) .

(٤) ج.ج. جرانث وآخرون : أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين . ترجمة  
بهاء فهمي ( القاهرة . الناشر مؤسسه سجل العرب ، ١٩٨٥م ) ج ١ ، ص ٣٤٢ .

في هذه اللحظة الحاسمة كون القيص الروسي نقولا لجنة خاصة لدراسة المشاكل الروسية العثمانية التي نتجت عن الحرب القائمة بين روسيا والدولة العثمانية وجاء هذا التقرير من اللجنة المكلفة بهذه الدراسة مخالفا لكل ما كان متعارفا عليه في السياسة الروسية (١) التي تقوم دائما على السياسة التوسعية نحو الدولة العثمانية وأملكها وكانت أطماعها تتركز في السيطرة على البوسفور والدردينيل للخروج إلى المياه الدافئة في البحر الأبيض المتوسط وترتب على هذه السياسة التوسعية محاولة دائمة لتقسيم أملاك الدولة العثمانية على أن يكون التقسيم لصالح روسيا أساسا، وتخليص البلقان من الحكم الإسلامي (٢).

أما تقرير اللجنة التي كونها القيص نقولا فقد جاء مخالفا لكل تلك السياسات أو الاتجاهات، لقد قررت تلك اللجنة في وضوح وصراحة تامة أن تقسيم أملاك الدولة العثمانية وتخطيطها ليس في صالح روسيا ولا يمتشى مع مصالحها مستقبلا لأن انهيار الدولة العثمانية سينتج عنه مشاكل سياسية معقدة.

كما قررت اللجنة أن تقسيم أملاك الدولة العثمانية سيترتب عليه أن تحصل الدول الأوروبية الكبرى على أجزاء من شبه جزيرة البلقان مما يجلب لروسيا جيرانا أقوى على حدودها الجنوبية بدلا من الدولة العثمانية التي لا تمثل أي خطر على روسيا.

وان روسيا اعتادة على الهجوم على أملاك الدولة العثمانية. أما الدولة فانها ولقرنين من الزمان لمتهاجم الحدود الروسية وظلت روسيا من سنة ١٨٢٩/١٢٤٥م ولمدة عشرين سنة عكس سياستها الأولى الرامية

---

(١) محمد كمال الدسوقي: الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، ص ١٥٠-١٥١

(٢) محمد كمال الدسوقي: المرجع السابق، ص ١٥١

، محمد شفيق غربال: منهاج مفصل لدروس في العوامل التاريخية

في بناء الأمة على ما هي عليه اليوم، ص ٨٢.

١٠٠٠، جرانث وآخرون: أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين

ج ١ ص ٣٤٢.

الى السيطرة على المضائق والقسطنطينية ، ولقد نالت روسيا في تلك السنوات تأييد مترنيخ مستشار النمسا الذي قاد في أوروبا تيارا معاديا لكل الحركات الثورية ، ومؤيدا للمحافظة على الحقوق الشرعية للدول في مقدمتها الدولة العثمانية (١) . اذ رأت روسيا بنظرتها الشاقبة ان لولا بلقانية صغيرة ستنشأ اذا ما استمر انحلال تركيا ، وأن روسيا لن تتمكن من السيطرة على هذه الدول . فأشارت اللجنة أيضا الى أنه اذا أرادت روسيا السعي لكسب المزيد من الأراضي فكان عليها ان تتجه صوب أرمينيا او بغداد لا الى القسطنطينية فقامت سياسة نيغولا على هذا الاساس طوال العشر سنوات على ابقاء الوضع على ما هو عليه للمحافظة على سلامة الدولة العثمانية .

وقد أمر نيغولا بأرائه الى النمسا فنال تأييد مترنيخ ، ولكن كبرياءه منعه من شرح سياسته لانكلترا فاستمر بالمرستون في مناوأة السياسة الروسية على أنها تنوى ضم القسطنطينية والاستيلاء على الدردنيل ولعله كان يوسع بالموستون أن يخمن الحقيقة اذ لم ألمسه من مظاهر السود بين النمسا وروسيا ولكنه لم يفعل (٢) .

ونعود الى أهم ما جاء في معاهدة أدرنة التي كسبتها روسيا وهي أن يكون نهر البروث فاصلا بين الدولتين كما كان سابقا وكذلك تتخلى الدولة لروسيا عن مصبات نهر الطونة وأن يكون لروسيا حق الملاحة في البحر الأسود الى البحر الأبيض بدون تفتيش مراكبهم ، وأن يكون تعيين أمراء ولايتي الأفلاق والبغدان لمدة حياتهم وعدم عزلهم الا بأسباب مقنعة للدولتين (٣) .

---

(١) ج.٢٠ جرائد وآخرون : أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ج ١ ص ٣٤٢-٣٤٣ .

محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٥١-١٥٢

(٢) ج.٢٠ جرائد وآخرون : المرجع السابق ، ص ٣٤٣ .

(٣) محمد فريد — : تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٤٤ .

محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق ، ص ١٥٢ .





### الفرنسية لتقسيم الدولة العثمانية (١).

وقد تجددت المسألة الشرقية عندما تعاظمت قوة محمد علي العسكرية في انتصاراته التي أحرزها في حروبه ضد السلطان محمود الثاني سنة ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م وقد هزم محمد علي واحتفظ السلطان العثماني بعرشه بعد تدخل نول أوربا (٢) كما سيأتي عنه الحديث في الفصل الرابع في أسباب صدور خط كلخانة .

ألا أن المسألة الشرقية عادت مرة أخرى في سنة ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م لسبب ثورة الهرسك ضد الدولة العثمانية واختلاف دعوى قسوة الحكام الاتراك في جباية الضرائب في المحاصيل الزراعية وانضم إلى هؤلاء الثوار المتطوعون من الصرب والجبل الأسود وبلغاريا تنزع هذه الأحلاف صربيا ، التي أعلنت الحرب على تركيا العثمانية ، عندئذ تنبعت كل من النمسا وروسيا إلى مصالحهما وأطماعهما القديمة في البلقان وحاولت كل منهما أن تستفيد من الموقف المرتبك في البلاد (٣) .

وهذا ما سوف نوضحه إن شاء الله عند ذكر الحرب الروسية العثمانية التي نتج عنها معاهدة سان ستيفانو سنة ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م في عصر السلطان عبد الحميد الثاني ثم أعقب ذلك معاهدة برلين في نفس العام لتقسيم أملاك الدولة العثمانية كما هو معروف .

معنى ذلك أن أطماع الدول الأوروبية في الدولة العثمانية — قد استمر على طول تاريخ هذه الدولة في عصرها الثاني حتى سقوط الدولة في الحرب العالمية الأولى .

كما أننا لانسى أيضا إيطاليا التي أصبحت هي الأخرى تتطلع إلى الاستيلاء على ليبيا وإيطاليا بعد إعلان المشروطية الثانية (٤) .

---

(١) أ.ج. جرات وآخرون : أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ج١ ، ص ٣٤٣ .

(٢) زين نور الدين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ، ص ٢٤ .

(٣) عبد الحميد البطريق : التيارات السياسية المعاصرة ، ص ٤٨-٤٩ .

(٤) مصطفى طوران : أسرار الانقلاب العثماني ( الطبعة الرابعة ، القاهرة ، دار السلام

#### هـ - أنشطة الماسونية والصهيونية :

الماسونية مذهب لم تقنن معالم نظامه ، لأن كثيرا من تعاليمها تجرى بصورة شفوية . ذلك أن محتوى أرشيفات المحافل الكبرى والمحافل المحلية لم تنشر بعد ، ومن المحتمل أن تكون قد مقدت له عدة مؤتمرات أخرى كبرى بحضور عدد من نوى المراتب العليا من أنصار هذا الاتجاه المعادى للإسلام ، لم يذكر عنها شيء ، أما شعارها المزيف فهو الحرية والمساواة والاخاء<sup>(١)</sup> . ويظهر أن محاضر واعمال تلك الاجتماعات بقيت سرية أو محدودة التداول ، وذلك لما تحمله من مكائيد وشور ضد البشرية وخاصة ضد الأمة الإسلامية .

و قد ورد شعار هذه الماسونية في بروتوكول حكماء صهيون في البند التاسع في الجلسات السرية كما يلي : " ان الكلمات التحريرية لشعارنا هي الحرية والمساواة والاخاء " وسوف لانبدل كلمات شعارنا بل نصوغها معبرة عن فكرة ، وسوف نقول : " حق الحرية ، وواجب المساواة ، وفكرة الاخاء " وحينئذ نكون قد دمرنا كل القوى الحاكمة التي تقف أمامنا الا قوتنا فقط <sup>(٢)</sup> . وهي شعارات مزيفة الهدف منها خداع البشرية من أجل التسلط والتحكم في مصائرنا .

والحق أن المؤرخين لم يتفقوا على تحديد أصل الماسونية ، وكيفية نشأتها فقد تضاربت الآراء ، واختلفت الأقاويل فيها فمن نسب أصلها الى أقدم الأزمان ، وقائل أنها لا تتجاوز الجيل السابع عشر الميلادي والصراحة أن دون معرفة الحقيقة أستارا مسدولة تمنع النور من خرق الحجاب . . . وعقبات جمة تعرقل سعي الباحث وتحيده في أمر نشأتها ومعرفة أول مؤسس لها<sup>(٣)</sup> .

- 
- (١) أحمد نوري النعمي : أثر الاقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين ، ( بغداد ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٨٢م ، ) ص ١١٦ .
  - (٢) محمد خليفه التونسي : الخطر اليهودي ، بروتوكولات صهيون ، ( القاهرة ، مكتبة دار التراث ) ص ١٩٠-١٩١ .
  - (٣) شاهين مكاريوس : تاريخ الماسونية العملية ، ( الطبعة الأولى ، ١٨٩٧م ) ، ص ١٤٠ .

فدراسة تاريخ نشأة الماسونية موضوع آخر ، ومايعنيننا هو دخول  
الماسونية الى الدولة العثمانية .

فتذكر المصادر التي أرخت لهذا الحدث أن دخول الماسونية للدولة  
العثمانية كان في زمن السلطان بايزيد الثاني ، حيث أنشأ يهود سلانيك بعد  
انتقالهم من الاندلس سنة ١٠٩٥ هـ / ١٦٨٣ م أول محفل ماسوني لهم فيها ،  
أصبح فيما بعد الأب غير الشرعي لجميع المحافل الماسونية التي انتشرت  
في جسم الدولة العثمانية وعلى رأسها محفل اسطنبول (١) .

وقيل ان النشاط الماسوني قد دخل الى الدولة العثمانية سنة  
١١٣٠ هـ / ١٧١٧ م وكان ذلك في عصر السلطان احمد الثالث حيث اسسوا جمعية  
لهم في عاصمة الدولة اسطنبول وارتبطوا في هذه الجمعية بالجمعية  
الماسونية ( المشرف الفرنسي ) . وقد بقيت هذه الجمعية عاملة حتى سنة  
١٢١٥ هـ / ١٨٠٠ م عندما أغلقت بعد قيام الثورة الفرنسية (٢) . هذا الوقت  
كانت الدولة العثمانية فيه منغمسة في مشاكلها الداخلية وتناست ما يحاك  
ضدها من دعوات هدامة لهذا نرى أن الماسونيين قد استغلوا هذه الاضطرابات  
لتقوية مراكزهم ، اذا صح دخولهم في ذلك الزمن .

الا أن الماسونية يبدو أنها انتشرت في الأراضي العثمانية منذ وقت  
بعيد . ويقول الأب " لويس شيخو " عن موقف تريكا من الماسونية : " كانت  
الدولة العثمانية أول الدول التي ناهضت الماسونية منذ سنة ١١٦١ هـ / ١٧٤٨ م ،  
وأن بين قوانينها ما يحظر على العثمانيين دخول الجمعيات السرية .

---

(١) داود عبد العفور سنقرط : القوى الخفية لليهود والعالمية  
الماسونية ( الطبعة الاولى ، عمان ، دار القرقيان ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ) ،  
ص ١٢٩ .

(٢) أحمد نوري النعيمي : أثر الاقلية اليهودية في سياسة الدولة  
العثمانية تجاه فلسطين ، ص ١١٧ .

فكان السلاطين العظام ينظرون بعين النفور الى كل ما يستتر تحت حجاب الظلمة واذا بلغهم شيء من أمر تلك المجامع أسرعوا الى الغائها وتشتيت شمل أصحابها " (١) .

غير أن الماسونية الرمزية قد ظهرت في الدولة العثمانية سنة ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م في كورفو ، تحت رعاية المحفل الأعظم الانكليزي ، إلا أن المعول عليه ، أن أول محفل انكليزي تأسس منها كان سنة ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م ، واسمه محفل فيشاغورس ، ثم تأسست بعده محافل أخرى تحت رعاية المحفل الأعظم الانكليزي المتحد ، وتأسس غيرها تحت رعاية الشرق الأعظم الفرنسي (٢) .

إلا أن الصدر الأعظم ابراهيم باشا ، الذي قرب اليه العلماء والمثقفون ، رأى في الماسونية تجديدا في الأفكار والآراء ، فانتسبوا اليها وكان رشيد باشا سفير الدولة العثمانية في بريطانيا قد انتسب سنة ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م الى أحد المحافل الماسونية في بريطانيا ، وعندما عاد الى اسطنبول أسس جمعية ماسونية بالتعاون مع السفير البريطاني آنذاك في اسطنبول (٣) .

ولكن كان هناك مجلسا عال من الأتراك وهو المجمع الوحيد الوطني أسسه الأمير حليم باشا ، وكان رئيسه طول حياته تحت رعاية المحفل الأعظم الانكليزي (٤) .

- 
- (١) حسان على خلاق : موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية (بيروت ، الناشر جامعة بيروت ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ) ص ٢٨٣ .
  - (٢) جورج زيدان : تاريخ الماسونية العام ( الطبعة الثانية ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٨٤م ) ص ١٤٤ .
  - (٣) أحمد نوري النعيمي : أثر الاقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين ، ص ١١٧ .
  - (٤) جورج زيدان : تاريخ الماسونية العام ، ص ١٤٤ .

ونظرا للجهود المبذولة من قبل الماسونية ، فقد تأسس عدد من المحافل في اسطنبول وأزمير ، بعضها تابع للشرق الاعظم الانجليزى وبعضها للمحافل الفرنسية او الايطالية الى أن أسس أو أنشأ حليم باشا مجمعا وطنيا ، ترأسه بنفسه ، وتعددت محافله حتى أصبح عدد الأتـــمـــراك الماسونيين نحو عشرة الاف شخص من بينهم عدد من الوزراء والنواب وقادة كبار الجيش وكبار المسؤولين<sup>(١)</sup> . وفي هذا المجال نشط الماسونيون الانجليز ، وقاموا بتأسيس المحفل " الاورخان " وأدخلوا فيه بعض الأتراك .

وقد اعتبرت هذه الخطوة مرحلة جديدة في تطور الجمعية والنفوذ الماسوني الانجليزى في العاصمة العثمانية ، ولكن لم يلبث أن غيروا اسم محفلهم الى محفل " هومر " الذى عينوا في رئاسته اليهودى ميديانو سلفاتور ، وقد استمر في هذا المنصب حتى سنة ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩م في حين توسعت هذه الجمعيات حيث ضمت الكثير من الأتراك<sup>(٢)</sup> لاسيما في عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذى أشرت حوادث عام ١٢٩٤هـ/١٨٧٦م في سياسته وسيرته ، منذ أن وجد عمه عبدالعزيز مقتولا في قصر " طولمة باعجة " ولما عين مراد سلطانا من بعده خلع ، ولم يبق طويلا في الحكم وعين مكانه أخوه عبد الحميد الثاني ، الذى بدأ اعماله في ظل هذه الظروف وهذا الوضع<sup>(٣)</sup> بالحذر من هذه الحركات .

فالماسونية هي الاسم الجديد للشريعة اليهودية المقنعة كذلك رموزها وتقاليدها يهودية كابالا ( Kabbala )<sup>(٤)</sup> ، وان معالمها

- 
- (١) حسان على حلاق : دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش (بيروت الدار الجامعية للطباعة والنشر، ١٩٨٢م) ص ٤٠ .
- (٢) احمد نوري النعيمي : اثر الاقليات اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين ، ص ١١٧ .
- (٣) حسان على حلاق : موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ، ص ٢٨٣ .
- (٤) الكابالا : مزيج من الفلسفة والتعاليم الروحية والشعوذة والسحر ، متعارف عنها عند اليهود ، منذ أقدم العصور وكان دعاة الكابالا يعلقون اهمية كبرى على السحر والشعوذة واسرار الطلاس والرموز والارقام . ولمزيد من المعلومات انظر :

رجعية مضحكة ، لأنها التقت بماضي مظلم وتدثرت بضباب قاتم من الأكاذيب والأراجيف الخائقة (١).

وان النظم والتعاليم اليهودية كان انتقال أسرارها الى الماسونية على يد الجمعية والفرسان أو الصليب الوردي ، وهي التي اتخذت أساسا لإنشاء المحفل الماسوني الأكبر سنة ١١٣٠هـ / ١٧١٧م ، ووضع رسومه ورموزه (٢).

ولاتزال الصهيونية واليهودية العالمية هي القوة المحركة الكامنة وراء الماسونية والاساتذة الكبار الحقيقيون في المحافل الماسونية هم الممثلون للجمعيات الصهيونية واليهودية السريية ، وان سر التماسك العجيب يرجع الى عدد من الصهاينة اليهود في صفوف المتقدمة من الماسونية ودليل ملء الماسونية واليهودية يقدمه حكماء صهيون (٣) في البروتوكول الخامس عشر من جلساتهم السرية فيما يلي نصه : " والى ان يأتي الوقت الذي نصل فيه الى السلطة سنحاول ان ننشئ ونضع خلايا الماسيونييين الاحرار في جميع أنحاء العالم وسنجدب اليها كل بمير أو يكون معروفا بأنه نور روح عامة ( Publie Spirit ) وهذه الخلايا ستكون الاماكن الرئيسية التي سنحصل منها على مانريد من أخبار كما أنها ستكون أفضل مراكز للدعاية .

وسوف نركز كل هذه الخلايا تحت قيادة واحدة معروفة لنا وحدنا وستتألف هذه القيادات من علمائنا وسيكون لهذه الخلايا أيضا ممثلوها الخصوصيون ، كما نحب المكان الذي نقيم فيه قيادتنا الحقيقية . وسيكون

---

(١) جواد رفعت آتليخان : أسرار الماسونية ، ترجمة نور الدين رضا

الواعظ وآخرون ، ( القاهرة ، الناشر مجلة الأهرار ، ١٤٠٥ هـ ) ص ٢٧ .

(٢) عبد الله عنان : تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة في المشرق ص ٨٩ .

(٣) جواد رفعت آتليخان : المصدر السابق ، ص ١١٣ .



ومن منتسبي المحفل الانجليزى ، وانهما كانا من الذين أداروا الماسونية السرية وبسياستها أصدروا " البيان الشيوعي " المشهور الذى امتدحتسه المجلة الألمانية الماسونية ( لاتونيا ) قد أعلنت فرحها واستبشارها بانتشار الاشتراكية في مقال لها سنة ١٣١٢ هـ / ١٢ تموز ١٨٩٤م وقالت ان " الماسونية قد وجدت في المبادئ الاشتراكية خير معاون لها فلا بد لنا من معاضدتها " (١) .

معنى ذلك أن القاعدة التي تنطلق منها هذه المذاهب الهدامة ، وإن اختلفت في الاسماء والمسميات فهي في الحقيقة مؤسسات سرية يهودية .

لذلك تغلغل سلطان اليهود في العالم في اواخر القرن الثالث عشر والاربع عشر الهجريين الموافق لواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلاديين . بما اتيح لهذه الجمعيات من مسببات الانتشار والنجاح : ذلك أن نشاطا تجاريا اجتاح العالم بسبب تطور الثورة الصناعية التي ساعدت على تطور وسائل المواصلات في العالم واتيح لهذه الجمعيات امكانية الانتشار والانتقال باعضائها من مكان لآخر لنشر مافي تعاليمهم من مبادئ واهداف تتعلق بأمانيتهم وأطماعهم عن طريق هذه الجمعيات والمؤسسات التي تسيطر عليها وتوجهها كي ترتبط هذه الجمعيات بالهدف الذي تعبر عنه الخطة الكبرى للحكومة السرية العالمية او الخفية المنبثقة في جميع بلدان العالم والتي تقوم بكل عمل ماسوني في خدمة الاطماع اليهودية فالافكار المستقلة التي لاتساير الافكار الماسونية كانت تتعرض للنقد اللاذع والعداء من قبل الماسونيين (٢) ، ويمكن التصفية الجسدية كما هي عادتهم لمن يقف في طريق مخططاتهم واهدافهم التلمودية .

---

(١) جواد رفعت اتلخان : أسرار الماسونية ، ص ٤٥ .

(٢) جواد رفعت آتلخان : المصدر السابق ، ص ٤٥ .



أما نشاط هؤلاء اليهود أو الحركة الصهيونية فقد بدأ أعداؤها مع الدولة العثمانية منذ مصر السلطان محمد الأول (٨٠٦-٨٢٥هـ / ١٤٠٣-١٤٢١م) الملقب " جلبلي " .

ففي عهده استغلت اليهود ضعف الدولة عقب معركة أنقرة الأولى حين أسر بايزيد الأول وتفككت الدولة لموته في الأسر بصراع ابنائه حول كرسي الحكم فدست اليهود بين صفوف الناس شخصا يدعى (بحر الدين) كان يشغل مناصبا كبيرا ( القاضي عسكر ) للسلطان محمد جلبلي فسي الدولة متسترا بالاسلام والعلم فدعاه الى آراء هدامة من أممالي اليهود المعروفة ، فبات هذا اليهودي يشكك خطرا في كيان الدولة<sup>(١)</sup> ، لنشر هذه العقيدة وجمع حوله حشود من الناس ، مستغلا بذلك اضطرابات الدولة في تلك الفترة فكثرت اتباع بحر الدين وأخذوا في نشر مذهبه بالقوة ، يتعرضون للناس بسبب وبغية سبب وأموالهم فقد قتلوا آلافا وعلى رأسهم أمير لواء أزمير اسكندر بك . وقد تنبه له السلطان فقام بالقبض عليه ومحاكمته في الروملسي سنة ٨٢٢ هـ / ١٤٢٠م<sup>(٢)</sup> .

ونتيجة لذلك أمر السلطان بقتله وخلص الناس من شره وبقتله انتهت دعوته وفتنته التي أثارها بتلك الدعوة<sup>(٣)</sup> .

وقد أشرنا من قبل في فصل سابق أن سبب وفاة السلطان محمد الفاتح كان نتيجة للسم الذي دسه له بصورة تدريجية العميل البندي ، وهو أحد أطبائه الخاصين المسمى ميسترو لاقوبو ( Mestro Lacopo ) الذي ادعى انه اهتدى للاسلام وتسمى باسم يعقوب باشا ، ولكن الاتراك هزقوا هذا اليهودي في الحال<sup>(٤)</sup> .

---

(١) على حسن : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٥ ،

يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ١١٨ .

(٢) يلماز اوزتونا : المصدر السابق ، ص ١١٨ .

(٣) على حسن : المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٤) يلماز اوزتونا : المصدر السابق ، ص ١١٨ .

ومنذ سنة ١٩٦١ هـ / ١٥٥٣ م والاصابع اليهودية تحاول الدس وإشاعة  
الفتن والاضطرابات في الدولة وإخراجها عن جادة الطريق القويم عن الاسلام  
مما جعل ذلك عاملا من عوامل الضعف في الدولة (١) ، كما هي عادة اليهود  
في ايجاد الفتن والمؤامرات منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فـ في  
الخفاء دون المواجهة ولكنهم على طول هذه المؤامرات نراهم ينجحون في  
اهدافهم لابعاد الامة الاسلامية التي تخلت عن عقيدتها وتوالتها وتربطها  
وتلاحمها ، وهذا من أهم أسباب خذلانها أمام دسائس بني صهيون .

ففي القرن السادس عشر الميلادي أهدى تشار القرم - للسلطان سليمان  
الاول ( القانوني ) فتاة يهودية روسية اسمها " روكسلانا " كانوا قد  
سبوا في احدى غزواتهم ولشدة جمالها افتتن بها القانوني فاتخذها زوجة  
له وسماها ( خرم سلطان ) (٢) وبسبب نفوذها في القصر زوجت ابنتها  
( مهرماه ) من اللقيط الكرواني رستم باشا ثم تمكنت من قتل ابراهيم باشا  
الصدر الأعظم ( رئيس الوزراء ) للدولة ونصبت بدلا عنه صهرها رستم باشا .

ولم تكتف بهذا العمل بل دبرت مؤامرة أخرى استطاعت فيها قتل  
ولي العهد مصطفى بن سليمان القانوني الابن الأكبر من زوجته الاولى ، بحجة  
انه يفكر في الاطاحة بحكم والده (٣) ، وبهذه الوساية مهدت الطريق لتولية  
ابنها سليم الثاني وليا للعهد .

لذلك كانت هناك اشارة لاحد اليهود التي كانت تربطه صداقة قوية  
بابنها السلطان سليم الثاني هذا اليهودي اسمه جوزيف نانسي قد قام  
بلوركبير وبارز في سياسة الدولة العثمانية وانحراف السلطان سليمان  
الثاني ، وقد اسهم هذا بدرجة كبيرة في ضعف وتفكك الدولة العثمانية .

---

(١) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٤٧ .

(٢) خرم : أي الباسمة .

(٣) مصطفى طوران : أسرار الانقلاب العثماني ، ترجمة كمال خوجه ( الطبعة  
الرابعة ، القاهرة ، دار السلام للطباعة والنشر ، ١٩٨٥ / ١٤٠٥ م ) ص ١٢ .

فرين له فتح جزيرة ناكوس ( Naxo ) وتم استيلاء العثمانيين عليها في سنة ٩٧٥ هـ / ١٥٦٧م وزادت خطورة هذا اليهودى لدى السلطان سليم عندما اهداه ناكوس اقطاء له .

وكان من بين الاسانيد التي ساقها اليهودى للسلطان عن قبرص ان نبىذ قبرص لا يضاويه نبىذ آخر في العالم . وفي نشوة الخمر قال السلطان سليم الثاني لليهودى : " ستكون ملكا على قبرص " (١)

فلما جلس السلطان سليم الثاني على العرش ساق عمارة بحرية لفتحها وبعد حرب شديد استطاع جنود الدولة العثمانية من فتحها .

ونتيجة لذلك اتحدت البندقية مع البابا وملك اسبانيا وأعلنوا الحرب على الدولة وقادوا حلفا صليبيا بقيادة دنحوان الابن غير الشرعي للامبراطور شارل الخامس ملك اسبانيا فاشعل الحرب على الاسطول العثماني ، فاستطاع تدميره في مياه ليبانتو ( Lepanto ) وقتل قبطان البحرية العثمانية عثمان باشا (٢) ، معنى ذلك فقد جر هذا السلطان خسارة كبيرة لاجل ارضاء صعلوك من اليهود ، يريد اغراق الدولة اقتصاديا ليدخل الدولة في مآهات هي فيغنى عنها وبالتالي يجرها الى الهاوية والتدهور والاستسلام لليهود أنفسهم ليغرقوا في مكاغدهم .

وقد احتفلت اوربا كلها بهذا النصر لاعتباره أول نصر منذ أوائل القرن العاشر الهجرى ، تحل فيه الهزيمة بالعثمانيين ، وقد ثبت لاوروبا بعد هذه المعركة انه من الممكن هزيمة العثمانيين كما فتحت شهيتهم لمزيد من التسلط (٣) .

---

(١) عبدالعزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ،

ج ٢ ص ٩٢٥-٩٢٦ . حاشية رقم (٢) .

، يوسف اصف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ج ٢ ص ٨٠ .

(٢) يوسف اصف : المصدر السابق ج ٢ ص ٨٠-٨٢ .

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٤٧ .

ويشير المؤرخ أحمد عبدالرحيم مصطفى ، أن المصدر الأعظم محمد باشا -  
موقولي كان يستعين في تنفيذ مشروعاته بالأموال التي كان يوفرها -  
البنكيون اليهود في تلك الفترة . وكان يتزعمهم دون جوزيف (١) ، وكان  
أمل هذا اليهودي أن يجعل من قبرص وطناً قومياً لليهود الفارين من -  
الاضطهاد الأوربي (٢) ، أو ما يسمى بهجرة اليهود من أسبانيا إلى الدولة  
العثمانية ، وخاصة يهود الدونمة (٣) ، والدونمة أطلقها الأتراك على اليهود  
الذين رحلوا من أسبانيا إلى تركيا ، بعد طرد العرب واليهود من الأندلس  
في القرنين التاسع والعاشر الهجريين الموافق للقرنين الخامس عشر  
والسادس عشر الميلاديين . ولقد تزيّن هؤلاء بزي الأتراك المسلمين ،  
وماهم بأتراك ولا مسلمين ، عمدوا إلى عمل ذلك ، حتى يسهل عليهم القضاء  
على الاسلام أولاً ثم الدولة العثمانية حامية هذا الاسلام ، واعلان  
علمانيتهما ، ومن ثم مساعدة يهود العالم على المسيرة للاستيطان في  
فلسطين (٤) . ومنذ وصولهم من الوهلة الأولى تظاهروا بالاسلام في  
الدولة العثمانية والتزموا به ، فأخذوا يهودون الغرائض في الظاهر ،  
أما في الباطن فانهم يهود قلباً وقلباً ، يمارسون طقوسهم الدينية  
سراً ، ويحتفظون بأسمائهم اليهودية - إلى جانب أسمائهم التركية  
الاسلامية (٥) . وذلك بايعار من المجلس الأعلى لليهود ليسهل عليهم  
التغريب بالأتراك وكسب ثقتهم ، ومن ثم التغلغل إلى مراكز السلطة في  
الدولة العثمانية ، وهذا يساعدهم على المدى البعيد على حمايتهم

---

(١) كان يسمى هذا اليهودي في مطلع حياته دون ميجيه ( Donmiguez )

- عبدالعزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها  
ج ٢ ، ص ٩٢٥ ، حاشية رقم (٢) .

(٢) - في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٤٦

(٣) الدونمة كلمة تركية تعنى باللغة العربية " المرتدين " .

- أحمد نوري النعيمي : أثر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة  
العثمانية تجاه فلسطين ، ص ٢٣ ، حاشية رقم (٢١) .

(٤) داود عبدالغفو سنقرط : القوى الخفية لليهود العالمية الماسونية ،  
( الطبعة الاولى ، عمان ، دار الفرقان ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ) ص ١٢٨ .

(٥) داود عبدالغفو سنقرط : المرجع السابق ، ص ١٢٨-١٢٩ .

١، أحمد نوري النعيمي : المرجع السابق ، ص ٢٣ .

أبنائهم اليهود وتحقيق الأهداف لهم ومكائدهم العدوانية (١).

وكان على رأس هؤلاء ، مؤسس جماعة الدونمة اليهود في تركيا ساباتاي . ففي خلال محنة القرن الحادي عشر الهجري الموافق للقرن السابع عشر الميلادي تعرض اليهود في جميع أنحاء " أوربا " وخاصة يهود أسبانيا الذين أصبحوا في وضع سيء للغاية ، قاسوا فيه أنواع العذاب ، هـذا الوضع ساعد ساباتاي على اعلان نفسه المسيح المنتظر الذي بعث لخلاص اليهود سنة ١٠٥٨ هـ / ١٦٤٨ م (٢) . حيث راجت في تلك الأيام شائعة مفادها أن المسيح سيظهر ، كي يقود اليهود في صورة المسيح وأنه سيحكم العالم في فلسطين ويجعل القدس عاصمة للدولة اليهودية المزعومة (٣) .

ذهب ساباتاي الى مصر سنة ١٠٧٤ هـ / ١٦٦٣ م ، فنزل ضيفا على صـراف يهودي يدعى رفائيل جوزيف فدعمه بالمال ، ومن مصر رحل ساباتاي الى فلسطين ، ومنها الى أزمير ، وفي أزمير علا شأنه ، ووفدت اليه الوفود اليهودية من كل مكان لشهرته التي طبقت الآفاق ، وقلدته اليهود تـاج " ملك الملوك " فقسم العالم الى (٣٨) قسما وعين لكل قسم ملكا ، وأخذ يوقع باسم " الابن الوحيد الأول ليهوه " (٤) ، اعتقادا منه أنه سيحكم العالم كله من فلسطين ، حيث كان يقول : " أنا سليل سليمان بـن داود حاكم البشر ، اعتبر القدس قسرا لي " . ثم قام بشطب اسم السلطان محمد الرابع من الحطب التي كانت تلقى في كنائس اليهود ، وجـل

(١) أحمد نوري النعيمي : أثر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين ، ص ٢٣ .

(٢) محمد علي قطب : يهود الدونمة ( الطبعة الاولى ، بيروت ، دار القلم ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ) ، ص ١٦-٢٠ .

داود عبد العفو سنقرط : القوى الخفية لليهود العالمية الماسونية ص ١٢٩-١٣٠ .

أحمد نوري النعيمي : المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٣) أحمد نوري النعيمي : المرجع السابق ، ص ٢٤-٢٥ .  
محمد علي قطب : المرجع السابق ، ص ١٧ .

(٤) محمد علي قطب : المرجع السابق ، ص ١٦-٢٠ .  
داود عبد العفو سنقرط : المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

اسمه محل اسم السلطان (١) .

ومما يؤسف له أن السلطة العثمانية لم تعبا أو تهتم بما يجرى وذلك لسببين : الأول : التسامح الديني ، وحرية الاعتقاد والاستقلالية الطائفية اليهودية بأمورها وشؤونها والذي كان وبالا ونقمة على الدولة العثمانية . أما الأمر الثاني : هو انشغال السلطان محمد الرابع بحرب جزيرة كريت وغيرها (٢) .

ولما استفحل أمر ساباتاي ألقى السلطان محمد الرابع القبض عليه ، وخيره بعد محاكمته بين ثلاث : إما اثبات دعواه ، أو الموت ، أو التوبة والاسلام ، ولكنه لم يجد بدا من الاسلام تحت اسم محمد البواب ، فعيناه السلطان في الحال رئيسا لبوابي قصره (٢) ، وقيل تسمى باسم محمد عزير أفندي ، وطلب ساباتاي من السلطات العثمانية ، أن تسمح له بدعوة اليهود الى الاسلام ، فأذنت له ، فانطلق بين اليهود يواصل دعوته التي الايمان به ، ويحثهم في نفس الوقت على ضرورة الاسلام ظاهريا مبطنيا الساباتية (٤) .

وقد تركت الدولة لساباتاي حرية التجول والدعوة ، فاستغلها وضمن لنفسه عدم الشبهة ، وانصرف الى تنظيم وتقنين ورسم معالم مذهب الجديد وجمع كل ذلك في وثيقة من ثمانى عشرة بندا ، انكشفت فيما بعد ، وكان أهم تلك المواد وأخطرها المادتان (١٦) و (١٧) وهذا نصهما :

المادة (١٦) : يجب أن تطبق عادات الأتراك المسلمين بدقة بصرف أنظارهم عنكم ، ويجب أن لا يشعر أحد من الاتباع تضائقه من صيام ( رمضان ) ومن الأضحية ، ويجب أن ينفذ كل شيء يجب تنفيذه أمام الملاء .

- 
- (١) أحمد نوري النعيمي : أشر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين ، ص ٢٥-٢٦ .
- (٢) محمد علي قطب : يهود الدونمة ، ص ٢٩ .
- (٣) داود عبد العفو سنقرط : القوى الخفية لليهود والعالمية الماسونية ، ص ١٣٠ ، اسماعيل الكيلاني : فصل الدين عن الدولة ، ص ١٨٧-١٨٨ .
- (٤) محمد علي قطب : المرجع السابق ، ص ٣٥ .
- أحمد نوري النعيمي : المرجع السابق ، ص ٢٧-٢٨ .

المادة (١٧) : ان مناكتهم - أى المسلمين - ممنوعة قطعاً (١).

وهكذا نشأت على يد محمد البواب ، أو عزيز أفندى جماعة من يهود الدونمة ، في الدولة العثمانية ، والدونمة في الأصل العائد الى الاسلام ، بعد أن كان ثنائها في اليهودية ، أما في الحقيقة فانهم كانوا يعنسون بها المسلم ظاهراً واليهودى باطنياً .

وحيث تفاقم خطر الدونمة ، فانها صارت تعني القدر أو الخسيس (٢) . وقد استطاع ساباتاي أن يقدم الشيء الكثير للحركة الصهيونية أثناء تلك الفترة ، ويقول أفرام غالاتني الكاتب اليهودى " أن ساباتاي قد أنقذ اليهود من المصائب والاضطهادات بهذه الطريقة " (٣).

ويبدو ذلك واضحاً من توجيهه لليهود الى الدخول في الاسلام ظاهراً حتى يستطيع بناء قاعدة في عاصمة الدولة العثمانية ، باعتبارهم مسلمون ومن خلال اسلامهم يحصلون بلا شك على أهدافهم الاستعمارية .

حين بدأ رجال الدونمة يتغلغلون في جسم الدولة ، كما هي عادة اليهود ، فشنوا هجوماً غير مباشر على أجهزتها المختلفة ، لشل حركة الدولة عن العمل ، فبدأوا بإرباك الدولة مادياً وإيقاعها تحت طائلة الديون فكانوا هم وأخوانهم من يهود العالم الذين يتحكمون بذهبهم وسياسته (٤) أصحاب هذه الديون . وحين عجزت الدولة عن السداد أخذوا

(١) محمد على قطب : يهود الدونمة ، ص ٤٠-٤١ .

(٢) داود عبد العفو سنقرط : القوى الخفية لليهود العالمية الماسونية ، ص ١٣٠-١٣١ .

(٣) أحمد نوري النعيمي : أثر الاقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين ، ص ٢٦ .

(٤) هذا الأمر لم تنتبه له الدولة العثمانية التي استقبلت اليهود ، كما تنبّهت له أسبانيا عندما قامت بطردهم ، في حين خیرت العرب بين الرحيل أو البقاء واعتناق المسيحية ، لكنهم لم يخيروا اليهود لماذا ؟ والإجابة على ذلك : أن الأسبان يعرفون ويعلمون علم اليقين بأنهم سوف يففلون البقاء مع التظاهر باعتناق المسيحية لا اعتناق حقيقي ، لان اليهودى لا يرضى بغير دينه بديلاً ، إضافة الى أن ذلك (=)

يفرضون عليها ما يشاؤون تدريجيا حسب خطة مدروسة ففرضوا عليها أول ما فرضوا مستشارين غربيين بحجة حماية ديونهم على الدولة . وكان الغرض الأساسي لذلك هو التجسس عليها وتوجيه دفة الدولة ، حيث يريدون ويرغبون والتحكم في سياستها الداخلية والخارجية .

وهكذا استطاعت هذه المحافل الماسونية بمساعدة يهود العالم والدول الاستعمارية التي تعمل على انقسام الدولة وعلى رأسها إنجلترا وفرنسا ان تدس اليهود الدونمة في جميع المراكز الحساسة في جسم الدولة تمهيدا لاحتوائها وقلبها ، لدرجة أن السلطان في أواخر أيام الدولة ، ما كان يستطيع أن يعين ميزانية قصره إلا بمشورة هؤلاء المستشارين ، فأصبح منهم الوزراء ، والنواب ، وقادة الجيش ، وكبار الموظفين ، والمسؤولين لدرجة أن تولى كاميل باشا رئاسة الوزراء ، في آخر عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، كما تولى جاويد بك في عهده عدة وزارات منها وزارة المالية (١) .

وهنا يتضح بحق أن الماسونية تضم في محافلها أعضاء كبارا من اليهود الذين ينتمون الى الجمعية السرية . وأن وظيفة هؤلاء هي توجيه المساعي وتنسيقها بين مختلف المحافل وتوجيهها لخدمة اليهود . وبتبيين من هذا أيضا أن الماسونية هي آلة لخدمة سرية أعلى منها وهي " اليهودية " (٢) .

وهذا ما لعبه المحفل الماسوني الذي أسس لهذه الغاية في الدولة بواسطة اليهود ، وهو استخدام رجالات الدولة العثمانية أنفسهم للحصول منهم على المساعدات اللازمة لفتح أبواب فلسطين لهجرة اليهود من أنحاء

---

(=) ان معظم الأراضي الاسبانية بما فيها اراضي الكنيسة كانت مرهونة عند هؤلاء المرابين . لهذا تخلصوا منهم عندما قاموا بطردهم .  
- داود عبد العفو سنقرط : القوى الخفية لليهود العالميّة الماسيونيّة ، ص ١٢٨ .

(١) داود عبد العفو سنقرط : المرجع السابق ، ص ١٢٩-١٣١-١٣٢ .

(٢) جواد رفعت آتليخان : أسرار الماسونية ، ص ٧٥ .



العالم ، واقامة وطن قومي فيها لليهود ، وقد ظهرت نتائج هذا المحفل في اشعال نار الثورة في تركيا العثمانية سنة ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م ، للموقف الذى أبداه السلطان عبدالحميد الثاني تجاه الحركة الصهيونية ورفضه لاغراض وعروض هرتزل المالية لقبول اقامة الوطن اليهودى على ارض فلسطين ، وكان هذا الامر له الأثر الكبير في دفع أو استخدام الصهيونية للماسونية من أجل الاطاحة بالسلطان عبدالحميد الثاني (١) .

حين استطاعت الحركة الصهيونية من استخدام المحافل الماسونية في متابعة النشاط السياسى ، لتحقيق المشروع الصهيونى باستيطان فلسطين ، كما يؤكد يوسف الحاج الحائز على رتبة الأستاذية العظمى فى الماسونية ومعتقداتها حيث يقول : " ان مبدأ هذه الفرقة وتعاليمها ودرجاتها وغاياتها ترمي كلها الى تقديس ماورد فى التوراة واحترام الدين اليهودى والعمل على تجديد المملكة اليهودية فى فلسطين باسم الوطن القومى اليهودى " (٢) .

وهذا ما أشارت اليه بعض الوثائق البريطانية من تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين بالرغم من موقف الدولة العثمانية الحازم ضد هجرة وتسرب اليهود ، الذين كانوا يأملون فى الاقامة الدائمة فى فلسطين والتضحية بأرواحهم ، وما لديهم أى رغبة فى العودة الى أهلهم ونويعهم . بالرغم من أن مستعمراتهم أو مستقراتهم فقيرة ، الا أنها مكيفة لهذا الغرض بحكم طبيعتها للتنافس مع السوريين وأهل فلسطين ، الا أنها مدعومة بشعور ديني قوي .

---

(١) ابراهيم فؤاد عباس : الماسونية تحت المجهر ، ( الطبعة الأولى ، جدة ، دار الرشاد ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ) ص ٣٨ - ٣٩ .

(٢) حسان على حلاق : دور اليهود والقوى الدولية فى خلق السلطان

عبدالحميد الثاني عن العرش ، ص ٣٥ .

وقد أشارت التقارير عن نشاط اليهود الواضح والملموس من ناحية التقدم الدراسي في الكلية الزراعية<sup>(١)</sup> في يافا، ونظرة احتقار للعرب المسلمين واتهامهم بالكسل والخمول في الزراعة والتجارة التي برع فيها اليهود . غير أن اتحاه روسيا وبريطانيا وفرنسا اتضح في اصرارهم على تمهيد الاستيطان اليهودي في فلسطين .

كما تشير الحقائق ، أنه من الممكن تحقيق مخططات لورد بيكم فيلد ، ويمكن أن تكون هذه المهرات عاملا مهما في حل المسألة الشرقية<sup>(٢)</sup> .

وهذه العكرة صدى لما كان يدور أو يخطط له في أروقة الخارجية البريطانية كما أسلفنا من قبل ، للتمهيد لما بعد ، في اعلان وعد بلفور في عام ١٣٣٦هـ الموافق ١٧ نوفمبر ١٩١٧م .

ويوم أن بلغوا في تحكمهم الذروة ، فرضوا على السلطان عبدالحميد الثاني المشروطة الثانية ، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م ، ونفيه الى سلانيك سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م<sup>(٣)</sup> لازاحته عن طريقهم بعد تدريب رعماء الثورة في محافلهم ، لتنفيذ مآربهم دون معارضة من الحكومة التي يعتبر حكامها من تلامذتهم كما سنتناوله في الفصل التالي .

...

---

(١) أسستها السيدة كريميه ويتولى أمرها حاليا اليهود الاسرائيليون الذين ينحدرون الى سلالة النبي يعقوب .

F.O.:424/197, Sir. N. O'Coner to the Marguess of Salisbury , No. 91, 24-12-1898.

Ibid.

(٢)

(٣) داود عبدالعفو سنقرط : القوى الخفية لليهودية العالمية —————  
الماسونية ، ص ١٣١-١٣٢ .

## الفصل الرابع : مظاهر الخزو الفكري في الدولة العثمانية

أ - الاستخراب : ( إتياء الدولة إلى الإصلاح العسكري ) .

ب - عصر التنظيمات العثمانية .

ج - التخريب : مدحت باشا وزملاؤه .

د - المشروطية الأولى والثانية .

أ - الاستغراب : ( اتجاه الدولة الى الاصلاح العسكرى ) :

أشرنا من قبل الى الخلل الذى لحق بالدولة في المجال الخارجى طوال القرن الثانى عشر الهجرى الموافق للقرن الثامن عشر الميلادى ومارافق ذلك من تكتلات قامت بها بعض الدول الأوربية ضد الدولة العثمانية ، مما أدى الى ظهور اتجاه جديد في الدولة العثمانية يدعو الى اصلاح بعض مؤسسات الدولة ، وخاصة الاصلاح العسكرى ، وهو الاتجاه المعروف بحركة الاصلاح على أساس اقتباس وتطبيق النظم العسكرية الأوربية (١) .

وقد بدأ اصلاح الناحية العسكرية منذ أن طغى الانكشاريون على السلطة وأصبحوا خطرا على الدولة ، وكان السلطان عثمان الثانى (١٠٢٨/١٠٣٢هـ) / (١٦١٨م) هو أول من فكر في التنكيل بهم عقب امتناعهم عن مواصلة الحرب التى كانت بين الدولة والبولونيين ، حولوا نصر الدولة الى خاسر أصابت معظم قطاعاتها . ففكر السلطان في استبدالهم بجيش منظم ، ولكنهم حين علموا بأنه شرع في حشد جيش في آسيا ويعنى بتدريبه ، انقضوا عليه وخلعوه ثم قتلوه . وفعلوا مثل ذلك في السلطان ابراهيم الأول (١٠٥٠-١٠٥٨هـ) / (١٦٤٠-١٦٤٨م) حين شعروا أنه يتآمر عليهم ، وألحقوا به السلطان أحمد الثالث (١١١٥هـ - ١١٤٣هـ) / (١٧٠٣-١٧٣٠م) عندما فكر في تنظيم الجيش فخلعوه ونصبوا مكانه السلطان محمود الأول (٢) .

وفي عهد السلطان مصطفى الثالث ( ١١٧١-١١٨٨هـ / ١٧٥٧-١٧٧٤م ) سار اصلاح الجيش سيرا بطيئا وكذلك في عهد السلطان عبدالحميد الاول ( ١١٨٨-١٢٠٤هـ / ١٧٧٤-١٧٨٩م ) الا أن هذا الاصلاح دخل في طور التنفيذ الفعلي في عهد السلطان سليم الثالث ( ١٢٠٤-١٢٢٢هـ / ١٧٨٩-١٨٠٧م ) (٣) الذى وطد العزم على التجديد

---

(١) ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ( مطبعة الرسالة ، ١٩٥٧م )

ص ٦١-٦٥ .

(٢) محمد جميل بيهم : فلسفة التاريخ العثماني ( صدر ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م ) الكتاب

الثاني ، ص ١٥١-١٥٢ .

(٣) ساطع الحصرى ، المرجع السابق ، ص ٦٥ .

والاصلاح ساعده على ذلك قيام الثورة الفرنسية . (١)

فبتلك الفترة بلغ الوهن والضعف في الدولة العثمانية مبلغا شديدا ، مع نهاية السلاطين العشرة الأول العظام ، فتوقفت الفتوحات وأخذ التراجع يصبح الصفة الغالبة على الدولة على محاور قاراتها الثلاث ، مع غرق بعض السلاطين في حياة لاهية ، مما صدهم عن القيام بواجباتهم نحو تدبير شؤون دولتهم في ميادين الفكر والسياسة ، فاعتدت كل من النمسا وروسيا وغيرهما من الدول الأوروبية على ممتلكات الدولة العثمانية (٢) ، وضمتها الى أملاكها ولم يقيم السلاطين بواجبهم ، ذلك لأنهم غفلوا عن تربص أوربا بهم ، ولم يعرفوا أن أوربا تنتظر الفرصة للانقضاض عليهم لتقطيع أوصال دولتهم .

وأخيرا وجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام تلك الأطماع من غير أن يستعدوا لها ويتسلحوا بسلاح عدوهم العلمي والصناعي ، عندما طرأوا في الاهتمام بالعلوم النافعة ، فلم يطوروا صناعاتهم وفنونهم الحربية كما كان يحدث في أوربا ، ولم يفكروا أيضا في عمل التنظيمات الإدارية المطلوبة . كما أن العلماء كانوا على درجة كبيرة من الضعف ، فأهملوا توجيه الأمة توجيهها علميا وفكريا سليما (٣) . في الوقت الذي كانت فيه دولتهم تواجه محنة حكم مملكة واسعة ومترامية الأطراف ، إضافة الى ذلك لم يكن فيهم حماس عصر سلاطين الدولة الأولى ، ولا قوتهم ، لمواجهة حضارة أوربا المادية الحاملة معها ثورة صناعية واسعة . ولذلك كان على سلاطين الدولة العمل على اخراج دولتهم من هذه الورطة ، فكيف السبيل الى التغلب على هذه المشكلة ؟ (٤)

(١) محمد جميل بيهم : التاريخ العثماني ، ص ١٥٢

(٢) روجي بك الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني ، ( مجلة الهلال ، الجزء

الثاني ، السنة السابعة عشر ، ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م ) ص ٧٤

، عبدالكريم مشهداني : العلمانية وآثارها على الأوضاع الاسلامية في

تركيا ، ص ٦٥

(٣) أبو الحسن علي الندوي ، الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية ،

ص ٣٥

، عبدالكريم مشهداني : المرجع السابق ص ٦٥-٦٦

(٤) أبو الحسن علي الندوي : المرجع السابق ، ص ٣٧

كان الخروج من هذا المأزق الدقيق بنجاح ، يحتاج الى ذكاء مع معرفة صحيحة بالاسلام وحضارته العظيمة لمواجهة حضارة الغرب المادية . وكما ان لابد للدولة العثمانية ان تعمل ، والعالم الاسلامي كله مستعد لاتباعها والسير في ركابها ، لارتباط هذا العمل بمستقبل العالم الاسلامي ، الفكري والحضاري والسياسي الذي لا يقبل أى تأجيل (١) .

ومما يؤسف له أن الدولة العثمانية كانت في تلك الفترة منقسمة على نفسها الى طائفتين طائفة تريد الإصلاح والطائفة الأخرى متعصبة لاتعترف ولاتقدر خطورة الموقف ، وضخامته الذي ظهر لدولتهم بتأثير القوة الناهضة في أوروبا (٢) .

فجاء جانباً التناقض في الحاجة الظاهرة الى الإصلاح بعد الانسحاب الثاني من فيينا ، فقام في ذلك الحين المصلحون العثمانيون بالدراسة بمؤامرة مبدئية لنقاط الضعف الداخلي للدولة العثمانية ، وقد تركز ذلك على معرفة مدى ما وصلت اليه مؤسساتها في جميع المجالات ومن ثم التفتت مقترحاتهم الى الرجوع نحو استعادة الدولة الى حالتها الأولى (٣) أى الى عصر الدولة الأول ، لتعود الدولة الى ما كانت عليه من قوة في جميع المجالات . وهكذا أخذت محاولات الإصلاح تدخل الى مؤسسات الدولة وذلك ببطء شديد . ولكن بعد معاهدة كارلوفتس ( سنة ١١١١هـ / ١٩٦٩م ) وباساروتس ( ١١٣١هـ / ١٧١٨م ) اللاتي عبرتا عن التفوق العسكى الغربي ، عندئذ حان الوقت لسلطين الدولة العثمانية للنظر الى مقترحات الإصلاح بجدية . وقد تحقق هذا بدخول ابراهيم باشا الى الوزارة برتبة ( صدر أعظم ) سنة ١١٣١ - ١١٤٣هـ / ١٧١٨ - ١٧٣٠م ) ، الذى كان يفضل الإصلاح ، وفي نفس الوقت تلقى السلطان أحمد الثالث مذكرة توضح الحاجة الى العمل على التقدم العسكى والاستفادة من تجارب الدول الأوروبية

---

(١) أبواحسن على الندوى: الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية، ص ٣٧-٣٨.

، عبد الكريم شهداني: العلمانية وآثارها على الأوضاع الاسلامية في تركيا، ص ٦٥ .

(٢) أبوالحسن على الندوى: المرجع السابق، ص ٣٨.

(٣) Roderic. H. Davison: Turkey A Short History ( England the Eothen Press walkington, Beverly 1981 ) p. 68.

في هذا المجال . وعلى أثر ذلك فانه من المعقول اتخاذ سنة ١٢١٣هـ/١٧١٨م كبدائية لنشأة حركة الاستغراب في الدولة العثمانية . ذلك لأن جهود الإصلاح ظهرت بخصائص ثلاث وبدأت منذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي . وهذه الخصائص الثلاث هي كالتالي :

الخاصة الأولى : كانت تتعلق بحقيقة واضحة ، هي أن معظم الطموحات نحو حركة الاستغراب ، قد جاء في المصادر والنماذج الفرنسية ، أو صورة مصغرة عن الحضارة الغربية كما كانت أيضا الحليف الثقلي للعثمانيين .

أما الخاصة الثانية : أن معظم جهود الإصلاح ركزت في تحسين التدريب والتنظيم للجيش وفي استخدام الأسلحة العسكرية الحديثة .

والخاصة الثالثة : فقد أصبح واضحا ان الإصلاح بإمكانه احداث الصدام بين المؤيدين لهذا الإصلاح والمعارضين له ، الى درجة العنف ، ولذلك يجب تبرير أسباب الإصلاح وخطواته للعامة وغيرهم . (١)

ونتيجة لذلك اهتمت الدولة في عهد السلطان أحمد الثالث بالطباعة وسبقت هذا الحادث العظيم بحوث مستفيضة قام بها العلماء حول شرعية الطباعة وأخيرا أفتى شيخ الاسلام عبدالله افندي في سنة ١١٢٩هـ/١٧١٦م باباحة ذلك بشرط جودة الطبع والتصحيح وبناء على ذلك صدر خط شريف بانشاء المطبعة وأوكل أمرها الى ابراهيم متفرقة ( Ibrahim Muteferrikg ) المجري الذي اعتنق الاسلام ، وذلك لانشاء أول مطبعة في الدولة العثمانية ، وكان خوف العلماء مبعثه أن يعتمد أصحاب الأغراض السيئة الى الكتب الدينية فيحرفونها ويشوهوها ، ولذلك تعهد لهم ابراهيم بعدم طبع كتب التفسير والحديث والفقه أو أي كتاب ديني (٢) .

(1) Rederic H. Davison : Turkey A Short History, p.68.

(2) Roderic . H. Davison: Ibid , p. 69-70.

(٣) محمد عبداللطيف البحراوى : حركة الإصلاح العثماني ، ص ٩٣ .

وقد أصدر في البداية حوالي سبعة عشر كتابا تدور موضوعاتها حول الدراسات العلمية والعسكرية للمدارس العسكرية الحديثة التي أنشئت في عهد السلطان عبدالحميد الأول كما جاء إلى اسطنبول وفود عديدة من الغرب خاصة من الفرنسيين لأسباب رسمية وغير رسمية .

وقد تطور هذا الاتجاه نحو الإصلاح فكان الوزير خليل حامد (١٩٧-١٢٠٠هـ/ ١٧٨٢-١٧٨٥م) يميل إلى الإصلاحات الغربية ، كما كان له صداقات تربطه بفرنسا ، ولكن المحافظين الذين شعروا بالقلق من تدفق الرجال والأفكار الأوروبية من ديار الكفر ، خافوا من سيطرة فرنسا على البحر المتوسط التي كانت من أهم أهداف سياستها الاستعمارية . لهذا قام المحافظون بقتل هذا الوزير ووضعوا على جثته بعد قتله شعار " عدو للشريعة والدولة " (١) .

لذلك اقتنع السلطان عبدالحميد الأول أن الدولة إذا لم تتملح جيشها ونظامها العام فإن أيامها لن تطول ، وكان يرى أن الإصلاح الحربي يجب أن يكون في مقدمة الإصلاحات لأن سنة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م تمثل نقطة الضعف الخارجي على الدولة فكانت معاهدة قينارجة ، مقياسا حقيقيا لمدى الضعف الذي وصلت إليه الدولة ، والتي تمت نتيجة للحرب التي قامت بين روسيا والدولة العثمانية في عصر السلطان احمد الثالث . وقد أظهرت تلك الحروب وما أعقبها من توقيع المعاهدة مدى تفوق الأسلحة الغربية . لذلك اتجهت عناية السلطان إلى الإصلاح الحربي .

وفي هذه الأثناء نشر أحمد راسم افندي رسالة شرح فيها أسباب ضعف الدولة العثمانية في الحروب التي خاضتها خلال الفترة (١١٨٣ - ١١٨٨هـ/ ١٧٦٩-١٧٧٤م) وأوضح أن العلاج الناجح هو الإصلاح والتنظيم الصالح للجيش وتطوير أسلحته .

---

(١) Roderic H. Davison : Turkey A Short History, p.70.



لهذا اهتم السلطان عبد الحميد الاول بهذه الاصلاحات ولكنه لم يستطع تنفيذ برنامجه الاصلاحى في هذا الشأن لمعارضة الانكشارية له (١).

وخلال هذه الفترة تولى السلطان سليم الثالث، وكان يتوق الى الاصلاح، وقد هزته أفكار الثورة الفرنسية، فكان عهده بمثابة عهد جديد لاصلاح أجهزة الدولة (٢).

فقد أتاح له عمه السلطان عبد الحميد الاول حرية التفكير خلال ولايته والتي استمرت خمسة عشر سنة، حياة حرة، واتصالات واسعة، اكتسب منها ثقافتة وتحصيل واسعاً (٣).

وكان من أقرب المقربين الى السلطان سليم الثالث طبيب ايطالى اسمه لورنزو ( Lorenzo ) حصل منه ومن غيره ممن الأوربيين على معلومات عن دول أوروبا وعن مؤسساتها المدنية والعسكرية وكذلك أسباب تفوقها على العثمانيين . بل ان سليما أجرى مراسلات عن طريق وسيط مخلص له، اسمه ( اسحق بك ) مع الملك الفرنسى لويس السادس عشر ووزرائه بهدف تزويده بمعلومات ثقافية وسياسية من قادة ما اعتقده سليم الثالث أنها ارقى دول أوروبا.

وظل يرسل لويس السادس عشر الى أن قامت الثورة الفرنسية سنة ١٧٩٤ هـ / ١٧٨٩ م . وهو نفس العام الذى تولى فيه السلطان سليم السلطة كل ذلك يلقي الضوء على رغبة السلطان سليم الثالث فى الاصلاح، هذه الرغبة التي أفقدته فيما بعد عرشه ثم حياته فى النهاية (٤).

- 
- (١) محمد عبد اللطيف البحر اوى: حركة الاصلاح العثمانى، ص ٩٨.
  - (٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار، ج ٢، ص ٦٤٤ .
  - عبد الكريم مشهداني: العلمانية واثارها على الاوضاع الاسلامية في تركيا ص ٦٥، يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج ١، ص ٦٤٣.
  - (٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى: فى أصول التاريخ العثمانى، ص ١٧٣-١٧٤.
  - (٤) محمد عبد اللطيف البحر اوى: المرجع السابق، ص ٩٩.

وقيل ان والده السلطان مصطفى الثالث، ترك له مذكرات مكتوبة شرح فيها أوجه الخلل في الدولة ووسائل الإصلاح، لذلك جاء سليم الثالث للسلطنة متحفرا للإصلاح (١).

وعلى ما يظهر أن السلطان سليم الثالث قام بكل ذلك لأنه كان يأمل من لويس السادس عشر الحصول على بعض المساعدات الفرنسية لمواجهة روسيا (٢). وقد أخطأ سليم في اتجاهه إلى فرنسا التي كانت تموج بكل النظريات، في حين أن لويس السادس عشر ورجاله كانوا يخططون ليقاع الدولة العثمانية في شباكهم، فكان عليه أن يدرك أن ما يفيد الغرب المسيحي لا يمكن أن يطبق بأي شكل من الأشكال على العثمانيين (٣).

وفي السنوات التي تلت جلوس سليم الثالث على العرش، افتتح سفارات دائمة في العواصم الغربية وهي لندن وفيينا وبرلين وباريس (٤)، ومن خلال تلك الاتصالات أخذت حضارة الغرب المادية تتسرب بشكل أو بآخر إلى مؤسسات الدولة العثمانية، ولكن بشكل بطيء وخاصة حينما تم تأسيس المطبعة، التي اقتصرت على طباعة الكتب غير الدينية (٥).

ولم يقتصر السلطان سليم الثالث في تحرياته عن أسباب التقدم الأوروبي على المصادر الفرنسية فقط، بل أرسل ابابكر راتب أفندي إلى فيينا ليدرس الحالة هناك عن كثب، في أوروبا، ولما عاد في نفس السنة كتب تقريراً

---

(١) محمد عبد اللطيف البجراوى : حركة الإصلاح العثماني، ص ٩٩ .

(٢) Roderic H. Davison : Turkey A Short History, p. 70.

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، ص ١٧٤

(٤) عبد الكريم شهداني: العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية في تركيا ص ٦٦ .

، أحمد عبد الرحيم مصطفى: المرجع السابق، ص ١٧٧

(٥) عبد العزيز نوار: الشعوب الإسلامية، ص ١٧٥  
Roderic H. Davison: Op.cit., p.70.

، عبد الكريم شهداني: المرجع السابق، ص ٦٦ .

مفصلا عما شاهده عن الحكومة والفكر السياسي المعاصر ، مع اقتباس لبعض أقوال الفلاسفة والسياسيين ، فأوضح في تقريره ضرورة الاهتمام بالجيش وتدريبه وكذلك الاهتمام بموارد الدولة وتنظيمها على أسس حديثة .

وكان امام السلطان سليم الثالث مثلواضح فيما فعله بطرس الاكبر في روسيا بواسطة القوة التي دربها له خبراء غربيون على النمط الأوروبي اذ استطاع بها التغلب في حروبه وصد الخطر الداخلي والخارجي على السواء (١) . ولم يعلم سليم الثالث أن ذلك القياس خطأ من أساسه ذلك لأن الدولة العثمانية دولة اسلامية لها نظمها وحضارتها الاسلاميـــــة ولا يمكن قياسها بروسيا ولكنه أصر على الاخذ بآرائه دون دراسة الوضع دراسة تتمشى مع مكانة الدولة الدينية والسياسية وأخذ في ادخال بعض التحسينات المهمة التي طورت بها اوربا جيشها وكان هذا العمل من أشد الأعمال خطرا على الدولة (٢) .

كان السلطان سليم الثالث حليما عاقلا وحكيما محبا للإصلاح . وقد رأى بنفسه ما بلغ اختلال أحوال الدولة بسبب استبداد الانكشاريـــــة في أمور الدولة ، حتى صاروا يعزلون ويولون كما كان يفعل الجند التركي في الدولة العباسية فعزم على التخلص منهم واستبدالهم بجند منظم (٣) . غذاه جيد ، لباسه جيد ، راتبه أيضا جيد ، يفرغ حتى لا يكون له عملا الا الدفاع عن دينه ووطنه . لايتدخل في شئون الدولة والسياسة ولاينهب الشعب ، مطيعا لقيادته وقيادته طاعة عمياء ، ملما الماما جيدا بالعلوم العسكريـــــة الجديدة ليعود بأمجاد الدولة الى ماكانت عليه في عصرها الأول (٤) .

---

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني ، ص ١٠٠ .

(٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن نول البحار ، ج ١ ص ٦٤٤ .

(٣) هيئة التحرير : تاريخ الجند العثماني ، مجلة الهلال ، ج ٨ ، ص ١٧ ،

١٣٢٦ هـ / ١٩٠٩ م ، ص ٤٦٨ .

(٤) يلماز أوزوتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ص ٦٤٦-٦٤٨ .

لذلك طلب السلطان سليم الثالث في سنة ١٢٠٦هـ/١٧٩١م من تسعة عشر تركيا واجنبيين أن يقدم كل منهم تقريراً عن أسباب فقدان الدولة العلية قدرتها السابقة . واقترح الاصلاحات التي يلزم اجراؤها حالياً لاستعادتها تلك القدرة (١) .

والغريب أن التقارير تركزت كلها حول نقطة واحدة هي أن الاصلاح يجب أن يبدأ في الجيش أولاً ، وكان اتفاقاً مدهشاً بالنسبة الى التشكيلات الانكشارية ، ولذلك لم يتردد السلطان سليم الثالث ابداً ان يبدأ في اصلاح الجيش أولاً ، وهو يعرف ان هناك من فقد راسه من اجداده ومن الوزراء دون أن يتمكنوا من اصلاح الانكشارية ولذلك أصدر مرسوماً بذلك في سنة ١٢٠٨ هـ/١٧٩٣م ينص على قيام نظام حركة التجديد والنظام الجديد لتكوين الجيش (٢) .

وقد انتهزت الدول الأوروبية وعلى رأسها فرنسا هذه الفرصة لاستغلال اتجاهات السلطان سليم الثالث نحو التجديد فأظهرت له المودة و ساعدته بادخال المخترعات العسكرية الحديثة في جيشه ، فأرسلت له السفير المسيو أوبير دوبايث ( Aubert du Bayts ) ، ومعه عدد من المهندسين الفرنسيين يرافقهم عدد من الضباط والمعلمين للتدريب على كل الأسلحة ، وصناعة المدافع وقد جلبوا معهم بعض المدافع الجاهزة المركبة على عجلات هدية للسلطان ، ولتكون نموذجاً لصناعة المدافع في الدولة العثمانية .

كما قامت البعثة الفرنسية بتوجيهه وتكوين فيلق من المدفعية ( الطوبجية ) مكون من ثمانمائة (٣) ، كما نظمت فرقة من الخيالة تسير على النظم العسكرية الأوروبية الحديثة وقامت بتعليمها على الطراز الاوربي الحديث .

---

Roder. H. Davison : Turkey A short History, p.70

(١)

، يلماز أورتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ٦٤٣ .

(٢) يلماز أورتونا : المصدر السابق ص ٦٤٦-٦٤٧ .

(٣) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٦٤٥ .

، ابراهيم حليم بك : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ١٧٩ .

، محمد عبد اللطيف السحراوى : حركة الاصلاح العثماني ، ص ١٠١ .

وفي الوقت نفسه أوجدت هذه البعثة تشكيلات من المشاة ( البيسادة ) فكانت هذه الفيالق أو الفرق نواة الجيش الجديد ، الذى أسند السلطان قيادته الى مصطفى باشا (١) .

وعلى هذا المشوار سار السلطان سليم الثالث واخذ في ادخال اصلاحاته الجديدة في كافة فروع الجيش وادارة الدولة ، ولكن المصدر الاعظم حافظ اسماعيل باشا ، كان يظهر للسلطان انه ممن يميلون الى هذا الاصـلاح أو التنظيمات الجديدة قلبا وقالبا ، لكنه في قرارة نفسه كان يكره هذه التنظيمات ، فاكسبت بذلك الطائفة المعارضة قوة لمساندة المصدر الأعظم لهم .

اتضح هذا الموقف عندما أراد السلطان بث التنظيمات العسكرية الجديدة بجهة الروملي ، فأرسل لهذه المهمة والى قونية عبدالرحمن باشا حيث أمره السلطان في الظاهر بتنكيل أشقياء المرب وفي الباطن القيام باجراء اصلاحات ، كما رسمت له سنة ١٢٢١/١٨٠٦ م .

ولما بلغ ذلك أعيان الروملي اجتمعوا وتحالفوا خفية في ادرنة واتفقوا على منعه بالقوة فشاع الخبر ، لذلك أشار رجال الدولة على السلطان لزوم عودة عبدالرحمن باشا الى ولايته ، ففرق اعضاء ذلك التحالف وعادوا الى بلدانهم فاشتهرت هذه الواقعة في التاريخ العثماني بوقعة أدرنة الثانية (٢) .

وفي تلك الفترة حدثت في داخل الدولة بعض الاضطرابات بسبب مشروع السلطان تعميم أو تنظيم الجيوش على النظام الجديد ، قام بها الجيش الانكشارى الذى لم ينظر لهذه الاصلاحات العسكرية بعين الارتياح (٣) لرفضهم استعمال

---

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ص ٦٤٥ .  
، احمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٧٨ .

(٢) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ٧ ص ٦٤٥-٦٤٦ .

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣٨١ .

### الأسلحة الجديدة والقيام بالتدريب الجديد (١) .

وفي هذه الأثناء هلك الجنرال دوبايت الفرنسي الذي حضر لتدريب الجيش على النظام الجديد ، فعاد عدد كثير من ضباطه الى فرنسا وبموثقه تشتت هذه القوة (٢) .

كان السلطان مقابل ذلك كثير التنازل ، كان يتحاشى سفك الدماء ظنا منه اذا تسامح وقدم بعض التنازلات فان المعارضين سيلينون ، لكن ذلك زادهم تشجيعا في المعارضة .

ورغم محاولاته لم يتمكن من تمفية تشكيلات الانكشارية ، أما الانكشارية فانها كانت تعلم علم اليقين أنها تعيش أيامها الأخيرة ، سواء كان الانكشاريون من الجنود المخلصين الذين يؤمنون بأن ابتعادهم عن تقاليدهم وتركهم في تشكيلات تقلل من شرفهم ، أو الذين يخشون من فقدانهم الكثير من دخلهم سيقتمر على الراتب فقط ، في حالة دخولهم النظام الجديد ، لذلك لم يكونوا راغبين في الانفصال عن تشكيلات الانكشارية وتسجيل انفسهم في حركة النظام الجديد .

والحقيقة أن هناك عدد من قواد الانكشارية المثقفين الذين يؤمنون عدم امكان القتال مع الدول الاوربية بهذه التشكيلات ، ولم يكن هؤلاء يخشون فقدان مناصبهم لكونهم من ذوى الرتب العالية لانهم بطبيعة الحال سوف ينقلون الى مناصب اخرى ، لكن عدم وجود الشجاعة الكافية لدى السلطان لالغاء هذه التشكيلات زاد من شجاعة المعارضين (٣) ، مما جعل السلطان سليم الثالث يسعى الى انشاء قوة مشاة جديدة مع الاهتمام بكبح جماح

---

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى: في اصول التاريخ العثماني ، ص ١٧٩ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٨١ .

، أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

(٣) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ٦٥٧-٦٥٨ .

الانكشارية، الذين كانوا عتبة في طريق الإصلاح العسكري<sup>(١)</sup>. وقد أطلق على هذه الفرقة اسم "النظام الجديد". ولتمويل هذه الفرقة أنشئت له خزانة خاصة للصرف منها على هذا النظام الجديد، فاستقدم له الخبراء من فرنسا وانجلترا وروسيا<sup>(٢)</sup> وذلك بصورة خفية عن الخاصة والعامّة<sup>(٣)</sup>.

كان العلماء في البداية مترددين تجاه حركة النظام الجديد، وكان من بينهم من يؤيد الحركة، وعند تعيين اسحق زاده محمد عبدالله افندي في المشيخة في سنة ١٢٢١هـ/١٨٠٦م بدأ العلماء في المعارضة عندما حرضهم على العصيان بكل قوة ضد النظام الجديد، وخذلوا هذا النظام السلطاني سليم الثالث<sup>(٤)</sup>.

كان العلماء المتعصبون، يدعون أن جيش النظام الجديد كافر، لأنه يرتدى البنطلون (السروال) بدلا من الشالوار (لباس يغطي النصف الأسفل من الجسم عريضا وواسعا) وأن السلطان سيلبسهم القبعات فكانوا يثيرون عامة الناس بمثل هذه الأقوال<sup>(٥)</sup> حتى حرموا باستعمال النباذق ذات الحراب لأن استعمال أسلحة الكفار عندهم اثم عظيم، وأسأوا إلى سمعة السلطان وبثوا كراهيته في نفوس الجمهور، يقولهم أنه بهذا العمل يسئ إلى الإسلام

---

(١) فقد تمردوا في عهد السلطان عثمان الثاني سنة ١٦٢٢م، ومصطفى الثالث سنة ١٦٢٣م وإبراهيم سنة ١٦٤٨م وأحمد الأول سنة ١٧٣٠م ومالبثوا أن تمردوا عليه أي السلطان سليم الثالث سنة ١٨٠٧م ومن بعده مصطفى الرابع سنة ١٨٠٨م.

وكل هؤلاء السلاطين، أما خلعوا أو قتلوا على أيدي الانكشارية.

- أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، ص ١٧٩.

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى: المرجع السابق، ص ١٧٩.

(٣) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص ١٠٢.

(٤) يلماز أورتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج ١، ص ٦٥٧.

(٥) يلماز أورتونا: المرجع السابق، ج ١، ص ٦٥٨.

، أبو الأعلى المودودي: نحن والحضارة الغربية، (بيروت مؤسسة

الرسالة، ١٤٠٣هـ) ص ١١١.

بترويجه أساليب الكفار (١).

ولم تؤثر تلك المعارضة في تصميم السلطان سليم الثالث على التجديد بل سار في تعميم هذا النظام الجديد في الولايات العثمانية ، غير أن الانكشاريين مالبتوا أن وقفوا في وجهه وأرغموه الى إلغاء "النظام الجديد" الذى وصفوه بأنه بدعة مخالفة للشرع ، وأعدموا جميع مؤيديه من رجال الدولة (٢) ، وكان شيخ الاسلام عطا الله أفندى وكان الصدر الأعظم يحرضون الثوار سرا (٣) .

ولم يكتف الانكشارية بذلك ، بل استصدروا فتوى من شيخ الاسلام بأن السلطان الذى "يعمل بخلاف القرآن" لايجدر بالبقاء على العرش حتى لايتروا له فرصة احياء النظام الجديد ، وعزلوه بالفعل في سنة ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م (٤) .

وفي الواقع ان التغير كان في البداية في مجال التجهيزات للجيش وتنظيمه وتدريبه ، ولم يكن هناك اى تفكير او تدخل في الامور الاساسية مثل التعليم او الصناعة او الزراعة ، بل ان حركة الاستغراب الحقيقية في عهد السلطان تركزت في المجال العسكرى فقط ، لاعادة تنظيم فيالق الجيش المختلفة ، وتزويد بعضها بأسلحة جديدة ، وقد اهتم السلطان كثيرا بالمدارس الفنية العسكرية ، وعمليات الترجمة (٥) لبناء الوحدات

- 
- (١) أبو الأعلى المودودي : نحن والحضارة الغربية ، ص ١١١ .  
عبد الكريم مشهداني : العلمانية وآثارها على الاوضاع الاسلامية في تركيا ، ص ٦٧ .
- (٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ص ٦٥٧-٦٥٨ ،  
علاء موسى كاظم نورس : مسئولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية  
(المجلة التاريخية المغربية العدد ٢٥ ، ٢٦ ، ١٩٨٢م) ، ص ١١٠
- (٣) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٦٥٨ .
- (٤) أبو الأعلى المودودي : المصدر السابق ، ص ١١١ .
- علاء موسى كاظم نورس : المرجع السابق ص ١١١ .
- (٥) Roderic H. Davison: Turkey A Short History, p.70-71.



العسكرية ، المشاة والمدفعية ، ومهندسين لبناء السفن ، وصناع المدافع لمواجهة تسلط الانكشارية على مؤسسات الدولة وفشلهم في خوض الحروب أمام القوى الأوروبية . ومهما يكن فقد اعتلى العرش مكانه ابن عمه مصطفى الرابع بعد أن نصبه الانكشارية ، وعلى الرغم من انه وصل الى العرش مستندا الى فكرة مخالفة النظام الجديد الا انه قتل المتسببين في الثورة التي قامت ضد السلطان سليم الثالث ونظامه .

هذه الثورة عند ما قامت بقتل قسم من مؤيدي النظام الجديد ، تمكن الآخر من الفرار ولجئوا الى مصطفى باشا الملقب بعلمدار ، أحد مؤيدي السلطان سليم الثالث للنظام الجديد في روسجك " أصحاب روسجك " وبتشجيع من رجال الدولة ، وكان أكثرهم من الشباب المتحمسين الى النظام الجديد ، قرر علمدار إعادة سليم الثالث لعرش الدولة مرة ثانية مهما كان . ولكن السلطان مصطفى لما علم بالأمر ذهب الى سراي داود باشا خارج اسطنبول واستقبل هناك علمدار فعرض " أصحاب روسجك " على علمدار اعتقال السلطان مصطفى الرابع فرفض علمدار ذلك واضاع من يديه الفرصة .

فقام السلطان مصطفى الرابع بناء على رغبة علمدار بعزل شيوخ الاسلام ونفي العلماء الذين تدخلوا في هذا الانقلاب ، تهدأة للنفوس فشكر السلطان علمدار على خدماته وأمر بعودته الى سواحل الطونة وعدم تركها (١) .

تلكا علمدار مدة اسبوع دون قصد يفكر فيما سيفعله وفي النهاية اقتحم علمدار الباب العالي واخذ الختم الهمايوني من الصدر الاعظم وسار علمدار مصطفى باشا صدرا أعظم للبلاد ، وان لم يكن بمورة شرعية .

علم السلطان مصطفى الرابع بحادث اقتحام الباب العالي وعرف مايقصده فاتخذ التدابير حيال ذلك لكن علمدار لم يسرع في اعتقاله للمرة الثانية

---

(١) يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية ج١ ص ٦٥٩، ٦٦٢ ، ٦٦٣ .

ولكنه أرسل اليه شيخ الاسلام يعرض عليه التنازل في الحال عن العرش ولكن السلطان مصطفى الرابع امر بقتل السلطان سليم الثالث والسلطان محمود الثاني ولي العهد حتى يبقى هو الوحيد من بني عثمان ، فنجح في قتل السلطان سليم ، ونجى السلطان محمود الثاني باعجوبة بعد تهريبه الى فناء المنزل الذي دخله علمدار ، ولكي يقضي السلطان مصطفى الرابع على على آمال علمدار أمر يقذف جثة سليم الثالث الى الفناء فلما رأى علمدار هذا المنظر انكب على جسد السلطان سليم باكيا ، في هذه اللحظة جاء محمود الثاني فبايعه علمدار في الحال وقاموا بخلع السلطان مصطفى الرابع واجلسوا محمودا على كرسي العرش (١) .

هذه الأحداث تعكس ضعف الدولة وانهارها بجلاء من الداخل مما مهد الطريق لعوامل الغزو الفكرى أن تتسرب داخل الدولة العثمانية .

كانت الاحتياجات العسكرية قد فتحت أمام الاتراك بعض مجالات الاقتباس ليس فقط في العلوم العسكرية الجديدة فقط ولكن كذلك في العلوم الطبيعية وفي تعليم اللغات الأوروبية وخاصة الفرنسية (٢)

لم يدرك السلطان سليم الثالث أن الإصلاحات الأوروبية أنها وليدة ثورات اجتماعية واقتصادية وسياسية استمرت منذ عصور النهضة الأوروبية وان الحياة العثمانية بأسرها كانت تتطلب الإصلاح العسكرى وتستلزم إصلاحات في النواحي الاقتصادية ولكن ليس على الأسلوب الأوربي . وكان هدفه من ذلك هو مواجهة متطلبات الحياة العسكرية ، وإعادة تنظيم الإدارة العامة وإضفاء الكفاءة عليها والأهم من ذلك كله أن الدولة لم تكن لديها ميزانية عامة ، مما أوجد فوضى اقتصادية حول استقلال موظفي الحكومة الانفاق كما يحلو لهم دون رقابة او اشراف ادارى ومالى .

---

(١) يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ص ٦٦٣ .

(٢) عبدالعزيز نوار : الشعوب الاسلامية ، ص ١٧٥ .

ولم يواجه سليم هذه المشكلة بوضع ميزانية للدولة، بل حاول إعادة الكفاءة للنظام القديم بالقضاء على الرشوة ومحاربة الأقارب لأجراء الترتيبات حسب الكفاءة (١).

وهكذا تسلم السلطان محمود الثاني السلطنة بعد ثورة دموية أدرك بعدها السلطان أنه لن يتمكن من اصلاح الجيش الا بالتخلص من الانكشارية، ولكنه تريت وراح يخطط لهذه المهمة الصعبة وخصوصا وان الانكشارية يستمـون نفوذهم من البكتاشية، وهم من اكبر فرق الطرق الموفية التي باركت تأسيس الانكشارية في البلاد. فحاول السلطان محمود الثاني اقناع هؤلاء الانكشارية بقبول التعليم العسكى على النظام الاوربي ولكن دون جدوى، بل كانوا ينكرون فائدته قائلين: " ان ولي الله الحاج بكتاشي، كان قد بارك جماعة الانكشارية عند تأسيسها ودعائها بالانصر الدائم وكانوا يزعمون أن بركة ذلك الولي ودعائه يغنيها عن كل تعليم " (٢).

وقد استفاد محمود الثاني الذي كان يكن للسلطان سليم الثالث حبا عميقا، من كافة أخطائه، وكان يلتقي به لمدة اربعة شهور الاولى من تولي السلطان مصطفى الرابع السلطنة، وكان السلطان محمود الثاني يملك الصفات التي تؤهله لتقييم هذه الأخطاء بعد أن قام سليم الثالث بسردها عليه وأوصاه بعدم الوقوع في الأخطاء التي وقع هو بها.

لذلك استدعى السلطان محمود الثاني عند توليه العرش الاعيان ممن الاناضول والروملي الى اسطنبول، وأقنعوا ان الدولة في حالة حـرب دائمة مع روسيا، فحرروا ميثاق الاتفاق المسمى " سند اتفاق " وبموجبـه

---

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، ص ١٨٠-١٨١.

(٢) علاء موسى كاظم نورس: مدى مسئولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية  
المجلة التاريخية المغربية، العدد ٢٦/٢٦-٥، ص ١٩٨٢، ص ١١١.

وقعوا على أنهم سيمثلون لأوامر الدولة ، وكان توقيع هذا الاتفاق سنوية  
١٢٢٣ هـ / ١٨٠٨ م .

ولحاجة الدولة الجيش محارب تم احياء النظام الجديد السبيل  
ألفته ثورة الانكشارية على السلطان سليم الثالث ، باسم " سكان جديد " .

وبتاريخ ١٤/١٠/١٨٠٨ هـ استدعى عبدالرحمن باشا من قونية السبي  
اسطنبول ليرأس هذا الجيش (١) كنوع من النظام الجديد احتراسا من  
تجدد الفتن من الانكشارية (٢) .

وكان السلطان محمود الثاني قد علم بما أتته الجنود المصرية المنتظمة  
من انتصارات باهرة في حرب المورة ، فتأقت نفسه الى هذا التنظيم ، وزاد  
تعلقا بهذا الإصلاح وصمم على استكمالها (٣) .

معنى ذلك أن حرب المورة قد أظهرت محاسن التنظيم العسكر الجديد  
عند الخاصة والعامة ، وأن المعارضة في الإصلاح الحربي لم تعد امرا مقبولا  
من المعارضين ، وأصبح الرأي بتنظيم الجيش الجديد شيئا طبيعيا وفشلت  
على اثر ذلك مخططات اغاحسين باشا رئيس الانكشارية آنذاك وبقية زعمائهم  
ومنذ أن جرت تلك الحرب وكثيرا من العلماء ، ورجال الدولة يجرون المشاورات  
ويكتبون المذكرات لاجراء ترتيب جديد ، ولما سئل حسين باشا عن رأيه في  
صورة مناسبة لتنفيذ الإصلاح الحتمي ، وهو حاكم قلاع البسفور برتبة  
وزير وكان من قبل أغا للانكشارية ، فهو عليه بأمولهم وعناصرهم قال : " ان  
حال الانكشارية معلوم وعلى كل حال يمكن ان نلزم الكبار ونسكت المغرار  
منهم ، اما ما بين هذين الصنفين فهم لا يقبلون حقا ، وربما يشيرون عصيانا

---

(١) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ٦٦٤-٦٦٥ .

(٢) محمد عبداللطيف البيراوي : حركة الإصلاح العثماني ، ص ١٧١ .

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٤٢٩ .

ولكن تأشيرهم لا يتعدى قشلاقات (١)، اسطنبول وهو لا يجب اعدامهم فوراً .  
ولكن اعدام عدد كبير منهم لمجرد احتمال عدم موافقتهم امر منافع للعدل  
ولذلك استقر الرأي على التفاهم معهم اولا بالحسنى ، فاذا لم يقبلوا نفذ  
هذا الرأي . ثم أمر السلطان ان كل ما يتعهدون به او يقولونه يكــــون  
مكتوباً دون لبس أو ابهام (٢) ، فيما بعد عليهم .

كان السلطان سليم الثالث ، قد لقن السلطان محمود الثاني بشكــــل  
جيد ان مستقبل الدولة متعلق بتأسيس جيش جديد ، فقام السلطان الســــدى  
لم يغفل لحظة واحدة عن اخطاء السلطان سليم الثالث فادخل بين جنــــرات  
الانكشارية جنرالات من مؤيديه يؤمنون بفكرة الاصلاح ، لذلك ســــعى  
السلطان محمود الثاني ولمدة سبعة عشر عاماً الى التحزم بالمصــــبر  
والاحتياط . لالغاء تشكيلات الانكشارية الذين لم يتمكنوا من الوقوف تجاء  
عصيان اليونان ، فكيف حالهم في حرب روسيا التي يحتمل ان تعلن في أى لحظة  
لم يكن هذا الامر يقلق السلطان وحده ، بل أخذ يقلق جميع رجال الدولة .  
وفي سبيل تحقيق آماله فانه لجأ الى دس انصاره بينهم حتى لا يثيرهم  
لانهم أكثر منه حذراً ، وقلقاً ، وفي النهاية تم الامر بصورة رسمية اعلان تأسيس  
تشكيل جديد في الجيش باسم " تشكيلات اشكينجي " وذلك في سنة ١٢٤١هـ / ١٨٢٦م .  
فجند فوراً سبعة الاف وسنمائة وخمسين شخصاً وشرع بتدريبهم على الطــــراز  
الاوربي ، وقد أتم هؤلاء الافراد الذين تم تشكيلهم من بين الانكشاريــــة  
المتطوعين اختياراً دقيقاً (٣) لتعليم فنون الحرب وكانهم قد حولوا فعلاً

---

(١) قبيلان : أصبحت قشلة وأصلها قيشلق ، ومعناها المأوى الخاص بالشتاء

ثم أصبحت تطلق على قلاع الجنود او مراكزهم السكنية عامة .

- محمد فريد باه : تاريخ الدولة العلية ، ص ٣٨٢ حاشية رقم (١)

(٢) محمد عبد اللطيف البحر اوى : حركة الاصلاح العثماني ، ص ١٧٤ .

(٣) يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ٦٧٦ .

لنظام الجديد (١). اضافة التي تزويدهم بعدد من شباب المسلمين المقيدين في ديوان الجند (٢). فأصدر شيخ الاسلام فتواه المشهورة حول تأسيس هذه التشكيلات الجديدة ، فألبس الجند الجدد اللباس على الطراز الأوربي (٣)، ووافق جلال الدين افا على اعداد هذا الجيش ، وتدريبه على احدث النظم (٤) ، فجلال اغا وجنرالات الانكشارية الآخرون من رجال السلطان ، لهذا وضع السلطان كافة التدابير حيال عميان الانكشارية (٥).

وحيثما شرع السلطان محمود الثاني سنة ١٢٤١هـ/١٨٢٦م بتعليم جنوده على القواعد الاوربية الحديثة قيل عنه انه أخذ من ذلك اليوم يفكر في تدمير الانكشارية وابادتهم ، وقد أصدر منشورات سلطانية تتضمن القبح في اعمالهم ، عدد فيها ما ارتكبوه من الفظائع والغلطات التي ارتكبوها ضد سلاطينهم ظلما واستبدادا (٦).

ومهما يكن من أمر فان الانكشارية لم يستطيعوا الصبر خاصة عندما شاهدوا السلطان يقوم بتطبيق النظام الجديد على وحدات الجيش المختلفة مما حد من سطوتهم وثغونهم فنسوا مهورهم وأخذوا يتحدثون سرا وينقمون على ذلك النظام ، فحاول المصدر الأعظم قمعهم سرا وجهرا فلم يزدادوا الا عنادا (٧).

- 
- (١) محمد عبد اللطيف البعراوى : حركة الإصلاح العثماني ، ص ١٧٥.
  - (٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٦٦١.
  - (٣) يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ٦٧٦.
  - (٤) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٦٦١.
  - (٥) محمد عبد اللطيف البعراوى : المرجع السابق ، ص ١٧٥.
  - (٦) يلماز اوزتونا : المصدر السابق ، ص ٦٧٧.
  - (٧) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٧٨.
  - (٨) هيئة التحرير : تاريخ الجند العثماني ، (مجلة العلال ، ج ٨ ، ص ١٧ ،
- ١٩٠٩هـ/١٩٠٩م ، ص ٤٦٩) .

هو لاء الانكشارية الذين صبروا على جنود النظام الجديد " سكبـان " أربعة عشرين سنة ، عصوا هذه المرة بعد البدء بتدريب تشكيلات " اشكينجي " بثلاث أيام فقط ، وقد نجا جلال الدين آغا من الموت بصعوبة لتمكنه من الفرار (١) . فتمرنوا وهاجوا وماجوا ، وهجموا على منزل الصدر الأعظم وبعض الوزراء ، فلم يظفروا باحد منهم ، فخرجوا الى شوارع المدينة ينالون بجوار قتل العلماء ورجال الدولة وكل من له يد في وضع النظام الجديد ، وأخذوا يقتلون كل من صادفوه ، وينهبون ويحرقون ، وقد تمكن الصدر الأعظم من الوصول الى السلطان محمود الثاني وأخبره بما حدث ، فأمر السلطان العسكر الجديد بمد الانكشارية ، ودعوة الناس للاجتماع أمام السراى فاجتمع خلق كثير من علماء وقواد وضباط وأعيان (٢) . فوقـف الصدر الأعظم ومن حوله من العلماء ورجال الدولة ، ينتظرون وصول السلطان من سراى يشكطاش ، فلما حضر ، خطب في الجماهير الحاضرة فاستنهمهم همهم ، فأقسموا على الشباب حتى يفوزوا بآبادة الانكشارية أو يقتلوا فدأء عن سلطانهم . فطلبوا منه أن يرفع لهم الراية ، فرفعها ومشى ، ومشى الناس خلفه ، وتوافدوا من أنحاء المدينة للدفاع عن السلطان والدولة . ففرق السلطان عليهم الاسلحة ثم سلم العلم الى المفتى قاضي زاده طاهر ، وجلس هو في قصر ( كشك ) فوق باب السراى للإشراف على ساحة القتال (٣) .

وقبل بدأ المعركة اجتمع الصدر الأعظم والمفتى والعلماء في جامع السلطان احمد ، وتلوا بعض سور القرآن الكريم ، ثم نهضوا لحرب الانكشارية وسار معهم العسكر ، وأهل المدينة فأدركوا الانكشارية وقد تجمعهمروا

---

(١) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ص ٦٧٧ .  
(٢) هيئة التحرير: تاريخ الجند العثماني ، مجلة الهلال ، ج ٨ ، ص ١٧ ، ١٣٢٦هـ / ١٩٠٩م ، ص ٤٦٩ ، Roderic H. Davison: Turkey A Short History , p. 74 .

، محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٣٠ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٤٣٠ .

، هيئة التحرير : المصدر السابق ج ٨ ص ١٧ ، ١٣٢٦هـ / ١٩٠٩م ، ص ٤٦٩ .

في ساحة آت ميدان " ميدان الحمام " وقد قلبوا قلوبهم معلنين بذلك العصيان والتمرد، فحاولوا ردهم بالحسنى، فأبوا مصممين على الانقلاّب عندئذ اطلقوا عليهم الرصاص من كل صوب ، والتحم الفريقان وكانّت مذبحة هائلة دارت الدائرة فيها على جنود الانكشاريين ، ومن لم يقتل منهم قيد اسيرا ، فنجت البلاد منهم وهدأت الاحوال ، وأخذ السلطان في تنظيم الجند الجديد (١).

لهذا استطاع السلطان محمود الثاني أن يقضي على الانكشارية القضاء التام عندما استحصل على فتوى شرعية تجيز له حل هذه الطائفة (٢) مما هيأ له جوا مناسباً للإصلاح وحقق نجاحاً باهراً في استمالة العلماء الى جانبه ، بعد أن كان هو لاء العلماء سداً للانكشارية ، كذلك اوجد انقساماً آخر بين الانكشارية أنفسهم مهد له الطريق للتخلص منهم (٣) ..

وأحدث الغاء تشكيلات الانكشارية صدى كبيراً في جميع أنحاء العالم وخصمت الصحف الاوربية عناوين كبيرة لذلك الحدث . وهنا السفراء السلطان في اسطنبول باسم حكامهم (٤) .

وسمى العثمانيون هذه "الوقعة الخيرية " لانهم تفاءلوا بها خيراً . ومعنى ذلك ان الاستغراب قد زاد في عهد السلطان محمود الثاني وتوسع الاتصال بالغرب ، وخاصة منذ سنة ١٨٢٦/١٢٤١م عندما دبر مذبحة الانكشارية والقضاء عليهم ، لانهم كانوا العقبة الكأداء في طريق الإصلاح ومن ذلك الحين بدأ تكوين جيش جديد على الطراز الاوربي واستدعى لتدريبه

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٣٠  
، هيئة التحرير : تاريخ الجند العثماني ج ٨ ص ١٧ ، ١٩٠٩/١٣٢٦م ص ٤٦٩ .

(٢) ساطع الحمري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٦٩ .

(٣) محمد عبد اللطيف الحبراوي : حركة الإصلاح العثماني ، ص ١٧٦ .

(٤) يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ص ٦٧٨ .



ضباط ومهندسين فرنسيين وألمان ، ثم قام بتأسيس الاكاديمية العسكرية سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م وأرسل بعض خريجيهما الى العواصم الأوروبية لاستكمال تعليمهم .

وأسس مدرسة للطب وكان التدريس بها باللغة الفرنسية<sup>(١)</sup> ، كما أسس ادارة للترجمة ، ومجلسا اعلى للقضاء كلفه بوضع القوانين الجديدة ، التي لم يرد لها نص في القرآن والسنة ، وعرف باسم " مجلس والى الأحكام عدلية " وكان أعضاؤه من مختلف الأديان ، ومن هذا المجلس انبثق مجلس الدولة ( مجلس شورى دولت ) سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م<sup>(٢)</sup>

كما أعاد السلطان محمود الثاني سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م افتتاح سفارته في العواصم الأوروبية وقد كانت أغفلت على اثر خلع السلطان سليم الثالث وفي هذه السفارات جرى تدريب مملحي القرن التاسع عشر الهجري الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي أمثال مصطفى رشيد الذي كان سفيرا في باريس سنة ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤م وعلى باشا الذي كان يعمل في سفارة فيينا سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م وفؤاد باشا الذي عمل في سفارة بلاده في لندن سنة ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م<sup>(٣)</sup> .

اضافة الى ذلك فقد ضمت الكلية الحربية في اسطنبول حوالى أربعمئة كتابا بالفرنسية ، وكان من ضمن هذه الكتب دائرة المعارف الفرنسية وكتب فولتير وجاك روسو ، أحد رواد الثورة الفرنسية . فكان العسكريون هم الفئة التي تعرضت لاطول احتكاك مع الغرب .

لذلك كانت القوة العسكرية هي أول أدوات التحول الكبرى في ميدان التغييرات الاصلاحية ، ومع استيراد المدربين والفنيين ، دخلت الافكار الغربية ، محطمة للنظام السياسي والاجتماعي في الدولة .

---

(١) عبد الكريم مشهداني: العلمانية واثارها على الاوضاع الاسلامية في تركيا ص ٦٩ .

، عبدالعزيز نوار: الشعوب الاسلامية ص ١٧٨ ،  
Roderic H. Davison: Turkey A Short History, p.75.

(٢) عبدالعزيز نوار: المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في اصول التاريخ العثماني ، ص ١٩٣-١٩٤ .

ففي سنة ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٧م أرسل السلطان محمود الثاني بعثة تركيية مؤلفة من مائة وخمسين طالبا لعدة دول أوربية .

وبعد عدة سنوات ارتفع عدد طلاب البعثات كثيرا حتى بلغ الالاف وكانت أوربا خلال الفترة ( ١٢٣٦-١٢٥٦هـ / ١٨٢٠-١٨٤٠م ) تموج بأشياء كثيرة تعلمها الطلاب المبتعثون من الشرق ، وتأثروا بها وكانت من أسباب ظهور طائفة جديدة من أبناء الدولة العثمانية ، لم يستطع ان يتقبلهم المجتمع العثماني ، وقد أطلق عليهم اسم " الشبيبة العثمانية " اي ( العثمانيون الشباب ) تشكلت منهم مجموعة من المتحررين الذين استوطنوا أوربا ليقوموا بدور المعارضة (١) فيما بعد .

وبعد استعراض هذه الاحداث يتبين لنا انه بعد إلغاء الانكشارية والحد من سلطتهم ، صارت الدولة العثمانية تسير في طريق الإصلاحات والتنظيمات العسكرية (٢) .

فقام السلطان محمود الثاني اضافة الى ماسبق باصدار جريدة رسمية وادخل اللباس الاورنجي وجعله زي الجند النظامي ، الى جانب قيامه ببعض المشاريع العمرانية لبناء مؤسسات الدولة ، ولكن الروس بدأت تتحرش به حتى لا تكتمل هذه الإصلاحات خوفا من استعادة الدولة قوتها ، وقد ساءد الروس محمد علي والى مصر في حملته ضد الدولة العثمانية ، ولولاه لاسترسل السلطان في إصلاحاته وخاصة العسكرية (٣) .

---

(١) عبدالكريم شهداني : العلمانية وآثارها على الأوضاع الاسلاميية في تركيا ، ص ٦٩-٧٠ .

(٢) ساطع الحمري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٦٩ .

(٣) محمد جميل بينهم : فلسفة التاريخ العثماني ، ص ١٥٩ .

لكن السلطان محمود الثاني ابتكر في نهاية عهده مدرسة " ثانوية " أخرى لتعليم الموظفين ، كانت تدرس فيها اللغة الفرنسية ، وموضوعات علمانية أخرى ، وذلك لتولى المناصب العليا في الدولة ، عن طريق الحمول على تعليم حديث علماني<sup>(١)</sup> وهذا التعليم يوضح تغلغل وبداية الغزو الفكري الذي دخل عن طريق التعليم العسكري ، والطبي ، والهندسي وأخيرا نرى السلطان محمود يفتح مدرسة ثانوية خاصة للموظفين الكبار الذين يهيئون لتولي مناصب الدولة على أحدث الطرق العلمانية ، التي انتشرت فيما بعد ، عند اصدار التنظيمات المعروفة في عهد السلطان عبد المجيد .

...

---

Roderic H. Davison : Turkey A Short History , (١)  
p. 76.

، أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٩٣ .

ب - عصر التنظيمات العثمانية :

عصر التنظيمات في مفهوم التاريخ العثماني الحديث مصدر " قانون تنظيم اتمك " وتعني ( عمل وتنظيم قانون ) ويقصد بالتنظيمات هنا الاصلاحات التي أدخلت على أداة الحكم والمؤسسات الادارية في الدولة العثمانية منذ بداية عهد السلطان عبدالمجيد ( ١٢٥٥ هـ - ١٨٣٩م ) (١).

والتنظيمات تستند الى مرسومين سلطانيين أساسيين : صدر الأول منهما سنة ١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩م وعرف هذا المرسوم باسم " منشوركلخانة " أو ( خط كلخانة ) وصدر الآخر سنة ١٢٧٣ هـ / ١٨٥٦م وعرف باسم " الخط الهمايوني " (٢).

والتنظيمات ماهي الا امتداد للاصلاحات التي قام بها السلطان سليمان الثالث والسلطان محمود الثاني، وكان الغرض منها هو انقاذ الدولة العثمانية من الضعف الذي تسرب الى مؤسساتها المختلفة . وقد شاهدنا في الفصل السابق كيف استطاع السلطان محمود الثاني بحنكته السياسية القضاء على الانكشارية التي كانت تعارض كل اصلاح أو تجديد في المؤسسات الحربية بصورة خاصة والمؤسسات الأخرى بصورة عامة (٣) .

ومن ذلك التاريخ أصبحت محاولات الاصلاح ممكنة ، وبالرغم من أن السلطان محمود الثاني كان يركز في اصلاحاته على الجوانب العسكرية أكثر من سواها فان عهد السلطان عبدالمجيد سنة ١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩م (٤) قد أضفى على حركة تفريب الدولة العثمانية الصبغة الرسمية . اذ أمر أن تتبنى الدولة هذه الحركة فأصدر المرسومان السابقان وبهما بدأت الدولة العثمانية بما يسمى بعصر التنظيمات .

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية : مادة تنظيمات ، ج ٥ ، ص ٤٩٩ .

(٢) ساطع الحمصي : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٧٥ .

(٣) دائرة المعارف العثمانية ، المرجع السابق ج ٥ ، ص ٤٩٩ .

عبدالكريم مشهداني : العلمانية وآثارها على الأوضاع الاسلامية فسي تركيا ، ص ٧١ .

(٤) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٥٠ .

عبدالكريم مشهداني : المرجع السابق ، ص ٧١ .

وبهذين المرسومين بدأت الدولة العثمانية للأسف تستلهم الروح الغربية في الحياة ، وتستلهم الفكر الغربي في التقنين وإقامة المؤسسات الإدارية والعسكرية وتتنكر لأصولها وحضارتها وشريعتها الإسلامية .

والحق أن السلطان عبدالمجيد كان خاضعا لتأثير وزيره مصطفى رشيد باشا الذي وجد في الغرب مثله الأعلى وفي الماسونية فلسفته المثالية وهو الذي أعد الجيل التالي له في الوزارة ورجال الدولة . وبمساعده أسهم هؤلاء من بعده في دفع عجلة التغريب التي بدأها هو أولا والذي صار سقـوط السلطان عبدالحميد الثاني بعد ذلك وخروج الدولة عن الخط الاسلامي امتدادا طبيعيا لفكرة التغريب فيها (١).

أما أسباب صدور هذين المرسومين فقد تمثل في انتهاز الدول الأوروبية للآزمات الكبرى التي كانت تمر بها الدولة العثمانية والعمل على زحزحتها عن نظمها الإسلامية وهذه الآزمات هي :

١- أزمة محمد علي مع الدولة العثمانية ، ومدور خط كلخانة سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م .

٢- حرب القرم بين الدولة العثمانية والروس ، ومدور الخط الهمايوني سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م .

هاتان الآزمتان هما مأسوف نتحدث عنه هنا بايجاز حتى نصل من خلال تلك الاحداث الى سبب اصدار هذين الخطين أو المرسومين وماتلى ذلك من تنظيمات فأول الأسباب ، كان بعد موقعة نفارينو ، عندما اختلفت وجهة نظر السلطان العثماني وواليه في مصر محمد علي فالسلطان رغم تدمير اسطول الدولة العثمانية في المعركة قد صمم على رفض مطالب الدول المتحالفة بل انه لم يقف عند هذا الحد ، فأخذ يطالب بالتعويض بالمال عما لحق بأسطوله من الدمار .

---

(١) مذكرات السلطان عبدالحميد؛ ترجمة وتحقيق وتعليق محمد حرب عبدالحميد ( الطبعة الاولى ، الكويت ، دارالوشاق ، ١٩٨٦هـ / ١٤٠٦م ) ص ٣٠

أما وجهة نظر الوالي العثماني في مصر محمد علي فقد رأى أنه لافائدة تنالها من مواصلة القتال أمام القوات المتحالفة ، بعد أن فقدت الدولة العثمانية أسطولها في المعركة فقرر عدم تقديم أى مساعدة للقوات العثمانية المنهزمة والانسحاب بكامل قواته الى مصر ، ويظهر أن محمد علي كانت تراوده فكرة مشروع ترمي الى تشكيل دولة عربية يستقطعها لنفسه من بلاد السلطان محمود الثاني ، الا أن هذه الفكرة لم تتحقق لأنه اصطدم بمعارضة اللورد بالمرستون ( Palmerston ) والذي كان أول من تنبه لمشروع محمد علي ، فتحطم حلمه ، ولكنه أوشك ان يحقق هذا الحلم بالاستيلاء على بلاد الشام في ٢٧ رجب سنة ١٢٤٨ هـ الموافق ٢٠ ديسمبر ١٨٣٢ م (١) .

علما بأن مصر لم تنل من الحرب اليونانية من الناحية المادية أى شيء الا أن اشتراكها في تلك الحرب برهن على كفاءة جيشها الذي أصبح يضارع أرقى الجيوش الأوروبية في ميادين القتال (٢) .

ونتيجة لهذا التصرف الذي قام به محمد علي تجاه السلطان محمود الثاني والدولة العثمانية بدأ النزاع بين السلطان وواليه على مصر محمد علي وذلك بعد انسحاب قوات السلطان من بلاد المورة بموجب معاهدة أدرنه سنة ١٢٤٥ هـ / ١٨٢٩ م واعترافه باستقلال اليونان ، على غير ما يرغب وربما يكون سبب ذلك أن محمد علي رأى غالة المكافأة التي منحها له السلطان ثمنا لتدخله في بلاد اليونان ، باعطائه جزيرة كريت ، في الوقت الذي كان محمد علي يطمح في تعيين ابنه واليا على بلاد الشام بدلا من جزيرة كريت ، ولكن السلطان لم يستجب لطلبه (٣) .

(١) جورج أنطونيوس : يquette العرب ، تعريب على حيدر الركابي ، ( دمشق ،

مطبعة الترقى ، ١٣٥٦ هـ / ١٩٤٦ م ) ص ١٢ .

(٢) عبدالرحمن الرافعي : عصر محمد علي ، ص ٢١٥ .

(٣) محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٦٤ .

، عبدالرحمن الرافعي : عصر محمد علي ، ص ٢١٧ .

ذلك أنه لما نشبت حرب اليونان لم يكن محمد علي متحمسا للاشتراك فيها ، بجانب قوات السلطان ، ولكن التلويح له باعطائه جزيرة كريت وولاية الشام بعد الحرب من السلطان جعله يدفع بقواته لخماد الحرب اليونانية ومساندة الجيش العثماني (١) .

وبالرغم من أن هزيمة نفارينو سنة ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م كانت لها آثارها السلبية على محمد علي ، لكنها في الواقع كانت فرصة له لزيادة مطالبه من السلطان بصورة واضحة والتأكيد على ضم بلاد الشام الى ولايته ، مكافأة له على المساعدة التي بذلها في حرب اليونان . ولما لم يجبه السلطان على طلبه عمد الى احتلال تلك البلاد معتمدا على قوة السيف والمدفع (٢) . ولم يكتف محمد علي بذلك بل انه أخذ يفكر في الاستقلال والانفصال عن الدولة العثمانية وقد ظهر ذلك واضحا عندما طلب السلطان محمود الثاني ارسال الاسطول المصري لمساعدة القوات العثمانية في حرب روسيا ، فامتنع عن مد يد المساعدة وتلبية طلب السلطان (٣) . وفي الوقت نفسه أخذ يحاول ارضاء السلطان بالمال ، كما أنه شرع في تقوية جيشه وأسطوله (٤) .

ولكن أثناء اعداد هذا الجيش لم تسعفه الموارد المالية التي كان يقدمها بسخاء للسلطان والجيش فلجأ الى فرض الضرائب الفادحة على الشعب المصري ، كما استخدم بعض العمال بالسخرة ، لهذا السبب فر من مصر اعداد كثيرة هروبا من سياسته التعسفية التي كان يعامل بها السكان (٥) .

- 
- (١) عايض حزام الروقي : حروب محمد علي في الشام ، ص ٧٢ .
  - محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٤١ .
  - (٢) جورج أنطونيوس : يقطعة العرب ، ص ١٢ .
  - (٣) عبدالرحمن الرافعي : عصر محمد علي ، ص ٢١٦ .
  - عايض حزام الروقي : المرجع السابق ، ص ٣٨ .
  - (٤) محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق ، ص ١٦٤ .
  - (٥) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٤٨-٤٤٩ .

وبعد أن استطاع بناء هذا الجيش والأسطول أصبح في وضع عسكري جيد يجعله ندا للسلطان بل أصبح لديه جيش أقوى من جيش السلطان نفسه<sup>(١)</sup>، لذلك ازدادت مطامعه ومار يتحين فرمة الانقضاض على بلاد الشام وانشاء دولة عربية تشمل معظم الولايات العربية التابعة للدولة العثمانية وتكون مصر رأس هذه الدولة ، خاصة وأنه كان يعرف الكثير عن ضعف حكومة اسطنبول ويدرك كل الادراك نوايا الدول الاوربية نحو الدولة العثمانية ، لذلك اعتبر نفسه وريثا لقسم من املاك الدولة ، وذلك بوصفه عثمانيا مسلما ، فعندما رأى علو قوته ، وضعف الدولة العثمانية وارتباك احوالها عقب حرب اليونان وحرب الروس وامضاء معاهدة أدنة معها ، اضافة الى كثرة الاضطرابات الداخلية بها ، لمقاومتها بعض رعاياها حول معارضتهم ادخال بعض الاصلاحات في الدولة<sup>(٢)</sup> ، ولذلك استغل هذه الظروف مجتمعة وأعلن الحرب على السلطان ويظهر أن تحركه هذا كان بايعاز من فرنسا التي كانت ترغب في اشغال روح الخلاف بين السلطان وواليه في مصر حتى تتمكن من تأسيس الامبراطورية التي عازمت على تأسيسها في شمال أفريقيا وهي التي طلبت من محمد علي أن يشترك معها في غزو الجزائر ، حتى يزداد الخلاف بين السلطان وواليه على مصر ، وهي تعلم ان السلطان العثماني ليس لديه الوقت أو المال الكافي لانشاء جيش جديد قوى معد بالأسلحة الحديثة ، والعمل على تنظيم موارده المالية ، لتنفيذ اصلاحاته بعد القضاء على الانكشارية .

وقد رحب محمد علي بفكرة الاشتراك مع فرنسا في غزو الجزائر وانتزاعها من الدولة العثمانية ، وكاد أن يشترك معها ، لولا أن حذرته انجلترا وهددته من المغامرة ، لأهدافها السياسية ، فتراجع محمد علي عن الفكرة خوفا من الاصطدام مع انجلترا<sup>(٣)</sup> ، لأنه يعرف أطماعها في المنطقة وهي تعرف أطماعه

---

(١) محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٦٤ .  
(٢) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ( بيروت ، دار الكتاب العربي ) ، ص ٢٢ .  
(٣) نجلاء عز الدين : العالم الغربي : ترجمة محمد عوض ابراهيم وآخرون ( الطبعة الثانية ، القاهرة ، الناشر : دار احياء الكتب العربية ، ١٩٦٢ ) ، ص ١٠٦-١٠٧ .  
(٤) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٦٨٩ .  
(٥) محمد ضياء الدين الرئيس : الشرق الاوسط : ( الطبعة الثانية ، القاهرة ، مكتبة الشباب ، ١٩٦٥ م ) ص ٩٣ .



السمتقبلية . كما أن بريطانيا كانت السند له في حروبه في شبه الجزيرة العربية وغيرها وهو الاداة التي تعتمد عليه في تنفيذ اطماعها . وعندما فشلت فرنسا في كسب محمد علي الى جانبها اوعزت اليه بالمساعدة والمساندة اذا هو قام بالاستيلاء على بلاد الشام مستغلا الخلاف الذى نشب بينه وبين والي عكا عبدالله الجزار الذى امتنع عن تسليم الفارين اليه من المصريين بدعوى أن الاقليمين تابعين لسلطان واحد ، لذلك أمر محمد علي في سنة ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م بالتجهيز لحرب بلاد الشام وأسند مهمة قيادة الجيش لابن عمه ابراهيم باشا الذى سار وحاصر مدينة عكا برا وبحرا ، (١) بعد أن عقد محمد علي في وقت سابق معاهدة سرية مع بشير الشهابي آمر لبنان وبعض مشايخ الدروز ومشايخ جبل نابلس لمساعدته في الاستيلاء على بلاد الشام (٢) .

ولما علم السلطان محمود الثاني بغزو محمد علي على الشام أرسل اليه يامره بالكف عن تلك الحرب واخراج جنوده من الشام ، وله بعد ذلك أن يرفع شكواه الى الباب العالي ليحكم بينه وبين خصمه عبدالله الجزار ، ولكن محمد علي لم يعبأ به ولم يعر اهتماما لأوامر السلطان عندئذ طلب السلطان مجلس مؤلف من مشاهير العلماء ، وكبار المدرسين ، وعرض عليهم خروج محمد علي عن الطاعة ، فأفتوه جميعا بخروجه عن طاعة السلطان (٣) .

لهذا طلب السلطان من والي حلب السير لحرب جيوش محمد علي واسترجاع مدينة عكا ، ولكن ابراهيم باشا لم ينتظر ملاقاته في عكا ، بل سار لملاقاته بعيدا عن عكا ، فتقابل الجيشان في مدينة حمص ، وانتهت المعركة بانتصار الجيش المصري ، ثم عاد ابراهيم باشا الى مدينة عكا وشدد الحصار عليها حتى استسلمت ودخلها في سنة ١٢٤٧هـ / ١٨٣٢م وأسر عبدالله الجزار وأرسله الى

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٥٠ .

اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٦٨٧ .

(٢) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٢ .

(٣) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٦٨٧ .

مصر ليتولي محمد علي أمره (١) .

وبمجرد وصول خبر سقوط عكا للسلطان أمر بجمع ما يمكن جمعه من الجنود المنتظمة ، وكانت تقدر بحوالي ستين ألف جندي ، فعين عليها حسين باشا — والي ادرنه قائدا عاما ، وسار هذا الجيش الى بلاد الشام ، والتقى مع جيش ابراهيم باشا بمضيق بيلان (٢) ، فاستطاع ابراهيم باشا الفوز على الجيش العثماني سنة ١٢٤٨هـ / ١٨٣٣م (٣) .

لهذا الأمر استدعى السلطان الصدر الأعظم رشيد محمد باشا وهو من أعظم القواد وأشجعهم في تلك الفترة وكان ببلاد الارنؤوط ينظم أحوالهما عقب انفصال اليونان عن الدولة ، فارسله السلطان بجيش لمد خطر ابراهيم باشا الذي عبر جبال طوروس واحتل اقليم أظنه وهو في طريقه الى مدينة قونية ، وسط الأناضول ، فالتقى الجيشان في موقع بالقرب من مدينة قونية المذكورة ، وبعد حرب طاحنة أسر الصدر الأعظم رشيد محمد باشا في يوم مطير كثير السحاب والضباب ، بينما كان يعد جيشه للقتال ، وذلك أنه دخل بين صفوف الخيالة المصرية فلما منه بأنهم عساكره ، فأسروه ، وبانتشار خبر أسره اختل جيشه وانهزم أمام قوة الجيش المصري ، في الوقت الذي كاد أن يهزم فيه الجيش المصري .

وبعد هذه الموقعة تقدم ابراهيم باشا الى كوتاهية ، حيث تغلب على القوى العثمانية ، وأصبح الطريق ممهدا أمامه الى اسطنبول (٤) .

ونتيجة لهذه الهزائم المتلاحقة لجيش السلطان ساد القلق مدينة اسطنبول وخشي السكان من تقدم ابراهيم باشا بجيشه كما ان تلك الانتصارات أخافت الدول الأوروبية وخشيت أن يكون قصد محمد علي احتلال اسطنبول ،

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٥٠ .

، اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ص ٦٨٧ .

، كامل باشا : تاريخ سياست دولت عليية عثمانية ج ٣ ، ١٣٠-١٣١ .

(٢) بيلان : اهم مضائق جبال طوروس الفاصلة بين الشام و الأناضول :

— محمد فريد بك : المصدر السابق ص ٤٥٠ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ص ٤٥٠ .

فيختل التوازن الأوروبي، وكانت روسيا أشد قلقا من غيرها لخوفها من سقوط اسطنبول في يد من يمكنه الذود عنها بقوة أكثر من آل عثمان فلا يمكنها فيما بعد تنفيذ وصية بطرس الأكبر (١).

وقد انتهرت روسيا هذه الفرصة فتقدمت للسلطان تعرض عليه المساعدة وحمايته من خطر محمد علي، فرفض السلطان في بادئ الأمر (٢) إلا أنه في هذه اللحظة الحرجة كان يبحث عن حليف له، يصد عنه هذه القوة الجارفة من قوات محمد علي. فلقد وجد أن فرنسا تؤيد محمد علي وتساعد كعاسبق وبريطانيا لاستمتع الى نداءات السلطان، ربما بسبب مشاغلها في المشكلة البلجيكية (٣)، ولذلك لم يجد السلطان أمامه سوى القيصر الروسي.

وما كان السلطان ليقبل هذا التحالف مع عدوه اللدود، ولكن الظروف كانت قاسية، وبعد المفاوضات عقد السلطان مع القيصر الروسي اتفاقية (خنكار اسكله سي) (الميناء الملكي) في سنة ١٢٤٨هـ/١٨٢٣م التي خولت للقيصر ارسال جيش للمضايق العثمانية للدفاع عن السلطنة العثمانية حتى لاتقع في ايدي محمد علي وقبلا نفذت المعاهدة، ونزلت القوات الروسية على مقربة من اسطنبول، الأمر الذي أزج الانجليز وجعلها تحتاط للأمر (٤).

فبما أن معاهدة خنكار اسكله سي قد أثارت العواصم الأوروبية حيث انها أخذت شكلا سياسيا آخر، فانها أيضا كانت سببا في اهتمام اللورد بالمرستون رئيس وزراء إنجلترا، والأمير مترنيخ رئيس وزراء النمسا (٥)، اللذان توصلا من خلال تحليلهما للموقف الجديد الى حقيقة هامة هي أن الروس بعد

(١) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية، ص ٤٥٠-٤٥١.

(٢) نجلاء عز الدين: العالم العربي، ص ١٠٧.

(٣) كانت شائرة على هولندا للاستقلال عنها لأنها ضمت لها عام ١٨١٥م بموجب مؤتمر فيينا في أعقاب حرب نابليون وخلعه عن عرش فرنسا.

(٤) عبدالعزيز نوار: الشعوب الاسلامية، ص ١٨٢.

(٥) اسماعيل سرنك: حقائق الاخبار من نول البحار، ج ١، ص ٦٨٧.

معاهدة ( خنكاراسكله سي ) أصبحت القوة المواجهة لمصر ، وأصبحوا في نفس الوقت حامية للدولة العثمانية ، ولهذا عملت حكومة بالمرستون على تدويل القضية (١) ، لأن أبواب الدولة العثمانية وفارس أصبحت مفتوحة أمام الروس ، هذا ما قاله الانجليز وهذه مبالغة ، كانت من أساليب الانجليز لاثارة الرأي العام ضد خصمهم اللدود روسيا (٢) .

لهذا أخذ اللورد بالمرستون ومترنيخ يتخبران مع فرنسا فاتفقوا جميعا على الزام ابراهيم باشا بعدم التقدم ، مما اضطر محمد على الى عقد الصلح معهما والانصياع الى أوامر السلطان (٣) . وفي الوقت نفسه نصحت بريطانيا السلطان بتسوية المسألة ، ووعدته بالتوسط بينهما ، فقبل السلطان بهذا التوسط .

وبعد مخابرات دارت بين الاطراف المتنازعة ، اتفقا على أن يخلي محمد على منطقة الانافول من جيوشه وترجع الى ماوراء جبال طوروس ، ويعطى السلطان لمحمد علي ولاية مصر مدى حياته ، ويعين واليا على ولايات الشام الاربع ( عكا وطرابلس وحلب ودمشق ) وعلى جزيرة كريت . وان يعين ابنه ابراهيم باشا على اقليم أطنه . وقد سمي هذا الاتفاق باسم معاهدة كوتاهية وتمت في سنة ١٢٤٨هـ / ١٨٣٣م (٤) .

ولاشك أن هذا التدخل الأوربي في تسوية المشكلة ليس حبا في الدولة العثمانية ولا لمصر ، ولكن كل هذا من أجل المحافظة على مصالحهم في المنطقة (٥) وزيادة أطماعهم الاستعمارية فيها والرغبة في سد الباب أمام روسي

(١) عبدالعزيز نوار: الشعوب الاسلامية ، ص ١٨٣ .

، نجلاء عز الدين: العالم العربي ، ص ١٠٧ .

(٢) عبدالعزيز نوار: المرجع السابق ، ص ١٨٣ .

(٣) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٦٨٧ .

(٤) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٥١ .

(٥) اسماعيل سرهنك : المرجع السابق ، ص ٦٨٧ .



وفي صيف سنة ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م وفد الى اسطنبول في رحلة خاصة قائدان بروسيا هما ( فون مولتكه ) و ( فون برج ) فقدمهما الى السلطان القائد العام (سر عسكر) على أنهما لديهما الخبرة الكافية لتطويع الجيش العثماني فخدع السلطان بكلام ثائده فطلب من ملك بروسيا ابقاءهما في الدولة العثمانية لتنظيم الجيش العثماني . فقام كل منهما بتنظيم هذا الجيش واعادة بناؤه على الاسس الاوربية . كما انهما ساهما في جلب أعداد كبيرة من العتاد والأسلحة من بروسيا وغيرها . (١)

واضافة الى ذلك فان السلطان العثماني عمل على استشارة شعور أهل الشام واستمالة رؤساء العشائر وأصحاب الزعامات والأعيان فيها الى جانبها في سبيل اخراج محمد علي من بلاد الشام حتى أمسى أهل الشام بأسـره (٢) يتربحوا هزيمة تحل بمحمد علي وحكومته حتى يتخلصوا من سوء حكمه ومعاملته .

وقد كانت أهم الأمور التي شجعت السلطان على خوض حرب الشام الثانية قيام القنصل الانجليزي في اسطنبول بتقديم الضمانات للسلطان بسوقوف جميع الدول الاوربية الى جانبه في هذه الحرب ، ماعدا فرنسا التي تقف خلف محمد علي وتدفعه للتمسك بهذه الولايات ، وأن بريطانيا ستقف الى جانب الدولة العثمانية في حروبها مع محمد علي لاسترداد الشام وصد اي خطر يهددها من جراء هذه الحرب (٣) .

ولعل ذلك ما أراد التلويح به اللورد بالمرستون ( Palmerston ) حيث كتب يقول : " ان مصلحتنا ان يسترد السلطان سوريا بل ومصر " (٤) .

---

(١) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٥٥٧-٥٥٨

(٢) محمد كرد علي : خطط الشام : ( الطبعة الثانية ، بيروت ، الناشر مكتبة

النوري - دمشق ١٤٠٧هـ/١٩٨٣م ) ج ٣ ص ٦٣

محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٥٢

(٣) حسين مؤنس : الشرق الاسلامي في العصر الحديث ( الطبعة الثانية ، القاهرة

نشر لجنة الجامعيين لنشر العلم ) ص ٢٣٢

(٤) عايض خزام الروقي : حروب محمد علي في الشام ، ص ٤٠١

ويلاحظ أن محمد علي شعر بالتحركات التي تدور لأشغال حرب الشام مرة أخرى، ولذلك اجتمع ببعض سفراء الدول الأوروبية في مصر وعرض عليهم بأن تكون مصر والشام وبلاد العرب له ولولاده من بعده، فأبلغ هو لا السفراء دولهم التي أبلغت السلطان العثماني على كيفية مختلفه، فسيادت فرنسا مطالب محمد علي باشا، بواسطة سفيرها في اسطنبول، الذي اقنع الباب العالي بمناقشة هذا الاقتراح والتفاوض مع محمد علي، لهذا ارسل السلطان ساريين افندي، من موظفي الخارجية العثمانية الى مصر، للتفاوض في هذا الامر مع محمد علي، وبعد مداوات استطاع محمد علي استمالة مندوب الدولة بما خطط واقناعه، فاتفقا على ان له ولايتي مصر وبلاد العرب ارشاه ولولاده من بعده، وبلاد الشام الى جبال طوروس مدة حياته. فلم يقبل السلطان العثماني بهذا الوفاق الذي حمله له ساريين، بل أمر على أن تكون جبال طوروس ومفارزها في الحود العثمانية، لا المصرية. فصمم محمد علي أن تكون التسوية على هذا الأساس، لأن المفاوض أبواب الشام بأجمعها، فلو احتلها الدولة العثمانية أمكنها الغارة على بر الشام في أي لحظة ومتى تريد (١).

ونتيجة لاختلاف وجهات النظر بين السلطان ومحمد علي في أمر الشام عاد الخلاف من جديد، وكل منهما يريد مبررا لاستئناف الحرب، محمد علي تسانده فرنسا والسلطان العثماني تدفعه بريطانيا للحرب، فأضحت الحرب وشيك الاندلاع بين الطرفين.

ودخلت الازمة في دورها الحاسم سنة ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م رغم المحاولات التي بذلت من الدبلوماسيين الأوروبيين في البداية لايقاف انفجار الحرب وازالة شبه (٢)، إلا أن الجيش العثماني عبر نهر الفرات بسرعة فائقة في أوائل

---

(١) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العثمانية، ص ٤٥٢.

(٢) محمد كمال الدسوقي: الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، ص ١٧٩.

سنة ١٢٥٥ هـ الموافق ١٨٣٩م وبعد عدة مناوشات ومناورات خفيفة بين الجيشين ، كانت المعركة الحاسمة بالقرب من مدينة نصيبين المشهورة في الكتب الأوربية باسم ( نزيب ) ( Nizip ) في ١١ ربيع الآخر سنة ١٢٥٥ هـ الموافق ٢٤ يونيو سنة ١٨٣٩م ، انتصرت فيها قوات محمد علي ، وتقهقر الجيش العثماني بعد معركة حامية الوطيس ، وقد عرفت هذه المعركة باسم موقعة نصيبين (١) .

لم يقدر للسلطان محمود الثاني أن يسمع بانباء هذه الكارثة التي حلت في جيوشه في نصيبين ، لانه توفى في يوم ١٩ ربيع الآخر سنة ١٢٥٥ الموافق ٢ يوليو سنة ١٨٣٩م قبل أن تصل اليه اخبار هذه الهزيمة (٢) .

وخلفه في السلطنة ابنه عبدالمجيد ، فتي لا يتجاوز عمره السادسة عشرة لا دراية له بامور الحرب ولا بالسياسة في وقت توالت فيه النكبات على الدولة ، فقد ابحر الاسطول العثماني الى ثغر الاسكندرية بعد الهزيمة واستسلم لمحمد علي وتذرعه قائده بان الاخبار التي اتت اليه ان اسطنبول قد بيعت للروس . لذلك فقدت الدولة في اقل من اسبوع جيشها وسلطانها وبحريتها وبدأ كما لو ان محمد علي قد أصبح سيد الموقف بلا منازع (٣) .

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٥٢ .

، اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ص ٣٤٧ .  
، صبحي وحيد : في أطول المسألة المصرية ، (القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٠م) ص ١٤٥-١٤٦

(٢) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٤٥٤ .

اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٦٨٨ .

محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ١٨٠ .

(٣) محمد كرد علي : خطط الشام ، ج ٣ ص ٦٤ .

، ج ١ ص ٣٤٧ .  
، ج ١ ص ٣٤٧ .

، محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق ، ص ١٨٠ .



لذلك قررت حكومة السلطان عبدالمجيد أن تحسم النزاع مع محمد علي  
حقنا لدماء المسلمين ، فتناست الخلافات وبعث السلطان رسوله عـسـارق  
افندى برسالة رسمية يطلب فيها تقديم الولاء والطاعة للسلطان منعـسـا  
للتدخلات الاجنبية ، وتوقيفا للحرب استعدادا للمفاوضات لفض النزاع بين  
الطرفين ، ولما استلم محمد علي هذه الرسالة من مندوب السلطان بعـسـث  
برسالة عاجلة الى ابنه ابراهيم باشا ، لوقف الحرب والمناوشات ضد الجيش  
العثماني ، وخاصة عندما علم بوفاة السلطان محمود الثاني . ثم صرح محمد  
علي باشا للقنصل البريطاني في مصر ، بقوله : " انه واثق بأن كل الاختلافات  
سوف تحسم بدون تدخل القوى الكبرى ، لانه يعترف باحترام الكبير والخضوع  
للسلطان " (١) .

ويبدو من ذلك أن القنصل البريطاني في مصر نقل الى اللورد بالمرستون  
خواطر محمد علي وتغائله بالصلح والتسوية دون تدخل أيدي أجنبية .

وبرهن محمد علي استعداداه على ذلك بأن طلب من ابنه ابراهيم باشا ،  
وقف الحرب وان ذلك تم بمجرد تسلم جنود السلطان أوامر الانسحاب من حدود  
سوريا كما صرح محمد علي في مقابلة مع القنصل البريطاني حول مصير الأسطول  
العثماني انه سيعيده الى السلطان حتى لو رغب قائده في التخلي عنه لنا (٢) .

وبالفعل كاد الجانبان ان يتوصلا الى اتفاق بينهما دون تدخل اجنبي ،  
كما توقع محمد علي ، وقد مال السلطان الى أن يستجيب لمطالبه ويتنازل  
عن مصر والشام وراشيتين ولكن الدول الاوربية لم تترك لمحمد علي فرصة  
لتحقيق مطالبه بل تدخلت لتفرض هي الصلح التي تريده ، لا كما يريده غيرها  
خدمة لأهدافها ومصالحها السياسية والاقتصادية في المنطقة (٣) .

---

(١) Document: F.O.: 78/374. From Campbell to

Palmerston No. : 247, 12-3-1833.

Ibid,

(٢)

(٣) محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٨٠

، عايض خزام الروقي : حروب محمد علي في الشام ص ٤١ .

وفي الوقت نفسه شعر بالمرستون بخطورة الموقف في توحيد مصر والشام تحت حكم قوى ، خاصة بعد موافقة السلطان العثماني على منح حكمها لمحمد علي وراثيا لذا قرر بالمرستون التدخل وبحزم لمنع حدوث ما اعتبره كارثة ستحل لو حصلت تهديد طريق مواصلات إنجلترا الى الهند والشرق الأقصى، وكان بالمرستون شديد الحقد على محمد علي ، ويعتبره عميلا لفرنسا في المشرق لتمكن لنفسها في مصر.

ويرى بالمرستون أن اطماع محمد علي وحربه للسلطان هما اللذان أتيا بالروس الى الدردنيل والبوسفور وهو ما حاولت بريطانيا منعه (١)، لذلك ارتبكت الدول الأوروبية وافترضت وقوع الدولة في يد شخص قوى ، وهي التي تخطط لتمزيقها واقتسامها ، عندما هالها قوة جيش محمد علي التي كلن بإمكانه تجديد القوة الإسلامية، لو أن الدولة وقعت تحت قبضته (٢) ، ولانتشار أنباء كثيرة في أوروبا مفادها ان السلطان الصغير ، ربما يقدم لمحمد علي ما يطلبه وخاصة في إنجلترا (٣) .

لذلك أرسلت الدول الأوروبية الى السلطان العثماني مذكرة مشتركة من سفراء كل من إنجلترا وفرنسا وروسيا والنمسا وبروسيا تنص فيها على وجوب عدم اتخاذ قرار فيما بين السلطان العثماني ومحمد علي الا بموافقتها وتحسنت علمها (٤) .

---

(١) محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٨١ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٥٤ .

، محمد شفيق غربال : محمد علي الكبير ( القاهرة ، دار الهلال ) ص ١٥٤ ،

، علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ص ١٤٤ .

(٣) عايض خزام الورقي : حروب محمد علي في الشام ، ص ٤٠٩ .

(٤) محمد فريد بك : المصدر السابق ص ١٥٤ .

، محمد شفيق غربال : المرجع السابق ، ص ١٥٤ .

، علي حسون : المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

هذا الاشتراك أو الوفاق رحبت به الدول المشتركة الخمس واعتبرت——  
احلالا للهيمنة الدولية على الشؤون الشرقية محل الهيمنة الروسية . كما  
أن هذا العمل يعتبر في نظرها تنويج لمعاملته أو بذلته بريطانيا من جهود  
في السنوات الاخيرة ضد أطماع محمد علي وتوسعاته . (١)

كما عرضت الدول الأوروبية استعدادها أيضا للتوسط بين الفريقين  
فقبلت بهذا الدولة العثمانية لحين استرجاع ما فقدته من جيشها واسطولها .

ولما علم محمد علي اشتراك الدول في المفاوضات ومن بينهما حليفته (٢)  
بدأ يستعد لصد هذا العدوان بتدريب الاهالي على استعمال السلاح ، ثم استدعى  
جيشه من نجد والحجاز لمقاومة هذا الحلف وتخلي عن بلاد العرب وأصدر أوامره  
لابنه بضبط الشام الذي بدأ يتحرك ضده وقمع تحركاته .

وبناء على طلب النمسا لحل المسألة المصرية عقد مؤتمر في لندن  
سنة ١٨٤٠م / ١٢٥٦هـ حضره مندوب عن الباب العالي وذلك لمحاولة تدعيم  
الموقف الاوربي في هذه المسألة ولكن هذا المؤتمر فشل لاختلاف أطماع  
الدول في الدولة مع اختلاف وجهات النظر بينها (٣) .

لهذا عرضت بريطانيا على السلطان العثماني الضغط على محمد علي لارجاع  
الاسطول مقابل ادخال سفنها الى البوسفور ، ولما علم الفرنسيون بنوايا  
الانجليز ، أبدوا عدم التعاون معهم ضد محمد علي وكانت فرنسا ترغب في  
احتفاظ محمد علي بولايتي مصر والشام له ولذريته من بعده ، بينهما

---

(١) محمد شفيق غربال : محمد علي الكبير ، ص ١٥٤ .

(٢) ان حوادث التاريخ تعطينا اكبر العبر بان العدو الحاقد على الاسلام  
والمسلمين لا يمكنه ان يقف مع المسلمين في صف واحد وان تظاهر بذلك  
فسرعان ما يكشف زيفه ويفضح امره وتظهر نواياه الغادرة فهو دائما  
يسعى لضرب المسلمين بعضهم ببعض لاضفاف شوكتهم ويخشى بروز قوة في  
ديارهم التي تكون منطلق لاعادة مجد الاسلام .

— على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ص ١٤٥ ، حاشية رقم (١) .

(٣) على حسون : المرجع السابق ، ص ١٤٥-١٤٦ .

، محمد شفيق غربال : المرجع السابق ، ص ١٥٤ .

لا ترغب بريطانيا في اعطائه الا ولاية مصر ، ولكنها وافقت أن يعطى بلاد الشام الجنوبية باستثناء عكا مدى الحياة ، الأمر الذي رلفته فرنسا ، فانتهزت روسيا فرصة الخلاف بين الانجليز والفرنسيين حول هذا الموضوع فاتجهت لتعميق نفوذها في الشرق وبسط حمايتها على أكبر جزء من الدولة العثمانية ، وأبدت استعدادها ترك حرية العمل لبريطانيا في مصر ضد محمد علي مقابل انزالها جيشا في ( سينوب ) على البحر الاسود بحجة نجدة الدولة العثمانية في حالة تهديدها بالاحتلال من قبل ابراهيم باشا .

ولكن انجلترا اقترحت عليها اعلان التنازل عن حقوقها في معاهدة ( خنكار اسكله سي ) فرفض الروس ، وأجلت المفاوضات بشأن المسألة المصرية حتى سنة ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م (١) .

ولمواجهة خطر روسيا ، طلبت كل من فرنسا وبريطانيا من السلطان العثماني التصريح لمراكبهما بالمرور في بوغاز الدردنيل لحمايته عند الضرورة من روسيا ، ومن جيوش محمد علي ، وجاء قائد الأسطول البريطاني بنفسه الى اسطنبول للحصول على هذا التصريح . فأعلن في الحال سفير روسيا بانه اذا دخلت مراكب الانجليز وفرنسا البوغاز فانه سوف يقطع علاقاته السياسية مع الدولة العثمانية .

لذلك كتبت النمسا الوزارتي لندن وباريس بأن طلبهما هذا مخطر للسلم في أوروبا ، وأنهما لو أمرا عليه تخرج من التحالف . فخاف السلطان من تفاقم الازمة ، ورفض طلب حكومتي فرنسا وبريطانيا على السواء ، بطلب منهما ابعاد مراكبهما عن مدخل البوغاز .

ولأجل تلك الأسباب توقفت المخابرات وتوقفت الدول عن مطالعتهما مؤقتا في المسألة المصرية لدراسة الوضع الحالي (٢) دراسة أوسع ووضع الحلول المناسبة للموقف .

(١) علي حسن : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٤٥ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٥٧-٤٥٨ .

وفي أوائل شهر رجب سنة ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م عادت النمسا مرة أخرى وطلبت من الدول الأوروبية عقد اجتماع في مدينة فيينا لتسوية هذه المسألة التي أقلق الجميع ، فقبلت تلك الدول عقده في لندن ، وطلبت فرنسا أن يكون للسلطان العثماني مندوب في هذا المؤتمر مراعاة لما له من السيادة العظمى على البلاد المتنازع عليها (١) . على أن لا يكون له أي صفة أو كلمة لأن زمام الأمور والمبادرة في يد هذه الدول الكبرى التي تتصارع حول أملاكه .

فلما اجتمع المؤتمر طلبت فرنسا بقاء الشام كلها تحت يـــــــد محمد علي باشا فعارضتها إنجلترا وأمرت أن لا يعطى له إلا النصف الجنوبي من الشام ، لكنها قبلت أخيراً بناءً على موقف فرنسا ادخال عكا ضمن هذا القسم ، بشرط أن يكون له مدة حياته ولا ينتقل إلى ورثته بل إلى الدولة العثمانية .

وقد قبلت بذلك روسيا والنمسا والبروسيا ، وعارضته فرنسا وطلبت استمراره لورثته من بعده ، فشددت إنجلترا وخصوصاً اللورد بالمرستون على موقفها وعدم الرجوع عنه ، ونظراً لهذه الأسباب فشل هذا المؤتمر وبقيت الحالة على ما هي عليه .

ولما تولى ( تيير ) رئاسة الوزارة الفرنسية سنة ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م لم يتبع خطة من سبقه ، بل انفرد دون دول أوروبا لانتهاء المشكلة المصرية العثمانية بمطالبة السلطان العثماني بترك ولايتي مصر والشام لمحمد علي ولذريته وأرسل في نفس الوقت لمحمد علي بأن يقوى مركزه في الشام بالجيش والعتاد دون الالتفات إلى مهاترات إنجلترا ، بل عليه التأهب والكفاح وأن فرنسا تقف خلفه ومستعدة لخدمته ضد الانجليز .

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٤٦٠ - ٤٦٢ .

ولما عرف اللورد بالمرستون بموقف فرنسا الجديد حنق على الحكومة الفرنسية فخطط ، وضرب ضربته ، وقام ببذل مساعي جبارة في الاتفاق مع روسيا والنمسا والبروسيا ، لارجاع محمد على الى حدود مصر ، والنصف الجنوبي من الشام يدخل ضمنه عكا ، والزامه بالقوة اذا لم يلتزم ، ولقد نجح بالمرستون في مسعاه واستطاع ان يعقد مع الدول المذكورة معاهدة لندن سنة ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م (١) . وتنص هذه المعاهدة على منح محمد علي باشوية مصر وراثية في بيته ومنحه جنوبي الشام مدة حياته (٢) وقد صدق على هذا الاتفاق مندوب الحكومة العثمانية (٣) .

وكان من ضمن شروط معاهدة لندن ، أنهم اشتروا على السلطان العثماني أن تكون لسفنهم حق دخول البوسفور لحماية اسطنبول من جيوش محمد علي ولا يحق دخول تلك المياه لاحد مادامت العاصمة غير مهددة ، وقد ألغيت هذه المعاهدة معاهدة ( خنكار اسكله سي ) الروسية العثمانية ثم صدرت الأوامر للأسطول الانجليزي الذي تولى هذه المهمة ، وقام بحصار سواحل بلاد الشام لتنفيذ المعاهدة ، ولما وصل الاسطول الانجليزي سواحل الشام عرض مندوبه على محمد علي باسم الدول أن تكون له ولاية مصر ولذريته من بعده ، وولاية عكا مدى الحياة ، وأنهموه بأن فرنسا لا يمكنها مساعدته ، وأيضا قبول الدولة العثمانية ، وتصميم الدول تنفيذ هذه المهمة مهما تكلن الظروف والعوائق ، وأعطى له مهلة عشرة أيام ، ولكنه رفض هذا الانسداد ، وانتهت المهلة (٤) . فأبلغوه أنه فقد حقه في ولاية عكا ، وأعطى عشرة أيام أخرى ، ولكنه لازال مصرا على الرفض ، عندئذ بدأت السفن البريطانية تطلق نيرانها على بيروت ، فاستولوا على بيروت وطرابلس وصيدا وصور ،

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٤٦٠-٤٦٢ .

(٢) محمد شفيق غريال : محمد على الكبير ، ص ١٥٤ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٤٦٢ .

(٤) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٤٧ .

واحتلوا عكا بالقوة ، وكان ابراهيم باشا يعتمد على عكا أكثر من غيرها  
لتحصينها القوى ، فانهمزمت الجيوش المصرية وتقهقرت ، فاضطر ابراهيم  
للعودة الى مصر (١) .

ثم توجه جزء من الأسطول لتنفيذ المهمة الى ثغر الاسكندرية حيث  
ألزم محمد علي ، قرار الدول ، بأن تكون له ولاية مصر ولذريته من بعده  
وكان ذلك في سنة ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م فقبل الباشا بذلك وأرسل الأسطول العثماني  
الى اسطنبول وتم تسلمه للدولة العثمانية في اوائل ذي الحجة سنة ١٢٥٦هـ /  
الموافق ٢٤ يناير سنة ١٨٤١م ، لذلك أصدر السلطان عبدالمجيد المرسوم  
السلطاني الذي ينظم الوراثة العائلية لمحمد علي مشتملا على امتياز حكم  
القطر ، بمصادقة الدول الأوروبية ، وبعد هذا المرسوم توجه محمد علي الى  
اسطنبول لعرض طاعته على السلطان (٢) .

وهكذا فان فكرة الدولة العربية التي رسمها خيال محمد علي ورعاها  
ابنه ابراهيم لم تلق في بلاد الشام التأييد اللازم مما عجل في القضاء  
عليها مناهضة بريطانيا وخاصة بالمرستون (٣) .

وهكذا أسدل الستار على احداث شخصية محمد علي القوية بعد صدور  
المرسوم السلطاني ، وعاد تحت الطاعة كما كان سابقا . أما السلطان فقد  
بدأ في مواصلة الاصلاحات التي لُفَّه مبادئها والده .

وتحت وطأة هذه الأزمة أصدر السلطان عبدالمجيد أول مرسوم من مراسيم  
التنظيمات وعرف هذا الخط باسم خط كلخانة (٤) ، وتفصيل ذلك هو أن بعد  
تسلم عبدالمجيد السلطنة بحوالي أربعة أشهر ، استدعى رشيد باشا السفير

---

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج١ ، ص ٦٩٠-٦٩١ .

(٢) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ١٦٩١ .

(٣) جورج انطونيوس : يقطعة العرب ، ص ٢٤٠ .

(٤) عبد العزيز نوار : الشعوب الاسلامية ، ص ١٨٤ .

فوق العادة في لندن الى اسطنبول ليعين وزيرا للخارجية ، وما ان تسلم مقاليد منصبه حتى حمل معه الدعوة لنظام حكم برلماني دستوري ، مدعيا رفع الدولة الى مصاف الدول المتقدمة عن طريق دستور ينص على حقوق المواطنين والغاء عدم المساواة البارزة بين المواطنين (١) .

وكان رشيد باشا هذا قد عمل سفيراً في لندن وباريس ، وبطبيعة عمله السياسي ألم بسياسات الدول العظمى وتأثر بها ، فتمس لتحديد سلطنة السلطان تحمسه للإصلاح وذلك بتطوير النظم وجعلها شبيهة بالنمط الأوروبي الدستوري ، على أن تكون بداية الانطلاق هي مصلحة الرعايا المسيحيين وتحسين أحوالهم (٢) .

وقد استطاع رشيد باشا الوصول الى هذا العمل حينما استغل الازمة التي سببتها هزيمة القوات العثمانية في نزيب من القوات المصرية للحمول على المساندة الرسمية لترسيخ مفاهيمه الغربية بعد أن وجد أن الدولة في وضع حرج تحتاج فيه الى مساندة الدول الأوروبية ضد محمد علي ، فمن شأن اعلان هذا البرنامج التغريبي أن يوضح للدول الأوروبية أن بإمكان الدولة العثمانية ان تحرر التقدم وأنها تستحق الانقاذ (٣) ، وجديرة بأن تعامل معاملة الدول المتحضرة الحديثة (٤) . فأجرى رشيد باشا مشاوراته مع بالمرستون وغيره من المسؤولين لحسم الازمة لصالح الدولة العثمانية ، بل للحصول على المساندة الخارجية للإصلاحات التي كان على وشك القيام بها ، وهدفه منها تقوية مركز الدولة (٥) .

---

(١) على حسن : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٥٠ .

(٢) أحمد عبد الحريم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٩٩ .  
عبد الكريم شهداني : العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية في تركيا ، ص ٧١-٧٢ .

(٣) أحمد عبد الحريم مصطفى : المرجع السابق ص ١٩٩-٢٠٠ .

(٤) عبد العزيز نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ١٨٤ .

(٥) عبد الكريم شهداني : المرجع السابق ، ص ٧٣ .





ومن جملة ما قال : " لا يخفى على عموم الناس ان دولتنا العلية ———  
مبدأها وهي جارية على الأحكام القرآنية الجلية والقوانين الشرعية ———  
المنيفة بتمامها . ولذا كانت قوة ومكانة سلطتنا السنية ورفاهية وعمارية  
أهلها وصلت حد الغاية . وقد انعكس الأمر منذ مائة وخمسين سنة بسبب عدم  
الانقياد والامتثال للشرع الشريف ولا للقوانين المنيفة بناء على طـرـوء  
الكوارث المتعاقبة والاسباب المتنوعة فتبدلت قوتها بالضعف وشرتها  
بالفقر . وبما أن الممالك التي لا تكون ادارتها بحسب القوانين الشرعية  
لا يمكن أن تكون ثابتة كانت أفكارنا الخيرية المملوكية منحصرة في أعمار  
الممالك واتحاد ورفاهية الأهالي والفقراء من جلوسنا السعيد وصار التشبث  
في الاسباب اللازمة بالنظر الى مواقع ممالك دولتنا العلية الجغرافية  
ولأراضيها الخصبة والاستعداد وقابلية أهاليها لتحصل بمشيئة الله تعالى  
الفائدة المقصودة في ظرف خمس أو عشر سنين" (١) .

ثم سلم رشيد باشا الخط الشريف بعد قراءته الى الصدر الاعظم ، الذي  
قلبه ورفعته الى جبهته وصدق عليه شيخ الاسلام واطلقت المدفعية طلقات  
عديدة تحية من جميع بطاريات اسطنبول ، ثم تقدم أعضاء الوزارة وأقسموا  
بيمين الولاء بتنفيذ هذا الخط . وانتهى الحفل (٢) .

من الملاحظ وضوح الرؤية الصحيحة من وجهة النظر الاسلامية نظريا لدى  
السلطان الشاب . كما يظهر من اضطراره اصدار تلك التنظيمات التي وضعها  
رجال تربوا ونشوا على حب الغرب ومبادئه التي استفحل خطرها شيكا فشيئا .  
حتى تحقق لدعاتها وحملتها ما يصبون اليه فيما بعد ومن بعدهم آسيادهم  
وهم المحركين لهم في الخفاء (٣) .

(١) أنكد لهارد: تركيا وتنظيمات دولت عثمانية نك اصلاحاتي ، ص ٣٨ .  
محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٨١ .

(٢) احمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٠٠ .

(٣) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٥٢ ، حاشية رقم (١) .

ويعتبر هذا الخط من أهم مظاهر الغزو الفكري في الدولة لأنه أول تنظيم أتاح للنظم الأوروبية أن تتسرب الى مؤسسات الدولة المختلفة خاصة وأن الذي قام بصياغته وإصداره مصطفى رشيد باشا ، سفير الدولة في باريس ولندن ، ووزير الخارجية في عهد السلطان عبد المجيد ، الذي تمفنه المراجع الأوروبية بالاستنارة ، وقد تأثر الى حد بعيد بالانكار الأوروبية (١) .

وأخطر ما في خط كلكخانه هو اعطاء الذميين نفس أوضاع المسلمين ، فهذا الخط يمثل بدء إصدار أوامر سلطانية لاتستند الى حجة شرعية أو فتوى شيخ الاسلام (٢) . لهذا نص على تساوى رعايا الدولة أمام القانون المسلمين منهم وغير المسلمين ، ولكن مع المحافظة على الشريعة الإسلامية أو الاطار الاسلامي ، رغم مانص عليه الخط من أن مرجع ضعف الدولة هو عدم تطبيق مبادئ القرآن وتشريعاته السماوية (٣) . ومع ذلك كان هذا الخط خطوة كبيرة نحو الأخذ بالقوانين الوضعية حين قرر المساواة بين المسلم وغير المسلم (٤) ، وتوفير الاخاء بين كل رعايا الدولة العثمانية بهدف تقوية الدولة عن طريق تعزيز ولاء سكانها المسلمين والمسيحيين ، لضعاف الروح الإسلامية (٥) .

وقد أكد هذا الخط على معالجة بعض الأمور الأمنية والإدارية منها ضرورة إيجاد ضمانات لأمن جميع رعايا الدولة على أموالهم وأموالهم وأرواحهم ، وبالتالي وجوب اعلان المحاكمات ومطابقتها للوائح والقضاء نظام مصادرة الأملاك ، ومحاكمة المجرمين علنية .

- 
- (١) محمد عبد اللطيف البحر اوى: التاريخ المعاصر وعلاقته العضوية بالزمنة الحديثة ، (الدارة ، ع ٢ ، س ١١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م) ص ٨٢ .
  - (٢) محمد عبد اللطيف البحر اوى: المرجع السابق ، ص ٨٢ .
  - (٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى: في اصول التاريخ العثماني ، ص ٢٠١ .
  - أ. أنكدلهارد: تركيا وتنظيمات دولت عثمانية نك تاريخ اصلاحاتى، ص ٣٨
  - (٤) عبد العزيز نوار: الشعوب الإسلامية ، ص ١٨٥ .
  - (٥) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٠١ .

وايجاد نظام ثابت للضرائب يحل محل الالتزام الذي وضعه خط كلخانـه  
بأنه من آلات الخراب في الدولة ومن أسباب تدهورها . ثم تحديد نظام  
ثابت للجندية بحيث لا تستمر مدى الحياة ، بل تحدد مدتها بفترة تتراوح  
بين أربع أو خمس سنوات والغاء القطاعات العسكرية الغاءاً عاماً (١).

وقد كلف مجلس الأحكام العدلية الذي نشأ في عهد محمود الثاني لوضع  
التشريعات بإيضاح تفاصيل إجراءات الإصلاح ، وبهذا بدأ عصر التنظيمات  
منذ سنة ١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩ م واستمر حتى اعلان الدستور سنة ١٢٩٤ هـ / ١٨٧٦ م (٢).

كما دعى هذا الخط أيضاً الى الحرية الشخصية والتملك الشخصي بحرية  
حتى لو رثت الجناة ، التي تستلزم اعمالهم مصادرة أملاكهم ، أصبحت  
لاتصادر ، ثم التفت الى التجنيد ، وقسم الجيش لست فيالق ، اثنتان  
في شبه جزيرة البلقان ، وفيلقان في آسيا الصغرى ، وفيلق في سوريا ، وآخر  
في العراق كما وضعت قوات في اليمن واستدعى الخبراء الفرنسيون  
والبروسيون لتدريب الضباط على أحدث النظم واستخدام الآلات الحربية  
الجديدة (٣).

ونتيجة لذلك استتب الأمن ، وتأسست المدارس الطبية والحربية ،  
وأنشأت وزارة المعارف ، وأعلن مبدأ التعليم المجاني الاجباري ، وامتدت  
يد الإصلاح الى الولايات ، واستورد السلاح الجديد المتطور ، فأصبحت القوات  
العسكرية على يد الخبراء تستكمل تدريبها على أحدث الأساليب العصرية (٤).  
وأعيد تنظيم الادارة المحلية والمركزية ، فكان الأكثر خطورة هو النظام  
العلماني الجديد الذي أدخل على السلطة القضائية ، ولم يبق تحت حكم

---

(١) أنكدلهارد: تركيا وتنظيمات دولة عثمانية نكتاريخ اصلاحاتي ، ص ٣٩.

، على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٥١.

، عبدالعزيز نوار : الشعوب الاسلامية ، ص ١٨٥.

، أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٠٢.

، عبد الكريم مشهواني : العلمانية واثارها على الاوضاع الاسلامية في تركيا  
ص ٧٢ - ١٧٣.

(٢) أنكدلهارد : المصدر السابق ص ٣٩.

، أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٠١-٢٠٢.

(٣) على حسون : المرجع السابق ، ص ١٥١.

الشريعة الإسلامية الا كما ذكرنا قانون الأحوال الشخصية (١).

ومن هنا أعرضت الدولة عن الخط الإسلامي الذي كان يطبقه أسلافهم تطبيقا حير الأوربيين ، لقوة الدولة وتماسكها ، بتمسكها بكتاب الله وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وظهرت مظاهر الغزو الفكري في نظمها ظنا منهم أنهم سينقذون الدولة من الانحطاط ، وما يدرون أن انحطاط الدولة في ابتعادها عن الشريعة الإسلامية .

وبهذه الاعمال قطعت الدولة العثمانية شوطا شاسعا في طريق التغريب ، وأرسل الطلاب الى أوروبا لاتمام تحصيلهم العلمي (٢) ، وازدادت الاتصالات بالغرب وعين الشبان العثمانيون الذين تعلموا في ديار الغرب في الوظائف الدبلوماسية في الدولة (٣) . وهكذا فتحت التنظيمات العثمانية الجديدة باب الدولة لتدفق الحضارة الأوروبية المادية عليها بأقصى سرعة ممكنة ، في الوقت الذي كانت فيه هذه الحضارة تستغل بشكل بشع الدولة العثمانية اقتصاديا ، وسياسيا ، كما أن ذلك فتح باب الارساليات التنصيرية والمدارس الأجنبية على مصراعيه حتي عمست مختلف مناطق الدولة العثمانية ومدنها (٤) .

ان هذا الخط بالرغم من موافقته لأهداف الدول الأوروبية فإنه لم يمر دون مصاعب ومتاعب فقد رفضه النصارى بدعوى أنه يجردهم من الامتيازات التي كانوا ينعمون بها عدة قرون ، والتي وفرتها لهم الحمایات الأجنبية حيث كانوا في شبه استقلال ذاتي فالكاثوليك كانوا تحت الحماية الفرنسية والأرثوذكس تحت الحماية الروسية ، أما البروتستانت فهم تحت الحماية الانجليزية (٥) .

- 
- (١) أ. أنكدهارد: تركيا وتنظيمات دولت عثمانية ذلك تاريخ اصلاحاتي ، ص ٣٩ .  
على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٥١ .
  - (٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ص ٦٩١ .
  - (٣) على حسون : المرجع السابق ، ص ١٥١ .
  - (٤) عبدالعزيز نوار: الشعوب الإسلامية ، ص ١٨٦ .
  - (٥) خير الدين التونسي : أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك (الطبعة الثانية ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٦ م ) ص ١٤١-١٤٢ .

وقد امتدح هذا الخط أيضا ثلة من الأوربيين حيث اعتبروه بمثابة "العهد الأعظم" بالنسبة للعثمانيين (١).

أما موقف المسلمين من مدور خط كلخانة ، فقد تدمروا بشدة حين رأوا ان الدولة تساويهم بالنصارى واليهود ، ورأوا في رشيد باشا الصدر الأعظم آلة في يد الدول الأوروبية ، وأنه كثيرا ما يمالئ النصارى على حساب المسلمين ، مما أحدث اضطرابا شديدا ، خاصة بين موظفي الدولة في الولايات المختلفة ، وقد رأوا أن هذا الخط يضر مصالحهم الاقتصادية ويحد من حرياتهم التي ضمنها لهم الاسلام ، لهذا أعلنوا بين الناس أن " هذا شرع جديد مخالف لشرعية الاسلام " مما اضطر الدولة لارسال شيخ الاسلام " عارف حكمت " الى جهات الاضطراب لوعظ الناس وأمرهم بالطاعة والامتثال وخطب بذلك على المنابر وبين للناس أن تلك التنظيمات ليست خارجة على المنهج الشرعي وماهي الا ضبط للجهات الشرعية التي كانت أهملت من قبل ، وان لجوء الدولة اليها هي تحسين أوضاع المملكة وحفظ حقوق الأمة فهدأت الرعية ، وسكنت ، واستمر العمل بالتنظيمات في سائر الجهات يسير بقدر الامكان (٢) .

وبعد أن أنهى الاتحاد الأوربي تسوية مشكلة الدولة العثمانية مع محمد علي ، لم تعد الدولة بحاجة ماسة الى الاصلاح باعتباره سلاحي دبلوماسيا ، لهذا اشتدت المعارضة للاصلاح نفسه (٣) ، وانشطر الرجال البارزون الى قسمين الاصلاحيون ، وعلى رأسهم رشيد باشا ، والمحافظون على النظم الاسلامية ، وعلى رأسهم رضا باشا . وتساعد الفئة الأولى انكلترا ، وروسيا الفئة الثانية . أما السلطان فكان يتردد بين الفريقين ، حتى مال الى المحافظين على النظم الاسلامية ، بعد أن كان مؤيدا

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٠١ .

(٢) آنكدلهارد : تركيا وتنظيمات دولت عثمانية نك اصلاحياتي ، ص ٤٦ .

خير الدين التونسي : أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك

ص ١٤١-١٤٢ .

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٠٤ .

للاصلاح ، وعزل رشيد باشا سنة ١٢٥٧ هـ / ١٨٤١ م (١) .

ومما يظهر أن التفكير في عزل رشيد باشا وفي الوقت نفسه وقصف مفعول خط كاخانة ، لم تكن أجهزة الدولة المضطربة هي المسؤولة وحدها عنه ، بل لقد لعبت روسيا دورا كبيرا في عزل رشيد باشا لأنها كانت ضد سياسة التنظيمات ، لأنها ترى في هذا الخط حائلا دون تحقيق اطماعها ، وبريطانيا ترى فيه معينا لها على تحقيق اطماعها . وعلى أي حال فقد توقفت الحركة الإصلاحية بعد عزل رشيد باشا مؤقتا ، ثم استعادت قدرتها على المسير مرة أخرى (٢) .

ولما لم يكن لدى السلطان جهازا اداريا يستطيع أن يدير وينفذ الإصلاحات عندما اتجه الى الاصلاح ، فقد أعاد رشيد باشا الى رئاسة الوزارة سنة ١٢٦٣ هـ / ١٨٤٦ م (٣) . وعندما عاد رشيد باشا الى السلطة ، تابع حركته الإصلاحية ، لتدريب البيروقراطيين اللازمين لمتابعة اصلاحاته موضع التنفيذ (٤) . سوا كان على رأس العمل معه أو فيمن سيخلفه ، ليوصل هذه الإصلاحات من بعده .

وأوجد رشيد باشا بعد موافقة السلطان تقسيما اداريا يشبه التقسيم الفرنسي ، اذ قسمت البلاد الى عدة ولايات ، فساجق ، فأقضية ، ووضع ادارة كل ولاية بيد ثلاثة موظفين . وهم الوالي ، والحاكم العسكري ، والخازن ، ثم أوجد في كل ولاية مجلس من الوجهاء لمراقبة ادارة الوالي ، وقد سعى رشيد باشا الى تحقيق الاصلاح المالي فلم يفلح ، ولكنه أنشأ المصرف العثماني ، ثم سعى في اصلاح الجيش فنجح في ذلك بشكل محدود .

- 
- (١) أنكدلهازد : تركيا وتنظيمات دولت عثمانية نك اصلاحي ، ص ٤٧-٤٨ .  
عابدين حمادة : تاريخ الشرق والغرب ( الطبعة الثالثة ، دمشق ،  
المطبعة الجديدة ) ١٩٥٨ م ، ص ٢٠ .
- (٢) عبد العزيز نوار : الشعوب الاسلامية ص ١٨٧ .
- (٣) أنكدلهازد : المصدر السابق ص ٧٧ .
- عابدين حمادة : المرجع السابق ، ص ٢٠ .
- أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٠٤ .
- (٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .





### الدولة الإسلامية (١).

وكماتمخضت أزمة محمد علي سنة ١٢٥٥ هـ - ١٢٥٦ م / ١٨٣٩-١٨٤٠ م ، عن صدور خط شريف كلخانة ، فقد تمخضت حرب القرم سنة ١٢٧٠ هـ - ١٢٧٣ هـ / ١٧٥٣-١٨٥٦ م ، عن صدور خط اصلاحي جديد هو الخط الهمايوني سنة ١٢٧٣ هـ / ١٨٥٦ م .

فبعد القضاء على خطر محمد علي ، عادة روسيا الى سياستها العدوانية لتدمير الدولة العثمانية باى شكل من الاشكال عن طريق الضغط العسكرى واثارت الاضطرابات في البلقان (٢) ، وخاصة عندما فقدت بمعاهدة لندن سنة ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م معاهدة ( خنكار اسكله سي ) المهمة سنة ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٣ م ، فقامت بتحريض سكان البوسنة والهرسك وبلغاريا ، وغيرها من الولايات التي تتطلع الى الاستقلال ، الى المطالبة بالحكم المطلق (٣) . وفي مقابل ذلك وجد السلطان عبد المجيد في شخص القائد عمر باشا قائدا ممتازا تمكن من قمع كل هذه الثورات والفتن التي تشيخها المناطق المذكورة بمساندة روسيا لمعارضة حركة الاصلاح في تلك الجهات التي مهدت لحرب القرم (٤) .

وتمهيدا لحرب القرم فقد حدثت في اوربا سنة ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٨ م الحركة الدستورية التي بدأت في باريس بظهور الجمهورية الثانية بعد اسقاط حكومة ( لويس فيليب ) التي أشرنا لها في الفصل الثالث ، اذ تسربت أفكارها الدستورية الى برلين وفيينا وبراغ ، فاضطرت حكوماتها الى استعمال القوة ، ومن ضمن تلك الدول روسيا التي قامت بارسال قوة لاطفاء حركته بولونيا الدستورية قبل استفحال خطرها ، كما ساعدت النمسا ضد المجر وقد فر بعض المجرين الى الدولة العثمانية (٥) . لان المحريين

(١) عبد العزيز نوار: الشعوب الاسلامية ، ص ١٨٩ .

(٢) احمد عبد الرحيم مصطفى: في اصول التاريخ العثماني ص ٢٠٧ .

(٣) دائرة المعارف الاسلامية : مادة تنظيمات ج ٥ ، ص ٥٠١ .

(٤) احمد عبد الرحيم مصطفى: المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

(٥) على حسون: تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٥٢ .

لجأوا الى الدولة العثمانية ، فطلبت روسيا من الدولة وبالحاج تسليم زعماء المجر اللاجئين الى بلادها فامتنعت الدولة العثمانية وذلك طبقا للقوانين الدولية التي تنص بعدم تسليم اللاجئين السياسيين (١).

وكان من نتائج الحركة الدستورية تطلع كل من الافلاق والبغدان التابعة للدولة العثمانية الى الاستقلال والانضمام الى ترانسلفانيا لتكوين دولة رومانية جديدة ، فثار الاهالي على اميرى الولاياتين ، فاضطروا الى الفرار فأقاموا حكومة مؤقتة .

وردا على ذلك ارسل السلطان كعادته جيشا بقيادة عمر باشا الذي استطاع اعادة الأمور الى نصابها كما كانت عليه من قبل ، ولكن الروس الذين يتحبنون الفرصة كما ذكرنا على الدولة العثمانية ، قاموا بالتدخل وارسلوا الجنود الى البغدان ، لأنهم كانوا يترقبون الى مثل هذه الاحداث للتحرش بالدولة العثمانية والتدخل في شئونها فاحتلوا مدينة الافلاق سنة ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م مما ادى الى تأزم الموقف بين الروس والدولة ، ضد هذا التدخل حتى أصبحت الحرب وشيكة ، ولولا حدوث المخابرات بين الدولتين ، التي انتهت باحتفاظ السلطان العثماني بتعيين أمراء الولاياتين ، كما كسان على أن تبقى البلاد تحت حكم مشترك عثماني روسي لمدة سبع سنوات حتى يستتب الأمن وسمي هذا الاتفاق باتفاق ( يلطه ليمان ) موقع تركي على ضفة البوسفور (٢).

فكانت هذه الحركة الدستورية بداية لحرب القرم ومدور الخط الهمايوني سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م كما سيأتي .

وسبب ذلك كانت روسيا تطمح بانظارها الى امتلاك اسطنبول في اى وقت كما يعلم الخاص والعام ، فكانت في كل فرصة ولو تافهة تسنح لها فـ

---

(١) محمدفريد بك: تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٩٠ .  
، اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ص ٦٩٢ .  
، على حسن: العثمانيون والروس ص ١٠٦-١٠٧ .  
(٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ص ٤٩٠ .  
، على حسن: حقائق الاخبار عن دول البحار ، ص ١٠٧ .

الأراضي العثمانية ، أو تدنيها من قصدها ، تشن الغارة على الدولة العثمانية لتقطع منها شيئا من ممتلكاتها ، وتصل عن طريق ذلك إلى تحقيق وصية بطرس الأكبر (١) .

ففي سنة ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م حاول القيصر نيقولا الأول ، أن يتفق مع بريطانيا على اقتسام أملاك الدولة العثمانية ، التي وصفها الروس " بالرجل المريض ، الذي لا يرجى شفاؤه " فاقترح أن تقوم روسيا بالاستيلاء على اسطنبول ، مقابل استيلاء بريطانيا على جزيرة كريت ومصر ، إلا أن بريطانيا رفضت هذا العرض خاصة وأنها كانت لاتزال متمسكة برأيها القديم ، وهي المحافظة على كامل أملاك السلطان من أجل حماية طريق الهند وتوفير حاجز في مواجهة التوسع الروسي ، وقد سبق الحديث عنه في الفصل الثالث . ولهذا السبب أصبحت بريطانيا تساند حركة الإصلاح العثمانية ، التي تعارضها روسيا (٢) .

وبالرغم من أن دولة روسيا كانت على يقين من أن الإصلاحات التي أدخلتها الدولة في حربيها ، وتنظيم جنوبها البرية والبحرية هي نفس الإصلاحات التي أدخلتها هي في جيشها وبها استطاعت الانتصارات على الدولة العثمانية المتوالية . لهذا كانت روسياتمنى ألا ترى الدولة العثمانية في مصاف الدول المتقدمة ، لأن ذلك أصبح يتنافى مع سياستها وأمانيتها التوسعية في الجهات الشرقية . فظلت روسيا تنظر إلى الدولة العثمانية بعين الحقد وتود عرقلة مساعيها في إصلاحاتها العسكرية القائمة (٣) .

- 
- (١) عمر طوسون : الجيش المصري : (مصر ، مطبعة المستقبل ، الاسكندرية ، ١٣٥٥هـ) ص ٤٥ .
- (٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ج ١ ص ٦٩٣ .
- ، أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ص ٢٠٧ .
- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٩٣ .
- (٣) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٩٣ .

ثم ما لبثت روسيا أن تعللت بسبب آخر عندما تحرشت بالدولة العثمانية مستغلة ما عرف باسم " أزمة البقاع المسيحية " في فلسطين . هذه المسألة تعد في حد ذاتها قليلة الأهمية في نظر السلطان عبدالمجيد ، وترجع أصول هذه الأزمة الى فترة نهاية الحروب الصليبية حين أصبحت الأماكن المسيحية في القدس وماحولها ملكا مشتركا للطوائف المسيحية في حين أن الكنيسة الارثوذكسية كانت أقوى الكنائس المسيحية في داخل الدولة العثمانية ، باعتبارها ممثلة لأكثر من ثلاثة عشر مليوناً من رعايا السلطان الذين ادعت روسيا حمايتهم ، كما ادعت فرنسا حمايتها للكاثوليك (١) . فروسيا تسعى لتجريد الكاثوليك من امتيازاتها السابقة نحو الكنائس التي في ممالك الدولة العثمانية واعطائها للارثوذكس لنشرها بين رعاياها في الدولة .

بالرغم من ان المعاهدات المعقودة مع الدولة العثمانية لم تنص صراحة على مثل هذه الحماية فالدولتين حاولتا تأكيد نفوذهما بين رعايا السلطان غير المسلمين ، بتوفير حماية خاصة لكهنة كل منهما وبالتالي تكون مقاصد روسيا بمثابة آلة صماء يحركونها كيف يشاءون ضد الدولة العثمانية (٢) .

ففي منتصف القرن الثالث عشر الهجري الموافق لمنتصف القرن التاسع عشر الميلادي وقع خلاف بين الكهنوت الكاثوليكي والكهنوت الارثوذكسي للاستيلاء على مفتاح الأماكن المقدسة في فلسطين واشتد الخلاف فتدخلت على اثر ذلك الحكومة الفرنسية للدفاع عن الكاثوليك والحكومة الروسية للدفاع عن الارثوذكس (٣) ، وهكذا اشتد الاحتكاك بين روسيا وفرنسا بحيث

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٩١ .

، احمد عبد الرحيم مصطفى : في اصول التاريخ الاسلامي ، ص ٢٠٨ .

، علي حسون : العثمانيون والروس ، ص ١٠٧ .

(٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ج ١ ص ٦٩٣ .

، احمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .

(٣) عابدين حماده : تاريخ الشرق والغرب ، ص ٢١ .

حاولت كل منهما الضغط على السلطان الذي لزم الحياد . ورغم تهديد روسيا بقطع علاقتها الدبلوماسية معه اذا استسلم للضغط الفرنسي (١) وأخذت كل منهما تطلب من الحكومة العثمانية منح امتيازات الاماكن المقدسة للفة التي تحت رعايتها ، فوقفت الحكومة العثمانية ازاء ذلك حائرة مترددة (٢) . الا أن حجة الكاثوليك كانت أقوى بموجب الامتيازات الممنوحة لفرنسا سنة ١١١٣هـ / ١٧٤٠م من الدولة العثمانية نجدانها تخولهم الحصول على امتلاك الكنائس فيها ، وكان الروس يسعون جاهدين لسلبهم تلك الامتيازات واعطائها للارثوذكس بسبب حمايتهم لذلك المذهب ونشر نفوذهم في الدولة عن طريق تحريك رعاياهم في البلقان وضرب الدولة بهم .

ففي الوقت الذي كانت فرنسا منشغلة بحروب نابليون والثورة فانها لم تتمكن من المحافظة على مركزها هناك فسيطر الارثوذكس على مركز النفوذ ، فقام نابليون الثالث بمحاولة لاعادة الوضع في محاولة منه لارضاء الراى العام الفرنسي بالتدخل لدى الباب العالي لغض الخلاف ، وقد احال السلطان هذه القضية على لجنة لحل هذا الخلاف ، وبعد عدة اجتماعات قرر المجتمعون باحقية الكاثوليك في امتلاك عدة كنائس وأديرة ، فيها حق الأولوية للكاثوليك فعارض الروس وهددوا السلطان فيما لو نفذت هذه القرارات ولكن الدولة العثمانية كانت حازمة ولم تتردد عن موقفها (٣) .

فبالرغم من تهديد روسيا فقد قرر السلطان سنة ١٢٦٨هـ / ١٨٥٢م منح الكاثوليك بعض الامتيازات التي أقرتها اللجنة ، وأهمها تسليم المفاتيح الثلاثة الخاصة بالأبواب الرئيسية لكنيسة العزراء وباب السراي القائمة تحت كنيسة المهد في بيت لحم ، لذلك ارتاح السفير الفرنسي في

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٠٩ .

(٢) عابدين حمادة : تاريخ الشرق والغرب ، ص ٢١ .

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٩١-٤٩٢ .

، على حسن : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٥٣ .

، اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ص ٦٩٢ .

اسطنبول بهذا الاجراء فشارت شائرة الارثوذكس ، كما استاءت روسيا شعبا  
وقيصرا من هذا القرار (١) . فعزم قيصر روسيا على الانتقام من الدولة  
العثمانية وارضاء الراى العام الروسى ، متخذا من هذا الخلاف ذريعة  
لتنفيذ وصية بطرس الأكبر ، ولهذه الغاية ارسل الى اسطنبول سفيرا فوق  
العادة يدعى منشكوف ( Menthikof ) الذى طلب من  
السلطان منح قيصر روسيا حماية الرعايا الارثوذكس في الدولة العثمانية  
فرفض السلطان هذا الطلب الذى يمس كرامة وسيادة الدولة العثمانية (٢) .

والحقيقة لم يكن يقصد من ارساله الا ايجاد اسباب الشقاق للتوصل  
في النهاية الى اعلان الحرب بحجة مقبولة لدى الدول . وبالفعل حصل  
ماكان يتوقعه له ، صدام شديد بين منشكوف وبين وزير خارجية الدولة  
العثمانية القوى فؤاد باشا ، وقد نتج عن هذا اللقاء ان صفع فؤاد باشا  
منشكوف صفعة قوية ألقتة على الارض لاخلاله بأصول القواعد المتبعة أثناء  
مقابلة السلطان مما زاد الموقف تأزما ولتأزم الموقف طلب السفير  
الروسى تغيير هذا الوزير بآخر يدعى ( رفعت باشا ) فلبى طلبه (٣) وهذا  
ماكانت تريده روسيا في التخلص من هذا الوزير القوى الذى كان يكره روسيا  
ويميل الى بريطانيا .

وقد خشيت فرنسا من وقوع الحرب بين الدولة والروس ، لتصرفات  
هذا الوزير الروسى ، لأن الامبراطور نابليون الثالث يميل الى السلم ، فكلّف  
سفيره في اسطنبول باخبار السلطان باستعداد فرنسا لتنازلها عن قسم  
كبير من الحقوق التى كان قد منحها السلطان الى الكنيسة الكاثوليكية ،  
وعلى أثر ذلك اتفق منشكوف مع رئيس الوزراء التركى الجديد على باشا

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثمانى ، ص ٢٠٩

، محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٩١-٤٩٢

، على حسن : العثمانيون والروس ، ص ١٠٨

(٢) محمد فريد بك : المصدر السابق ص ٤٩٢-٤٩٣

، أحمد عبد الرحيم مصطفى : المصدر السابق ، ص ٢٠٩

، على حسن : المصدر السابق ، ص ١٠٨

(٣) على حمادة : تاريخ الشرق والغرب ، ص ٢٢٠

منح روسيا حق الاشراف على المذهب الارثوذكسي في الدولة العثمانية  
ومنح الارثوذكس الحق في ممارسة دينهم بحرية تامة ، واعتقد الرأي العام  
زوال شبح الحرب (١) .

لذلك بدأ منشكوف يبذل جهده لدى السلطان لاجراء معاهدة ( خونكار  
اسكله سي) القاضية بأن يكون لروسيا حق حماية جميع المسيحيين  
الموجودين بين رعايا الدولة ، وكان السلطان العثماني يتردد في الاجابة  
وفي هذه اللحظة أعاد رشيد باشا الى المداورة ، لأنه سبق عزله ارضاء  
لروسيا منعا لأسباب الشقاق فظهر من ذلك أن السلطان قد عدل عن سياسته  
اللين والمسالمة وعزم رفض مطالبة روسيا وايده في ذلك عدوها اللدود  
رشيد باشا (٢) .

ومهما يكن فلابد أن ندرك الدور الذي لعبه سفير بريطانيا في  
اسطنبول (ستراتفورد كاننج) المشهور باسم (لورد اتفورد دي ريدكليف)  
هو السبب في وقوع حرب القرم ، الذي كان يدرك حقيقة الكراهية الشديدة  
التي كان يكنها الشعب الانجليزي للروس بسبب تصادم المصالح في أكثر  
من منطقة ، وكان هذا الرجل له مكانة كبيرة لدى السلطان عبدالحميد ،  
حتى لقد وصف بأنه "السلطان العثماني" غير المتوج ، لذلك كان كاننج  
يدرك أن روسيا بلغت من القوة الدرجة التي أصبحت فيه قوة خطيرة تهدد  
القوة البريطانية وان تقليص اظاؤها في وقت مبكر خير من تأجيل الحرب  
التي لابد أن تقع في يوم ما ، وكانت ظروف بريطانيا مواتية تماما  
حيث أن نابليون الثالث - امبراطور فرنسا - كان قد عقد العزم على أن  
لا يصطدم ببريطانيا ، وأن تكون امجاده العسكرية بالتعاون مع بريطانيا  
ضد روسيا أو النمسا (٣) .

(١) عابدين حمادة : تاريخ الغرب والشرق ، ص ٢٢ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٩٤-٤٩٥ .

(٣) عبدالعزيز نوار : الشعوب الاسلامية ، ص ١٩٠-١٩١ .

، محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٤٩٣-٤٩٤ .

وعندما عاد السفير البريطاني من رحلته الى بريطانيا ، استغل هذه الظروف ، لما يتمتع به من نفوذ قوى بسبب مساندته للدولة وللبرامج الإصلاحية ، فأقنع السلطان برفض المطالب الروسية (١) وابعاد على باشا عن رئاسة الوزارة ، وتعيين رشيد باشا صديق إنجلترا وعدو روسيا مكانه التي كانت لها دور في عزله من وزارة الخارجية كما سبق (٢) .

ولما رأى منشكوف عدول السلطان عن اعطائه هذه الامتيازات ارسل له بلاغا نهائيا في ٢٦ رجب ١٢٦٩هـ الموافق ٥ مايو سنة ١٨٥٣م بطلبات دولته وطلب الاجابة في مدة أقصاها خمسة ايام لكن السلطان لم يلتفت الى هذا البلاغ ، ولما انقضت المدة بدون الاجابة على طلبه انتظر ثمانية ايام أخرى على أمل أن يرد عليه السلطان ، فما كان من السلطان الا أن صمم على رفض طلبات الروس ، لذلك قطع السفير الروسي في ١٧ شعبان ١٢٦٩هـ الموافق ٢٦ مايو سنة ١٨٥٣م العلاقة مع الدولة العثمانية مهددا الدولة باحتلال جنوده لامارتي الافلاق والبغدان (٣) . فتدخل رئيس وزراء النمسا لمنع نشوب الحرب ، وكاد أن يصل الى اتفاق بين الطرفين لمنع الحرب لولا السفير البريطاني المذكور الذي حال دون ذلك بالايعار الى رشيد باشا بالتطلب في موقفه وعدم التساهل ، وهكذا قضى كنانج على آخر أمل بالسلم (٤) .

فتقدمت الجنود الروسية الى الافلاق ، ودفع الانجليز ومن ورائهم الفرنسيين الدولة العثمانية باتجاه الحرب ولوحوا لهم بالمساعدة ، فأعلن السلطان الحرب على روسيا في سنة ١٢٦٩هـ / ١٨٥٣م (٥) وأنذر الروس باخلاء الافلاق والبغدان خلال خمسة عشر يوما ، وأمر السلطان عمر باشا بعبور

(١) احمد عبدالرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٠٩

(٢) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العثمانية ص ٤٩٥ .

عابدين حمادة : تاريخ الغرب والشرق ، ص ٢٢

، اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ص ٦٩٣ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ص ٤٩٥

، اسماعيل سرهنك: المصدر السابق ص ٦٩٣ .

(٤) عابدين حمادة : المرجع السابق ص ٢٢

(٥) محمد فريد بك: المصدر السابق ص ٤٩٥

، عابدين حمادة : المرجع السابق ص ٢٢ .



الدانوب بعد ان تجاهلت روسيا الانذار العثماني ، فاستطاع القائد العثماني عمر باشا من تحقيق النصر على الروس ، فتقهقر الجيش الروسي عن الضفة اليسرى للدانوب (١) .

لذلك أبحر الادميرال الروسي ( نشيمون ) حالا باتجاه الجنوب ليهاجم القاعدة البحرية في " سينوب " (٢) . ففاجأته السفن العثمانية هناك . وأطلقت العديد من السفن الحربية الروسية المجهزة قذائفها السريعة فأصابت هذه القذائف السفن الحربية العثمانية التي استطاعت اصابتها واغراقها والجدير بالذكر أن الروس كانوا قد تعهدوا لفرنسا وانكلترا بعدم الاعتداء على البحر الاسود وكان ذلك في سنة ١٢٦٨هـ / ١٨٥٣م (٣) . ولأجل ذلك دخل الاسطولان الانجليزي والفرنسي البحر الاسود وطلبوا من الاسطول الروسي الانسحاب الى سيواستوبول ( اسباستوبول ) فاستاء القيصر لهذا الطلب الذي من شأنه أن يظهر ضعف روسيا المسيطرة على البحر الاسود منذ عهد بطرس الأكبر ، لكنه لم يعبأ بهذا الانذار الذي أرسلته فرنسا وانكلترا معا مما أدى الى اعلان الحرب من قبلهما على روسيا سنة ١٢٦٨هـ / ١٨٥٤م ، وتوجهت حملة فرنسية انجليزية الى غاليبولي للدفاع عن اسطنبول (٤) ، لاحبا في الدولة ولكن خوفا من امتداد نفوذ روسيا وبسط سيطرتها على اسطنبول (٥) .

- (١) على حسون : العثمانيون والروس ، ص ١١٠-١١١ .
- (٢) ، اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ص ٦٩٤ .  
سينوب : بلدة تركية على الساحل الجنوبي من البحر الاسود ، تقع على رأس شمالي غرب سمسون .
- على حسون : العثمانيون والروس ، ص ١١١ ، حاشية رقم (١) .
- (٣) على حسون : المرجع السابق ، ص ١١١ .
- ، اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٦٩٥ .
- ، محمد فريد بك : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٤٩٨ .
- (٤) عابدين حمادة : تاريخ الغرب والشرق ، ص ٢٢-٢٣ .
- (٥) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٤٩٨ .

هذا التدخل كان بعد عدة معارك طاحنة دارت بين الروس والدولة العثمانية لاداعي للخوض فيها، وكانت النتيجة، بعد المشاورات والمداولات بين الدول الأوروبية والدولة العثمانية اقترحت نقل المعركة الى بلاد القرم والاستيلاء على المرفأ الروسي الحربي سيواستوبول فكان لهم ذلك فتم حصار سيواستوبول الذي دام حوالى سنة كاملة ودخلت هذه الحرب أيضا (البيمونت) في الحرب مع الحلفاء ضد روسيا وذلك للتقرب من نابليون لمساعدتها على الوحدة الايطالية، فاستولى الحلفاء على سيواستوبول بعد تحطيم الاسطول الروسي وبعد مذابح وأهوال عديدة وتضحيات جسيمة حتى أتت سنة ١٢٧٢هـ الموافق ١٨٥٥م، مال الفريقان الى السلم بعد أن توسطت النمسا بينهما (١).

وكانت الأسباب الرئيسية لعقد الصلح، أن حقق الانجليز والفرنسيون هدفهم، وهو تحطيم الاسطول الروسي، وبذلك لن يكون في استطاعة الروس القيام بدور في البحر الابيض المتوسط بعد أن ثبت للحلفاء السيطرة البحرية الكاملة في البحر الأسود، التي كانت روسيا تسيطر عليه، فاكتمل هؤلاء الحلفاء بهذا النصر، ورفضوا التقدم وراء سيواستوبول، مع أن بريطانيا كانت تريد الاستمرار حتى تذلل روسيا اذلال كاملا يقضي على دورها في السياسة الأوروبية، ولكن نابليون اختلف مع بريطانيا في استمرار الحرب وأمر بوقف الحرب، الأمر الذي أرغم الانجليز على وقفها (٢).

وبعد مداولات ومخابرات تم الاتفاق بين النمسا وبريطانيا وفرنسا على شروط قدمتها النمسا الى روسيا في سنة ١٢٧٢هـ/١٨٥٥م على شكل انذار بالانضمام الى الحلفاء في حالة رفضها (٣).

- 
- (١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٥٠٨ .  
عابدين حمادة : تاريخ الغرب والشرق ، ص ٢٣ .  
اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ج ١ ص ٧٠٠-٧٠١ .
  - (٢) عبدالعزيز نوار : الشعوب الاسلامية ص ١٩٢ .
  - (٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ص ٢١٠ .

وهذه الشروط لايقاف الحرب بين المتحاربين كانت كمايلي :

أولا : وضع المقاطعتين (الافلاق والبغدان) التابعتين الى تركيا العثمانية تحت حماية الدول الأوروبية ،بدلا من حماية روسيا وحدها .

ثانيا: حرية العبور في نهر الدانوب .

ثالثا: اعادة النظر في اتفاقية المضائق المعقودة عام ١٢٥٧هـ / ١٨٤١م لمصلحة التوازن الأوروبي .

رابعا: حماية رعايا السلطان المسيحيين على أن لاتمس هذه الحماية بسيادته .

فقبلت روسيا هذه النقاط الأربع ،وتم الاتفاق على عقد معاهدة باريس في سنة ١٢٧٣ هـ / ١٨٥٦م (٢) لانتهاء المسألة الشرقية أو انتهاء هذه الحرب بين روسيا والدولة العثمانية .

وفي باريس تقرر عقد هذا الصلح بين الدولتين للسلم ،بتاريخ ١٨ جمادى الآخرة سنة ١٢٧٣ هـ الموافق ٢٥ فبراير سنة ١٨٥٦م .

وكان أهم البنود التي جاءت في نموص هذه المعاهدة هي :

- ١ - تعهد الجميع بحفظ استقلال الدولة العثمانية الاسلامية .
- ٢ - المصالحة بين الفريقين المتحاربين وإخلاء ما احتل من أراضي كل فريق .
- ٣ - اعادة المواقع العثمانية التي احتلتها روسيا واعادة ما احتلته للعثمانيين .
- ٤ - اعلان العفو العام واعادة الأسرى .
- ٥ - اعتراف الدول الأوروبية باشتراك الباب العالي معهم في الاستفادة من المنافع الأوروبية واحترام استقلاله والمحافظة على ذلك .

×-----×

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢١٠ .

(٢) عابدين حمادة : تاريخ الشرق والغرب ، ص ٢٣ .

٦ - تعهد الدول المتعاهدة بالتوسط لمنع الحرب بين الباب العالي والعثماني والدول الأخرى .

٧ - اصدار منشور عثماني لصالح النصارى القاطنين في المناطق العثمانية (١) .

واتفق لقبول العثمانيين ضمن المجموعة الأوروبية أن تنفذ البنود السابعة من المعاهدة ، وتصدر خطا جديدا يفع برنامجا واضحا للإصلاح أكثر اتساعا ودقة من خط ( كلخانة ) (٢) .

وعلى هذا الأساس صدر خط " همايون " سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م وهو تأكيد على ما جاء في خط كلخانة سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م مع اضافات جديدة تتعلق بحقوق النصارى والتنظيمات الادارية الجديدة ، فكان أكثر دقة من الخط الاول ، حيث يميز بوضوح حد للقوة المتناهية لروسيا ، ولا يقاوم مطامع الروس المتزايدة في أراضي الدولة العثمانية خاصة بعد أن منى الروس بالهزيمة سنة ١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م ، وتحطم أسطولهم (٣) .

وبالرغم من أن الخط الهمايوني جاء نتيجة للضغط الخارجي ، وممن ضمن شروط الصلح على عكس خط كلخانة ، فقد تشابه الخطان في كثير من النقاط . الا أن صيغة الخط الهمايوني أكثر عمرية وأكثر اقتباسا عن الغرب بصورة لم تعهد من قبل في الوثائق العثمانية ، فهو لم يستشهد بأية قرآنية واحدة أو بقوانين الدولة العثمانية القديمة وأما جاهد وكان ذلك أمرا خطيرا من الناحية النفسية ، لأن هذا المرسوم يتطلب إلى التفريب أكثر مما يستوجب الرجوع إلى الشريعة (٤) ، وأخذ كل إصلاح يوافق

(١) على حسن : العثمانيون والروس ، ص ١١٦-١١٧ .

(٢) عبد العزيز نوار : الشعوب الاسلامية ص ١٩٣ .

(٣) عبد الكريم مشهداني : العلمانية وآثارها على الأوضاع الاسلامية في تركيا ، ص ٧٥ .

، أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢١١ .

، محمد عبد اللطيف الحبراوي : التاريخ المعاصر وعلاقته العنصرية

بالأزمة الحديثة ، الدارة ، ع ٢ ، ص ١١ ، ١٤٠٦ / ١٩٨٥م ص ٨٢ .

(٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢١٠-٢١١ .

الشريعة ، ورفض كل اصلاح ينافي الشريعة الاسلامية . لرفض كل شيء ولاقبول كل شيء ، ولكن حسب المعايير المحددة في الدين الاسلامي الحنيف .

معنى ذلك كما هو واضح أن هذا الخط قد من التقاليد العثمانية مسا خطيرا ، وتناول الشريعة بالتحريف ، ومعناه من الناحية التاريخية انحراف الدولة عن قواعدها الأصلية (١) .

ويتضح من هذا الخط التركيز على المساواة الدينية وفصل حقوق معينة للنصارى منها أن المسائل المدنية تكون العهدة في إدارتها إلى مجلس مختلط بين المدنيين ورجال الدين النصارى ينتخبه الشعب بنفسه ، ومنها عدم إكراه المسلم الذي يعتنق النصرانية على الرجوع إلى الاسلام بل يسمح له بالردة عن الاسلام ، واعتماد النصرانية (٢) .

لذلك كان صدور هذه التنظيمات التي أصدرتها الدولة العثمانية باسم (التنظيمات الخيرية) وإنشاء المحاكم المختلطة ، وتطبيق القوانين والنظم الأوروبية كما جاء في هذين الخطين في الدولة الاسلامية ، كان يناهض الاسلام عقيدة ومنهجها ، ولضعف الدولة وخللها في العلماء والسلطين ، فقد كان ذلك بداية انهيار التشريع الاسلامي في النظم العثمانية التي كانت تنظر إليها أوربا على أنها عاصمة الاسلام ، فقد تغيرت هذه النظرة من القوة إلى الضعف . عندما كفلت حرية العبادة وبناء المدارس على أن تتفق مع مناهج الدولة ، وسمح للأجانب بامتلاك العقارات وفق شروط معينة وأكد الخط ضرورة إنشاء مجالس الولايات وكان من قبل مطبقا على نطاق ضيق (٣) .

- 
- (١) محمد عبداللطيف البجراوى : التاريخ المعاصر وعلاقته العنصرية بالأزمة الحديثة ، الدارة ، ع ٢ ، س ١١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ، ص ٨٢ .
- (٢) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٦١ .
- (٣) عبدالعزيز نوار : الشعوب الاسلامية ، ص ١٩٣ .

ثم فتحت أبواب معاهد التعليم الرسمية ، وبالتالي وظائف الدولة المدنية ، امام المسيحيين الذين فُرضت عليهم الخدمة العسكرية رسمياً ، ووعدها بازدياد تمثيلهم في مجالس الولايات والمجالس المحلية ووعده السلطان بايجاد نظام ضريبي أكثر عدالة ، كما وعد بتحديد ميزانية سنوية ، وانشاء البنوك والاستعانة برأس المال والخبرات الأوروبية ( اليهودية ) بهدف تطوير اقتصاد الدولة وتبويب القانون الجنائي والتجاري واصلاح نظام السجون ، وانشاء محاكم مختلطة في القضايا الخاصة بالمسلمين وغير المسلمين ، وأعلنت الدول مساندتها التامة لهذا الخط لضمان تنفيذه العثمانيين لوعودهم (١) .

وبعد صدور هذه القوانين الجديدة وافتتاح المحاكم المختلطة ظهر المحامون الذين يرافعون بموجب تلك القوانين العلمانية ، وقد كان المحامون من قبلهم من العلماء ، اما الآن فقد اصبحوا من صحافيين ومحامين وضباط وموظفين مدنيين ، قاموا بدور كبير في الحياة السياسية وتطبيق الاساليب وافكار الغربية الجديدة (٢) ، التي حذر منها السياسي النمساوي ( مترنخ ) العثمانيين ، ومن خطرهما الكامن وراء استعارة اساليب الحضارة الأوروبية المتعارضة مع الحضارة الاسلامية العثمانية (٣) .

وقد فهم هذا الخط من زوايا متعددة ففسرته كل جماعة حسب مصالحها فالغالبية العظمى من مسيحيي الدول العثمانية كانت ترى في صدور هذا الخط مظهراً من مظاهر ضعفها وتطلع بعض زعمائهم الى الدول الأوروبية وتمسكوا بما جاء في الخط الهمايوني من حقوق لهم ، تاركين مابه من التزامات وواجبات عليهم ، بل تمسكوا في نفس الوقت بما كان لديهم من امتيازات سابقة تتعارض مع الخط الهمايوني ، اي تمسكوا بكل الامتيازات الواردة في الخطين التي تخصهم - دون النظر الى التزامهم نحو دولتهم

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى: في اصول التاريخ العثماني ، ص ٢١١-٢١٣ .

(٢) عبد الستار فتح الله سعيد : الغزو الفكري ( الطبعة الرابعة ، القاهرة

دار الوفاء ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ) ص ٥٨ .

(٣) عبد العزيز نوار : الشعوب الاسلامية ، ص ١٨٥ .

وماعليهم من واجبات واخذوا يساومون الدولة على ذلك (١) .

وعلى الرغم من انتقاد شيخ الاسلام هذا الخط الهمايوني كما انتقده رجل الاصلاح رشيد باشا ، وقال : " انه سار اشواطاً بعيدة الى الامام ، لانه جاء كقفزة بدلا من النص على تنفيذ الاصلاح بالتدريج ، وان الحاقه بصلح باريس يشكل خطرا على السلطان والدولة " وتبع هذه الانتفاضات انتفاضات أخرى من كبار رجال الدولة العثمانية ، مما أدى الى نشوب الاضطرابات في الشام . كما أن ضمانات الدول الكبرى حررت رجال التنظيمات من خوف التدخل الأجنبي مما جعلهم يعقدون على مواصلة الاصلاح الا انه كان ممن المعروف آن أوروبا من وراء صدور هذا الخط ، مما جعل مسيحي الدول يتطلعون الى مزيد من التدخل الاوربي حول تنفيذ الاصلاحات بدلا ممن تطلعهم الى السلطان العثمانية .

والحقيقة أن عالي باشا وفواد باشا ربما كانا يهدفان باصدار هذا الخط الهمايوني فلما منهم أنه سيكسر من حدة التدخل الاجنبي وابقى المبادرة في أيديهما (٢) .

لهذا انتشرت الشائعات عن الدول الاوربية أنها ستقف الى جانب مسيحي الدولة لو شاروا ضدها ، ساعد هذا على وقوع الفتن في الشام ولبنان بين الدروز والمسيحيين المارونيين ليسير لبنان في اتجاه الحكم الذاتي وبنظام خاص عرف بالمتصرفية ، الذي كان يتعارض مع خطة الدولة العثمانية في توحيد البلاد العثمانية تحت نظام واحد ، يعتمد على الخط الهمايوني (٣) .

---

(١) عبدالعزيز نوار: الشعوب الاسلامية ، ص ١٩٤ .

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ اعثماني ، ص ٢١٣ .

(٣) عبدالعزيز نوار: المرجع السابق ، ص ١٩٤ .

وهكذا نرى أن الدولة الأوروبية أخذت في غزوها الفكري للدولة  
مسألة الطوائف غير المسلمة ذريعة للتدخل المستمر في شؤون  
الدولة (١) .

وقد أعقب صدور خط كلخانة والخط الهمايوني مجموعة من القوانين  
التنظيمية التي مست المجتمع العثماني ، صدرت هذه القوانين في أوقات  
متفاوتة ، كان أولها مدورا هو القانون التجاري صدر سنة ١٢٦٧هـ / ١٨٥٠م ،  
وكان معظمه مأخوذا من القانون الفرنسي ، ثم القانون الجنائي الصادر سنة  
١٢٧٥ هـ / ١٨٥٨م ، وقانون التجارة البحرية الصادر سنة ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م ، ومجموعة  
القوانين التجارية الصادرة سنة ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م . كل هذه القوانين كانت  
أيضا مقتبسة من القانون الفرنسي ، وكذلك صدرت فرمانات أخرى حول تأسيس  
بنك الدولة والأوراق النقدية وإنشاء جامعة عثمانية (٢) .

وقانون الأراضي (الطابو ) سنة ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م وقانون الولايات  
من سنة ١٢٧٧ - ١٢٨٠ هـ / ١٨٦٠ - ١٨٦٣م ، كان الغرض من إصدار قانون الأراضي  
هو التخلص نهائيا من نظام الالتزام ، والاقطاعات العسكرية وتحسين حال  
الفلاح بتمليك قطعة من الأرض . تمليكا غير مطلق يرتزق منها ، وعندما  
وضع القانون موضع التنفيذ جاءت نتيجته على غير ما كان يتوقع منه . فقد  
كان الفلاح فقيرا لا يستطيع دفع قيمة الأرض ، بينما كان لدى الملتزم  
المال والخبرة ، فسجل الملتزمون باسمهم مساحات واسعة من الأراضي  
وتحول الفلاح أجيرا لدى هؤلاء الملاك وبذلك لم تحل المشكلة (٣) .

- 
- (١) محمد عبد اللطيف البحراوي : التاريخ المعاصر وعلاقته العضوية  
بالأزمة الحديثة ، (الدارة ، ع ٢ ، ص ١١ ، ١٢٤٠هـ / ١٩٨٥م) ، ص ٨٢ .
- (٢) دائرة المعارف الإسلامية ، مادة تنظيمات ، ج ٥ ، ص ٥٠٣ ،  
عبد الكريم مشهواني : العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية  
في تركيا ، ص ٧٤-٧٥ .
- (٣) عبد العزيز نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ١٩٤-١٩٥ .



أما قانون الولايات، فيعتبر المحاولة العملية لاصلاح حال الولايات من جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتأكيد خضوعهم للدولة. فقد حدد القانون نظام الادارة واختصاص الوالي، وطريقة انتخاب أعضاء مجلس الولاية، وكان من اهداف هذا القانون اشراك الاهالي في ادارة امور بلادهم حسب الاصلاحات الجديدة التي أدخلت في مختلف المرافق العامة. كما كان من أهداف هذا القانون ان يتمشى مع أحوال كل ولاية، إذ أدرك العثمانيون أن الولايات العثمانية تختلف عن بعضها اختلافات جوهرية أحياناً، وأنه من العسير وضع قانون موحد ينظم القوميات المسيحية البلقانية المتعددة المذاهب والاكراذ الجبليين وعشائر العراق، وعصبيات الشام وعرب شمال افريقية وترك الاناضول ومسلمي البوسنة والبناتيا.

هذا القانون وضع السلطة العليا في يد الحكومة المركزية في اسطنبول وقد عملت حكومة اسطنبول هذه التنظيمات اعتقاداً منها ان فساد الادارة في الولايات هو المسؤول عن عدم تحسين احوالها، وانه لهذا السبب يجب أن يكون الوالي مجرد منفذ لأوامر رؤسائه في اسطنبول فقط، يرجع اليهم في أمور الولاية الهامة، يساعد على ذلك في تلك الفترة استخدام الخطوط البرقية في الدولة العثمانية على نطاق واسع في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري الموافق منتصف القرن التاسع عشر الميلادي (١).

أما إذا أردنا أن ندرس تلك التنظيمات فان الدولة العثمانية أصدرت هذه التنظيمات ارضاء لاوربا، ولا سيما انجلترا، لأنهم لم تفهم معنى هذه التنظيمات، ولا معنى تأمين الناس على أرواحهم وأموالهم واعراضهم. كأن الشريعة الاسلامية دستور الدولة العثمانية منذ تأسيسها تبيح التجاوزات والتعدي على المال والارواح والاعراض، حشالته من ذلك. ولكن كل البلاء ليس سببه الابتعاد عن الشريعة الاسلامية

---

(١) عبدالعزيز نوار: الشعوب الاسلامية، ص ١٩٥.

حتى يزول باصدار هذه التنظيمات وانما السبب في ذلك هو الاستبداد المتسلط على كل قانون وشريعة . فالتنظيمات التي منحها لم تكن شيئاً مذكوراً بجوار الحرية التي منحها القرآن ، لزوال الاستبداد والجهل الذي آل اليه سلاطين عصر الدولة الثاني الذين جهلوا تطبيقه وقوانينه (١) . وانغمسوا في الشهوات والملذات الدنيوية ونسوا بناء دولهم حتى آلت الى ماهي عليه ، لم يعتبروا بأسلافهم الاول الذين طبقوا الشريعة الاسلامية في كل اعمالهم حتى سمت الدولة ، ووصلت الى اقصى المد في عهد السلطان سليمان الأول ، فارهبت بتطبيقه أوروبا ودخل النظام تحت لواء هذه الدولة لما وجده في تسامح في تطبيق هذه النظم الاسلامية على أهل الذمة ، الذين لم يجدوه في أوروبا نفسها .

وقد جاء هذا التشريع العلماني أو الغزو الفكري الحديث نتيجة لعدد من العوامل منها وقع الفكر الغربي على الدولة العثمانية والضغط السياسي الذي كانت الدول الغربية تمارسه في علاقتها مع الاتراك العثمانيين لضعفهم والمحاولات المختلفة التي قام بها الاتراك أنفسهم لادخال الاصلاح الغربي الى مؤسسات الدولة العثمانية ، لاسيما "التنظيمات" عدا الاحوال الشخصية فقد بقي هذا النظام خاضعا لأحكام الشريعة الاسلامية (٢) . وما عداه فقد انزلق نحو العلمانية ، وخاصة بعد صدور الخط الهمايوني الذي استنبطت قوانينه من القانون الفرنسي .

والحقيقة أننا لانعرف احدا من سلاطين الدولة العثمانية الذين أصدروا " الخط الهمايوني " كان يفكر جديا في أن يصبح هو نفسه ذات يوم دستوريا ، وكان يرضى بأن يرى الدول الغربية تتدخل في شئونه الداخليـة

---

(١) روى الخالدي : الانقلاب السياسي العثماني ( ج ١ ، ص ١٧ ، مجلة

الهلل ، ١٩٠٨ م ) ، ص ٧٦ .

(٢) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ، ص ٣٥ .

فكيف كان للسلطان أن يوافق على وضع قيود تحد من سلطته ، وهو أمر يتنافى مع مركزه السامي وألقابه العديدة (١) .

ولكننا لو أمعنا النظر في معاهدة باريس سنة ١٨٥٦م / ١٢٧٣هـ لوجدنا معناها دخول الدولة العثمانية تحت مظلة كفالة الدول الأوروبية واعتسراف منها بالعجز والحاجة الى حماية الدول الأوروبية ، تحت أهم بند في المعاهدة وهو البند التاسع ، الذى يعد المسيحيين بحرية ليس لها ضوابط ، والغريب في الامر ان ممثل روسيا والنمسا هم أول من تنبه الى خطورة هذا البند ، وخشوا عواقبه اكثر من ممثلى الدولة العثمانية في المؤتمر لانهما خشيا سريان هذه الحرية القوضوية الى دولتيهما اللتين تضمن عناصر واديانا ولغات مختلفة ، لذا نرى ان ممثل النمسا يقول عقب توقيع المعاهدة : " بعد بـذل كل الانفس والاموال في هذه الحرب لم ترس المسألة الشرقية على أساس ثابت لقد أشركنا الدولة العثمانية في مجموعة الدول الأوروبية ... حسنا ولكن ماهو الفرق بين ان نقول لها : " نفذى البند التاسع من هذه المعاهدة أو نقول لها انتحرى !! " (٢) .

ان قيام القوميات داخل الدولة العثمانية ، تساندها أوربــــــــــــــــا معناه تفتتت الدولة العثمانية ، والقضاء على وحدتها من الداخل ، مستغلين الأقليات غير المسلمة داخل الدولة ، وهذا من السياسات الخطيرة التي فرضتها الدول الأوروبية في معاهدة باريس لاشارة هذه الاقليات ضد الدولة ، وهذا ما حدث بالفعل خلال تلك الفترة حين حدثت الفتنة بين الدروز والمارونية في لبنان من أملاك الدولة العثمانية ، ولاشك ان هذا البند كان لعباسة سياسية ماهرة ضد الدولة العثمانية ، الغاية منه جرها الى أزمة مخيفة حسب تعبير ممثل روسيا الذى صرح هو أيضا عقب توقيع المعاهدة قائــــــــلا :

---

(١) زين نور الدين زين: نشوء القومية العربية ، ص ٣٥ .

(٢) أورخان محمد على : حياة السلطان عبدالحميد الثاني ، ص ٣١-٣٢ .

" أعتقد أننا لم نعمل هنا إلا لتعقيد المسألة الشرقية أكثر من السابق فبينما سقنا الدولة العثمانية المتألفة من اثنين وثلاثين مليوناً إلى أزمة مخيفة حرماناً روسيا ذات الثمانين مليوناً من إمكانية الدفاع عن حدودها الجنوبية .

إن عهد وجود الحرية دون ضوابط سوف يزلزل الدولة العثمانية أمام النظام الجديد للبحر الأسود ، من هذه المعاهدة ستندفع روسيا إلى البحث الدائم عن فرصة للحرب ، وأحسب أن هذه الحرية السائبة سوف تخلق في الدولة العثمانية أسباباً طيبة لإعلان حرب جديدة عليها ، مثلاً بحجة حماية ومعاونة المسيحيين الذين سوف تأخذهم حمى الحرية " (١)

والحقيقة أن معاهدة باريس هي التي مهدت لتمزيق الدولة العثمانية بقصد الحماية لرعاياها وهو ما أشار إليه ممثل روسيا والنمسا دون أن تنتبه الدولة العثمانية نفسها، ولكن الذي حصل أن الدولة العثمانية أصبحت في حالة الدفاع عن النفس تنتظر مصيرها المحتوم لاستقلال كثير من ممتلكاتها في أوروبا وتنتظر التوزيع الملاكها في أفريقيا وفي آسيا دون أن تحرك ساكناً لضعفها وعجزها المالي والدفاعي أمام الغزو الأوروبي الحربي والفكري ، وذلك لتغلغل الامتيازات الأجنبية فوق أرضها حتى أصبحت الدول الكبرى تتصارع وتمارس سيادتها التشريعية والقضائية بكل حرية لرعاياها داخل الدولة الإسلامية العثمانية التي كانت لاتجوز هذه الدول على الاقدام لمثل هذه الأعمال في عصر الدولة الأولى إلا باذنها وفي قضايا محددة .

ولكن عقب حرب الروس والدولة العثمانية سنة ١٢٧٠-١٢٧٢/١٨٥٣-١٨٥٥م والتي انتهت بمعاهدة باريس كما مر بنا سنة ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م استطاعت فرنسا

---

(١) أورخان محمد علي : حياة السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ٣٢-٣٣ .

وبريطانيا دفع الدولة الإسلامية الى منزلق الإصلاح أو الزامها باصدار  
خط كلخانة والخط الهمايوني اللذان أخرجا الدولة عن أمولها وقواعدها  
الإسلامية كما كانت تطبقها الدولة في عصرها الأول ،حتى سقطت فـسـمـي  
الحرب العالمية الأولى .

\*\*\*

ج - التفريب : مدحت باشا وزملائه :

في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري الموافق للنصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ، انضمت اصلاحات السلطان محمود في الحصول على المال والقوة وايجاد القوات المسلحة القوية والحديثة ، وكان هـذا يدين من أتى بعده .

ولكن ما ان أصبحت الاصلاحات تسير على النمط الاوربي حتى سحبست خلفها الافكار ونظم الحكم ، واساليب الحياة الأوربية . وخاصة بعد صدور التنظيمات التي طبعت بالمبادئ الأوربية العلمانية الخاصة بحرية العقيدة وسيادة القانون ، وهذا ما رأيناه في نصوص الخط الهمايوني الذي صدر سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م (١) .

وقد قام المهتمون بالحركة الدستورية بترجمة كتب رفاعة الطهطاوي من العربية الى التركية سنة ١٢٤٧هـ / ١٨٢١م والعمل على رواجها لأن فيهما وصفا لمشاهداته في فرنسا وحديثه عن النظام البرلماني والدستور والقوانين الأوربية ، وغيرها من الافكار الضالة التي وافقت هوى نفوس بعض الشباب العثماني المتطلع الى الاصلاح (٢) وسن القوانين الوضعية .

وخلال هذه الفترة بزر على مسرح الاحداث مدحت باشا المستغرب الذي تنقل الى كل من لندن وباريس ، وبروكسل ، ودرس وشاهد هناك هذه الأنظمة والدساتير الوضعية البعيدة كل البعد عن الشريعة الاسلامية والحضارة الاسلامية (٣) ، فصمم على ايجاد دستور وضعي يسير وفق الأحكام الغربية بغية ارضاء الدول الأوربية ليلقى الدعم والتأييد منها ، ولكن السلطان عبدالمجيد وفاه الاجل في ١٧ ذى الحجة سنة ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م ، فسنت الفرمة

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٢٤ .

(٢) عبد الكريم مشهداني : العلمانية وآثارها على الأوضاع الاسلامية في

تركيا ، ص ٧٩ .

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ص ٢٢٥ .

لمدحت باشا تحقيق ما يصبو اليه (١).

ومدحت باشا هذا من تلاميذ رشيد باشا زعيم حركة الاصلاح الذي  
تولى العداة العظمى ست مرات ، ووزارة الخارجية ثلاث مرات ، حتى وفاته  
سنة ١٢٧٥ هـ / ١٨٥٨ م فواصلت تلاميذه الاصلاحات من بعده ومن أشهرهم محمد أمين  
وعالي باشا ، ومحمود باشا ، وكان مدحت باشا المذكور من أبرزهم ، حيث  
ساند الحركة الدستورية التي أنهت عصر التنظيمات (٢).

والحقيقة أن غالبية السلاطين العثمانيين كانوا مخلصين فيما قطعوه  
من عهود لرعاياهم ، ولكن بازدياد صعوبات الدولة المالية وحلول السلطان  
عبد العزيز محل السلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠ م انشغلت الأذهان خلال  
الستينيات بوسائل الحد من سلطة السلطان المطلقة ، وهي المشكلة التي  
غطت على سابقتها الخاصة بقبول أو رفض الاصلاحات المستوحاة من الغرب (٣).

تلى ذلك في سنة ١٢٧٨ هـ / ١٨٦١ م اعلان باي تونس محمد الصادق  
الدستور ، وهو أول دستور في البلاد الاسلامية حيث كانت تونس في تلك الفترة  
تابعة اسما للدولة العثمانية (٤). الا أن عبد العزيز لم يلتفت الى ذلك ،  
بل قام في مستهل اعماله بتعيين نامق باشا وزيرا للجهاد بدلا من  
رضا باشا الا أنه وجه أمره الى الصدر الأعظم آنذاك عالي باشا في متابعة  
السير في تنفيذ الاصلاحات الضرورية مع الالتزام بالامور الشرعية في النظام  
والقانون والاستقامة والاخلاق ، وحض على اعطاء الرعايا النصارى الدقة في  
في العدالة حسبما جاء في الخط الهمايوني (٥).

- 
- (١) على حسن : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٦٢ .
  - (٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٠٥-٢٠٧ .
  - (٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .
  - (٤) عبد الكريم مشهواني : العلمانية وآثارها على الاوضاع الاسلامية  
في تركيا ، ص ٧٩ .
  - (٥) على حسن : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٦٣ .  
، اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٧٠٦ .

ويفهم من هذا أنه كان يود اعطاء الرعايا النصارى أكثر من حقهم حتى يضمن عدم تدخل الدول الأوروبية (١).

وقد تمكن السلطان عبدالعزیز في السنوات الأولى من حكمه تخليص بلاده من الفاشقة المالية حيث بذل جهوده للإصلاح واحاط نفسه بوزراء أكفاء ولعلمعوبة المشاكل التي كانت تثن بها الدولة العثمانية وكثرتها وصعوبة حلها ، أوقعته في اليأس والقنوط ، والسطور التالية من مذكرات جـودت باشا تصور الوضع الاقتصادي في اسطنبول في السنوات الأولى من حكم السلطان عبدالعزیز والتي كانت من أهم العوامل التي ساعدت على تغلغل الغـزو الفكري الأوربي حيث يقول : " كانت الخزينة في وضع مالي سيء جداً ويزداد سوءاً مع مرور الوقت ، وفي أحد الأيام وقبل أن يصل فؤاد باشا إلى اسطنبول كان الذهب الذي قيمته مائة قرش بالنقود الورقية المسمومة "القائمة" قد ظفر وأصبح بثلاثمائة قرش ، وفي اليوم التالي تجاوزت الثلاثمائة قرش ثم ما ان وصلت القيمة إلى أربعمائة قرش حتى أصبحت هذه الأوراق المالية لاتساوى شيئاً ، وأصبح البقال والخباز والقصاب لا يقبلها ، بينما لم يكن في أيدي الشعب سوى هذه الأوراق المالية ، لذلك بقي الكثيرون جـاعاً ، والذين كانوا يملكون النقد اشتروا الخبز لثلاثة أيام لذا فقد نفذ الخبز ولم يجده الآخرون في السوق .

وقد حاول البعض أخذ الخبز بالقوة من أيدي الذين اشتروه بكمية كبيرة ، وظهرت بعض امارات الفوضى بسبب نهب الخبز في الطرقات ، الأمر الذي دعا الكثيرين لحمل السلاح والعتاد واستولى على اسطنبول جو من الرهبة واستولت الحيرة على الجميع " (٢) .

فقام السلطان عبدالعزیز بتعديل في الجهاز الحكومي ، حيث عزل عالي باشا سنة ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م وعين مكانه فؤاد باشا صدرا أعظم ، فقام فـؤاد

(١) على حسن : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٦٣ .

(٢) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني ، ص ٤٤-٤٥ .



باشا أولا باصلاح المالية ، اذ كانت البلاد تثن من الافلاس بسبب الديون المتراكمة من عهد السلطانين محمود الثاني ، وعبدالمجيد (١) .

ولبيان ذلك ؛ أنه عندما نشبت حرب استقلال اليونان ونهضت الدول الأوروبية اسطول الدولة العثمانية ، قامت الدولة باصدار القوائم المالية وذلك من أجل الحصول على المال لتجديد مراكبها وتقوية جيوشها فأصدرت أولا في سنة ١٢٤٦هـ : ١٨٣٠م أوراقا بمبلغ اثنين وثلاثين ألف ليرة بفائدة ربوية مقدارها ثمانية في المائة سنويا ، تسدد في ثمان سنويات وبسبب حروب الشام بين مصر والدولة العثمانية زاد العبء المالي حيث أصدر السلطان أوراقا بفائدة وامتنعت خزينة الدولة عن دفع فوائده القرض الاول ، وتوالى بعد ذلك اصدار الأوراق في كل سنة دون رصيد لها .

ولما جلس السلطان عبدالمجيد على السلطنة ، أراد سحب أوراق الفوائد واصلاح الناحية المالية ، الا أن حرب القرم وماجرته على الدولة من المصاريف الباهظة منعه عن تميم مشروعه الاصلاحى ، واضطرته الاحوال الى الاستدانة من أوروبا للقيام بأعباء الحرب المذكور ، ثم استهلكت الحرب كل القرض ، فأصدر أوراق فوائد جديدة ، واستمر الحال ايضا على هذا المنوال ، حتى ولى السلطان عبدالعزيز فؤاد باشا منصب الصدارة كما سبق ، فأقنع السلطان بضرورة ابطال أوراق الفوائد وتسوية جميع الديون ، فأصدر السلطان مرسوما سلطانيا بتاريخ ٢٦ رجب سنة ١٢٧٨ هـ الموافق ٢١ يناير سنة ١٨٦٢م لفؤاد باشا باصلاح المالية وابطال أوراق الفوائد وتسوية جميع الديون بكيفية منتظمة ، وعمل ميزانية ليرادات ومصروفات الدولة سنويا (٢) . فاقترضت الدولة ثمانية ملايين جنيهها انكليزيا ، ثم اقترضت ثمانية ملايين أخرى بواسطة البنك العثماني ، ولكثرة الديون وتراكمها صار دفع الفوائد

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٥١ .

، اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ص ٧٠٢ .

(٢) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧٠٧ .



الدول لم تساعدنا في ذلك ، بل أظهرت لها الجفاء وهددتها لو أثارنا نار الحرب (١).

لهذا انعقد في باريس مؤتمرات بهذا الخصوص من قبل الدول التي وقعت على معاهدة باريس سنة ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م كان من نتائجه أن أصدر السلطان قرارا بمنح الجزيرة بعض الامتيازات في عام ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م منها إعفاء أهلها من دفع الأموال والخدمة العسكرية ، وبذلك انتهت الثورة مؤقتا (٢).

ولكن بعد وفاة عالي باشا وفؤاد باشا ، مارس السلطان عبدالعزیز حكمه الشخصي ، وعين في منصب الصدارة العظمى شخصيات محافظة من أبرزها محمود نديم .

وعلى أثر وفاة عالي باشا سنة ١٢٨٨ هـ/١٨٧١م ظهر فريقان سياسيان عثمانيان يتصارعان حول مسألة الإصلاح ونظام الحكومة ، فهناك من كانوا يسعون إلى متابعة سياسة عالي وفؤاد كما وجد المحافظون ، وقد مس الخلاف بين هذين الفريقين كثيرا من المسائل ربما أهمها مايلي :

الفريق الأول : يسعى جاهدا إلى إنهاء حكم السلطان المطلق ، ومنح حقوق مدنية وسياسية لغير المسلمين تجعلهم مساوين للأغلبية المسلمة ، على اعتبار أن ذلك ضرورة أساسية لقيام حكومة منظمة ، والحفاظ على تمام الدولة متأثرين بالعلمانية الأوروبية .

الفريق الثاني : فقد اتجه إلى الامتناع عن القيام بأي إجراء من شأنه إضعاف سلطة العاهل وسيطرت العناصر الإسلامية ، وهما الشرطان الأساسيان للحفاظ على تماسك الدولة العثمانية (٣).

- 
- (١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٥٤٥ .
  - ، اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ص ٧١٢-٧١٣ .
  - (٢) محمد فريد بك : المصدر السابق ص ٥٤٧ .
  - ، على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ص ١٦٤ .
  - ، اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ص ٧١٣ .
  - (٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٢٨-٢٢٩ .

وحين تولى محمود نديم الصدارة العظمى وفر الفرصة لفريق المحافظين لكي يسيطر على شؤون الدولة ، ويعزز نظام الحكم المطلق والحكومة المركزية ، وانتهم السلطان عبدالعزیز الفرصة ليعيد الحكم المطلق ويؤكد خلافته كوسيلة لمساندة اتجاهاته لكسب رأى العالم الاسلامي في الدولة . واشتد سخط الفريق الأول على ممارسات السلطان السلطة المطلقة فازدياد السخط أدى الى انتشار افكار الدستور والبرلمان في الافكار التي روج لها مدحت باشا وغيره وجرت مناقشتها على صفحات الجرائد (١) .

في تلك اللحظة كان مدحت باشا واليا لبغداد ، حيث كان الصلح الأعظم محمود نديم باشا ، وكان كثير العزل والتبديل ، فنقل مدحت باشا من ولاية بغداد الى أدرنه لسوء التفاهم حول التعارض في سياستهما فمر بالسلطان في طريقه الى أدرنه وطلب مقابلة السلطان وأبدى له في هذه المقابلة الخلل وسوء الإدارة ، وعاقبة الأمور اذا تركت على هذه الصفة ، فاستحسن السلطان عبدالعزیز قول مدحت ، وأخذ به ، وعزل السلطان محمود نديم وعين مدحت باشا صدرا أعظم بدلا عنه (٢) .

لذلك استغل مدحت باشا ، صدارة الدولة ، وحاول اقناع السلطان عبدالعزیز بوضع دستور مشتق من النظم الأوروبية ، فكتب له باصلاح الوضع ، فماكان من السلطان عبدالعزیز الا أن غضب غضبا شديدا وأصدر اوامره بعزل مدحت باشا من الصدارة فورا وابعاده وتم تعيينه واليا لسلانيك (٣) .

وبعد أن عزل مدحت باشا كثر تبديل الصدور حتى بلغوا نحو العشرة في خلال سنة ونصف ثم أعيد الى الصدارة محمود نديم (٤) .

- 
- (١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٢٩
  - (٢) روجي الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني ، ص ١٧٠ ( مجلة الهلال ، ج ٣ ، ص ١٧٠ ، ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م ) ص ١٣٢-١٣٦
  - (٣) علي حسن : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٦٤-١٦٥
  - (٤) روجي الخالدي : المصدر السابق ، ص ١٣٢

أما السلطان عبدالعزيز فقد قام بإصلاحاته الداخلية أهمها: القانون  
القاضي بجواز انتقال الميرية ( أي الخراجية ) الموقوفة لورثة صاحبها  
ومنها وضع مجلة الأحكام الشرعية سنة ١٢٨٥هـ / ١٨٦٩م للعمل فيها فــــي  
المحاكم النظامية التي أنشئت (١)، وهي محاولة لجمع قانون الملكية  
وقانون الضمانات وفق المذهب الحنفي، وقام بهذا مجلس برشاســــة  
أحمد جودت باشا (٢) .

وبعد مدة قصيرة أعيد مدحت باشا الى اسطنبول وعين وزير دولة في حكومة  
السلطان ، فاتفق مع حسين عوني باشا قائد الجيش ( سرعسكر ) الدولة على خلع  
السلطان عبدالعزيز (٣) .

وكان السلطان عبدالعزيز يدرك سوء نوايا الدول الأوروبية المتحالفة  
مع الدولة في حرب القرم وما بعدها لم تكن الا لاضعافها بالتدخل فــــي  
شؤونها الداخلية ، ومساعدة مناهضة الطوائف الخاضعة للدولة على بث روح  
الفتن والفساد ، تحت اسم نشر الحرية والعلوم ، فرأى السلطان أن الأولى به  
هو الابتعاد عن الدول الأوروبية الغربية والتحالف والتقرب من الروس  
وأيده في ذلك الصدر الاعظم محمود نديم ، وقيل كثرت اجتماعات السلطان  
العثماني مع سفير روسيا في اسطنبول الجنرال اغناتيفه وقد تواتر هذا  
القول وشاع ولكن لم يثبت في أوراق رسمية بين الطرفين معاهدة هجومية  
دفاعية ، يكون من أهم بنودها ، ضم جميع بلاد المشرق التي تتبع الولايات  
الاسلامية او التي يغلب فيها العنصر الاسلامي للدولة العلية الاسلامية ، واختصاص  
جميع الاقاليم المسيحية أو التي يسود فيها العنصر المسيحي لروسيا (٤) .

---

(١) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٦٤

، محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية ، ص ٥٤٦

(٢) دائرة المعارف الاسلامية : مادة تنظيمات ، ج ٥ ، ص ٥٠٣

(٣) علي حسون: المرجع السابق ، ص ١٦٥

(٤) محمد فريد بك: المصدر السابق ، ص ٥٧٥

، علي حسون: المرجع السابق ، ص ١٦٥

ولما شاع هذا الخبر ، لجأت الدول الأوروبية خوفا على مصالحها فـ في الشرق وخاصة إنجلترا ، للدسيمة وتآليب الموقف ضد السلطان عن طريق عمالهم وسفرائهم في اسطنبول السريين وغير السريين متهمين السلطان بالتبذير والاسراف وعدم الاهلية لادارة مهام الملك . حتى اقنعوا بوسائلهم المتعددة الوزراء بوجوب عزله وان اقالته من الاعمال لواجبة . (١)

ويبدو أن هذه الدول افتعلت هذه الاشاعة ، التي لم تدون بمعاهدات مكتوبة ، لأن السلطان حينما حاول الرجوع والعمل على استقرار الدولة ، أبت عليه اوربا واتخذت من الازمة المالية عاملا جديدا ، أو سلاحا جديدا للتدخل في شئون الدولة العثمانية (٢) . لاسيما وانها قامت بتقوية الأسطول والجيش وكان هذا هو هم السلطان وشغله الشاغل بحيث أصبح أسطولاً يأتي بالمرتبة بعد الأسطول الانكليزي لذلك أقلق بريطانيا ولم يكن ينافس هذا الجيش سوى الجيش الروسي ، لذلك لابد من اضعاف هذا الجيش ، اما بدفعه الى الحرب مع روسيا لاستنفاد قوته او تدبير انقلاب للاطاحة بالسلطان ولم يكن دفعه الى الحرب ممكنا مع روسيا ، فقد اتبع السلطان سياسة حيادية واتى الى الصدارة بمحمود نديم الذي اشيع عنه انه صديق روسيا (٣) .

وعلى كل حال لما تسلم زمام الدولة حزب مدحت باشا المناصب الهامة في الدولة (٤) بدأوا في عقد الاجتماعات لعزل السلطان عبدالعزيز وكنان اركان المؤامرة هم الصدر الاعظم محمد رشدي ، وحسين عوني ناظر الحربية واحمد باشا قيصرلى ناظر البحرية ، ومدحت باشا ، وشيخ الاسلام حسن خير الله أفندي (٥) . وكان حسين عوني هو الرأس المدبر وقائد هذه الحركة ، قد اشترك

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٥٧٥-٥٧٦ .

، على حسن : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٦٥ .

(٢) محمد عبد اللطيف البحر اوى : التاريخ المعاصر وعلاقته العضوية بالازمنة الحديثة ( الدارة ع ٢ س ١١ ، ١٤٠٦ ) ص ٨٢ .

(٣) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ٧٠ .

(٤) روجي الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني ( مجلة الهلال ، ج ٣ ، ص ١٧ ،

١٣٢ هـ / ١٩٠٨ م ) ص ١٢٣ .

(٥) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٧٢٢ .

في معارك عديدة ، وأبدى بطولات فيها ، وترقى في المناصب حتى وصل الى وزير الحربية " سر عسكر " ولكنه تعرض لغضب السلطان بمكيدة من الصدر الأعظم نديم باشا سنة ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م حيث عزل من منصبه وجرد من أوسمته والقاب ونفي الى بلدة " اسبارطه " (١) ، وتم ابلاغه امر ذلك النفي في منتصف الليل ولكنه غادر العاصمة في الصباح الباكر الى منفاه وبقي هناك حوالي احدى عشر شهرا ثم مفي السلطان عنه وجعله على ولاية آيديــــن ، ثم وزيرا للبحرية (٢) . ولكن الباشا لم يعف عن السلطان وقد قرر الانتقام منه . وفي سنة ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م طلب اذنا من السلطان للذهاب الى الخارج للعلاج فأذن له السلطان . وفي باريس عقد حسين عوني بعــــث الاجتماعات السرية ، فاجتمع مع رئيس جمهورية فرنسا المارشال ( كمهون ) على انفراد وهذه الزيارة حانت خارج البروتوكول ، وكانت زيارة سرية تحت ستار العلاج ، دون أن يعلم بها سفير الدولة العثمانية في باريس .

وكان حسين عوني يحاول جاهدا ان يضمن اعتراف فرنسا بالحكومة الجديدة بعد الانقلاب ، لذلك فقد بدأ حسين عوني يلوح بمسألة " الكويونات " على الدوام لمعرفة مدى اهتمام فرنسا حول تأمين دفع أقساط الفائدة على قروضها للدولة العثمانية .

وبينما كان حسين عوني باشا يتصل في باريس سرا بالحكومة الفرنسية كان مدحت باشا يتصل سرا مع السفير الانجليزي السير ( هنري اليوت ) للتباحث معه حول خلع السلطان عبدالعزيز (٣) .

وقد اعترف السفير الانجليزي " هنري اليوت " في المقالة التي كتبها في مجلة " القرن التاسع عشر Nineteenth Century "

(١) يعني بورسه .

مذكرات مدحت باشا : تعريب يوسف كمال بك حاتاة ( الطبعة الاولى ، القاهرة ، مطبعة هندية بمصر ، ١٣٣١هـ / ١٩١٢م ) ص ١٣

(٢) مذكرات السلطان عبدالحميد : ترجمة محمد حرب عبد الحميد ، الطبعة الاولى ، الكويت ، دار الوثائق ، ١٤٠٦ / ١٩٨٦م ) ص ٢٦ .

مذكرات مدحت باشا : المصدر السابق ص ١٣ .

(٣) أورخان محمد علي : المصدر السابق ، ص ٦٨ - ٦٩ .

بدوره في التحريض على تنحية السلطان عبدالعزيز اذ يقول " لكوني قد قضيت في تركيا سنوات عديدة (١) فانني كنت أعلم ان الدولة العثمانية في حاجة الى اصلاحات كثيرة ، وكنت أعلم انه مالم يتم تشكيل مجلس يراقب السلطان ووزرائه فانه لافائدة من أى اصلاح وقد فرحت كثيرا عندما بلغتني المحاولات التي يقوم بها مدحت باشا وقد بذلت مافي وسعي لحثه وتشجيعه على ذلك " (٢) .

وعلى أية حال ، فبعد هذه الاتصالات وجد حزب اللامركزية الصدر الأعظم محمد رشدى باشا وحسين عوني ناظر الحربية واحمد باشا قيصرلي ناظر البحرية ومدحت باشا ، وشيخ الاسلام حسن خير الله افندى (٣) ، التشجيع من قبل فرنسا وانجلترا ، على تنفيذ مؤامرة خلخ السلطان عبدالعزيز الذي لوحوا بها من قبل واتهموه بالاسراف والتبذير .

ولكن قبل الشروع في تنفيذ خلخ السلطان ، أصدر شيخ الاسلام فتوى بوجوب خلعه (٤) ، ووضعها في جيبه منتظرا ساعة الصفر . وكان ولي العهد الامير مراد الخامس على علم بهذا الانقلاب ، فكان يتهيأ للجلوس على العرش (٥) ، لانتمائه الى هذا الحزب حزب اللامركزية ويميل الى اصدار الدستور .

---

(١) كان سير (هنرى البيوت ) قد عين سفيرا لبلاده في اسطنبول سنة ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م اى كان له تسع سنوات من سفارته عندما تم عزل السلطان عبدالعزيز .

- اورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني ص ٧١ .

(٢) اورخان محمد علي : المرجع لسابق ، ص ٧١ .

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٥٧٦ .

(٤) محمد فريد بك : المصدر السابق .

(٥) اورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني ، ص ٦٣-٦٤ .



ثم أناطوا إلى حسين عوني باشا ناظر البحرية بأمر خلع السلطان  
عبد العزيز ، وشيخ الاسلام وباقي الوزراء بمبايعة السلطان مراد .

ففي يوم الاثنين ١٢٩٣/٥/٦ هـ الموافق ١٨٧٦/٥/٣٠ م أخذ في تجهيز  
مراكبه لحصار السرايا السلطانية بحرا ، فاستغرب السلطان حصول هذه  
المناورات البحرية بالبحر تحت شيا بيك قصره ، من دون علمه ، فأرسل  
يستطلع الخبر ، فأجيب على سؤاله أن ما يحدث هو من دواعي الحساسة  
ومقتضياته أوجبت ذلك (١) ، ثم أخبر أحمد باشا قيصر لى الصدر الأعظم  
ومدحت باشا بسؤال السلطان فعزموا على تنفيذ الأمر اللازمة لخبث  
السلطان في مساء ذلك اليوم خوفا من أن يكون قد شعر بشيء  
من قمتهم (٢) . وبما أن الأحوال تحتم وجوب كتم المسألة عن العامة  
لذلك اتفق رشدي باشا ومدحت باشا وخير الله أفندي شيخ الاسلام أعضاء  
ولي العهد إلى الباب الهمايوني عملا بالامول القديمة لاجلاس على العرش ،  
وقبل الموعد بيومين أرسل عبد العزيز رسولا إلى عوني باشا للحضور إلى  
سرايا ( القصر ) فتنصل ببعض الأعداء ، وظن أن السلطان قد وثق علي جلية الأمر (٣)  
ومهما يكن من المواقف التي دائما ما تصاحب هذه العمليات فقد كلفوا  
رديف باشا بحصار السرايا برا بينما حاصرها أحمد باشا قيصر لي بحرا ،  
 واجتمع بعد ذلك المتآمرون بعد غروب الشمس في ذلك اليوم في ديوان  
قيادة الجيش ، وتوجه رديف باشا مع آلاف من الجند ، وأمر سليمان باشا  
رئيس المدرسة بحراسة باب السراي مع مائة من تلامذة المدرسة الحربية

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٥٧٦-٥٧٧ .

(٢) مذكرات مدحت باشا : تعريب كمال يوسف كمال بك حشاة ، ص ١٣ .

، محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٥٧٧ .

(٣) مذكرات مدحت باشا : المصدر السابق ، ص ١٣-١٤ .

على ظهور خيولهم مدججين بالسلاح (١) . ولما تم لهم حصار سرايا السلطان برا وبحرا ، أخبروا المتآمرون بذلك ، فتوجه حسين باشا في عربة السـى مقر السلطان مراد ، وأركبه معه وعاد معا الى قيادة الجيش حيث كان بانتظارهما شيخ الاسلام ، وجميع أعيان الدولة من عسكريين ومدنيين ، وطوقت السرايا فرقة من الجنود لمنع من فيها من الخروج ، شتمت بيعة السلطان مراد الخامس بالسلطنة من الحاضرين (٢) .

ودخل أيضا حسين عوني الى مقر السلطان عبدالعزيز ، وأخذه معه الى قيادة الجيش ، وأبلغه هناك أن الامة عزلته وسلم صورة فتوى الخلع فلم يصدق هذا الخبر ، الا حينما رأى القوة تحاصره وتحيط به من كل جانب فنزل مستسلما ، وأحاط به الجند (٣) ، ونقل مع عائلته الى سراي طوب قيو ، ومنه الى بيت في "اورطه كوى" في اسطنبول (٤) . وأطلقت المدافع من البر والبحر ايذانا بخلع السلطان عبدالعزيز وتتويج السلطان مراد الخامس (٥) .

ويقول السلطان عبدالحميد في مذكراته : " تولدت فكرة خلع السلطان عبدالعزيز أول ما تولدت عند حسين عوني باشا ، وسبب هذا أن السلطان نفاه من قبل الى أسبرطه . وكان المرحوم عمي وقورا ، وكان كريم الظن بكل انسان فقد عفا من رجل حقوق مثل عوني ، وبعد فترة قليلة عينه سر عسكرا .

- 
- (١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٥٧٧ .
  - ، علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٦٥ .
  - (٢) مذكرات مدحت باشا : تعريب يوسف كمال بك حناتة ، ص ١٤ .
  - ، محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٥٧٦-٥٧٧ .
  - (٣) اسماعيل سرهنگ : حقائق الاخبار عن نولا لبحار ، ج ١ ص ٧٢٢ .
  - ، علي حسون : المرجع السابق ، ص ١٦٦ .
  - (٤) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني ، ص ٧٢ .
  - (٥) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٥٨٠ .
  - ، اسماعيل سرهنگ : المصدر السابق ، ص ٧٢٢ .

وهكذا ذهب عمي ضحية خطئه هذا باشتراك مدحت باشا في عملية الخلع،  
فانتقل بذلك من مصاف رجال الحكم الى عداد الثوار. (١).

وهكذا تم الخلع دون مقاومة من الدول الأوروبية ودونما اى احتجاج  
على تلك الثورة الداخلية بل كانت مشتركة فيها اصابع الدول وخاصة انجلترا  
وفرنسا كما سبق، بل كان لدى جميع القناصل علم بهذه المؤامرة، وكان  
باتفاقهم ان لم يكن قد اشترك بعضهم فعلا في خلع السلطان (٢). ويؤكد  
ذلك ان مدحت باشا قد بعث بمذكرة مفصلة الى دول أوروبا قبل تنفيذ  
المؤامرة عدا روسيا وأعلمهم فيها بأن خلع السلطان يحتمه الشرع  
الاسلامي الذي يقضي بأن يكون رئيس الدولة مالكا لقواه العقلية. وهكذا  
باتفاق الدول الأجنبية الكبرى، أطاح المتآمرون بالسلطان لرفضه الانصياع  
لرغباتهم في سن دستور للدولة الإسلامية مستمد من النظم والأفكار الأوروبية (٢)  
بعيــــــــــــدا عن الشريعة الإسلامية.

ويذكر مدحت باشا في مذكراته، حيث يقول: " لم نقصد بخلع السلطان  
والدخول في المآزق الحرجة سوى تخليص الدولة من أزمتهما واتخاذ مسلك  
ثابت للإدارة، والدواء الوحيد لهذا الداء هو اتباع قواعد الشورى  
بتأسيس حكومة دستورية يعيش فيها افراد الأمة احرار متساوين وكانت هذه  
المسألة قد ارتسمت في فكري حين كنت واليا في (الطنونه) فكتبت قانونا  
موافقا لروح العصر، وحين وقت العمل به ولكن اعلانه كان يقضى موافقة  
أقراني على محتوياته فتباحثنا في مواده في الليالي التي قضيناها  
في السراى فقال حسين عوني باشا ان القانون الذى سنعمل به سيخالف  
هذا القانون في بعض مواده الاساسية فيجب أن نهمل ذكره في الخط الهمايوني  
الذى سننشره فاكثفينا بتنزيل مرتبات السراى السلطانية الى ٦٠ ألف

---

(١) على حسون: تاريخ الدولة العثمانية، ص ١٦٦.  
، محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية، ص ٥٨٠.  
(٢) على حسون: المرجع السابق، ص ١٦٦.

ليرا والحقنا معدن فحم (اركلي) وبقيّة المعادن والاراضي المسمّية  
بالشمالك الهمايونية بنظارة المالية وباجراء مقدمات الاصلاح، ولكن  
الاساس الذي يجب النظر اليه هو اختلال ادارة الحكومة واذا استمر الحال  
على هذا المنوال فلا يتم البرء من الداء الا بالشورى التى ينتظرها الناس  
بفروغ صبر، وقد جلس السلطان على تخت اجداده وهو عازم على تأسيس  
حكومة شورية" (١) .

ياللعجب .. هل الشورى باذخال القوانين والدساتير الوضعية .. أم  
بتطبيق النظم الاسلامية في المعاملات والعبادات .. نسى هؤلاء أسلافهم وأمجبوا  
بتطبيق الدستور المستورد ، ان الدولة العثمانية في عصرها الاول وبتطبيق  
الشريعة السمحاء وصلت الى قلب اوربا ، وارعدت فرائضها ، وطبقوا النظم  
الاسلامية في معاملة اهل الذمة ، الذين عاشوا في الدولة العثمانية والذين  
شهدوا لهم بحفظ حقوقهم وحرية معتقداتهم وقد هرب النصارى من بلدانهم  
للعيش في الدولة العثمانية للتسامح الاسلامي المفقود في بلدانهم .

ويواصل مدحت باشا قوله :

" فزاد انتشار فكرة الشورى بين الاحرار وقررنا تشكيل مجلس بعهد  
الانتهاء من حفلات الجلوس والعمل بقراراته بعد البت فيما يجب اجراؤه لاعلان  
الشورى ... وتوجه الموظفون الى مناصبهم واشتغل كل بعمله فتغلب الكبرياء  
على عبد العزيز وانتحر في يوم الاحد وهو اليوم السادس لخلعه وذلك  
انه طلب من احد خازنداراته مقراظا وقطع به شرياني ذراعيه فمات وانتشر  
خبر انتحاره بين الناس ولكنه لم يملني الخبر الا بعد زمن لاني كنت اقيم  
في مصيفي وهو بعيد عن الاستانة " (٢) .

ولكن هيئات فقد اختلغت الأقوال في الوفاة وأسبابها ، فمن قائل  
انه انتحر لعدم انتظام قواه العقلية بسبب خلعه ، فمات كمدا ، وقالوا

---

(١) مذكرات مدحت باشا: تعريب يوسف كمال بك حتاتة ص ١٦٠

(٢) مذكرات مدحت باشا: المصدر السابق ، ص ١٦٠

ان المتآمرين قضا عليه خفية خوفا من رجوعه الى الحكم والتشكيل بهم (١) .

لهذا اكتنفت وفاته شيئا من الغموض الا أن الأدلة والقرائن تثبت  
ان الانقلابيين كان لهم دور كبير في ذلك ، عندما خلعوا السلطان عبدالعزيز  
ابرقوا الى جميع وحدات الجيش في أرجاء الدولة ، يزفون اليهم الأمر  
لذلك . ولما لم يكن لدى وحدات الجيش خبر هذا الانقلاب فقد انصاعوا  
للأوامر فقد أرسلت جميعها برقيات التأييد ، ولكن رغم ورود هذه البرقيات  
الا أن بال الانقلابيين لم يكن مرتاحا فقد تأخر قائد جيش " روملي " احمد  
مختار باشا في ارسال برقية التأييد ، وكان من أنصار ومحبي السلطان ،  
وموقعه قريب من اسطنبول وجيشه في نفس الوقت من أقوى الجيوش ، ليس لدى  
المتآمرين قوة تستطيع رده لو هجم على العاصمة ، لذلك دام صمته  
ثلاثة ايام ، أقضى مضجع حسين عوني باشا ، واعوانه ، وقد خشوا أن تتكرر وقفة  
العلمدار مصطفى باشا (٢) لذلك تقرر قتل السلطان وعلان الخبر ، أن  
السلطان انتحر لكي يسدوا الطريق على أي أمل بانقاذ السلطان واعادته  
الى العرش ، اضافة الى عقد عوني باشا على السلطان (٣) .

ومما يوجب الشك أيضا انه مات مقتولا ماكتبه عبدالعزيز للسلطان  
مراد قبل وفاته بيوم واحد طالبامنه نقله من ( طوب قبوا ) وهذا ما ثبت  
ان قواه العقلية سليمة حيث قال: " بعد اتكالي على الله وجهت اتكالي  
عليك فأهنتك بجلوسك على تخت السلطنة وأبين لك حالي من الأسف على أنسى  
لم أقدر على أن أخدم الامة حسب مرادها فأمل انك أنت تبلغ هذا الارب وانك

(١) علي حسن : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٦٦ .

(٢) عندما تآمر الجيش الانكشاري بخلع السلطان سليم الثالث ونجحوا فـ  
تنحيته عن العرش عام ١٨٠٨ كان العلمدار مصطفى باشا قائدا في منطقة  
الدانوب . وعندما سمع بخلع السلطان سار بجيشه الى اسطنبول لانقاذ  
السلطان ولكن في اثناء دخوله القصر قام الانكشاريون بقتل السلطان  
وقد قضي العلمدار مصطفى باشا على اعداء السلطان سليم الثالث فعزل  
السلطان مصطفى الرابع واجلس محمود الثاني على العرش .

— اورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ٧٣ حاشية رقم (٧٦)

(٣) أورخان محمد علي : المرجع السابق ، ص ٧٢-٧٣ .

لاتنسى انى تشبثت بالوسائل الفعالة لصيانة المملكة وحفظ شرفهم  
وأوصيك ان تتذكر ان من صيرني الى هذه الحالة هم العساكر الذين سلحتهم  
أنا بيدى وحيث كان من دأبى دائما الرفق بالمظلومين وشملتهم بالمعروف  
الذى تقتضيه الانسانية أرغب اليك أن تنقذني من هذا المكان الضيق المعنى الذى صرت  
اليه ، وتعين لى محلا أكثر ملاءمة وأهنك بان الملك انتقل الى ذرية أخى  
عبد المجيد" (١) .

وهذا دحض قوى الادعاءات خصومه الذين كانوا وراء مقتله (٢) . ولكن  
زيادة في ايهام الناس بأنه قتل نفسه ، قام الوزراء باستدعاء أطباء  
القناصل في اسطنبول ايضا لتأكيد انتحاره معتقدين أن الامة لاتصدق قوتهم ،  
فعمدوا الى تقوية حجتهم بالكشف الطبى المصدق عليه من أطباء السفارات  
بما يعتبر اقرارا وتأكيدا لروايتهم (٣) .

ان رواية مدحت باشا التى رواها في مذكراته عن انتحار السلطان  
عبد العزيز وروجها حزب الاحرار ، كما سبق ، قد جانبها الصحة . كيف لمدحت  
باشا ان لا يعرف عن موت السلطان الا بعد عدة أيام والسلطان مات بعد خلعه  
بستهة أيام فقط ، كما يقول ، وبأنه في مصيفه البعيد عن اسطنبول ؟ متى  
ذهب الى المصيف ولماذا ؟ وهو أهم أعضاء رجال الانقلاب ، ومتى  
غادر اسطنبول ؟ هل يعقل غادرها بتلك السرعة ، اذا علمنا انه الرجل  
الثانى بعد حسين عوني والاشنان غايتهم واحدة خاصة وانهما تعرضا لطرد السلطان  
في يوم ما ، والأهم من ذلك أن الدولة لازالت في حاجة الى خدماته ، وكان  
يخطط مع حسين عوني وغيره لوضع الدستور . ولكن هذه التناقضات التى  
أوردها مدحت باشا تضيف دليلا آخر على ما سبق أنه مات مقتولا .

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٥٨٠-٥٨١ .

، على حسون : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٦٦ .

(٢) على حسون : المصدر السابق ، ص ١٦٦ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٥٨١ .

والجدير بالذكر أن حادثة الانقلاب التي دبرت للسلطان عبدالعزیز مهمة جدا ليس لأنها أدت إلى تغيير سلطان بل لكون ذلك أول انقلاب دبر بمساعدة الدول الأجنبية ، بحيث أصبحت الدول لم تعد تكتفي بالتدخل بجوايسها واعوانها في تدبير الفتن الداخلية في أنحاء الدولة بل زادت في هذه المرة جراتها وشملت محاولات تغيير السلاطين والذي يشد الانتباه أكثر ان هذه المحاولة نجحت بكل البساطة (١) ، وبهذه الصورة وبمساعدة رجال الدولة ، أو حزب الأحرار ، الذين كانوا يتطلعون إلى مثل هذا الحدث في الوصول إلى أهدافهم لغرض الدستور الذي كانوا يحلمون به منذ أواخر عهد السلطان عبدالعزیز . وكان أشد السفراء سرورا هو السير هنري اليوت سفير انكلترا وأكثرهم غما الجنرال اغناطييف سفير روسيا الذي كان يعارض سياسة الانجليز وكما يقال صديقا للمصدر محمود نديم الذي يعارض سياسة حزب الأحرار (٢) .

يظهر ذلك انه عندما تمت بيعه السلطان الجديد مراد الخامس بحضور الملايين من الشعب وردت التلغرافات إلى أوروبا وإلى الولايات لعلامهم بتوليته وصادى المنادون في اسطنبول معلنين جلوسه فرفعت سفن الدول الأجنبية الرايات وانارت المصابيح ولكن السفن الروسية لم ترفع راياتها الا بعد يومين .

واستاء الروس من عزل نديم باشا وزادهم خلع السلطان عبدالعزیز غما فاجاب امبراطور روسيا على تلغراف تعيين السلطان مراد بتلغراف أرسل إلى سفارة الروس في اسطنبول وآخر إلى ناظر خارجية الدولة العثمانية اظهر فيه تأسفه من جرأة قائد الجيش حسين عوني على خلع السلطان بقوة السلاح (٣) .

---

(١) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد ص ٦٣-٦٤ .

(٢) روجي الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني ص ١٠٠ ( مجلة الهلال ج ٣ ،

س ١٧ ، ١٣٢٦ / ١٩٠٨ م ) ص ١٣٣ .

(٣) مذكرات مدحت باشا : تعريب يوسف كمال بك حتاته ، ص ١٤٠ .

وهكذا كان السلطان ضحية عدم تطبيق الدستور او المشروطة التي فرضت في عهد السلطان عبد الحميد كما سيأتي في موضعه ، وقد كان هذا درسا بليغا للسلطان عبد الحميد ، لذلك عندما تولى السلطنة انشا جهازا قويا للاستخبارات ، استطاع أن يصارع الاستخبارات الأجنبية بكفاءة كبيرة وحفظ بلاده عدة سنوات من التدخل الأجنبي (١) .

لذلك رأينا التدخل السافر من الدول الأجنبية ولأول مرة في تاريخ الدولة العثمانية بتدبير خلع السلطان عبدالعزیز عن السلطنة وتعيين أخوه محمد رشاد الموافق لهواهم بدلا عنه . ومما يسترعي الانتباه ويشد الباحث هو سهولة تنفيذ هذا المخطط دون رقابة من الدولة نفسها وبمساعدة رجب ال الدولة وعلى رأسهم أخيه والذين تأثروا بالافكار الأوروبية ، وحاولوا تطبيقها في الدولة ، ولرفض السلطان المتكرر ، واصدار مجلة الاحكام العدلية جعلهم يصممون على خلعه ، لازاحته عن طريقهم لادخال الدساتير الوضعية الأوروبية ، ونفذ النظم الاسلامية في المعاملات والعبادات ، فנסوا تطبيق أسلافهم لها ، وأعجبوا بتطبيق الدستور المستورد ، والذي قادهم فيما بعد الى العلمانية عن علم أو بدون علم كما سيأتي الحديث عنه .

...

---

(١) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ٧٢٠ .



### د- المشروطة الأولى والثانية :

أشرنا فيما سبق الى المؤامرة التي أنهت حكم السلطان عبدالعزيز، وتولية السلطان مراد الخامس عرش الدولة العثمانية سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م . ولكنه لم يدم في الحكم سوى ثلاثة شهور ، لذلك يجب أن نحلل أولا شخصية هذا السلطان قبل وبعد توليه السلطة .

لقد ظهرت ملامح شخصية مراد الخامس وميوله للغرب المسيحي منذ الزيارة التي قام بها عمه السلطان عبدالعزيز عام ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م الى انجلترا حيث كان يرافقه في تلك الرحلة . ففي هذه الزيارة نرى اهتماما خاصا يوجه لولي العهد مراد ، وبخاصة من قبل ولي عهد انجلترا آنذاك الأمير (الوارد) ، اذ نرى أن صداقة حميمة تنشأ بسرعة ، وسبب ذلك هو أن ولي العهد مراد الخامس كان ميالا للغرب وحضارتهم ، وقد قيل انه أصبح ماسونيا في تلك الزيارة بالحاج من ولي عهد انجلترا الماسوني الذي كان مرتبطا بالمحفل الاسكتلندي ، ولكن الحقيقة أن مراد كان ماسونيا ، قبل مجيئه الى انجلترا بوقت طويل ، كما كان متعلقا بفكر الثورة الفرنسية<sup>(١)</sup> .

ولما كان المتآمرون على السلطان عبدالعزيز يعرفون أفكاره وميوله ، فانهم رأوا فيه خير وسيلة لتحقيق أهدافهم<sup>(٢)</sup> .

وهؤلاء هم جماعة تركيا الفتاة ، هذه الجماعة رأت أن انقاذ الدولة لا يكون الا في نظام برلماني بالمفهوم الأوربي ، فبدأت في أواخر عهد السلطان عبد المجيد حوالي سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م في تشكيل افرادها والعمل بسرية وفي الخفاء<sup>(٣)</sup> . وقد وجد أعضاء هذه الجماعة في مراد أملهم في تحقيق أهدافهم ودفع عجلة تطور في الدولة على درب أوربا ، ذلك لأنه كانت ثقافته وكل انتماءاته فكرا وسلوكا أوربية<sup>(٤)</sup> ، فاتجهت تحركاتهم الى افهام مراد

- 
- (١) مذكرات السلطان عبد الحميد : محمد حرب عبد الحميد ، ص ٥ ،  
، اورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ٧٠ ، ٧١ ، ٧٧ .  
(٢) اورخان محمد علي : المرجع السابق ، ص ٧٧ .  
(٣) مذكرات السلطان عبد الحميد : المصدر السابق ، ص ٤٠ .  
(٤) مذكرات السلطان عبد الحميد : المصدر السابق ، ص ٥٥ .  
، اورخان محمد علي : المرجع السابق ، ص ٧٧ .

بأن هذه الأحوال لا يمكن ان تعالج الا باصدار قانون أساسي يفهم السلطان بأن سلطته ليست مطلقة ، بل مشروطة بقيود وحدود يعينها ويقررها هذا القانون أو الدستور. وقد سمي الأتراك العثمانيون هذا الدستور باسم ( القانون الأساسي ) ، كما اصطالحوا على تسمية ( العهد الدستوري ) - ب ( عهد المشروطة ) (١) .

ولهذا بادرت هذه الجماعة في استمالة مراد وضمه الى صفوفهم فأصبح يعقد معهم الاجتماعات السرية علي تنفيذ هذه المشروطة ، فكان على صلة قوية بأعضاء جماعة تركيا الفتاة (٢) بل اعتبر عضوا رئيسيا بها .

وقيل ان الأمير عبد الحميد الثاني كان على علم بهذه الاجتماعات اذ حاول ملحت باشا وزملاؤه من جره الى صفوفهم ولكنهم لم ينجحوا في محاولاتهم (٣) ، الا أنني أشك في هذه الرواية ، وبدوري أتساءل : هل من المعقول أن يكون السلطان عبد الحميد الثاني يعرف شيئا عن هذه المؤامرة بل الاطاحة بعمه عن الحكم ، ويلتزم الصمت ويترك لهؤلاء الجماعة العمل بحرية تامة حتى تمكنوا من خلع السلطان عبد العزيز دون حراك ، أنني أشك في مثل هذا القول حيث أنه لا يمكن أن يعلم عبد الحميد الثاني بهذه المؤامرة ولا يبلغ عمه السلطان ليتخذ الاجراءات الكفيلة بالتخلص من هذا الحزب الفاسد ، ولكن هذا الاحتمال ضعيف جدا .

لقد كان مراد ميالا للإصلاح حسب النهج الأوربي ومحبيا للمساواة بين أفراد رعيته مقتصدا في مصرفة غير ميال للسرف (٤) ، صاحب انحرافات ومفاسد لاتؤهله أن يصبح سلطانا (٥) .

(١) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٨٤ .

(٢) مذكرات السلطان عبد الحميد : محمد حرب عبد الحميد ، ص ٥٥ .

، أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ٧٧ .

(٣) أورخان محمد علي : المرجع السابق ، ص ٧٧ .

(٤) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٥٨٤ .

، على حسن : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٦٧ ،

(٥) هيئة التحرير : عبد الحميد الثاني في أول شبابه قبل توليته الملك ،

(القاهرة ، مجلة الهلال ج ٩ ، ص ١٧ ، ١٩٠٩ م) ، ص ٥١٨ .

الا أنه في الوقت نفسه كان متصلا بالانقلابيين قبل توليه للحكم ، وأنه كان محور اهتماماتهم ، والشخص الذي انعقدت عليه آمالهم في تنفيذ الدستور ، وذلك لانه الشخص الذي انبهر بحضارة الغرب والثورة الفرنسية فأراد محاذاتهم وكان على علم بتاريخ الانقلاب ، ولكن المكلفين بتنفيذ المهمة اضطروا الى تقديم موعد الانقلاب على السلطان (١) . تم ذلك عندما أرسل السلطان عبدالعزيز قبل تنفيذ المهمة بيومين رسولا الى عوني باشا وزير الحربية الذي هو الشخصية البارزة في تنفيذ الانقلاب لصالح جمعية ( تركيا الفتاة ) ، يدعوهم الى السراى فتنصل ببعض الأعداء وطمأن السلطان قد وقف على حقيقة الأمر فأرسل الرسائل يدعوهم أركان المؤامرة فاجتمعوا سرا واتفقوا على سرعة تنفيذ المهمة لخلع السلطان (٢) ، دون ان يتم ابلاغ مراد بما استجد من أحداث (٣) .

لهذا ذهب حسين عوني باشا ليخبره بنجاح هذا الانقلاب ، وكان الوقت ليلا ، فأيقظ السلطان من نومه ، وطلب منه أن يرتدى ملابسه على عجل ، فدعمر مراد من هذا وخاف أن يكون السلطان قد أنقذ حسين باشا للايقاع به والقبض عليه . فسأله ماذا تريد؟ قال : اننا طوقنا القصر ، ولا يمكن لعمك الفرار وسيعلم بعد قليل عن خلعه ، وان مراد الخامس هو وريثه الشرعي ، فلم يطمئن مراد لهذا الجواب ، فدفع اليه حسين عوني ، فرد وقال : " اذا كنت تخشى خيانة منى فخذ هذا وطير به رأسي " فاقتنع مراد الخامس قليلا ، واستعد للخروج معه حيث استقلا قاربا بانتظارهما فتوجها بالقارب نحو مدرعة بناء على أمر حسين عوني ليبلغه أمرا كان نسيه .

فهناك تعاضم قلق مراد وطمأن أن هذه المدرعة هي سجنه الابدى ، ولكن حسين عوني عاد وأمر البحار بالتوجه نحو مقر الجيش حينئذ اطمأن قلبه (٤) .

---

(١) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني ، ص ٧٨ .

(٢) مذكرات مدحت باشا : يوسف كمال بك حتاته ، ص ١٣-١٤ .

(٣) أورخان محمد علي : المرجع السابق ، ص ٧٨ .

(٤) سليم سر كيس : كتاب سر مملكة ، ( طبع في مصر ، ١٨٩٥ م ) ج ١ ، ص ١٣٣-١٣٤ .

، اسماعيل سرهنگ : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٧٢٧ .

ولكنه عندما رأى تألب الجموع للبيعة كما سبق أن أشرنا إليه سابقا حصل له وهم اضطره الى اصدار اراده سنية قاضية بابقاء النظر، حسين عوني، ومدحت باشا وخير الله أفندي ورشدي باشا، ثلاث ليال في السراى امتثالا لارادة السلطان الجديد مراد الخامس (١).

وزاد ذلك تتابع الحوادث بعد توليه السلطة، ساعدت على زيادة ارهاق أعصابه، اذ لم يمض أيام من جلوسه على العرش حتى نعي اليه عمه السلطان عبدالعزيز. وسواء أكان مشتركا في قتل عمه أم أن جماعة الانقلاب " تركيا الفتاة " هي التي قامت بذلك دون علمه، لذلك فإن هذه الحادثة قد هزته كثيرا (٢)، خاصة وأن السلطان مراد الخامس قد تعهد لعمه السلطان عبدالعزيز أن يحسن معاملته، حين تسلم رسالته، فلما بلغه خبر موته صاح بأعلى صوته " خنتني يا حسين عوني وقد البستموني ثوب عار لا يفني الى الأبد، لأنني تعهدت له أن أحفظ حياته، فياللعار " وأوقع السلطان التهمة على حسين عوني (٣).

لذلك كان كثيرا ما يقول لمن حوله في أسف: " سيظن الناس انني أنا الذى قتلته " وكانت والدته تقول له: " انظر ماذا سيكون حالنا، انظر فقد قتلوا عمك أيضا ".

ويذكر السفير الانجليزى (السير هنرى اليوت) حيث يقول: " كان السلطان مراد رجلا وجلا وغير متزن... يشرب الخمر كثيرا... ولكنه في الأيام التي سبقت لخلع السلطان عبدالعزيز ترك نفسه تماما للشراب، لانه كان فسي رغبا كبيرا وخوف شديد من افتضاح أمر المؤامرة مما كان يعني أن رؤوسهم ستقطع لامحالة... كان منكبا على الشراب... كمن فقد رشده، وعند ما علم (بانتحار) السلطان عبدالعزيز ارتج من أعماقه وفقد عقله تماما " (٤).

- 
- (١) مذكرات مدحت باشا: يوسف كمال بك حشانة، ص ١٥٠  
، هيئة التحرير: السلطان عبدالحميد في أول شبابه ٠٠ ( مجلة الهلال ، ج ٩ ، ص ١٧ ، ١٩٠٩م ) ، ص ٥١٨  
(٢) أورخان محمد علي: السلطان عبدالحميد الثاني ٠٠، ص ٧٨  
(٣) سليم سرقيس: كتاب سر مملكة، ص ١٣٧  
(٤) أورخان محمد علي: المرجع السابق، ص ٧٨

كأنني أرى من هذا النم اتهاماً موجهاً الى شخص السلطان ——— أراد يؤكد بأنه على علم بقاتله ، والحق أنه متواطئ من اللحظة الاولى مع أهل الثورة لقلب الحكم على عمه ، ولكن بعد تنفيذها يبدو أنه ندم ندماً شديداً لمسايرة الثوار على عملهم الشنيع الذي أقدم معهم عليه مع العلم أنه هو ولي العهد ستؤول اليه السلطنة بعد وفاة عمه ، آجلاً أو عاجلاً.

وهنا أتت القصة التي تقصم ظهر الجمل ، فهزت السلطان المريب ——— هذا اذ قتل رجل الانقلاب القوى حسين عوني ووزير الخارجية رشيد باشا ومعهما آخرون برصاصات اطلقها عليهما حسن الشركسي ، شقيق زوجة السلطان عبدالعزيز الثانية (مهري) ، لأخذ ثأر السلطان عبدالعزيز منهما ، لذلك اضطرب الجيوش الى مضاعفة حراسة القصر باستقدام جنود آخرين (١).

وعلى الرغم من ابلاغه بمضاعفة عدد الحرس ، الا أنه لما سمع خبر مقتل الشركسي المذكور لناظر الخارجية والحربية المذكورين كان في هذه اللحظة يتناول الطعام فازداد اضطراباً وتغير لون وجهه فترك الطعام وقام فأغمر عليه ، وصار بعدها لا يميز بين وزير وأخضر ، وممّح ذلك فقد كان الصدر الأعظم رشدي باشا يجتهد مع بقية الوزراء ورجال البيت المال في اخفاء هذا الامر في اوله ، وقد استدعوا الاطباء لمعالجته ، واستمر في تسيير شئون الحكم الا ان امتناع السلطان عن حضوره الاحتفالات الرسمية وتقلده السيف حسب عادة سلاطين ال عثمان ، وعدم مقابلته للسفراء لتقديسهم اوراق اعتمادهم الرسمية ، ببقائهم في مراكزهم كالمعتاد لمدة شهرين كان موضع شك من السفراء مع ارتياب الاوضاع ذاع خبر مرض السلطان (٢). في الوقت الذي كان يحاول فيه مدحت باشا اعلان الدستور الوضعي بدلا من الشرع أثناء مرض السلطان مراد ، ويدرس القوانين والنظم الغربية ، ويتعلم باعوانه حتى استطاع

---

(١) سليم سرقيس : كتاب سر مملكة ، ج ١ ، ص ٥٥.

، اورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني ، ص ٧٩.

، هيئة التحرير : عبدالحميد الثاني في اول شبابه (مجلة الهلال ، ج ٩ ،

ص ١٧ ، ١٩٠٩م) ص ٥١٩-٥٢٠.

(٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٧٢٧.

اعداد هذا الدستور بشكل جاهر (١) . الا أن وطأة المرض لم تخف بل اشتدت على السلطان ، وانتشر خبره في اسطنبول وخاصة حينما كان يمشى مع حرسه في بستان القصر ، فرمي نفسه في حوض البستان ، فأنقذوه من الغرق (٢) . ولما تناقلت الصحف الأوروبية خبر مرضه حينئذ ابلغ ناظر الخارجية السفراء بالحالة ، وأخبرهم بلزوم خلعه ، ثم استدعوا الوزراء في محاولة أخيرة الدكتور ( ليد روزف ) النمساوي رئيس مستشفى (ويانه) الشهير في الأمراض النفسية ، وطلبوا منه الكشف على السلطان ، وتأمل لحالته الصحية ، وعندما وصل هذا الطبيب لازمه عدة ايام ورأى حركاته وسكناته واستعلم عن كنهية معيشته ، في ايامه الماضية ، فكتب تقريراً ذكر فيه ان مرضه هذا كان مقروناً بالخطر ، وقد بذل الجهد في معالجته فإوصى باستنشاقه نسيم البحر فصار حراسه يخرجونه في يخته الى البوغاز يومياً ، وكان المرض يزداد حتي ظهرت عليه علامات غريبة حيث كاد في احد الايام أن يلقي بنفسه من احدى نوافذ القصر ، فتشاور الوزراء في تنحيته ، ثم عرضوا الامر على أخيه عبدالحميد الثاني ، وعليه أن يستلم مقاليد الحكم فنصحهم بالتأني وعدم التسرع في الأمور ولما كانت بعض الدول تلح باحلال سلطان جديد لمتابعة اصلاحات الدولة ، فقد عين لجنة من الاطباء للنظر في حالة السلطان مراد الصحية وصلاحيته لحكم البلاد ، فقرروا جميعاً اصابته بداء عضال لا يرجى شفاؤه (٣) .

وبعد أن ذهبت جميع المحاولات في استشفاء السلطان لم يبق أمام رجال مدحت باشا مناص من خلعه (٤) . ولكن مدحت باشا وزملاؤه رأوا أن يأخذوا المواثيق على السلطان الجديد قبل مبايعته فقرروا أن يذهب مدحت باشا الى الامير عبدالحميد ، ويستطلعه عن رأيه في الاصلاح الذي كادوا تطبيقه

(١) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٦٧ .

(٢) مذكرات مدحت باشا : يوسف كمال بك حثاته ، ص ١٧ .

(٣) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٧٢٧ .

محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٨٥-٨٦ .  
هيئة التحرير : السلطان عبدالحميد الثاني في أول شبابه . (مجلة الهلال ، ج ٢٩ ، ص ١٧ ، ١٩٠٩) ص ٥٢١ .

(٤) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني . ص ٨٠ .

لولا مرض السلطان مراد ، من حيث الدستور وغيره حتى اذا خالفهم في ذلك  
عرضوه على اخيه رشاد ، الذي سبق اخذ موافقته .

فقد كانت شروط هؤلاء التي عرضوها على الأمير عبدالحميد الثاني اذا تولى  
السلطة عليه أن :

- (١) أن يعلن الدستور حالا .
  - (٢) ان لا يستشير في اعمال الدولة الا أعضاء الحكومة الرسميين .
  - (٣) أن يعين رضا بك وكمال بك سكرتيرين خصوصيين للسلطان مع سعد الله  
رئيس السكرتارية (الباشكاتب) .
- فأجاب السلطان مطالبهم بكل رضا ، ووعد بأكثر وأن يوسع النظام  
الدستوري الى أكثر مما يطلبون (١) .
- فضياء بك وكمال بك من الحريصين على اجراء أحكام القانون الاساسي  
وممن اشتغلا في تسويده وتنقيحه (٢) .

وعاد مدحت باشا بموافقة السلطان على اعلان الدستور ، فاجتمع الوزراء  
واستقر رأيهم في ١٠/٨/١٢٩٣ هـ الموافق ٣٠/٨/١٨٧٦ م ، على مبايعة السلطان  
عبدالحميد الثاني ، ثم أرسلوا بلاغا الى والدة السلطان يبلغونها فيه مع  
الأسف الشديد ما استقر عليه رأي الوكلاء والوزراء فأرسلت الى الصدر الاعظم  
كتاب اظهرت فيه قبولها فاستفتوا في ذلك شيخ الاسلام خير الله أفندي ،  
فأفتى بالجواز (٣) . " اذا جن امام المسلمين جنونا مطبقا ففات المقصود  
من الامامة فهل يصح حل الامامة من عهده ؟ الجواب يصح والله أعلم .  
(كتبه الفقير حسن خير الله) (٤) . وعلى ذلك تقرر مبايعة السلطان  
عبدالحميد الثاني (٥) ، وحضر الى سراي ( طوب قيو ) ومنها الى سراي

- 
- (١) هيئة التميز: عبدالحميد الثاني في اول شبابه ( مجلة الهلال ، ج ٩ ، ص ١٧  
١٩٠٩ م ) ص ٥٢٢ .
  - (٢) روجي الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني . ( مجلة الهلال ج ٣ ، ص ١٧ ،  
١٩٠٩ م ) ص ٣٤ .
  - (٣) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار من دول البحار ج ١ ، ص ٧٢٧-٧٢٨ .
  - (٤) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٥٨٧ .
  - (٥) اسماعيل سرهنك : المرجع السابق ، ص ٧٢٢-٧٢٨ .

بشكطاش حيث بايعه جميع من حضر من رؤساء واعيان الشعب ، كان ذلك في يوم ١٨/٨/١٢٩٣ هـ الموافق ١٨٧٦/٩/٧ م وتقلد السيف في مسجد أبي أيوب ، كما كانت تجرى مراسيم آل عثمان . وأظهر للوزراء رغبته الاكيدة في الاصلاح (١) .

وكان عبد الحميد قد قرأ نسخة القانون الاساسي ( الدستور . وقـال : " ان الدولة لاتتخلص من مشاكلها الحاضرة الا اذا عملت حكومتها به " فلمـا جلس على كرسي العرش جلس وهو مصمم على اعلانه كالسلطان مراد .

أما مواد هذا الدستور الأساسية او المهمة فقد كانت تقضي بمساواة عناصر الدولة واتخاذها تحت العلم العثماني ، واعطاء كل فرد حريته التي يبيحها له القانون وملاحظة رفع قوة الدولة والمقارنة بين دخل الحكومة ونفقاتها فكان المؤيدون لهذا ينتظرون اعلان القانون بفارغ الصبر ، اما الفريق الاخر فقد عارض صدور هذا القانون قائلين انه يمسح شخصية السلطان ويقلب الحكومة الى جمهورية لاتحكم بكتاب الله وسنة رسوله الكريم ، وكادت هـذه الخلافات ان يمتدح عنها ثورة في اسطنبول بين الطرفين لولا نقطة رجـال الحكومة (٢) .

وبما أن السلطان عبد الحميد قد وعد مدحت باشا قبل جلوسه على العرش باصدار القانون الاساسي (٣) ، الا أنه أظهر بتعيين سعيد بك كرئيس للكتاب ولبيب بك في وظيفة كاتب للقصر ، لاحاطة نفسه بالرجال المخلصين له ، لأن رجال الانقلاب لا يزالون حوله ، كما أقال القائد العام رديف باشا وعين بدلا عنه عبد الكريم باشا (٤) .

هؤلاء كانوا كلهم ضد اصدار القانون الاساسي ، لذلك عينهم في ديوان القصر السلطاني ، لتقوية مركزه مع سعيه لاستمالة الرأي العام لابطـال الدستور (٥) .

- (١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٥٨٧ .
- (٢) مذكرات مدحت باشا : يوسف كمال بك حثاته ، ص ٢٣ .
- (٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٧٠٣ .
- (٤) اورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ٩٤ .
- (٥) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٧٠٣ .



تمت هذه التعيينات بإرادة السلطان الشاب والتي أظهرت بأنـــــــه لايرضى أن يكون اسيرا او لعبقة رجال الانقلاب ، وقد ثار لهذا الصــــــدر الأعظم رشدى باشا وقدم استقالته ، ولكن السلطان رفض استقالته ودعاه لمقابلته حيث طيب خاطره .

وعندما تولى السلطان عبد الحميد السلطة كان هناك تيار قوى يطالب باعلان الدستور ، ويعتقد دعائه بان شفاء امراض الدولة العثمانية لا يتم الا عــــــن هذا الطريق وأن اعلان هذا الدستور سيكون جوابا حاسما للدول الاجنبية التي كانت تطالب وبالحاح لاصلاح الاوضاع في الدولة العثمانية .

لذلك اصدر السلطان بتشكيل لجنة برئاسة مدحت باشا تضم هذه اللجنة ثمانية وعشرين عضوا وتتألف من عشرة علماء وستة عشر مدنيا واثنين مــــــن العسكريين ، كما كانت تضم أشهر الشخصيات الداعية الى اعلان الدستور مثل نامق كمال وضياء بك وممثلين عن الاقليات غير المسلمة منهم جاميح أوهانييس وأوديان أفندى ، وقد قدمت هذه اللجنة ما يقارب من عشرين مشروعا حــــــسول الدستور كان دستور مدحت باشا أحدها (١) .

لهذا يقول السلطان عبد الحميد : " ان مدحت باشا لم ير غير فوائــــــد الحكم المشروطي في أوروبا ، ولكنه لم يدرس أسباب هذه المشروطة ولاتأثيراتها الأخرى... وأظن أن أصول المشروطة لاتصلح لكل شعب ولكل بنية قومية . كنت أظن أنها غير مفيدة ، أما الآن فانني مقتنع بضررها" .

لم يكن مدحك باشا قد درس أى قانون أساسى في أية دولة من الــــدول عندما اقترح علي ضرورة اعلان القانون الاساسي ولم يكن لهم في هذا الموضوع فكر متامل . كان أوديان أفندى استناذه الفكرى . وأديان أفندى هذا لم يكن في ذلك الوقت أفضل مشرع عندنا خاصة أنه لم يكن يعرف البلاد . وأظن أن عدم المعرفة هذه ذهبت مع مدحت باشا حتى قلعت الطائف " (٢) .

(١) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ٩٥ .

(٢) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني : محمد حرب عبد الحميد ، ص ٢٩ .

، أورخان محمد علي : المصدر السابق ، ص ٩٦ .

ويواصل السلطان القول فيقول : " في عام ١٢٩٣هـ أعد كل من ضياء باشا  
وكمال بك وعابدين لائحة القانون الاساسي كما أعد كل من كاتب سرى " سعيد باشا "  
لائحة وناظر المدارس الحربية المشير سليمان باشا لائحة اخرى وقدموا لــــي  
هذه اللوائح ، ولم يكن بين هؤلاء السادة توافق أفكار قط . كان كمال بك  
معارض المدحت باشا ، ومعارضاً مع أصدقائه لسعيد باشا ، في هذا الموضوع ، وقدم  
لي ما يقارب من عشرين عريضة ...

لكن المعارفيون للقانون الاساسي من طبقة الخواص كانوا أكثر من المؤيدين  
كان أدهم باشا وكثير من الوزراء الآخرين وأصحاب النفوذ من رجال الدولة ضد  
اعطاء حرية كاملة لشعب من الشعوب دون تأن واعداد ، حتى ان وزيراً جريئاً  
في الحق مثل خير الدين باشا التونسي قال لي ذات مرة عندما كان في الصدرة  
العظمى : " ينبغي التفكير كثيراً قبل تسليح الأجلاف بالقانون " وهو نفس  
تعبير خير الدين باشا (١) .

ويظهر من التقرير الذي أرسله الماركيز سالسبوري ( Salisbury )  
السفير البريطاني الى بلاده من خلال سير المباحثات حول الدستور الى بلاده  
قوله : " ان هناك ضغطاً شديداً من جانب المبعوثين السياسيين الاتراك ، وكذلك  
من جانب الصدر الاعظم ( مدحت باشا ) بشأن اصدار الدستور الذي وعد به السلطان  
عبد الحميد قبل جلوسه على عرش الدولة ، وكان الثوار ينتظرون الى اعلانه كضمان  
كاف لوقف المظالم السابقة وأن يعود الاصلاحات التي أهملت من قبل ســــوف  
تتحقق فعلاً بصدوره " (٢) .

لهذا يقول السلطان لم أكن استطيع الوقوف أمام تيار ذلك العهد ،  
وقلت : " مادامت الامة تريد تجربة مسؤوليتها عن مقدراتها وحكم نفسها  
فليكن ماتريده الامة " واخترت من بين لوائح القوانين الاساسية لائحة  
مدحت باشا " .

---

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني: محمد حرب عبد الحميد ، ص ٢٩-٣٠ .

(٢) (2) F.O.:424/37. The Marquis of Salisbury to the Earl of Derby, No.: (210), 1877.

ويواصل السلطان عبد الحميد حديثه عن الدستور لبيان السبب في اختيـسار  
لائحة مدحت باشا فيقول: " كنت مجبرا في البداية على تفضيل لائحة مدحت باشا  
على لوائح الآخرين ، فقد كان من الضروري أن نقدم لشعب مريض أنصح بأن اسم  
(مدحت) يساوي بحساب الجمل " دواء الأمة " الذي نقدم له الدواء الذي طلبه  
ولم أكن أستطيع أسكاته بصورة أخرى (١).

كانت لائحة مدحت باشا من مائة وأربعين بندا أحالها السلطان بدوره الى  
مجلس الوزراء (المباين) لمناقشتها ، ثم اصدر أوامره أيضا بتشكيل مجلس  
النواب ( مجلس المبعوثان) وأكد عليه تجنب ما لا يتفق أولا مع عادات وتقاليد  
الأمة وان تقدم دراسة حول هذا الموضوع الى السلطان (٢) .

وأرسل خطابا الى مدحت باشا يخبره فيه باختيار لائحته الدستورية  
ووضعها على بساط البحث بين ايدي الوكلاء لتحويلها وطلب منه سرية هـذا  
الكلام حتى مدورها (٣) .

أما مجلس الوزراء أو أعضاء الدولة فبعد دراسة مسودة الدستور رأى ادخال  
بعض التعديلات واحالها السلطان الى ثلاثة من مستشارية وهم الفريق سعيد باشا  
وسليمان باشا ، ورئيس الكتاب سعيد بك . مع اقتراحه بادخال بند جديد على  
اللائحة يعطي للسلطان صلاحية نفي المشتبه به الى خارج البلاد اذا توفرت فيه  
دلائل الاشتباه . وقد انقسم مششاروه الى فريقين: فريق يرى ادخال هـذا  
المادة ، والفريق الآخر يعارضه ، وبعد تردد أمر السلطان عبد الحميد الثاني  
على ادخال هذه المادة الى الدستور ، وقد استغل السلطان هذه المادة لتمكينه  
من نفي مدحت باشا (٤) .

---

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني : محمد حرب عبد الحميد ، ص ٣٠ .

(٢) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد ، ص ٩٦ .

(٣) مذكرات مدحت باشا : يوسف كمال بك حتاته ، ص ٩٩ .

(٤) أورخان محمد علي : المرجع السابق ، ص ٩٦-٩٧ .

وبما أن الشوار كانوا لا يرغبون من هذا الدستور أن تكون للسلطان مميزات خاصة تميزه عن بقية الأعضاء ، لأن هذا فيه مسخ لوظيفة السلطان لكن الفريق الثاني لا يريد اللامركزية ، ويؤيد سلطة السلطان بأنها أفضل من الانسياب وتسليم النظام بيد الشوار وحتى لا ينمون بذلك السلطة الشرعية والقانونية للمسلمين وينساقون خلف العادات والأنظمة الغربية .

ولعل أغرب ما حاوله مدحت باشا هو محاولة إشراك الدول الأوروبية في مسألة الدستور ، وجعلها طرفاً ضامناً بينه وبين السلطان عبد الحميد ، فقد أرسل لهذه المهمة أستاذه " أوديان افندى " الذى كان مستشاراً فى وزارة الشؤون الاجتماعية الى الدول الأوروبية في مهمة خاصة .

ويتحدث أحمد صائب عن هذه المهمة فيقول : " استطاع " أوديان افندى " لقاء وزير خارجية انكلترا اللورد " دربي " حيث ذكر له بأن القانون الأساسى الموضوع الآن فى الدولة العلية سيؤمن ويحقق أمن المسيحيين ويوفر لهم حقوقهم وأن الإدارة فى الدولة العلية لا تمنع فى وضع إدارة المشروطية بشكل معاهدة دولية وهي مستعدة لإعطاء جميع الضمانات التى تطلبها هذه الدول ، لذلك فلا داعى لآى قرار يتخذه المؤتمر بشأن " روملي " .

استمع اللورد " دربي " لحديث أوديان افندى بكل اهتمام ثم ذكر له بأنه لا يستطيع إعطاءه جواباً قطعياً ، ولكنه بعد أيام ذكر له بأن مسألة القانون الأساسى مسألة داخلية لا يمكن أن تتدخل فيها الحكومات الأوروبية (١) .

ومهما يكن فقد أتى السلطان عبد الحميد الثانى الى الحكم ، والدولة مضطربة فى تلك الفترة ، فالأوضاع فى البلقان تغلى ، فالشورات قائمة فى البوسنة والهرسك وفى الجبل الأسود وبلغاريا بتحريض من الدول الأوروبية وروسيا خاصة للمطالبة باستقلالها (٢) .

---

(١) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثانى ، ص ٩٦-٩٧ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٧٠٣ .

ونتيجة لذلك أصدر السلطان أوامره بسرعة ارسال الجنود الى ولايات  
البلقان، الصرب ، والجبل الأسود والبوسنة والهرسك لخماد ثوراتهم ، فانتصر  
العثمانيون في أغلب المواقع ، وشدّد القائد العثماني عبدالكريم نادر باشا  
الحصار على الصربيين وهزم قائدهم الروسي الجنرال جرناف ، الذي كان  
متقلدا قيادة الجيوش الصربية التي تقدمت لحرب الدولة العثمانية وذلك  
بايعاز من روسيا التي تسعى في اشارة الطوائف المسيحية على الدولة كما هي  
عادتها وعادة الدول الأوروبية الأخرى .

وانتصر العثمانيون على جيوش الصرب بقيادة لاشانين وفتحت نيشوان ،  
وتقدمت حنود الدولة الى بلغراد عاصمة الصرب ، فانهزم جموع الصربيين .

وقد أظهرت هذه الانتصارات العثمانية خوفا لأمير ميلان أمير الصرب  
فطلب في ١٢٩٣/٨/٢ هـ الموافق ١٨٧٦م من قناصل الدول الأوروبية ايقــاف  
الحرب ، والتوسط في الصلح بين الطرفين الصرب والدولة العثمانية ، وبناء على  
ذلك تدخلت الدول وطلبت من الدولة هدنة لمدة شهر لوضع شروط الصلح (١) . ووافق  
السلطان عبدالحميد الثاني على عقد هذه الهدنة بشرط منع ارسال اسلحة  
أو ذخائر أو قوات عسكرية الى ثوار البوسنة والهرسك والصرب والجبل الأسود  
في أثناء الهدنة الا أن الدول رفضت شرط السلطان . وتدخلت روسيا  
بمفردها ، وأرسلت في اليوم الخامس من أكتوبر سنة ١٨٧٦م الموافق لسنة ١٢٩٣ هـ  
انذارا الى السلطان العثماني بضرورة عقد هدنة بدون قيد أو شرط من جانب  
السلطان وان تمنح الدولة العثمانية استقلالا اداريا لبعض الولايات البلقانية  
وان تضمن الدول الأوروبية حقوق سكانها المسيحيين . فوافق السلطان على مضمـ  
أمام تهديد الروس على عقد هدنة لمدة شهرين (٢) .

وكان الباعث من قبول السلطان عبدالحميد لهذه الشروط هو رغبته  
في كسب الوقت لاستكمال استعداداته الحربية ، وحتى تصل اليه الامدادات العسكرية

---

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٧٢٨-٧٢٩ .

(٢) عبدالعزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ،

ج ٢ ، ص ١٠٦٧ .

التي طلبها من الولايات .

الا أن بريطانيا حاولت تخفيف حدة الأزمة خشية قيام حرب بين الدولتين لأن روسيا كانت مصممة على حرب الدولة العثمانية لتحقيق أطماعها التوسعية ففي الدولة تحت شعار الانتصار للشعوب المسيحية في الولايات البلقانية (١).

ولخوف بريطانيا من انفراد روسيا بالدولة العثمانية، وتحقيق أطماعها التوسعية وابتلاع الدولة، لذلك فقد أوعزت الى سفيرها في روسيا بمقابلة القيصر في روسيا لمعرفة النية الحقيقية تجاه هذه المسألة التي تنوى روسيا السير فيها . وكان جواب القيصر واضحا حيث قال: " ان على الدول الكبرى أن تعقد على الفور مؤتمرا لبحث المسألة الشرقية والقضية البلقانية وإذا لم تقدم الدول الكبرى على هذه الخطوة فان روسيا ستضطر عندئذ الى انجاز هذه المهمة وحدها " (٢) .

بعد هذه المقابلة أخذت إنجلترا على عاتقها مهمة دعوة الدول الكبرى الى مؤتمر في اسطنبول، تشترك فيه الدولة العثمانية لبحث هذه المشكلة .

ووافقت الدول على هذا الاقتراح ، الا أن روسيا أضافت مطلباً جديداً وهو وجوب عدم اكتفاء الدول بوعود الدولة بالاصلاحات ، بل يجب أن يكون هناك ضمان قوى . ولا يمكن حصول هذا الضمان الا بوجود وحدات عسكرية من هذه الدول داخل الهولة العثمانية لمراقبة مدى تطبيق هذه الاصلاحات .

ولكن هذا الشرط اعترضت عليه إنجلترا قائلة ليس هناك مبرر لمثل هذا الضمان اذ يكفي ان تعد الدولة باجراء الاصلاحات (٣) .

وتقرر عقد مؤتمر اسطنبول لاتخاذ التدابير اللازمة لتسكين التحركات في البلاد واصلاحها وكان المؤتمر يضم احد عشر مندوبا اثنين من بريطانيا وهم سفيرها السير هانري اليوت ( Elliot ) واللورد سالجوري ، واثنين

(١) عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، ج ٢ ص ١٠٦٧ .

، محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٧٠٣ - ٧٠٤

(٢) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٣) أورخان محمد علي : المرحم السابق ، ص ١٠٧ .

من كل من فرنسا وايطاليا ، والنمسا ، وواحد من هنغاريا ومن روسيا —  
واحد هو اغناتيف ، وواحد من المانيا ، واثنين من جانب الدولة العثمانية  
وهما صفوت باشا ، وأدهم باشا (١) . فعقد المؤتمر جلسته الاولى بتاريخ  
٦ ذي الحجة عام ١٢٩٣ هـ الموافق ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٧٦ م للنظر في الاصلاحات  
الواجب ادخالها لتحسين احوال المسيحيين في الدولة العثمانية والتي كانت  
اوربا تطالب بها منذ فترة طويلة (٢) . عقدت هذه الجلسة الاولى من المؤتمر  
في اليوم الذي دوت فيه اموات المدافع ايذانا باعلان القانون الاساسي . فقام  
صفوت باشا مندوب الدولة في المؤتمر وقال : " ايها السادة ان اصوات المدافع  
التي تسمعونها هي دلالة على اعلان القانون الاساسي من جلالة سلطاننا الاعظم  
وهذا القانون متكفل بالحقوق والحرية المعترف بها لجميع رعايا الدولة  
العثمانية بلا استثناء وبسبب هذه الحادثة فاعمال المؤتمر في ظني تكمن  
لافائدة منها " (٣) .

وقد علق الجنرال اغناتيف بقوله لاعضاء المؤتمر : " ان السلطان يصدر  
الارادات تلو الاخرى ولكنها تبقى حبرا على ورق وسيكون الدستور غير نافذ  
المفعول كغيره من اللوائح والقوانين الاصلاحية في الدولة العثمانية " (٤) .

وقد واصل المؤتمر اعماله باجتماع ممثلى الدول الاوربية في السفارة  
الروسية دون اشراك ممثلى الدولة العثمانية (٥) الذين انسحبوا حين صدور  
الدستور . واستمر هذا الاجتماع حوالى عشرة ايام (٦) عقد خلالها تسع

- 
- (١) روجي الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني ، (مجلة الهلال ، ج ٣ ، ص ١٧ ،  
١٩٠٨ م) ص ١٣٥ .
  - (٢) يوسف اصف : تاريخ سلاطين ال عثمان ، ج ٢ ، ص ١٥٩-١٦١ .
  - (٣) روجي الخالدي المقدسي : المصدر السابق ص ٧٣٥ .
  - (٤) روجي الخالدي المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٣٥ .
  - (٥) مذكرات مدحت باشا : يوسف كمال بك حاتاة ، ص ٢٧ .
  - (٦) وقيل عشرون يوما .
  - اسماعيل سرنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٧٣١ .
  - (٦) مذكرات مدحت باشا : المصدر السابق ، ص ٢٧ .

جلسات والباب العالي ينتظر بقلق نتائج هذا المؤتمر واخيرا قدمت هذه الدول خلاصة مباحثها (١) حول تسوية الولايات البلقانية على الشكل التالي:

- (١) يحتفظ الصرب بوضعه قبل الحرب .
- (٢) منح الجبل الاسود بعض الاراضي من الهرسك ومن البانيا .
- (٣) منح البوسنة وهرسك استقلالاً ادارياً وان يعين الباب العالي لهم حاكماً مسيحياً لمدة خمس سنوات .
- (٤) منح الاستقلال الداخلي لبلاد البلغار .
- (٥) تشكيل جيش مختلط مسلح من المسلمين والمسيحيين لحفظ امن هذه البلدان .
- (٦) ان تعدد اللغات الرسمية يعتبر لغة بجانب اللغة التركية .
- (٧) حرية انتخاب مشايخ القرى والقضاة والعسكريين وغير ذلك في اقاليم فلبه ومقدونيا العليا المجاورة للبلاد .

أما الشروط المؤقتة فهي :

- (١) تكوين لجنة مراقبة دولية من ست دول اوربية تقوم بمراقبة الاصلاحات لمدة سنة كاملة .
- (٢) وان تكون من ضمن هذه القوات قوات بلجيكية قوامها خمسة الاف جندي تتحمل مصاريفها الدولة . (٢)

(٣) تنتهي هذه الشروط المؤقتة بتنفيذ الاصلاحات المعجلة .

وفي اثناء هذه المباحثات حدث ما كان منتظرا اذ قام السلطان عبد الحميد بتقديم ختم الصدارة الى مدحت باشا الذي كثف جهوده منذ عدة اشهر حول اصدار القانون الاساسي (الدستور او المشروطة) وقطع فيه مراحل حتى وصل الى مراحل الاخيرة اذ اتم اعلانه في يوم ٦ ذي الحجة سنة ١٢٩٣ هـ الموافق ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٧٦ م (٣) ولتقف قليلا عند الحديث في الدستور لمناقشة مواد المؤتمر الذي قرر وزراؤه ابلاغ مواده للسلطان عبد الحميد الثاني

- 
- (١) أورخان محمد علي: السلطان عبد الحميد الثاني ، ١٠٨٠ .
  - (٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٧٣١ .
  - (٣) أورخان محمد علي : المرجع السابق ، ١٠٩٠ .



الذى يقول " ارسلوا انذار الى دولتنا ، فاما تنفذ ما قالوه بالحرف الواحد  
واما يدخلون الحرب معنا بالتعاون مع روسيا ضدنا " (١) .

وقد أشارت هذه الطلبات الغربية الاحساس والحماس الوطني لــــدى  
العثمانيين الذين تهيؤ اجمعيا لرفضها لان اوربا لا يمكن ان تحرمهم  
من ثمرات انتصاراتهم وفتوحاتهم ، وكيف تعاملهم كمفلوبين على أمرهم  
والأمر خلاف ذلك (٢) .

لهذا اعترف الباب العالي على بعض فقرات هذه القرارات المجففة  
ولاسيما فقرة الولاة المسيحيين ولجنة المراقبة وأرسل السلطان عبدالحميد  
لمناقشة هذا الشأن سعيد باشا سرا الى مندوب انكلترا اللورد سالسبوري  
قبل مغادرته اسطنبول حيث استطاع حذف اقتراح الجنود البلجيكيين كما تم  
الاتفاق على تعديل فقرة الولاة المسيحيين وجعلت موافقة الدول على اختيارهم  
مرة واحدة فقط (٣) .

ولكن مدحت باشا قال ان الانجليز والفرنسيين سيقومون معنا مؤيدون  
حربنا ضد روسيا ودول البلقان ويقول السلطان عبدالحميد : واذا بي فــــي  
نفس الوقت اتلقى عن طريق موظف خاص من السفارة الانجليزية رسالة من سالسبوري  
وزير الخارجية الانجليزية يقول لي فيها بمراحة انه في حالة قبولنا الحرب  
ضد روسيا فانهم لا يستطيعون تقديم أى عون لنا " (٤) .

ولكن مدحت باشا وانصاره لم يكونوا في مستوى من يدرك الخطر الكبير  
الذى يجابه الدولة العثمانية ، والجو السياسي الملتهب الحالي الذى كان  
يحتم التصرف ببعض المرونة (٥) وخاصة حين نرى أن انكلترا التى دائما تساند

(١) مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني : محمد حرب عبدالحميد ، ص ٤١ .

(٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٧٣١ .

(٣) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني ، ص ١١٢ .

(٤) مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني : المصدر السابق ، ص ٤١ .

(٥) أورخان محمد علي : المرجع السابق ، ص ١١٢-١١٣ .

الدولة العثمانية نجدها في هذه المرة تتخلى عنها في أحلك الأوقات وأقساها .

لكن جواب مدحت باشا الصدر الأعظم وانصاره كان الرفض لكل الاقتراحات المقدمة من الدول ، دون تقديم البديل ، وكانت حجتهم في ذلك انه لايسعهم قبول هذه الشروط لان ذلك خارج صلاحيتهم ، وان مجلس الشعب الذى سيجمع (بعد ان تم انتخابه) هو الذى يملك صلاحية قبول مثل هذه الاقتراحات ذلك لأن الشعب أصبح الآن هو مصدر السلطات (١) .

لهذا اعترض السلطان عبد الحميد الثاني على قرار مدحت باشا الصدر الأعظم ووزرائه الذى قرر فيه رفض اقتراح الدول الكبرى . وهذا يعنى الحرب .

ولعدم تروى مدحت باشا في هذا القرار ، فقد استدعى السلطان مدحت باشا الى القصر السلطاني في عجل لبحث هذه الامور ، لذلك طلب منه عقد مجلس عام من كبار رجال الدولة قبل اتخاذ أى اجراءء بابلاغ الدول الكبرى بقرار موبوء مثل هذا القرار ومن الباب العالي " مجلس الوزراء " (٢) فما كان من مدحت باشا ( الصدر الأعظم ) الا الانصياع لأمر السلطان ، وعقد مجلسا عاليا مؤلفا من الوزراء ورجال الدولة والمشيرين وأعيان المسلمين والمسيحيين ، وعرض عليهم لائحة المؤتمر . وتلى عليهم مطالب الدول الاوربية وأن ردها يؤدى الى الحرب ، فتشاوروا وابدئ كل منهم رأيه وقال رؤوف بك رفعت باشا ناظر خارجية سابق ، ان الحرب كداء الحمى يمكن أن نتخلص منه ، ولكن هذه الشروط كداء السل عاقبته القبر لامحالة ، فلنبس الصوف ونوقد الشمع ونحارب العدو وقال آخر من خطبة طويلة نختار الموت على الاهانة . وقال بطريق الارمن الكاثوليك يجب رفض اقتراحات المؤتمر ، واخيرا وافق المقررون برفض مقترحات المؤتمر .

(١) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ١١٣ .

(٢) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني : محمد حرب عبد الحميد ، ص ٤١-٤٢ .

ويظهر من هذا اتفاق وجهة نظر المسلمين والمسيحيين واليهود في المجلس واتحادهم على محبة الوطن والغيرة على منافعهم ، وكان أشدهم حماسا الروم والارمن من الكاثوليك حتى ان الروم عزموا على تشكيل فرقة متطوعة لمحاربة الصرب مع الحنود العثمانيين لان استقلال الامم البلقانية من الصرب والجبل الاسود والبلغار مضر بمصالح الروم لخروجهم عن الكنيسة الارثوذكسية التي هي تحت رئاسة بطريق الروم في اسطنبول ورفضهم استعمال اللغة والاداب اليونانية (١) .

ويظهر من اتفاق وجهة نظر المسلمين والمسيحيين اهمية خطر ابعاد التدخل الاجنبي وماتدعيه الاوساط الاوربية من مفتريات في حق الدولة العثمانية المسلحة يدحضها هذا الموقف من رعاية الدولة والحق ماشهد به الاعداء .

ولكن السلطان عبد الحميد يعلق على هذا الاجتماع بان مدحت باشا لم يهمل الاستعداد لاتخاذ قرار يريده هو ، فأخذ الكلمة الاولى بعده الصدر الاعظم السابق محمد رشدي ، رفيق دربه في عملية خلع عمي السلطان عبد العزيز حيث قال : " ليس لارباب الشرق الا طريق واحد وأنا أؤيد الرفض القطعي لاقتراحات هذا المؤتمر " قالها وخرج ، قصدر كما اراده مدحت باشا (٢) .

وحول مناقشاتهم عن هذا الموقف فقد كان الجواب :

" ان القانون الاساسي قد قيد حركتنا ، فاذا لم تجر الانتخابات ويجتمع المجلس (٣) فاننا لانستطيع البحث في هذا الموضوع " .

وبناء على قرار المجلس العالي اجاب السلطان في ٢ كانون سنة ١٨٧٧ م ، الموافق ١٢٩٤ هـ رفض شروط الدول ، وانفض المؤتمر وغادر مندوبو الدول وقناصلها اسطنبول ، ويعتبر هذا الامر اشارة الى قطع علاقاتها مع الدولة

(١) روجي الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني ١٩٠٠ ( مجلة الهلال ، ج ٣ ، ص ١٧ ،

١٩٠٨ م ) ص ١٣٦ .

(٢) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني : محمد حرب عبد الحميد ، ص ٤٢ .

(٣) يعني ذلك مجلس النواب ومجلس الاعيان .

العثمانية الدولية والودية (١) . كما أن هذا يعني جعل الدولة — في عزلة تامة عن بقية دول العالم مع احتمال حرب ضروس مع روسيا وحليفاتها في البلقان .

وأمام هذا الخطر المحدق دعا السلطان وزرائه الى الاجتماع في مساء اليوم نفسه وطلب منهم أثناء الاجتماع اعطاءه تقريراً كافياً عن الوضع الحالي العسكري والمالي في الدولة، وقد جاءت اجابات الاعضاء متناقضة (٢) فقائد الجيش يقول ان لديه مائتي ألف جندي تحت السلاح ، جاهزين لى غزو محتمل يأتى من جانب العدو ، وفي نفس الوقت تلقى السلطان برقية من الغازى احمد مختار باشا قائد جيش " الروملي " يفيد به بان لديه وتحسنت يده ثلاثين ألف جندي وانه لا يستطيع بقوة صغيرة مواجهة قوات العدو التسيب تبلغ مئات الألوف بناء على طلب السلطان .

لذلك استدعى السلطان الصدر الأعظم مدحت باشا وقائد الجيش على باشا الى مجلسه بالقصر واطلعهما على البرقية، فتهرب الصدر الأعظم من الموقف بانه كان لا يعرف استعدادات الجيش، وارتج على باشا قائد الجيش، وعرف السلطان انه من الجنون والمخاطرة في دخول الحرب مجازفة دون تخطيط (٣) .

ان هذه الحادثة لاشك أنها تنم عن مؤامرة دبرها مدحت باشا وأمواله لاقحام الدولة على الدخول في الحرب دون التأكد من قوتها ، واستعداد جيشها قتاليا وماليا ومعنوياً ، بما تدل على انه عميل للانجليز وماسونى لا يريد للاسلام عزة ونصر ، والا تريث في اصدار حكمه وضحى ببعض الشروط لتهدئة الاحوال ، لذلك كان اقدامه على هذا العمل يناقض ميوله للاصلاح كما يدعى .

---

(١) يوسف اصف : تاريخ سلاطين آل عثمان، ج ٢ ص ١٦١ ،

روحي الخالدي القدسي : الانقلاب لعثماني .٠٠ (مجلة الهلال ، ج ٣ ، ص ١٧ ،

١٩٠٨) ص ١٣٦ .

(٢) مذكرات السلطان عبد الحميد : محمد حرب عبد الحميد ، ص ٤٢ .

، اورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ١١٤ .

.....

وعلي أية حال فحين رفضت الدولة شروط الدول الأوروبية جعل الامير الروسي غورشاكوف يكتب الى سفراء روسيا لدى دول اوربا وذلك في ٣١ يناير سنة ١٨٧٧م الموافق ١٢٩٤ هـ يطلب رأى تلك الدول في رفض الدولة العثمانية لقرارات مؤتمر اسطنبول من اجل الخروج بموقف موحد لهذه الدول ازاى الدولة العثمانية<sup>(١)</sup>، وطلب منهم أيضا التدخل في سرعة اجراء اصلاحات في ممالك الدولة العثمانية منطقة النزاع والا اضطر القيصر وحده الى اتخاذ الاجراءات الكفيلة بذلك وحده<sup>(٢)</sup> .

وقد رد عليه صفوت باشا ناظر خارجية الدولة العثمانية بارسائل رسائل مماثلة الى سفراء الدول الأوروبية ، موضحا فيها موقف الدولة العثمانية من هذه الشروط وكذلك عدم شروعية انعقاد المؤتمر في اسطنبول لعدة جلسات كون حضور مندوب الدولة العثمانية تلك الاجتماعات ، حتى كأنه لم يعقد بطريقة رسمية الا لغرض أمور قد اتفق عليها مسبقا من قبل هذه الدول والتصديق عليها في اسطنبول فقط . وقال ان الدولة لا يمكنها ان تقبل بمثل هذه الشروط اصلا لانها تحط من قدرها . فكان موقف الدول هو تجميد جواب الروس والدولة العثمانية على السواء<sup>(٣)</sup> .

اما السلطان عبدالحميد الثاني فقد حاول الوقوف بملاية أمام جبال الدولة العثمانية الى هذه الحرب اذ كان يعلم علم اليقين ان الاوضاع الخارجية والداخلية للدولة لا تسمح لها ابدا بالحرب مع روسيا القيصرية وكان يشاركه في هذا رأى سعيد باشا ، لكن مدحت باشا خلق حواليه جوا معيناً يجعل من يعارض الحرب متقاعسا ويعد خائنا ، وقد وجه تهديدا غيـر مباشر الى السلطان عبدالحميد ، وذلك عندما اتهم سعيد باشا بالخيانة وسقوط الهممة لمعارضته للحرب ، ولم يكتف مدحت باشا بهذا بل قام بتحريض طلبية المدارس الدينية للقيام بمظاهرات صاخبة لتأييد الحرب باسم الجهاد .

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ص ٧٣٢ .  
(٢) روجي الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني ١٩٠٨ ، مجلة الهلال ، ج ٣ ، ص ١٧٠ ،

١٨٠٨ م ) ص ١٣٧ .

(٣) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٧٣٢ .

وكانت سياسة مدحت باشا وانصاره في مثل هذه الظروف القاسية متجاهلة القدرة المالية والبشرية للبلاد قائلين ان العبرة لا تكـيـون في القوه العسكرية ولا بالاستعدادات ، فكما جئنا الى الانافول ونحن اربعمائة فارس فاننا مستعدون ان نحارب الى ان يمل عددنا الى اربعمائة ايضاً . ان هذا كلام في الواقع يفتقر الى الشعور بالمسئولية امام هذا الوضع الخطير من اجل جر الدولة الى الدمار (١) .

لكن الشعب متعلق بمدحت وينتظر منه المعجزات وابعاده سيكون خطراً من الدولة ولا يمكن احراز اي نصر بتجاهل عدد جنوده واستعداداته بل يمكن عن طريقه تأكيد الهزيمة (٢) .

وخروجاً من هذا المأزق فقد صالح السلطان عبدالحميد دولة الصرب لمعالجة الموقف على حساب الدولة العثمانية ، ولضعف موقفه ، بشروط منها : خروج الجند العثماني من الصرب ، وان لاتبني الصرب قلعة جديدة ، وان يرفع العلم العثماني الى جانب العالم الصربي ولم تعقد المصالحة مع اهل الجبل الاسود لطلبهم ان تتنازل لهم الدولة عن قطعة من اراضيها (٣) .

فقرر السلطان عبدالحميد الثاني ان يقطعه ارضاً من الاراضي الواقعة بجهة ( سوترينه ) ، ولكن دولة النمسا عارضت اعطائه تلك المنطقة الزراعية ، واخيراً وضعت هذه المسألة على بساط البحث في مجلس الوكلاء (٤) .

- 
- (١) اورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني ، ص ١١٥-١١٦ .
  - (٢) مذكرات السلطان عبدالحميد : محمد حرب عبدالحميد ، ص ٤٢ .
  - (٣) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٧٣٢ .
  - (٤) مذكرات السلطان عبدالحميد : المصدر السابق ، ص ٤٢ .

وقال مدحت باشا في هذا الصدد انه بعث (اوديان افندى) مستشاره الى انجلترا لاستطلاع وجهة نظر رجال السياسة في باريس ولندن ،فالتقى بالورد (بيكونسفيلد) رئيس الوزارة والورد (دربي) ناظر الخارجية في مقابلة خاصة وكتب من هناك برقية قال فيها: "انهم متفقون على تسكين حدة روسيا لخراج الدولة العثمانية من هذا المأزق بلاخطر ،وارسل برقية اخرى قال فيها : ان الانجليز والفرنسيون يقولون بوجود مصلحة الصرب والجبل الاسود والموافقة على بعض مطالب البلغاريين ويحبذون الاحكام الدستورية ولكنهم يشيرون الى الاسراع بانفاذها "(١).

معنى ذلك ان مدحت باشا عاد الى سياسة السلطان عبدالحميد الثاني ولكن ذلك تم بعد مشاورة الانجليز ،للتخلص من غلطاته الجسيمة . اننا نرى هنا ان هذا العميل الانجليزى يلجأ الى آسياده ليلقنوه الحل الذى غاب عنه وسبقه اليه السلطان حين طلب منه عدم التسرع في دراسة شروط الدول السابقة . ولكنهم يؤكدون عليه سرعة تطبيق الدستور.

ويتضح من ذلك انه يعمل لحساب اوربا مما جعله يرفض هذه الشروط ليقود الدولة لحالة الحرب لشيء في نفسه .

بعد هذه الاعمال وما سيلحق اخذ السلطان يفكر جديا في عزل مدحت باشا ولكنه كان ينتظر الفرصة ، لتثبيت سلطته وهيمنته على الدولة لتخليص نفسه من كونه العوبة بين مدحت باشا واعوانه لعدم ملاحيته (٢).

وهذا التقرير من اليوت ( Elliot ) يؤكد ان مدحت باشا كان على اتصال بالسفارة البريطانية في اسطنبول فقد أكد لسانديسون ( Sandison ) بتقرير موثق اقر فيه مدحت باشا بان السلطان عبدالحميد الثاني قد أعطى موافقته على الاملاحات المختلفة . لذلك امل عليه سانديسون ( Sandison ) تعليمات اساسية وعد مدحت باشا بتنفيذها بنفسه . وقد كرر مدحت باشا ما كان

---

(١) مذكرات مدحت باشا: يوسف كمال بك حقائق ، ٢٩٠.

(٢) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني ، ص ١٢٠.

ينوى فعله مثلما ذكر لسانديسون ( Sandison ) تماما . فقد قال لي مدحت باشا بالرغم من ان المسيحيين قد يشغلون مناصب مثل نائبي الحكم او المحافظة في الولايات الا انه قرر في نفسه ان يشغلوا مناصب اعلى مقاما .

اما عن قانون الولايات الحالي فقد قال بالفائه ليحل محله قانون اخر يعطى للناس فرصة حقيقية للاشتراك في ادارة المقاطعات اكثر مما سبق . وان يتم انتخاب أعضاء مجالس المقاطعات عن طريق السكان الذين لهم حق الانتخاب وبالنسبة لحق الامتلاك فسوف يكون المسيحيون على قدم المساواة مع المسلمين وسوف يلغى النظام القديم .

وعن المحاكم الشرعية فقد قال عنها ان صفة المحاكم الشرعية سوف تقتصر على القضايا المتعلقة بها .

اما القضايا الاخرى فسوف تعرض على المحاكم المدنية . وهذه النقطة تعتبر في غاية الاهمية بالنسبة للمسلمين لان المحاكم الشرعية أصبحت لاتقبل ادلة المسيحيين . لذلك فان المسيحيين يأملون في تغيير هذه الأوضاع (١)

ومن هذه الوثيقة نلمس العلمانية في تصريحات مدحت باشا تفتح المجال للغزو الفكري الذي تشرب به مدحت وانصاره واخذوا في تطبيقه من خلال الدستور الذي قدمه الى السلطان عبدالحميد الثاني . بل لقد ذهب اكثر من ذلك فقد وعد الانجليز بتطبيقه واعطاهم فيه بعض البنود التي تضمن لهم الحرية في كثير من التدخل في أمور البلاد وأصبح أيضا العوبة هو نفسه في يد الانجليز يوجهونه لتدمير الأمة الاسلامية لانه هو وأنصاره قد وصلوا الى ادارة دفة الدولة ، فظن أنه سيبقى طول الدهر ، والحق أنه وصل الى ماتريد أوروبا عن طريق تطبيق الدستور الذي يستمد أنظمتها من الحياة الأوروبية .

---

F.O.: 424/39. Sir H. Elliot to The Earl of Derby , (1)  
No, 572. 20-11-1875.



ولهذا مازال مدحت باشا يعمل على طلب اجتماع مجلس المبعوثين ويحتهد في تأليفه من الأحرار والمابيين (١) ، حتى ضاق صدره لمحاولته اجتماع مجلس المبعوثين ، كيف لا يحاول وهو قد قطع على نفسه تنفيذ أوامر بريطانيا في تطبيق الدستور وإعطائهم حقوقا تنم عن ماسونيته والسلطان يحاول تأخيرها لعزله عن الصدارة . فكتب الى السلطان كتابا هذا منه :

" لم يكن غرضنا من اعلان القانون الاساسي الا قطع دابر الاستبداد وتأمين جميع الناس على حريتهم وحقوقهم حتى تنهض البلاد الى معارج الارتقاء (٢) واني لفي غاية الاحترام لشخص جلالتكم لكن بالنظر لاحكام الشرع يجب على أن لا أطيع او امركم اذا لم تكن موافقة لمنافع الأمة .. " .. ياللعجب فالسلطان سياسته معروفة وهو حكمه بالشرع ليس له مطلق الحرية ولا مطلق التمسرف بأموال الناس وحقوقهم الا حسب ماتمليه الشريعة السمحاء (٣) .

فغضب السلطان من هذه الجرأة وعزل مدحت باشا ونفاه الى ايطاليا (٤) ، وعين أدهم باشا مكانه في الصدارة . وكانت صدارته اقل من شهرين حيث عزل في ١٢٩٤/١/٢١ هـ الموافق ٥ فبراير سنة ١٨٧٧م قبل أن يرى الهيئة البرلمانية التي حاول فرضها في البلاد العثمانية (٥) .

وتشير هذه الوثيقة البريطانية حول استقالة مدحت باشا المصدر الأعظم من الوزارة بانها ظاهرة جديدة في سياسة السلطان عبدالحميد الثاني لانـه الشخص الوحيد الذي يعتمد عليه ، والذي ينظر اليه عامة الشعب على أنه قادر على حل مشاكل الدولة ، وكذلك فان اى مشروع للإصلاح يرفضه معناه لن يأخذ ثقة الشعب وسوف ينتج عنه عدم الرضا (٦) .

(١) رجال القصر السلطاني .

(٢) يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ج ٢ ، ص ١٦١ .

(٣) روجي الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني ، (مجلة الهلال ، ج ٢ ، ص ١٧ ،

١٩٠٨) ص ١٣٧ .

(٤) يوسف آصاف : المصدر السابق ، ص ١٦١ .

(٥) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٥٩٣ .

(٦) F.O: 424/39, Sir H.Elliott to The Earlal Derby ,  
No., 572. 20-11-1875.

وهنا يقول السلطان عبدالحميد الثاني مانحه : "واني لو اثنى انه لو كان مدحت باشا صدرا أعظم حكيمًا ومحكما كان ولا شك قد استمر في الصدارة حتى ختام الحرب الروسية ، وجدته ينصب من نفسه ومنذ اليوم الاول أمـرا علي ووصيا ، وكان في معاملته بعيدا عن المشروطة وأقرب الى الاستبداد " (١)

ومما عجل على عزله أنه كان يريد تنفيذ ما يريده في الحال ، مع ما كان يعلم السلطان من أن كمال بك وضياء بك ورشدي بك وآخرين من رفاقهم — يجتمعون كل مساء في قصر مدحت باشا يشربون الخمر . وذات مرة قال مدحت باشا : " ليس من الاسرة المالكة العثمانية خير يرجى ، ولم يبق الا الاتجاه نحو الجمهورية ، ترى كيف يمكن هذا ؟ ان عدة اشخاص مثلكم يفهمون المسألة الاتية : يوجد في العالم حتى الان ما يسمى بآل عثمان . ماذا يحدث لو ظهر — ما يسمى بآل مدحت ؟ " .

ويستمر السلطان في الحديث حول مدحت باشا حيث يقول : " ... كانت انجلترا دائبة على تسيير الفتن عن طريق الماسونية . وكان مدحت باشا ماسونيا ، لم يكتف باشارة ما أشار من مشاكل فهو من ناحية يريد خلـق أزمة في الرأي ، ومن ناحية أخرى يريد الرزج بالبلاد في أتون الحرب . وقد حاول سن بعض الاعمال التي لا يتصورها العقل مثل تعيين ولاية من الاقلية في ولايات الاغلبية فيها مسلمون وقبول طلبة من الاروام في المدرسة الحربية التي هي عماد الجيش . اعمال مثل هذه يمكن أن تؤدي الى تقوية الدولة من اساسها لذلك رفض السلطان التوقيع على مثل هذه القرارات " (٢)

وهذا فعلا ما وعد به سانديسون ( Sandison ) بأن المسيحيين سيشغلون مناصب مليا في الدولة وتعيين الولاة لبعض المناطق من الاقليات النصرانية وهذا ما تنبأ بها السلطان عبدالحميد وقطع دابرها (٣) .

F.O.: 424/39, Sir H. Elliot to The Earl of Derby,  
No. 572, 20-11-1875. (1)

مذكرات السلطان عبدالحميد : محمد حرب عبدالحميد ، ص ٤٣-٤٤ (٢)

Op.cit., (٣)

وقد تأثرت الدول الأوروبية وحدث فيها رد فعل فقامت الدنيا وقعدت وخاصة في إنجلترا . وكتبت الصحف هناك بأنه لا يمكن توقع شيء من إصلاح الدولة العثمانية لاقالة مدحت باشا على الإطلاق . يقول السلطان " كنت اعرف أن هذا سيحدث وكنت أتوقعه ."

وقد تعاون مدحت باشا مع الإنجليز وأيدها وكان الإنجليز يعرفون أن الإصلاحات التي يوصون بها من شأنها أن تفرق الدولة العثمانية سريعاً ، تماماً مثلما عرفنا . فعل ياترى كان مدحت باشا يعرف هذه الحقيقة ؟

إذا كانت الإصلاحات هي الأمر الذي ينقذ الدولة العثمانية فقد أحيطة الدول الكبرى علماً وكتابة بالإصلاحات المتصور قيامها ، والمعلنة في الدستور الاساسي وذلك أثناء مباحثات هذه الدول في الترسانة " على هذا كان يجب على إنجلترا وهي تنظر الى فم السفير الروسي ألا تطالبنا باستقلال بلغاريــــــــــــا واعطاء الأرض للصرب والجبل الأسود لأننا قبلنا كل ما أوصت به وبدأنا تطبيقه " (١) . أليس هذا كافياً ؟ ولكن أطماع الدول الأوروبية التوسعية هي الغاية والهدف الذي تسعى اليه هذه الدول ومن أجله قامت بإشارة الثورات والحروب . ليست المسألة مسألة إصلاح الدولة وإنما هي مصالح دول . وهذه بالطبع تتصادم مع أطماع هذه الدول وتكاد أن توشك الحرب بينهم حول أطماعهم في الدولة العثمانية .

وعلي أية حال ففي سنة ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م رأت روسيا أعداد الاجابــــــــــــة على المنشور الذي أرسلته الى الدول من قبل فاصبح الموقف لها غامض عما تنوى هذه الدول اجراؤه ، وانها اذا لم تبادر بأشغال نار الحرب قد تضيع منها الفرصة بعد أن تجشمت الخسائر في المال والرجال ، ولكي تقتطع ولايات عثمانية لحسابها ، ولاتمام الدولة العثمانية الصلح مع الصرب ، وربما تصالح قريباً الجبل الأسود فتسود السكينة ولا يعود لها وجه في المداخله ، ولا سيما عما قليل سيصبح مسيحيو الدولة راضين منها بسبب مساواتهم مع المسلمين ، بمقتضى القانون الاساسي . (٢) .

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني : محمد حرب عبد الحميد ، ص ٤٥ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٦١٩-٦٢٠ .

، اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول الحبار ، ج ١ ص ٧٣٢ .

لذلك بدأت روسيا في خلق المشاكل والازمات وتمعيدها مستهدفة الحرب مع الدولة العثمانية . وفي نفس الوقت فان روسيا تبذل جهودا دبلوماسية مكثفة لتضمن حياد الدول الأوروبية الكبرى اذا لم تتعاون معها ضد الدولة في حروبها المقبلة (١).

لذلك قرر الأمير غورشاكوف الى سفيره في لندن في ١١ مارس ١٨٧٧م / المصادف ١٢٩٤هـ اجابة نهائية تتضمن شروطه لاطلاع الحكومة البريطانية عليها فاذا صادقت على تلك الشروط فأمره أن يعرضها على باقي السفراء بلندن (٢).

وأوفد لهذه المهمة ايضا اغناطييف الى العواصم الأوروبية فزارها عاصمة عاصمة ولقي فيها كل ترحيب وحصل على تأييد حكوماتها بعدم معارضة روسيا في تدخلاتها ضد الدولة العثمانية (٣).

وفي لندن توجت جهود اغناطييف بأن صادقت بريطانيا على الشروط الروسية ثم اجتمع بقية سفراء الدول الموقعة على مؤتمر اسطنبول في ١١/٣١ ١٨٧٧م المصادف سنة ١٢٩٤م بوزارة خارجية بريطانيا ماعدا سفير الدولة العثمانية بطبيعة الحال ووقعوا بالموافقة على هذه الشروط (٤)، وصدر عن هذا المؤتمر اتفاقية عرفت باسم " بروتوكول لندن " في ٣١ مارس سنة ١٨٧٧م الموافق ١٢٩٤ هـ وهو عبارة عن ائذار من الدول الست (٥) بريطانيا وفرنسا وروسيا والمانيا وايطاليا والنمسا ضد الدولة العثمانية (٦)

---

(١) عبدالعزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفتري عليها ،

ج ٢ ص ١٠٧١ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٦١٩ - ٦٢٠ .

، اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٣٧٢ .

(٣) عبدالعزيز الشناوي : المرجع السابق ، ص ١٠٧١-١٠٧٢ .

(٤) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٦٢٠ .

، اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٧٣٢ .

(٥) عبدالعزيز الشناوي : المرجع السابق ، ص ١٠٧٢ .

(٦) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٧٣٢ .



ومنذ ما يقارب من ستمائة عام كان الحفاظ على العقيدة واللغة والقومية نتيجة طبيعية عادلة غير قابلة للإنكار والرفض فتبدلت القوة الى ضعف مما أدى الى التأخير الحمازي الذي سببه عدم التمسك بالقوانين المطروحة وعدم التمسك بالشرف الشريف الذي كان فيما سبق سببا في رقي وسعادة الدولة وشراء الوطن وحماية العدل لكافة القوانين في ذلك الوقت... (١).

هذا الدستور أعلنه السلطان عقب نفي مدحت باشا (٢) ومين احمد وفيق رئيسا لمجلس المبعوثان ، وانعقدت الجلسة الاولى تحت رئاسته فدارت فيها مناقشة وضع المذكرة الواجب تقديمها جوابا على النطق السلطاني فتحررت مسودة الجواب وصانق عليها الجميع (٣).

عند ذلك أحال السلطان الشروط التي وضعت له من الدول الأوروبية الى ناظر الخارجية العثمانية الذي قدم هذه الشروط الى مجلس المبعوثان المنعقد هناك وشرح لهم ماتحتويه هذه المذكرة وبين لهم أحوال السياسة الخارجية ، وأفهمهم بأن رفض التسليم بما جاء في تلك المذكرة معناه الحرب مع روسيا وأظهر لهم اضطراب الاحوال المالية والضائقة المالية التي تمر بها الدولة من جراء ذلك لتأمين المؤن الحربية والغذائية للجنود.

وقد اعترض أكثر أعضاء مجلس المبعوثين ورفضوا هذه الشروط ، وأظهروا الحماس والغيرة الوطنية من مسلمين ومسيحيين لقبول مثل هذه الشروط (٤).

---

(١) Osmanli Arsivi Mîlîî Esas Evrakî, Zarf. No : 313.

(٢) يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ج ٢ ، ص ١٦٣ ،  
، روجي الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني ( محلة الهلال ، ج ٣ ، ص ١٧ ،  
١٩٠٨ ) ص ١٤٠ .

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٦٢١ .

(٤) يوسف آصاف : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦٣ .

فأصدر السلطان منشورا الى سفراء الدول المشتركة في الاتفاقية لتبليغه الى دولهم بعبارة صريحة هي عدم قبول هذه الشروط أو عدم الالتزام بها اذ من المستحيل ان توافق عليها أى دولة تغار على شرفها ووجودها بين العالم السياسي (١).

وكمثال لذلك فقد قام ممثل حلب ( مانوك الارمني ) فخطب قائلاً: " ان روسيا لم تقم في أى وقت من الأوقات بحماية المسيحيين فان المسيحيين لم يقولوا بأنهم في حاجة الى مثل هذه الحماية، علما بأن مسيحي تركيا يملكون الآن حكومة تحاول تلبية مطالبهم ، انني مسيحي ارمني وأريد أن أقول باسم شعب ولايتي باننا غير محتاجين الى حماية روسيا اذ أننا مرتاحون وراضون بوضعنا ومستعدون لأن ننضح بأنفسنا وأموالنا في سبيل وطننا وسلطاننا لصد الاعتداء الروسي " (٢) . وكان اخوانه من ارمن ومن مسيحيين على مختلف مذاهبهم ويهود على شاكلته ، ومن كان على شاكلتهم من حزب الاحرار الذين تتلمذوا على أيديهم يريدون الحرب مع روسيا لأغراض دنيئة فسيأنفسهم . وقد أثبتت الاحداث التي تعاقبت صدق ذلك . وان تأييدهم لاستخدام الارمن كان من قبيل الخداع والتفليل بالدولة وقد ظهر ذلك النفاق عندما نشبت الحرب بين الدولتين روسيا والدولة العثمانية بعد حوالي شهرين من رفض هذه الشروط ، تقديم معاونة صادقة من الارمن للروس في حربهم في آسيا ، ضد الدولة ، ومع ذلك فان روسيا قد ابتلعت شرائح اقليمية من بلاد الارمن سواء من ارمنية العثمانية او ارمنية الروسية دون الالتفات الى تحريرهم (٣) .

وكان القيصر اراد ان يتفادى الحرب مع الدولة العثمانية فتنازل عن شروطه الاولى وتقدم بعرض آخر للدولة العثمانية يطلب فيه ترك قضائه

---

(١) يوسف اصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ج ٢ ص ١٦٣ .

(٢) اورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ١٢٢-١٢٣ .

(٣) عبدالعزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ،

( نيكشك ) فقط من الجبل الاسود ، الا أن هذا العرض المخفف رفض من قبل المصدر الاعظم آدهم باشا بحجة عدم اتفاقه مع الدستور ، وانقطع آخر بارقة أمل ، وكان لابد من الحرب ، وهكذا بدأت روسيا باعلان الحرب على الدولة (١) .

لهذا أمر السلطان عبد الحميد الثاني بانعقاد مجلس المبعوثان بصفة مستمرة حتى انقضاء الحرب مع روسيا لدراسة المستجدات ورفع التقارير اللازمة والمشاورات في الاوضاع الامنية والحربية . ودخلت روسيا الحروب والجانبها الجبل الاسود ثم انضمت اليها رومانيا (البغدان والانفلاق ) وقد اتخذت هذه الحرب شكلا دينيا بين الدولة العثمانية الاسلامية والمسيحية السلافية . ولذلك كانت في نظر الفريقين جهاد مقدس حياة أو موت (٢) . تمكن العثمانيون في بادئ الامر من صد هجمات الروس ، ونتيجة لقلة التجهيزات العسكرية نظرا لفراغ الخزانة من المال ، اتاح النصر للروس حتى تجاوزت جيوشهم نهر الطونة وجبال البلقان واستولوا على قارس ، وحاصروا ارضروم من جهة الاناضول (٤) فاحتشد الجيش العثماني في مدينة (بلغنة) واستحكموا في حصونها لصد الغزو الروسي وبدأ الروس حصار هذه المدينة وقد كلف الروس هذا الحصار ضحايا جسيمة لاستبسال الجنود العثمانيين وعلى راسهم القائد العظيم عثمان باشا للدفاع بشجاعة عن تلك المدينة مما جعل الروس يستعدون جنود الاحتياط لديهم لمواجهة هذه الحرب .

وبقيت هذه الحملة العثمانية في الاستحكامات ثلاثة اشهر حتى نفذ الطعام من عندهم فاضطر قائدها عثمان باشا الى الخروج والهجوم على الجيش الروسي . غير ان كثرة الجيش الروسي ارغمته على الاستسلام . فابلى عثمان وجنوده بلاءا حسنا اندهشت له اوربا تقديرا لشجاعة هذا القائد . وعلى أثر ذلك استولت الجنود الروسية على بلغنة ، ثم واصلوا تقدمهم نحو اسطنبول

- 
- (١) عابدين حمادة : تاريخ الشرق والغرب ، ص ٢٦ .
  - ، اورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ١٢٣-١٢٤ .
  - (٢) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني محمد حرب عبد الحميد ، ص ٥٥ .
  - (٣) عابدين حمادة : المرجع السابق ، ص ٢٧ .
  - (٤) عابدين حمادة : المرجع السابق ، ص ٢٧ .
- يوسف آصاف . تاريخ سلاطين آل عثمان ، ج ٢ ، ص ١٦٣ .



وكانت صربيا قد تمكنت من تنظيم نفسها، فعادت وأعلنت الحرب ثانية على الدولة العثمانية ونقضت الملع معها، ووقفت بجانب الروس (١) .

لهذا انعقد مجلس المبعوثين الدائم تحت رئاسة حسن فهمي أفندي ودارت المناقشات حول حرب الروس مع الدولة واتخاذ الحلول المناسبة ولكن كثر الجدل بشأن محاكمة المرتكبين وقطع دابر المرتشين وتحسين أحوال المحاكم ، حتى قال أحد المبعوثان ان الجنود في الولايات تنهب الأهالي وأن المحاكم ترتشي على ابطال الحق ، وغير ذلك من الفساد المنتشر في ذلك العصر (٢) .

فقد كانت هناك نغمة أخرى هي محاسبة المسؤولين عن نتائج هذه الحرب التي انتهت بالهزيمة ، فاتفق أعضاء مجلس المبعوثين على كتابة بيان يتهم فيه المجلس جميع المسؤولين من مدنيين وعسكريين ويحملهم أسباب الهزيمة وقد صيغ البيان بأسلوب يوحي أن السلطان نفسه يتحمل المسؤولية ، وبسبب الاتهامات تتكرر بين الأعضاء ، فهذا يطالب بارجاع المنفيين السياسيين بعد أن تبين للسلطان أنهم يريدون مدحت باشا ، وهذا نائب ينتقد الحكومة لأنها لم تكن تأخذ آراء النواب في أمور الحرب (٣) ، وقد نسى الجميع أن أسباب الحرب التي قامت بين الدولة وروسيا سببه مجلس المبعوثان وإصراره على الحرب عندما رفض شروط الدول .

لذلك أخذ المجلس يعطى انطبعا فوضويا وكمثل على ذلك انه عندما بدأت الدعوات القومية تظهر وتصرح عن نفسها في وسط المجلس بكل جرأة بدأ لكل عين بصيرة أن كل هذه الحركات تسعى لتفتيت الدولة العثمانية (٤) .

---

(١) عابدين حمادة : تاريخ الشرق والغرب ، ص ٢٧ .

، يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ج ٢ ص ١٦٣ .

(٢) يوسف آصاف : المرجع السابق ، ص ١٦٤ .

(٣) أورخان محد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ١٣٦ .

(٤) أورخان محمد علي : المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

وفي تلك الفترة كان الروس يتابعون زحفهم على ممتلكات الدولة حتى استولوا على أدرنة وماجاورها<sup>(١)</sup>، فخشيت بريطانيا أن تستولى الروس على اسطنبول ، لذلك نراها ترسل أسطولاً الى مضيق البوسفور لحماية الدولة ، ولكن الجنود الروس تقدموا حتى سان ستيفانو<sup>(٢)</sup>، وهناك وقفوا ولم يجرؤوا على الدخول الى العاصمة اسطنبول ، خوفاً من وقوع الحرب بينهم وبين بريطانيا<sup>(٣)</sup>.

لذلك استغل السلطان عبدالحميد الثاني وقوم الخلافات في مجلس الأعيان ووقوع الخلاف أيضاً بين الدول حول هذه الحرب واستغنى عن مشورة مجلس المبعوثين وشكل بدلا عنه في ١٠/٢/١٢٩٥ هـ الموافق ١١ فبراير سنة ١٨٧٨م مجلساً عالياً من وكلاء الدولة وأعيانها وهذا المجلس استدعى اليه خمسة أشخاص من مجلس المبعوثين وهم الرئيس ووكيله واحد مبعوثي اسطنبول وآخر يهودي للمداولة معهم في الحالة الحاضرة في أحداث الساعة ، وأصدر إرادته السنية في ١٣/٢/١٢٩٥ هـ الموافق ١٤ فبراير سنة ١٨٧٨م بتعطيل مجلس المبعوثين لا "جل غير مسمى"<sup>(٤)</sup>.

وقد قال بسمارك حول تعطيل السلطان للدستور ، عندما زار المشير على باشا ألمانيا : " لقد أحسنتم صنعا بتعطيلكم المجلس ، ذلك لأن أية دولة عندما تكون متكونة من قوميات عدة فإن ضرر النظام البرلماني فيها يكون أكثر من فائدته"<sup>(٥)</sup>.

وإذا كانت الظروف السياسية قد حتمت على السلطان قبول هذا الدستور أو المشروطية ، فإن ظروف الحرب مع روسيا أيضاً ساعدته على التخلص من هذه المشروطية بعد مرور سنتين من إعلانها ، ونفي وإبعاد البارزين من

(١) يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان، ج ٢ ص ١٦٤.

(٢) سان ستيفانو: ضاحية من ضواحي العاصمة اسطنبول في ذلك الوقت .

- عابدين حمادة : تاريخ الشرق والغرب ، ص ٣٧.

(٣) عابدين حمادة : المرجع السابق ، ص ٣٧.

(٤) يوسف آصاف : المرجع السابق ، ص ٣٧.

(٥) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني ، ص ١٣٧.

المبعوثين (١) . ونادى بالجامعة الاسلامية ، وتلك هي الحركة التي تشيـر اليها بعض الكتب بالانقلاب الحميدى (٢) .

عندما كان السلطان عبدالحميد الثاني يرى أن الحروب الصليبية ضد الدولة العثمانية دائمة ومستمرة لاتنقطع ، وهذه ماهي الا امتدادا للحروب الصليبية السابقة حتى ولو اخذت اشكالا سريـة متعددة ، لذلك كان يعمـل — بالاسلام — على توحيد العناصر المتعددة في الدولة من ترك ومرب وأكراد وغيرهم في صف واحد لكي يمكنهم الصمود أمام الغرب وتحدياته للشـرق كما كان يرى ضرورة امتداد تأثير الوحدة الاسلامية الى كل مسلمي آسـيا وكان يرى أيضا ضرورة العمل على تدعيم أواصر الاخوة الاسلامية بين كل المسلمين في العالم في الصين والهند واواسط آسيا وأفريقيا وغيرها من البلدان والقارات ، وحتى مع ايران . وفي هذا يقول : ( ان عدم وجود تفاهم مع ايران أمر جدير بالتأسف عليه ، واذا أردنا أن نفوت الفرصة على الانجليز وعلى الروس فانا نرى فائدة في وجود تقارب اسلامي في هذا الأمر ) (٣) .

هذا هو هدف السلطان عبدالحميد من الجامعة الاسلامية التي كان يري أنها هي السبيل الأفضل لتوحيد صف المسلمين قلبا وقلبا ، ضد أعداء الاسلام وخاصة السلاف التي ينادى بها الروس ومحاولة الانجليز في استغلال السدول الاسلامية وهدم أركان الاسلام ، بتصدير الأفكار الهدامة ودون ان يعرف أحد سياسة عبدالحميد وأهدافه السامية من قيام الجامعة الاسلامية ، فالغزو والفكرى سيطر على عقول الاحرار الذين يريدون دستوراً غربيا دون فهم نصوصه بـل مستوردا لا ينطبق على المسلمين .

ولهذا نرى السلطان يتخذ من خط سكة حديد الحجاز وسيلة لتنفيذ فكرة الجامعة الاسلامية ، معارضا في ذلك القومية الطورانية وغيرها من الأمور

---

(١) محمد قربان نياز ملا : السلطان عبدالحميد الثاني ، ( الطبعة الاولى ، مكة

مكتبة المنارة ، ١٤٠٨ هـ ) ص ٥٥ .

(٢) محمد عبداللطيف البحر اوى : التاريخ المعاصر وعلاقته العنصرية بالازمنة

الحديثة مجلة الدارة العدد ٢ ، السنة ١٧ ، ١٤٠٦ هـ ) ص ٨٣ .

(٣) مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني : محمد حرب عبدالحميد ، ص ٧٠ .



هذه المعاهدة مستفيدا من هذا التذمر الأوربي، وأخيرا اتفق مع بريطانيا سرا باعطائهم جزيرة قبرص مقابل ابطال معاهدة سان ستيفانو، والدفع المسلح عن شرق الاناضول ضد الروس اذا دعت الحاجة (١).

لهذا أرغمت بريطانيا روسيا باعادة النظر في معاهدة سان ستيفانو ولهذه الغاية عقد مؤتمر برلين في سنة ١٨٧٨/٥١٢٩٥م من نفس السنة ملغيا معاهدة سان ستيفانو حيث ادخل عليها بعض التعديلات ومن اهمها :

المادة (١) اصبحت بلغاريا دولة صغيرة تتمتع باستقلال داخلي تابعة للسلطان فكان لها حكومة مسيحية ومليشيا قومية .  
المادة (١٣) اقتطعت منها الروملي الشرقية والحقت بالدولة على أن تحكم بواسطة حاكم مسيحي وتتمتع بإدارة خاصة كما اقتطعت منها مقدونيا وألحقت بالدولة بدون قيد أو شرط .

المادة (٢٥) وضعت مقاطعتا البوسنة والهرسك تحت الادارة النمساوية على أن تبقىا تابعتين اسما للسلطان العثماني .  
المادة (٥٣) ايد المؤتمر مانعت عليه معاهدة سان ستيفانو من استقلال رومانيا وصربيا والجبل الاسود استقلالا تاما (٢).

أما النتائج التي ترتبت على هذا المؤتمر فقد قضى على السيطرة الروسية في البلقان، وأوقفت المطامع السلافية (٣) كما نرى ذلك في البنود التالية :  
المادة (٦٢) اوضح الباب العالي تطوعه بحفظ مبدأ الحرية الدينية وسجلت الاطراف المجتمعة هذا التصريح العفوى : بان الباب العالي لن يعوق الاختلافات الدينية بين الأشخاص في أي مكان من الدولة العثمانية في الوظائف او ممارسة المهن والصناعات المختلفة . والجميع سوف يقبلون للشهادة أمام المحاكم بدون تفرقة دينية . كما أن حرية العبادات وممارستها الخارجية مكفولة

---

(١) عابدين حماده : تاريخ الغرب والشرق ، ص ٢٩٠.

(2) Osmanli Arsivi, Yildiz, Tansnifncinsi: Muahede Nama, Numarasi, No.: 171.

(٢)

(٣) عابدين حماده : تاريخ الغرب والشرق ، ص ٢٩٠.

للجميع .. رجال الكنيسة والحجاج والرهبان من كل الجنسيات الذين ينتقلون في مناطق الدولة الاوربية او الاسيوية يتمتعون بنفس الحقوق والمميزات والحماية الرسمية المعترف بها للدبلوماسيين وقناصل الدول في تركيا العثمانية وحفظ مؤسسات رمايا الدول الدينية والجمعيات الخيرية (الماسونية وغيرها) في البلاد العثمانية وخاصة ماكان منها في الاماكن المقدسة (فلسطين)<sup>(١)</sup>. ولكن الدولة في نفس الوقت خفضت بنص هذه المعاهدة الى المساواة رسميا بين المسلمين والنصارى في كافة الحقوق والمزايا حتى الشهادة تقبل من المسيحيين والمسلم دون التقييد بنصوص الشريعة الاسلامية في هذا البند وقد قبلت الدولة تطوعا هذه الشروط .

وكان البند رقم (٦١) أشار الى تعهد الباب العالي بدون تاخير تنفيذ الاصلاحات او التحسينات التي تتطلبها المقاطعات التي يقطنها الارمن ضد الشراكسة والاكراد وسوف تخطر الدول التي ستشرف على التنفيذ على مراقبة هذا الاصلاح<sup>(٢)</sup>.

معنى هذا أن الدولة العثمانية أصبحت تحت سيطرة الدول الاوربية أو تحت مظلتها توقع على مايملى عليها .

وعلى أية حال نعود الى الغاء المشروطية الاولى من قبل السلطان عبد الحميد الثاني التي اعتبرها حزب الاحرار اهانة لهم بعد فرضها ، فأخذوا يسعون في اعادة المشروطية باقلامهم<sup>(٣)</sup> وفي ندواتهم داخل الدولة وخارجها . اذ يرون فيه أن مرور الدولة بالازمات المتكررة والمتوالية هي التي جعلت بعض العثمانيين يعتقدون ان الحل هو اقامة حكومة على النسق الاوربي وخلق نوع من التعاون بين المسلمين في الدولة لتجنب تدخل الدول الاوربية ، وهؤلاء كانوا دستوريين لاحبا في الدستور في حد ذاته ولكنهم راوا فيه خلافا لزممات الدولة الخارجية .

(1) Osmanlı Arsivi Yildiz Tansnifncinsi: Muahade Nama, (1) Numarasi, No: 171.

(2) Ibid. (2)

(3) روجي الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني .. مجلة الهلال ، ١٦ ، ص ١٧ ، ١٩١٨ م) ص ١٣ .

وترتبط هذه التطورات التاريخية في هذه الفترة بالطورانية أو القومية التركية وتركيا الفتاة<sup>(١)</sup>، التي أعادت المشروطة الثانية سنة ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م .

ولهذا الغرض فقد شكلت سنة ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م جماعة من طلبة المدرسة الطبية العسكرية في اسطنبول جمعية سرية هدفها الواضح عزل السلطان عبدالحميد الثاني .

فكان تكوين هذه الجماعة معناه تحديد البداية الحقيقية لحركة تركيا الفتاة وكان المحرك الرئيسي لهذه الحركة طالب الباني ماسوني اسمه ابراهيم تيمو أو ادهم كما كان يدعى ذلك أحيانا .

لقد قضى تيمو في هذه المدرسة بضع سنوات طالبا فتوفرت له فرصة كافية للتعرف على عدد من الطلاب الذين يفكرون على شاكلته (٢) .

ففي ٢١ مارس سنة ١٨٨٩ م المصادف سنة ١٣٠٧ هـ ناقش تيمو ثلاثة طلاب من أصدقائه وقد تعرف على آرائهم وهم اسحق سكوتي من ديار بكر وعبدالله جودت من قونية، ومحمد أمين من قوقاسية<sup>(٣)</sup> وطرح عليهم فكرة تشكيل جمعية وطنية سرية، وقد أصبح هؤلاء الطلاب الاربعة هم النواة للجمعية الاولى لتركيا الفتاة والتركات تدعى "الترقي والاتحاد" لا "الاتحاد والترقي" والذي اتخذته اسما لها واشتهرت به فيما بعد (٤) .

---

(١) محمد عبداللطيف البهراوى : التاريخ المعاصر وعلاقته بالازمنة الحديثة ( مجلة الدارة العدد (٢) السنة ١٧ ) ، ١٤٠٦ هـ ، ص ٨٣ .

(٢) أرنت ٠ رامزور : تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ م ترجمة صالح العلي ، (بيروت ، نشر فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر ، ١٩٦٠ م) ص ٤٩-٥٠ .

(٣) أرنت ٠ رامزور : المصدر السابق ، ص ٥٠ .  
الا أن يوسف اصاف : يضيف على ذلك طالب رابع اسمه "حكمت امين" من قونية .

تاريخ سلاطين ال عثمان : ص ١٦٦ .

(٤) أرنت ٠ رامزور : المصدر السابق ص ٥٠ .

وقد رفعت هذه الجمعية شعارها المطالبة بالاصلاحات الدستورية ومنها  
اعادة الدستور والعمل بالمشروطية للمساواة بين أجناس الرعية ، والحصول  
على الحرية في القول والعمل وسلامة الأرواح والأموال وتقييد سلطة السطان  
بالقوانين (١) . فانضم الى هذه الجمعية بعض تلاميذ المدارس وأرباب  
الأقلام وذلك خلال مدة وجيزة من تأسيسها أمثال شرف الدين مغمومي ، وكريتلي  
شفيق وجودت عثمان وكريم سيباطي ومكلي صبرى ، وسلانيكلي ناظم (٢) واساف  
سرويش ، وعلى رشدى ومحمد غيبريد ، وحسن زاده على ، ونحيب دارغا ، وطلعت بك  
وشطين كقوصوالي ابراهيم ، وقد كان هؤلاء المؤسسين الأوائل لهذه الجمعية . (٣)

وكان تنظيم أو بناء هيكل هذه الجمعية على طراز جمعية الكاربونارى  
الاطالية التي تشكلت في القسم الأول من القرن الثالث عشر الهجرى  
الموافق للقسم الأول من القرن التاسع عشر الميلادى ، ففي العطلة الصيفية  
للسنة التي سبقت تشكيل هذه الجمعية توقف تيمو في مدينة برنديزى عندما  
كان في طريقه الى بلاده ألبانية وزار خلال اقامته في برنديزى ونابولي محفلا  
ماسونيا برفقة أحد أصدقائه وتعلم تعليما كافيا عن دور الكابونارى في  
التاريخ الايطالى . وقد تأثر بتنظيماتها الماسونية فيما بعد ، حين قرر  
أن ينشئ في تركيا جمعية سرية تشبهها (٤) .

ويبدو أن ابراهيم تيمو قد تدرب جيدا على أيدي الماسون الايطاليين  
ولهذا اتبع الطريقة الماسونية هو وزملاؤه عند عقد اجتماعاتهم واجراء  
مراسيم قبول عضوية هذه الجمعية (٥) .

وفي هذا الصدد يؤكد المؤرخ يوسف آصاف حيث يقول : " اتخذوا في قبول  
الأعضاء وادخالهم في هذه الجمعية طرقا تشبه الطرق الماسونية وزادوا عليها

- 
- (١) يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ج ٢ ، ص ١٦٦ .
  - (٢) آرنست أرامزور : تركيا الفتاة وثورة ١٨٠٨ م ، ص ٥٠ .
  - (٣) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ٢٧١ .
  - (٤) آرنست أرامزور : المصدر السابق ، ص ٥٠ .
  - (٥) أورخان محمد علي : المصدر السابق ، ص ٢٧١ .



أسلوباً غريباً بأن يآمن الداخل كشف أمره حتى بين إخوانه أعضاء الجمعية بحيث أن العضو الواحد لا يعرف من سائر الأعضاء لو كانوا أوفوا إلا اثنين العضو الذي أدخله والعضو الذي توسط لإدخاله (١).

أما صاحب كتاب تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ فيقول : " كان أشهر الكاربانوري فيها واضحاً من حيث أن المفروض في أعضائها أن يعرف بعضهم بعضاً بأرقام كسرية، وتتكون هذه الأرقام الكسرية من ترقيم كل خلية جديدة في المنظمة، ثم بإعطاء رقم لكل عضو في تلك الجماعة فكان رقم الخلية أو الفرع هو المقام ورقم العضو البسط . ولتوضيح ذلك نقول أن العضو الخامس في الخلية السابقة كان يدخل في قائمة الجمعية برقم ( ٧/٥ ) وكان رقم إبراهيم تيمو منشئ الحركة " ١/١ " (٢) .

وقد انتشرت أفكار هذه الجمعية وسرت بين طلاب المدارس العسكرية ذلك لأن التعليم العسكري كان على اتصال بالثقافة الأوروبية . وعندما افتضح سر الجمعية عن طريق ثلاثة طلاب ، قدموا إلى القصر السلطاني تقريراً يبينون فيه نشاط هذه الجمعية سنة ١٣١٠ هـ / ١٨٩٢ م غادر بعض أعضائها البلاد إلى باريس خوفاً من أن يقبض عليهم السلطان عبد الحميد الثاني لنشاطهم المعادي للدولة ، ولاستكمال دراستهم ومنهم خليل غانم العربي المسيحي الذي أصدر في جنيف جريدة " الهلال " ثم جريدة ( تركيا الفتاة ) في باريس وأيضاً سلاويكلي ناظم ، الذي استطاع أن يكمل تحصيله في الطب بفرنسا في الوقت الذي لازل يعارض أفكار السلطان عبد الحميد الثاني (٣) . وخلال تلك الفترة ، هرب إلى فرنسا أحمد رضا بحجة زيارة معرض باريس حيث أصبح هناك من أشهر رجال الاتحاد والترقي كما سيأتي .

ومن باريس بدأ يرسل إلى السلطان عبد الحميد الثاني برسائل ينتقد فيها الأوضاع ويبدي فيها رأيه في كيفية الإصلاح ، وعندما سمع به الاتحاديون

(١) تاريخ سلاطين آل عثمان ، ج٢ ، ص ١٦٦ .

(٢) أرنست أ. رامزور: تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ م ، ص ٥٠-٥١ .

(٣) أرنست أ. رامزور: المرجع السابق ، ص ٥٠-٥٣ .

، محمود صالح منس: حركة اليقظة العربية ، (الطبعة الثانية ، ملتزم

الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٨ م / ١٤٠٠ هـ ، ص ١١٨ ، ١١٩ .

في باريس عرضوا عليه أن يمثل الجمعية في باريس فلم يتردد أحمد رضا من القبول ، وهناك تبدل اسم الجمعية الى "جمعية الاتحاد والترقي".

وبعد وصول سلائيكي ناظم الى باريس ، اتصل باحمد رضا رئيس جمعية الاتحاد والترقي ، واقترح عليه أن يكون مديرا للصحيفة التي أصبحت فيما بعد اللسان الرسمي للجمعية ، وبدأوا بالتعاون مع خليل غانم وعدد من المنفيين ، بإصدار صحيفة " مشورت " التي كانت تصدر مرتين في الشهر وكانت تطبع باللغة التركية فقط ، لأنها كانت تستهدف القراء داخل الدولة العثمانية ، غير أن أحمد رضا الحق بها ملحقا بالفرنسية .

وكانت " مشورت " الصحيفة الرسمية لجمعية الاتحاد والترقي ويذكر رامزور انه : " ٠٠٠ في كانون الاول - ديسمبر ١٨٩٥م نشرت " مشورت " مقالا بينت فيه أهداف الجمعية ، وقدمتها الى قرائها ٠٠٠ وكان عنوان المقال " منهاجنا ونمنا كمايلي :

ان لجنة الاتحاد والترقي العثمانية أنشأت في باريس صحيفة " مشورت " رغبة منها في اظهار وجودها ، نظرا لأن الطباعة مقيدة في تركيا كما هو معروف . " والملحق القرني سيجعل القراء الاجانب على اتصال دائم بميول حزب تركيا الفتاة ورغباته . . اننا نرغب العمل لا لخلق الاسرة الحاكمة التي نعتبرها ضرورية لحفظ النظام السليم . ولكن لنشر فكرة التقدم التي نريد لها نصرا سليما . ولما كان شعارنا هو " النظام والترقي " فاننا نطالب بالاملاحات ولانقصرها على هذه الولاية او تلك ، بل نطلبها للامبراطورية ، كافة ، لا لمصلحة قومية واحدة ، بل لمصلحة العثمانيين كافة سواء كانوا يهودا أو نصارى أو مسلمين . اننا نريد أن نتقدم في مضممار المدنية ، ولكننا نعلم بعزم اننا لانريد أن نتقدم الا بالطريق الذي فيه تدعم العنصر العثماني واحترام ظروف وجوده الخاصة .

اننا مصممون على رعاية امالة حضارتنا الشرقية ، ولهذا السبب لاناخذ من الغرب الا النتائج العامة لتطوره العلمي والاشياء التي يمكن هضمها

حقا وهي ضرورية لتوجيه الشعب في سرية نحو الحرية ... " (١)

ويواصل رامزور حديثه عن أهداف هذه الجمعية حيث يقول : " اننا نعارض اخلال التدخل المباشر للدول الغربية محل السلطنة العثمانية وهذا ليس ناجما عن التعصب لان المسألة الدينية عندنا امر خاص ، ولكن من منبعث من العاطفة المشروعة للكرامة المدنية والقومية " .

ومن الواضح ان هذا المنهج هو عمل احمد رضا رئيس جمعية الاتحاد والترقي لاتفاقه مع انصاره على نقطة واحدة وهي التتريك والاخذ عن أوربا وقد ظلت هذه النغمة هي الاساس الذي تتخلل منهج أعضاء تركية الفتاة المتأخرين ، رغم الاراء المعارضة لها في بعض الاحزاب الاسلامية كما سيأتي الحديث عنه ، ففي هذه اللحظة كانت الجمعية تدبر انقلابا في اسطنبول (٢) لابرار مهمتها الى حيز العمل عندما اخذت تنتشر بسرية الامر الذي كان يثير الدولة وخاصة عندما قررت خلع السلطان عبدالحميد واعادة السلطان مراد أو ولي العهد مكانه ( محمد رشاد ) واسندوا تنفيذ هذه المهمة الى ( علي كاظم باشا ) قائد الفيلق الاول في اسطنبول . وعندما كانوا يتحفظون للعمل لتنفيذ المؤامرة اذ قدم نجيب باشا سفير تركيا في مدريد سابقا واعترض على ذلك لان القوة التي كانت تحت يده كاظم باشا غير كافية لتنفيذ هذه المهمة ، فاخروا تنفيذ هذا القرار الى وقت لاحق ، هذا التأخير أفسد العمل كله وحدث لأجل ذلك فجوة بين أعضاء الجمعية حتى أن نادر بك سكرتير الجمعية المركزية في اسطنبول اعترض على التأخير بصوت جهورى قائلا : " يا صديقي اني آسف لعناك لان التأجيل الى الغد يفرنا ويبل للذين لا يكونون معنا " ووقعت كلماته في أذن احد رجال السلطان فوشى به الى المابين فساقتوه الى السلطان وبعد التحقيق اعترف بأسماء كثيرين من الاعضاء فأرسل السلطان قواته للقبض على عدد من الأعضاء للجمعية (٣) ، الأصليين للجمعية بما فيهم

(١) أرست آ. رامزور: تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ م، ص ٥٦-٥٧.

، يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ج ٢ ، ص ١٦٧.

(٢) أرست آ. رامزور : المصدر السابق ، ص ٥٧-٥٨.

(٣) روجي الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني (٥٠ محلة الهلال ، ج ١ ، ص ١٧ ،

١٩٠٨ م) ص ١٩-٢٠.

، يوسف آصاف : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٦٧.

عبدالله جودت واسحاق سكوتي وشرف الدين مغمومي وكريم سيباطي .  
ثم نفوا . كما تم القبض على وتشوكسولا وأحمد بك وهو مدرس في المدرسة  
الحربية ، فنفيها الى رودوس غير أنها استطاعا ان يطلا الى باريس . واما  
عبدالله جودت فقد أرسل الى طرابلس الغرب فاستطاع ان يعبر الحدود الى  
تونس ثم انتهى به المطاف الى باريس في صيف سنة ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م .

أما ابراهيم تيمو فقد خرج من البلاد قبل أن يقبض عليه ، وذهب الى  
رومانية حيث نظم فرعا للجمعية ونشر صحيفة لتركيا الفتاة (١)

ومن الملاحظ أن السلطان عبدالحميد في كل مرة تراه يقبض على رجال  
الاتحاد والترقي يخفف عنهم الحكم ، اما بالنفي أو بالسجن لفترة ثم يطلق  
سراحهم . ياللعجب . يريدون قلب حكومته وهو يعاملهم باللين وفي هذه  
المرة نراه يكتفي بنفي هؤلاء الذين ارادوا خلعه الى خارج البلاد !

ولقد قال السلطان عبدالحميد في الثاني ذات مرة : " انهم يدفعونني  
لكي أسلك الشدة والعنف ولكنني لا أستطيع ذلك لأنني لا أملك نفس المـزاج  
العنيف الذي كان يملكه جدي السلطان محمود الثاني " (٢) .

الا أن مراد بك الداغستاني رفع الى السلطان قائمة بالاصلاحيات التي  
اعتبرها ضرورية لاصلاح الدولة ومراد هذا معلم للتاريخ في الكلية المدنية  
باسطنبول انضم الى جمعية الاتحاد والترقي وخلال الاحداث السابقة تطوع برفع  
هذه القائمة وقد ارتأى كما كان يدعو اليه احمد رضا رئيس الجمعية  
في باريس ، فرأى السلطان نفيه فاختر مصر حيث أسس جريدة " الميزان " التي  
اخذت تتسرب خفية الى أيدي الثوار من الماسونيين في اسطنبول (٣) .

---

(١) أرست آ . رامزور : تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ ، ص ٥٨ .

(٢) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني ، ص ٧٣ .

(٣) أرست آ . رامزور : المصدر السابق ، ص ٥٩ .

، محمود منسى : حركة اليقظة العربية ، ص ١١٩ .

وبهذا النفي والهرب زاد عدد الأتراك في المنفي من الخارجيين على سلطة الدولة والشريعة الإسلامية ومن تأثروا بالماسونية وتشققوا بالشقافة الأوروبية وخاصة بعد افتتاح أمر المؤامرة التي دبرت للإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٣١٤هـ/١٨٩٦م وقد تركز نشاط حزب الاتحاد والترقي في تركيا الفتاة في تلك الفترة في باريس (١).

أما مراد الداغستاني فقد اشارت عليه جمعية الاتحاد والترقي أن ينتقل الي حنيفه ووضعت له بعض الشروط والتنظيمات وهو عدم نشر مقالاته في جريدتي ( ميزان ومشورت) الا بعد مصادقة شعبة الاتحاد والترقي في حنيف وكسان مراد بك الداغستاني رئيسها ورضا بك عضوا فيهما.

إضافة الى ذلك فقد اجتهد مراد بك لاعادة مركز جمعية الاتحاد والترقي الى اسطنبول فأنشأ فرعين في مدرسة بانقة العسكرية باسطنبول احدهما عرف باسم حسين عوني والثاني عرف باسم سليمان، واستعان هؤلاء الطلاب بطلاب كلية الطب لاجراء مظاهرة صاخبة حول قصر يلدز والمناداة باعادة الدستور او المشروطة فقبض الجيش على زعيم هذه الجمعية وأفادهم باسماء الثائرين معه وحاكموهم في طاش قشله تحت رئاسة رشيد باشا، فحكم عليهم فأعدم من أعدم وحبس من حبس لخروجهم على طاعة السلطان (٣).

وقد حاول السلطان عبد الحميد الثاني عرقلة نشاط الجمعية في باريس بالتدخل الدبلوماسي، وباستخدام الوسطاء حتى نجح في اقناع مراد بك الداغستاني بالتخلي عن نشاطه الثوري والعودة الى اسطنبول (٤).

وتفصيل ذلك رأى السلطان أن اتباع سياسة ان الشدة لاتفيد في القضاء على جمعية "الاتحاد والترقي" فعمد الى الدبلوماسية في استرضائهم فأرسل

(١) محمود منسى : حركة اليقظة العربية، ص ١١٦.

(٢) روجي الخالدي : الانقلاب العثماني ، ( مجلة الهلال ، ج ١ ، ص ١٧ ، ١٩٠٨ ) ، ص ٢٢ .

(٣) روجي الخالدي : المصير السابق ، ص ٢٢ .

(٤) محمود منسى : المرجع السابق ، ص ١١٦ .

الى مراد بك ، أحمد حلال الدين باشا ، فأبلغه أن السلطان يوافق الثوار على الاملاحة المطلوبة ولكنه يسألهم هدنة يتمكن من خلالها وضع خطة متكاملة للإصلاح . وقد دعا زعماء الحزب في اسطنبول وعرض عليهم استبقاء حياتهم والانعام عليهم اذا اذعنوا ورجعوا واذا ابوا زادهم اضطهادا وقتلا فوافق الثوار على الشروط التالية :

- ١- يوافقون على الهدنة ولكنهم لا ينزعون سلاحهم .
  - ٢- يرفضون كل انعام او مكافأة شخصية .
  - ٣- ان مراد بك مندوب لثوار يصل اولا بمفرده تحت رعاية الدولة فيعرض نفسه لهذا الخطر رغبة في المصلحة العامة .
  - ٤- يتعهد السلطان بالاملاحات المطلوبة ويعفو عفوا عاما عن جميع أعضاء الثورة .
  - م- أحمد رضا بك يبقى على رئاسة الحزب الى أن تنجز الوعود .
- فبعث حلال الدين مندوب السلطان تلغرافيا الى السلطان بهـ الشروط فحاء الجواب بالايجاب وبالعفو العام عن الثوار العثمانيين سواء كانوا في السجون او المنفى وبناء على ذلك انحلت جمعية الاتحاد والترقي (١) . الا أن هناك بعض المتمسكين الذين لا يزالون يطالبون بالإصلاح ولم يرضخوا الى الهدنة التي وافق عليها السلطان مع مراد بك ، بل كانوا باقين على آرائهم وعلى رأسهم رئيس جمعية الاتحاد والترقي أحمد رضا ، ولكنهم استسلموا للهدنة .

وفي سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م ظهرت الجمعية في ثوب جديد وذلك عندما هرب الى باريس الداماد محمود باشا صهر السلطان عبد الحميد الثاني وزوج شقيقته ومعه ولداه صباح الدين ، ولطف الله ، الى باريس خفية ودون علم السلطة بعد ان استطاع ان ينفذ من الرقابة ، حيث انضم الى الثوار الاتراك في باريس (٢) وبعد وصوله الى باريس أول ما فكر فيه هو احياء جمعية الاتحاد والترقي

(١) روجي الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني ، مجلة الهلال ، ج ١ ، ص ١٧ ،

١٩٠٨م) ص ٢٣٠

(٢) محمود منسى : حركة اليقظة العربية ، ص ١١٦ .

التي كان يرجو فيها صلاح الدولة لاختلافه مع السلطان لحكمه الاستبدادي كما يقول . لذلك مال الى الحركة الدستورية ، لقلب الحكم ، فكتب الداماد محمود باشا الى احمد رضا مدير جريدة ( مشورت ) يدعوه الى الظهور وتأييد أفكاره فاجابه لطلبه وحقق رغبته ثم كتب الداماد الى السلطان في ٢١ يناير سنة ١٩٠٠م الموافق ١٣١٨ هـ كتابا شديدا للهجة ذكر فيه الاسباب التي حملته على الخروج وضمن هذا الكتاب كثيرا من النقد والتجريح للسلطان ودولته .

فأذن السلطان عبد الحميد لرجال الدولة وسفراء الدول أن يتوسطوا بالصلح بينه وبين صهره في باريس لاسترضائه ولكنه أمر على موقفه وهو "الاصلاح والعودة الى الدستور الوضعي والعمل على تحقيق الاهداف التي يريدها" . ولكنه لم يلبث أن أصيب بمرضات على اثره في ١٨ يناير سنة ١٩٠٣م الموافق ١٣٢١ هـ " (١) ، فانضم والداه صباح الدين ولطف الله الى الثوار الاتراك في باريس وكان مطلبهما الوحيد هو حرب السلطان عبد الحميد الثاني والقضاء على حكمه ، ولكنهما اختلفا حول طريقة ادارة الدولة بعد ذلك ، حيث كان احمد رضا وأنصاره يصرون على قيام حكم مركزي فسي اسطنبول ، تجتمع في يده كل السلطان كما كان صباح الدين وزملاؤه يريسون تطبيق اللامركزية وتوسيع صلاحيات الولايات ويدعون الى تكوين اتحاد عثماني يكون فيه التمثيل لمختلف قوميات الدولة (٢) .

لهذا تفرغ الامير صباح الدين لنصرة الثوار فجمع المشتتين منهم في اوربا وغيرهم فبلغ عددهم حوالى سبعة واربعون فردا من امم شتى فيهم العربي واليوناني والكردي والالباني والشركسي واليهودي والارمني والتركي اجتمعوا من مصر وبلغاريا وجنيف وباريس فتألف منهم جمعية تحت رئاسة صباح الدين فألقي فيهم خطابا شجعهم وأحيا آمالهم وحشهم على الثبات وجمع كلمتهم المختلفة تحت اسم الثوار الاتراك بلامتياز في المذهب

---

(١) روجي الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني ( مجلة الهلال ج ١ ، ص ١٧ ، ١٩٠٨ ) ص ٢٤-٢٥

(٢) ارنت آ. رامزور : تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨م ص ٩٩ ، محمود منسي : حركة اليقظة العربية ، ص ١١٦ .

أو الجنس وحث على الوحدة بين الطوائف التركية في الدولة . وطالب بسبب بمساعدته الدول الأوروبية له ماليا وعسكريا ومعنويا . ووقع برنامجا مطولا لجمعية وافقه الثوار الا انصار أحمد رضا الذى شق عليهم تدخل الدول الأوروبية وهذا ماينافي هدفهم المعلن . وكتب زميلهم في جريدته " مشورت " فصولا عديدة عن ذلك التحرك (١) .

وعلى أثر ذلك مادت جمعية الاتحاد والترقي في الظهور من جديد . في باريس للعمل وتآلفت لجنتهما من جديد للبحث في تفاصيل الإصلاح اللازمة للدولة من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليم وغير ذلك من الأمور .

كما أوصى أعضاء الجمعية بنشر الجمعيات والشعب على أنحاء المملكة العثمانية توخلا الى هذه الغاية . فتعددت الجمعيات والشعب في الدولة العثمانية وخاصة في أواسط آسيا الصغرى .

أما صباح الدين فقد أنشأ صحيفة في سنة ١٣٢٤هـ : ١٩٠٦م سماها "ترقي " لمخاطبة مختلف الطوائف داخل تركيا وخارجها ، وسعى الى التقريب بين العناصر المختلفة في الدولة ، وخاطب الارمن على وجه الخصوص بكتاب مفتوح حضهم فيه على الوفاق وقال لهم : " انكم تطلبون توسط أوروبا في انقاذكم فهذا نفس مطلب الأتراك أيضا ، فمصلحتنا في هذا الشأن مشتركة فلنسعى معا في هذا السبيل وأوروبا ترحب بنا ، وتدعم مسيرتنا لاننا نقاوم الظلم والظالمين " .

وقد أدت خطبة صباح الدين الى جمع كلمة الثوار من الطوائف وجعل قاعدة سعيهم الاتحاد بين العناصر والمذاهب والاستعانة والاستغاثة بدول أوروبا . وعلى هذا المنهج والهدف قامت جمعية صباح الدين وأنصاره ، حتى

---

(١) روجي الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني . ( مجلة الهلال ، ج ١ ، ص ١٧ ،



حققت مطلبها وهو إعادة الدستور (١) بالتعاون مع جمعية الاتحاد والترقي تحت قيادة أحمد رضا .

وعندما كانت حركة الاتحاد والترقي أوتركيا الفتاة تسير فسي ثورتها داخل الدولة العثمانية كان أحمد رضا وصباح الدين دائبين على عملهما وكانت صفوفهما تزداد عددا بين فترة وأخرى بالهاريين من اسطنبول الذين يطالبون باعادة المشروطية .

وبينما كان صباح الدين يكسب أنصارا من قوميات مختلفة كان معظم الاتراك تجذبهم القومية التركية الصريحة التي يدعو اليها حزب احمد رضا (الاتحاد والترقي) أكثر مما تجلبهم دعوة عصبة صباح الدين (اللامركزية) الادارية والمبادرة الخاصة (٢) .

وكان قمر يلدر قد كشف في سنة ١٣١٩ هـ / ١٩٠١م عن حركات ومؤامرة لاثنيين من الاتراك هما سزاني بك والطبيب بهاء الدين شاكور ، فهربا قبيل القبض عليهما من اسطنبول الى باريس لماذا ؟ لانهم كانوا ينوون احياء جمعية الاتحاد والترقي داخل اسطنبول ولذلك اتصلوا بأحمد رضا واتفقا أن يعملوا سويا معا ، حيث استمر أحمد رضا في اصدار جريدته " مشورت " بالفرنسية فظهرت الى جانبها صحيفة جديدة باسم " شوراى امت " ( شورى الامة ) يحررها سزاني بك فتوسعت الجمعية وازدادت قوتها لدرجة كبيرة فلم يعد كفاح رجل وعدد قليل بل لم يعد احمد رضا صوت الجمعية الذى يناقش وقد استمرت المصحفتان تصدر جنبا الى جنب وتطلان الى الدولة والى مراكز الثوار في كل مكان (٣) حتى انه في اواخر سنة ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧م تم التفاوض بين الجماعتين بعد عقد عدة مؤتمرات لتقارب وجهات النظر بين أحمد رضا ورئيس جمعية الاتحاد والترقي والجمعية العثمانية (اللامركزية) تمت

---

(١) روجيا الخالدى المقدسي : الانقلاب العثماني . (مجلة الهلال ، ج ١ ، ص ١٧ ، ١٩٠٨) ص ٢٦-٢٧ .

(٢) أرنت آرامزور : تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ ، ص ١٣٦ .

(٣) أرنت آرامزور : المصدر السابق ص ١٣٦-١٣٧ .

رئاسة صباح الدين. وكانت الاخيرة ليس في بالها الا الاطاحة بالحكومة القائمة في تركية بالقوة. الا أن احمد رضا كان يستنكر دائما استعمال القوة لتحقيق الغايات التي ينشدها ويبدو انه في النهاية اقتنع على التضحية بمبادئه من اجل الوحدة ولمكانة الامير صباح الدين ثم المـزج بين الجمعيتين ثم اسهم في البرنامج الذي أقره المؤتمر الثاني عام ١٩٠٧م الشوار وهذا البرنامج يدعو الى تبديل الحكومة في الدولة العثمانية بالقوة اذا اقتضت الضرورة.

وتقرر أيضا أن يطلق على الجمعيتين الاسم المشهور وهو "جمعية الاتحاد والترقي العثمانية" عثمانلي ترقى واتحادى جمعيتى<sup>(١)</sup> ليتحدوا بيدا واحدة ضد السلطان عبدالحميد الثاني حول اعادة المشروطية او تغيير الحكومة لنشر هذا الدستور.

إضافة الى ذلك كانت هناك قوة أخرى تساندتهم تتمثل في اليهـود الذين انتشروا في كافة أقطار الدولة العثمانية وتجنسوا بالجنسيات الاجنبية للاستفادة من الامتيازات الممنوحة للأجانب يتحينون الفرص لسماطة الجمعيات السرية في البلاد العثمانية مع ان الدولة سمحت لهم بالدخول الى اراضيها وعاملتهم معاملة حسنة الا ان هؤلاء اليهود كانوا يتحينون الفرصة لتصل الى فلسطين واحتلالها سواء كان ذلك بالطرق المشروعـة أو الملتوية كما سئرى . مع انهم عاشوا في أرغد عيش ، في البلاد العربية في بيروت ، وفي سلانيك وفي بلاد الروم وفي الأناضول ، كانوا هم السماسرة والأغنياء ، عاشوا حياة مترفة ومريحة في الممالك العثمانية واعتبروا الأتراك أكبر أعدائهم وعلى رأسهم السلطان عبدالحميد<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا الصدد يذكر لنا مصطفى طوران معاصر هذه الاحداث انه في سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧م عقد مؤتمرا للصهيونية العالمية في مدينة ( بسازل )

---

(١) روجي الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني ( مجلة الهلال ، ج ١ ، ص ١٧

١٩٠٨م ) ص ٢٨٠

(٢) مصطفى طوران : أسرار الانقلاب العثماني ، ص ١٣ - ١٤

بسويسرا واشترك فيه (٢٠٤) عضوا من الاعضاء الصهيونية وبعد مناقشات طويلة توصلوا الى قرار حول تأمين وطن لليهود العالم . تقرر أن يكون هذا الوطن في الأرجنتين أو أوغندا . الا أن تيودور هرتزل أمر على أن يكون هذا الوطن في فلسطين . فوافقته الأغلبية الساحقة فاتخذوا القرار التالي :

ضرورة نجاح هذه القضية ولو اقتضت صرف الملايين وقد اعطيت الصلاحيات المطلقة لتيودور هرتزل لقاء تعهده بالوصول الى هذه الغاية (١) .

وكان في هذه الفترة يهود روسيا يهاجرون الى تركيا وقد تمكن بعضهم من الوصول الى فلسطين هربا من روسيا ومن رومانيا (٢) . وفي سنة ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م لحق تيودور هرتزل امبراطور المانيا ويليم الثاني الذي وصل الى اسطنبول بدعوة من السلطان عبدالحميد الثاني فاستغل تيودور هرتزل هذه الفرصة واتجه مسرعا الى اسطنبول لمحاولة الاتصال بالاحزاب هناك ومعرفة خططهم ، الا ان زيارة الامبراطور ويليم لاسطنبول قد انتهت وبسبب زيارته للقدس فلحقه هرتزل هناك وتمكن بعد ان توسط رئيس الوزراء الالماني ( فون بولوف ) مقابلة الامبراطور ويليم ، لذلك طلب مساعدته في تسهيل هجرة يهود العالم الى فلسطين ، فرد الامبراطور عليه انه يمكنه المساعدة ولكن بشرط عدم المساس بحق حكم السلطان العثماني . فقبل هرتزل ذلك وطلب منه التوسط في مقابلة السلطان . وقد بذل الامبراطور وساطته وفعلا عاد هرتزل الى اسطنبول يحدوه الأمل ويرافقه قرا صو زعيم الاقلية التركية والحاخام ليفي موشيه حاخام اليهود بعد ان بذل ويليم امبراطور المانيا وساطته وتمكن هرتزل من مقابلة السلطان عبدالحميد الثاني في قصره بيلدر بعد أن مهدت سفارة المانيا لهذه المقابلة . فقدم هرتزل الى السلطان عبدالحميد الرشوة قائلا : " مولانا صاحب الشوكة جلالة السلطان لقد وكلنا عبيدكم اليهود وهم يقبلون التراب الذي تدوسونه ويستعطفونكم

(١) مصطفى طوران : أسرار الانقلاب العثماني ، ص ١٥ .

(٢) F.O.: 424/222. Mr.Marling to Sir Eduard Grey.No:(2), 3-1-1910.

للهجرة الى فلسطين المقدسة . ولقاء أوامركم العالية الجلية نرجس  
التفضل بقبول هديتهم خمسة ملايين ليرة ذهبية " .

وكان السلطان عبد الحميد على علم بقرار مؤتمرهم في سويسرا  
وعلى علم بوصول المهاجرين اليهود من روسيا الى الدولة لذا كان يعرف  
ما يقصده هذا الوفد اليهودي من هديته (١) وبعد ان استمع السلطان  
الى هذا العرض بكل هدوء : امر الحرس بطردهم من القصر وامر على الفور  
اوامره بمنع هجرة اليهود الى فلسطين ووضع كل العقبات في طريقها (٢) .  
لكن اليهود لم يرتدعوا فنراهم يعودون مرة ثانية تدفعهم الى ذلك ضائقة  
الدولة المالية التي كانت تمر بها لعلها تكون المدخل الذي يستطيعون  
منه انتزاع موافقة السلطان عبد الحميد الثاني بالسماح لليهود بالهجرة  
الى فلسطين فعادوا يحاولون مرة أخرى مقابلة السلطان ولما تمت لهم هذه  
المقابلة عرض هرتزل على السلطان مبلغاً ضخماً تحت شعار تقديم العـ  
للدولة العثمانية ، مقابل السماح لليهود بالهجرة الى فلسطين . وماكاد  
هرتزل ينهي كلامه حتى قال له السلطان غاضباً : " لو كنت اعلم انك جئت  
اليوم تطلب مني مافضت اجابتك اليه من قبل لما سمحت لك بالدخول .  
واعلم يا هرتزل ان فلسطين جزء من ارض الاسلام وارض الاسلام لاتباع بالذهب  
والدراهم ولقد حصلنا على كل شبر منها ببذل دماء اجدادنا ولن نفرط بشبر  
منها قبل أن نبذل كل دمائنا دفاعاً عن هذه الارض المقدسة مهما كلفنا  
الامر " (٣)

لذلك ناصب هرتزل العداء للسلطان عبد الحميد الثاني ، فقرر اليهود  
الوصول الى أهدافهم عن طريق خلع السلطان بالوسائل السياسية الملتوية (٤)

(١) مصطفى طوران : أسرار الانقلاب العثماني ، ص ١٦-١٧ .

(٢) F.O.:424/222. Mr.Marling to Grey, No.: (2); 3-1-1910.

(٣) زياد أبو غنيمه : جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الاتراك ، ص ٤٥-٤٦ .

(٤) مصطفى طوران : أسرار الانقلاب العثماني ، ص ١٧ .

وهكذا فشلت المساعي الصهيونية في اختراع أرض فلسطين . لذلك نراها —  
نستخدم الماسونية ، والماسونية كماسبق الحديث عنها في الفصل الثالث ماهي  
الا واجهة من واجهات الصهيونية . لذلك قررت الماسونية التخلص من  
السلطان فمدت يدها الى جمعية الاتحاد والترقي لتبعث فيها الحياة ،  
وقد أدركت الماسونية ان دور وجهه بضعة اشخاص هاربيين من الدولة —  
العثمانية لن يكون مجديا على الاطلاق وأن الأسلوب المؤثر والفعال هو  
التسرب بين صفوف الجيش واصطياد ضباط من الشباب باستخدام كل أنواع  
المغريات للانخراط في سلك الماسونية . وكان الجيش الثالث هو الانسب لهم  
فهو بعيد عن مركز الدولة أو في اقليم مضطرب مشحون بالفتن والحركات  
السرية . (١)

وفي نفس الوقت الذي استمر فيه حزب الاتحاد والترقي بالنشاط فسي  
باريس واسطنبول بعد توحيد احزابه تشكلت منظمة سرية بهن ضباط الجيش  
الثالث في مناسير وقوموه وسلانيك غايتها اسقاط حكم السلطان عبدالحميد  
واعادة الدستور وعهد المشروطية والتمسك بالدولة العثمانية وعدم التفريق  
بين المواطنين في الدين أو العرق وتقوية السلطة وجعل الجيش سندا  
للثورة .

ففي سنة ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م قام طلعت بك موزع البريد مع سبعة من اصدقائه  
بتشكيل جمعية للاتحاد والترقي في سلانيك وعندما سمع احمد رضا رئيس حزب  
الاتحاد والترقي في باريس بالخبر أرسل الطبيب ناظم الى سلانيك للاتصال  
بالتنظيم الجديد وتأيينه . لذلك اتصل الطبيب بطلعت وبعد المشاورات  
التي دارت بينهما تقرر أن يكون للجمعية فرع في باريس اطلق عليه اسم  
التنظيم الخارجي لجمعية الاتحاد والترقي (٢) .

ومن هنا نرى أنه في هذه الاثناء سرت شرارة صغيرة من هذه الحركة  
الى الجيش الثالث في مدينة سلانيك مركز يهود الدونمة الماسونيين —

---

(١) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني ، ص ٢٨١ .

(٢) مصطفى طوران : أسرار الانقلاب العثماني ، ص ٤٩-٥٠ .

فوجدته مرتعا خصبا لها . يقول أحد الاتحاديين : " كان الجيش الثالث يتمتع بنوع من الحرية العسكرية ، ذلك لأن تدخل الدول العظمى في أحداث الروملي ساعد على اكتساب هذا الجيش نوعا من الاستقلال لم تتمتع بهما الجيوش الأخرى ، مما عمل على تهيئة تربة جيدة لفكر الحرية لنشـاط هؤلاء هناك" (١) . فأحس المحفل الماسوني في سلايك بأن طلعت سيكون له مستقبل كبير في الدولة العثمانية فاتصلوا به وسجلوه في قائمة الماسونيين ورقى طلعت الى عدة درجات في المحفل الماسوني ، وأصبح يتقاضى منه راتبا شهريا مقداره عشر ليرات انجليزية .

وقد كان الرأس المدبر في سلايك هو عمانوئيل قرا صو اليهـودى وقد استطاع أن يحتضن طلعت ويقربه منه (٢) .

ولكن السلطان عبدالحميد الثاني بلغه مايجرى في أوساط الجيش الثالث في سلايك عن طريق عيونه التي يبثها السلطان في كل مكان ، خوفا على تقويض أركان دولته وفي هذه اللحظة قدم طلعت وقرا صو الى اسطنبول لتوثيق العلاقة مع التنظيم لجمعية الاتحاد والترقي في اسطنبول لحزب الاتحاد والترقي فألقى القبض عليهما واستجوبا أمام لجنة خاصة شكلت بقصر يلدر بمصرة مستعجلة ، استطاع قرا صو بدهائه أن ينفذ نفسه وينفذ معه طلعت اذ قال : " نحن ماسونيون لاننكر ذلك لكننا لسنا اعضاء في جمعية سرية فاقتنعت اللجنة بكلامه (٣) .

لهذا نرى ان الجمعيات التي تأسست في داخل اسطنبول لم تستطع تحقيق أهدافها حسبما خطط لها ، وذلك بسبب مراقبة المراقبة من السلطان لهذه الجمعيات ، ولكن اختيار رجال جمعية الاتحاد والترقي ، سالونيك فسـي مقدونيا مركزا لنشاطهم يعود الى أنها أكثر المناطق اتصالا بالعالم الاوربي

(١) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني ، ص ٢٨٠-٢٨١ .

(٢) مصطفى طوران : أسرار الانقلاب العثماني ، ص ٤٩-٥٠ .

(٣) مصطفى طوران : المصدر السابق ، ص ٥٠ .

هذا الى جانب ضعف قبضة السلطان عبدالحميد نسبيا عليها ، اضافة الى  
أن نشاط قوميات البلقان في المنطقة دفع الدولة الى حشد قوات عسكرية  
بها ، ونظرا لاضطراب هذه المنطقة فقد أنشئت ادارة دولية خاصة تحت اشراف  
خمس دول اوربية (١) وهي انجلترا وفرنسا وروسيا والنمسا وايطاليا (٢) ،  
لهذا وجد الجيش العثماني الثالث نفسه في قلب دائرة التدخل الأجنبي (٣) .

ففي عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م اتسعت جمعية الاتحاد والترقي وتفاقم خطرهما  
خاصة بعد دخول اليهود في عضويتها ودخول يهود الدونمة خاصة المستترين  
( Grrpricjew ) والمقيمين في سلانيك .

وتعتبر هذه المدينة هي المركز الرئيس لـدسائسهم ومؤامراتهم لأن هذه  
المدينة تضم اكبر عدد من اليهود في تركيا ، معظمهم من اليهود الدونمة  
ورأى الاتحاديون ان نهاية السلطانيات وشيكة الوقوع (٤) وخاصة عندما علموا  
في سالونيك باجتماع ريفال بين نيقولا الثاني قيصر روسيا وادوارد السابع  
ملك بريطانيا سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م انتابهم المخاوف من احتمال فـسـر  
تحضيات جديدة على لدولة العثمانية وصار أعضاء الاتحاد والترقي يخشون  
أن تتنازل بريطانيا عن معارضتها التقليدية للاطماع الروسية وذلك معناه  
زوال الحكم التركي العثماني من أوربا (٥) .

لهذا قرر أعضاء الجمعية البدء بهذه الثورة والقيام بها يوم  
ذكرى مقتل السلطان عبدالعزير، غير أن الظروف حالت دون تنفيذ ذلك فتأجلت  
من ٥ يونيه ١٩٠٨م الى ٢٣ يوليو سنة ١٩٠٨م (٦) .

---

(١) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٩٣-٩٤ .

، محمود منسى : حركة اليقظة العربية ، ص ١١٧-١١٨ .

(٢) ساطع الحصري : المصدر السابق ، ص ٩٤ .

(٣) محمود منسى : المرجع السابق ، ص ١١٨ .

(٤) حسان على خلاق : دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبدالحميد  
الثاني عن العرش ، ص ٥٠ .

(٥) محمود منسى : المرجع السابق ، ص ١١٨ .

(٦) حسان على خلاق : المرجع السابق ، ص ٥٠ .

ويذكر القائد التركي جواد رفعت اتلخان المعاصر للسلطان عبد الحميد الثاني ان الهدف من ثورة سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م هو: " ان الصهيونية يريدون تجريد السلطان عبد الحميد الثاني من سلطنته وثروته واملاكه انتقاما منه لعدم افساح المجال له للقيام بذهم ثانية . ويهود الدونمة المرتدون كانوا في سلايك يريدون ازاحة عبد الحميد من امامهم ليصفى الجو لهم .. وجمعية الاتحاد والترقي كانت بحاجة الى المال .."

ويضيف ان اليهود هم الذين نشروا الفوضى في داخل البلاد ونظموا القوة المناهضة للحكم العثماني بقصد تعطيم الدولة العثمانية وسلبوا أعضاء تركيا الفتاة في الخسارج ونظموا صفوفهم وأمدوهم بالاموال، كما نظموا عمالات السلافية في البلقان .."

وكان المحفل الماسوني قد شارك في هذه النشاطات قبل فترة طويلة ويبدو انها في سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م عندما حصل اليهودى قراصوعلى اذن لعقد اجتماعات جمعية الاتحاد والترقي في محفله .. وبهذه الطريقة أصبح أعضاء هذه الجمعية من الماسون (١) .

وعلى أية حال لما بلغ السلطان العثماني كثرة انتظام الفبساط والموظفين في جمعية الاتحاد والترقي في سلايك اخذ يستدعى المتهمين الى اسطنبول بحجة النقل والترقية ، فخاف سائر الاعضاء من الفشل كما حصل من قبل فعزموا على مباشرة الثورة (٢) .

فانفجر الموقف بالشرارة الاولى من سلايك مقر قيادة الجيش الثالث وحدث أن اغتيل قائد الجيش الاول وكانت هذه الحادثة سببا في اضطراب الدولة فقام القائد نيازى بك بالسيطرة على مركز البريد في ( رسنة ) وارسل من هناك برقية الى السلطان عبد الحميد يخبره فيها بانه سيعلم الثورة والدستور ويطلبه

---

(١) حسان حلاق: دور اليهود والقوى الدولية في خلق السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش ، ص ٥١٠ . نقلا عن جواد رفعت اتلخان : الخطر بالاسلام وبنو اسرائيل ص ١٥١-١٥٢ .

(٢) مصطفى طوران : اسرار الانقلاب العثماني ، ص ٥٢ .



بقبول ذلك دون قيد أو شرط والا فالمسؤولية الكاملة تقع عليه . وكان  
نيازي يعتمد على الجيش الثاني والثالث المعسكر في سلانيك ومناسـتـر  
وعلى الفيلق الرابع في أرضروم (١) .

فعظم طلب هذا الاصلاح على السلطان عبدالحميد فلأمر فرقة كانت  
تتأهب على الحدود للدفاع عن الدولة فما كان من هذه الفرقة الا أنها  
هي الأخرى انضمت الى الثوار تطلب الدستور (٢) . وكان الالبان يعاضدون  
هذه الثورة ، فأخذت البرقيات تنهال على السلطان من جميع فرق الجيش  
مطالبة باعادة الدستور (٣) ، فخشي السلطان من تفاقم الازمة ورأى أن من  
الحكمة ان يمنح الجمعية مطالبها حقنا للدماء ، وأعلن قبول الدستور  
في سنة ١٢١٦هـ / ١٩٠٨م (٤) .

لما تمرد الجيش الثالث في مقدونيا وخاصة في ولاية سلانيك وأعلن  
أحمد نيازي الثورة وهدد بالتقدم نحو العاصمة اسطنبول (٥) أمر باستدعاء  
انور ونيازی أبرز زعماء هذه الحركة الى اسطنبول فلما تجاهل الاثنان  
هذا الامر أمر السلطان بارسال الجيوش الاسيوية لخماد هذه الثورة ولكن  
جنود الاناضول وهم جنوده الآسيويون - رفضوا اطلاق النار على اخوانهم  
وزاد في حيرته ان القوات كلها اشتركت في ترديد كلمة " الثورة والمساواة  
والترقي " بدلا من قتل مردي هذا النداء . فلم يكن أمامه الا أن يعقد  
مجلس الدولة في ٢٣ يولييه سنة ١٩٠٨م الموافق ١٢٢٦هـ (٦) فاجتمع بالوزراء  
ودام هذا الاجتماع من الصباح الباكر حتى منتصف الليل الساعة الثامنة ليلا

- 
- (١) روجي الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني ( مجلة الهلال ، ج ١ ، ص ١٧ ،  
١٩٠٨ ) ص ٢٩-٣٠ .
- (٢) روجي الخالدي المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٠ .
- عابدين حماده : تاريخ الغرب والشرق ، ص ٢٩ .
- (٣) عابدين حماده : المرجع السابق ص ٣٥ .
- (٤) روجي الخالدي المقدسي / المصدر السابق ص ٣١ .
- (٥) لوتسكي : تاريخ الاقطار العربية ، ص ٣٩٦-٣٩٧ .
- (٦) الماوتلن : عبد الحميد ظل الله على الارض : ترجمة راسم رشدي ( القاهرة ،  
١٩٥٠ م ) ص ١٨٧ .

تماما بالتوقيت الغروبي ، جرى خلال هذا المجلس مناقشات حامية انقسم فيها المجلس الى فرقتين فرقة تؤيد قبول الدستور وعلى رأسها قاضي الجيش رضا باشا والأخرى مصممة على رفضه وعلى رأسها اسماعيل حقي باشا بل يطالب بالتنكيل بهؤلاء المتمردين على السلطة والقضاء عليهم وكانت كل فئة تتحفر وتتحامل لضرب الفئة الأخرى (١) .

ويقول السلطان في هذا الصدد " لم يبق لنا الا وسيلة واحدة لاجباط المؤامرات السياسية الانجليزية وهي أن أقوم على رأس هؤلاء الثوار فأعلن الدستور واتظاهر باتباع الانجليز فهذا هو الطريق الوحيد لافشال مؤامراتهم . وغدا سيفهم المعجبون بأفكارهم الثورية الى أي الطريق المهلكة ستؤدي بهم هذه الأفكار .

أمل أن يتحد جميع العثمانيون ولو في آخر لحظة للعمل على بقضاء دولتهم والسير على هدى دستورهم المقدس ( القرآن الكريم ) مؤمنين بأنهم ممثلين لأوامره والا فالميمير الأسود ينتظرنا حيث تتأهب الدول النصرانية لتمزيق أشلائنا وتقاسم الممالك العثمانية فيما بعد " (٢) .

لذلك تأخرت الصحف عن موعدها فبدأ الناس يقلقون ، يريدون أخبار هذا الاجتماع ، ويسألون عن أسباب تأخير الصحف ؟ ومن هو السبب في تأخيرها ؟ ولماذا لاتصدر كعادتها ؟ في حين أن الثورة قد أعلنت في مناستر وسلانيك وقوموه في ولايات مقدونيا وأطلقت المدافع في كل مكان لهذا الحدث .

وبعد تأخر الجرائد عدة ساعات عن موعدها الرسمي صدرت معلنة أن الحكم سيكون مقيدا في كافة اقطار وممالك الدولة العثمانية وأن الأمر السلطاني سيصدر بهذا الشأن وبعد بضع ساعات سمعت أصوات المدافع حول اسطنبول ، لذلك تعانق القساوسة بالمشايخ واليهود والنصارى بالمسلمين وأعلنت الثورة بشعاراتها الثلاثة : الحرية - العدالة - المساواة " وزاد عليها الأخوة "

(١) مصطفى طوران : أسرار الانقلاب العثماني ، ص ٥٤٣ .

(٢) السلطان عبد الحميد الثاني : مذكراتي السياسية ، ص ١٠٧ .

(٢) السلطان عبد الحميد الثاني : المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

في ١٣٢٦/٦/١ هـ الموافق ٢٤ يوليو سنة ١٩٠٨ م .

وتلى ذلك ان استقبلت اسطنبول جمعية الاتحاد والترقي . (١)

وكانت طريقة عبد الحميد في قبول الدستور تكشف عن مواهبه كسياسي  
فذ . فقد أعلن عن استعداداته ليرأس جمعية الاتحاد والترقي ولكنه اقنع  
بقبول العضوية العادية عندما اشار عليه اعضاء اللجنة المركزية  
للحزب بان الاعضاء كلهم متساوون بل ذهب أكبر من ذلك فقد شكر رجال  
تركيا الفتاة ، لأنهم " فتحو عينه " الى أن الوقت قد نضج وتبرع لهم  
بمصف مليون جنيه من جيبه الخاص لصندوق الجمعية وهب لهم احد قصوره  
ليكون مقرا للبرلمان القادم . واستطاع السلطان بخبرته ان يمتزج مع  
الشباب ويحولها الى أوربا (٢) .

وفي هذا الصدد يقول السلطان عبد الحميد : " ان الاثراك قوم خياليون  
فاعلان الدستور وتشكيل حكومة نيابية في بلادنا يعنى حدوث الفوضى وانقسام  
الناس الى شيعة واحزابا يقاتل بعضهم بعضا ، ويؤدى بالدولة العثمانية  
الى الخراب وتعاطف الانجليز مع الاثراك الشباب او يلفت انتباههم  
فهم يشجعون هؤلاء المغترين على المطالبة باعلان الدستور ويرفضونه لانفسهم  
في الهند السمتعمة من قبل الانكليز ، مع أن أوضاع الهند تشبه أوضاع بلادنا حيث تعيش  
فيها عناصر غير متجانسة من المسلمين والنصارى والبوذيين والبراهمة  
ومن الصعب جمعهم في مجلس واحد " (٣) .

وفي يوم ٢ جمادى الثانية سنة ١٣٢٦ هـ الموافق ٢٤ يوليو سنة ١٩٠٨ م ،  
أصدر السلطان مرسوما سلطانيا باعادة مجلس المبعوثين الذى صدر به  
القانون الاساسي سنة ١٢٩٣ هـ / ١٨٧٦ م وعينت وزارة هذا العهد الجديد من  
سعيد باشا للصدارة ، وعمر رشدى للحربية ، اما بقية الوزراء فثبتوا في  
مناصبهم (٤) .

(١) مصطفى طوران : أسرار الانقلاب العثماني ، ص ٥٤ .

(٢) الماوتلن : عبد الحميد ظل الله على الارض ، ص ١٨٨ .

(٣) السلطان عبد الحميد الثاني : مذكراتي السياسية ص ١٠٥ .

(٤) يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ص ١٦٩ .

وقد افتتح السلطان مجلس المبعوثين في ٢٣ ذي العقدة سنة ١٢٢٦ هـ الموافق ١٧ ديسمبر سنة ١٩٠٨ م في سراي طولمه بغجه بمحلة بشكطاش بحضرة السلطان بالنطق الآتي :

" الاعيان المبعوثين... "

فيوقت جلوسي فقد وضعت القانون الاساسي لموقع التطبيق وصادفته مشكلات في هذا الزمان وبناء على اللزوم الذي ظهر من طرف رجال الدولة فقد اصبح تعطيل مجلس المبعوثين مؤقتا وقد اصبح تأخير توجيه وفرض القانون المذكور حتى قابلية الاهالي للدرجة المطلوبة بترقية المعارف في مملكتي السلطانية وقد اصبح الاهتمام بترقية المعارف بتأسيس المكاتب في كل طرف في الممالك السلطانية بالتعليم وبالبحث على تكرار اجتماع مجلس المبعوثين ليكن الشكر. فقد علت الاستعدادات لتسوية صفوف اهالينا في ظل انتشار المعارف للحصول على هذا المقصد.

وقد اردت الدعوة لاجتماع مجلس المبعوثين باجراء انتخابات جديدة واعلنت على راسها القانون الاساسي بلاتردد رغما عن الموجودين للمطالبة ومخالفة رأيهم من اطمئنانني لما حدث بموجب سعادة الحال والمستقبل حصول دولتي ومملكتي لهذه الرغبة... " (١)

وبعد فترة من اعادة المشروطة الثانية حدثت محاولة ثورة مضادة في اسطنبول للقضاء على ثورة ١٩٠٨م اتهم فيها السلطان عبدالحميد الثاني

---

(1) Osmanli Arsivi Yildiz:Esas, Evrak Zarf. No: 314. (1)

6, Faik resit Unot: ikinci Mascutiyetin ilani va otuzbir Mart Hadisesi, II. Abdu Lhamid in Son Mabeyn Baskatibi Ali Cevat Bey in Fezlekesi, (Turk Tarih Kurumu, Ankara, 1985), S. 28-29.

ولكن جيش مقدونيا بقيادة شوكت باشا رحف على العاصمة وضرب الحصار على قصر السلطان بيلدر ، بعد أن خلص الدولة من هذه الشـورة وعقـد المجلسان مجلس النواب ومجلس الأعيان جلسة صوت فيها أعضاءه على خلع السلطان عبدالحميد الثاني وتسليم العرش الى أخيه محمد رشاد الذي أصبح يلقب بالسلطان محمد الخامس ، وبلغ السلطان عبدالحميد بقرار الخلع عن طريق وفديضم اليهودى قراموشم نفي السلطان الى سلانيك ترافقه حاشيته ، وسجنوا جميعا في فلا الاتينث ( Alatin ) ضاحيسة من ضواحي سلانيك نفسها (١) . كما سيأتي تفصيل ذلك في الفصل التالي في مقاومة الحزب الاسلامي للمشروطية الثانية داخل الدولة والولايات الاخرى ان شاء الله .

...

---

(١) زين نورالدين زين : الصراع الدولي في الشرق الاوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ، ص ٥٥ .

## الفصل الخامس : مواجهة الغزو الفكري في الدولة العثمانية

أ - في تركيا والولايات العثمانية الأخرى .

ب - دعوة التوحيد والإصلاح في شبه الجزيرة العربية

- ١ - أهميتها في مواجهة الغزو .
- ٢ - استمرارها في أدوار السعوية الثلاث .
- ٣ - تقديم نموذج للدولة الإسلامية الحصرية .
- ٤ - صد التدهور عن الجزيرة العربية .

ج - تأثير حركات الإصلاح في العالم الإسلامي بها .

### مقاومة المشروطية الثانية في تركيا العثمانية والولايات الأخرى :

أشرنا فيما سبق الى كيفية إعادة المشروطية الثانية ، ولكن عندما اجتمع البرلمان الجديد ، كان الى جانبهم حزب الأحرار ، الذي يدعم الى " اللامركزية " وكان يقود هذا الحزب الامير صباح الدين بن محمود باشا صهر السلطان عبدالحميد ، وكان عدد من زعمائه من المسيحيين الذين سمح لهم بدخول البرلمان . وكرد فعل لكل ذلك قام حزب الاتحاد الاسلامي الذي كان يرى في المشروطية خروجاً على الشريعة الاسلامية (١) .

وكان قيام حزب الاتحاد الاسلامي من أخطر الصدمات التي هزت كيان العهد الجديد أو رجال المشروطية ، فلقد قام هذا الحزب بالثورة ضد حزب الأحرار ودعاة المشروطية . وفي ٣١ مارس سنة ١٩٠٩م اندلعت الثورة التي قادها زعماء حزب الاتحاد الاسلامي في عاصمة الدولة وقبل أن تتم المشروطية شهرها التاسع (٢) .

هذه الثورة المضادة ، ظهرت لمقاومة المشروطية الثانية ودعاتها من المسيحيين وتزعم هذه الانتفاضة دعاة الجامعة الاسلامية الذين نادوا بأن الشريعة في خطر وطالبوا بعودة أحكامها خاصة ، وقد سرت الأشاعات بأن حزب الأحرار يدعو الى النظام العثماني الجديد الذي يعمل للحط من مكانة الشريعة الاسلامية ، وفي الوقت نفسه قام مجموعة من الجنود بالتمرد على بعض الضباط الذين تلقوا تعليمهم في المدارس العسكرية ذات البرامج الغربية ، وتحول هذا التمرد الى سخط ، قام به الجنود العاديون فسفي ١٣ ابريل سنة ١٩٠٩م الموافق ١٣٢٧ هـ . ولم يشترك في هذا التمرد سوى عدد قليل من الضباط (٣) ، وهتفوا : نريد الشريعة ، نريد الشريعة ، فأرسل

---

(١) محمد عبداللطيف البجراوي: التاريخ المعاصر وعلاقته العضوية بالآزمنة

الحديثة ، ( مجلة الدارة ، ع ٢ ، س ١١ ، ١٤٠٦هـ ) ص ٨٣ .

(٢) ساطع الحمري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٩٧ .

(٣) أحمد عبدالرحيم ممطقي: في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٧٢ .

، ساطع الحمري : المرجع السابق ، ص ٩٧ .

السلطان لهم رئيس كتابه حال سماعه النبأ ليخبرهم بأن الشريعة بخير  
وانه لا أحد يستطيع أن يمسها بسوء<sup>(١)</sup> . ولكن هؤلاء الجنود هاجموا  
مجلس المبعوثين والباب العالي وطالبوا بإسقاط الحكومة التي أقامتها  
لجنة الاتحاد والترقي وفض مجلس المبعوثين والغاء الدستور (المشروطة)  
وأعلان سيادة الشريعة الإسلامية<sup>(٢)</sup> ، وتغيير الصدر الأعظم حسين حلمي باشا  
ووزير الحربية على رضا باشا ، وقائد الفرقة الأولى محمود مختار باشا ،  
ورئيس مجلس المبعوثين أحمد رضا ، ونفي الاتحاديين من البلد ، وإعادة ضباط  
(الآيلي) <sup>(٣)</sup> إلى الخدمة العسكرية والعفو عن جميع المشتركين في هذا  
التحرك لأنهم لا يقصدون سوءاً . إلا أنهم في نفس الوقت كانوا يبحثون عن  
رئيس مجلس المبعوثين أحمد رضا بك وعن الصحفي حسين يالچين لشيوع عداوتهما  
للاسلام ، غير أنهم لم يعثروا عليهما ، فقد هربا واختفيا عن الأنظار ولكن  
الجنود قتلوا وزير العدل ناظم باشا فظن منهم انه هو أحمد رضا ، كما  
ألقوه بنائب وفد اللاذقية يحسبونه انه الصحفي المعادي للاسلام حسين  
يالچين ، كما قتلوا عدداً من الجنود من خريجي الكليات والمعاهد الحربية ،  
فلقد كان المتمردون يستوقفون الضابط ويسألونه هل انت ضابط متخرج من  
المدارس أم ضابط خدمة (آيلي) ؟ فاذا كان الجواب انه من خريجي  
الكلية قتلوه<sup>(٤)</sup> .

(١) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ٣٢٢ .

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٧٢ .

، ساطع الحمري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٩٧ .

(٣) كان الضباط في الدولة العثمانية على نوعين : الضباط من خريجي  
الكلية الحربية ويطلق عليهم " مكتبلي " أي خريجي المدارس ، والضباط  
الذين تدرجوا في الرتب العسكرية بطول الممارسة أو بالخبرة في  
رتبة جندي حتى رتبة الضابط (الآيلي) وقد بدأ الاتحاديون بإخراج  
هؤلاء من الجيش وأحالتهم إلى التقاعد مما ولد تدمراً في الجيش  
لكثرة عدد هؤلاء الضباط . وكان أحد أسباب هذا التمرد .

— أورخان محمد علي : المرجع السابق ، ص ٣٢٣ حاشية رقم (٣٧٥) .

(٤) ساطع الحمري : المرجع السابق ص ٩٧ .

، أورخان محمد علي : المرجع السابق ص ٣٢٣ .



وكان زعيم هذه الثورة يسمى درويش وحدتي ، الذي تحمس للاسلام وأغار عليه ، ونادى بأن المشروطية مخالفة للشريعة الاسلامية ، وكان السلطان عبد الحميد الثاني معارضا للمشروطية، وان اعلانه قد تم تحت الضغط والاكراه فالواجب الديني يقضي بالغاء القانون الأساسي واعلان الشريعة المحمدية (١) .

ولتهدة الاحوال فقد قام السلطان بعزل الصدر الاعظم وعين بسدلا عنه توفيق باشا كما تم تبديل وزير وقائد الفرقة الاولى نزولا عن رغبة الجنود والشوار ورغبة في انتهاء حركة التمرد لانها لم تنته (٢) .

ولم تقتصر حركة التمرد على اسطنبول فقط ، بل انتشرت حركات مماثلة في الولايات العثمانية وخاصة في الاناضول وفي مدينة اذنة حيث قام المسلمون فيها بالاشتباك مع عدد من الارمن والأتراك الموالين لتأييد المشروطية ثم امتدت هذه الحركة ايضا الى شمال الشام (٣) .

قام هذا التمرد في الولايات المذكورة بناء على ما أرسله دعاة الجامعة الاسلامية من المنشورات في ١٥ ابريل سنة ١٩٠٩م الموافق ١٣٢٧ هـ ، الى المسؤولين العثمانيين يطلبون منهم المحافظة على اصول الشريعة (٤) .

ورغم سيطرة دعاة الجامعة الاسلامية على العاصمة فلم يكن لهم برنامج سياسي (٥) أو هدف واضح الا الغاء هذه المشروطية ونفي أصحابها وعودة السلطان الى ادارة دفة الحكم بملاية وحكمة دون تدخل من الدستوريين .

- 
- (١) ساطع الحمصي : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٩٧ .
  - (٢) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ٣٢٣ .
  - (٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٧٢-٢٧٣ .
  - ، عبدالعزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ج ٢ ، ص ١٠٠٦ .
  - (٤) عبدالعزيز الشناوي : المرجع السابق ، ص ١٠٠٦-١٠٠٧ .
  - (٥) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٧٣ .

وما كان من السلطان عبد الحميد إلا أن استجاب لرغباتهم معلنا إلغاء  
المشروطية ، وألف حكومة جديدة لتنفيذ ذلك . وبما أنه كانت المدافع قد  
أطلقت إحدى وعشرين طلقة عند إعلان المشروطية فإن معارضي المشروطية طلبوا  
من السلطان أن يتم الاحتفال بإعلان الشريعة والإلغاء المشروطية باطــــلاق  
مائة طلقة ، ثم أخذت أفواج الجيش تطوف بشوارع المدينة الرئيسية  
والجنود يطلقون رصاص بنادقهم ابتهاجا بالنصر الذي أحرزوه يهتفون  
باصواتهم " باشاسون شريعة محمدية " ويعني ذلك " فلتعش الشريعة  
الاسلامية " .<sup>(١)</sup> يتزعم ذلك أئمة المساجد وفريق من علماء الدين الاسلامي  
والدروايش وطلبة المعاهد الدينية وضباط الجيش (الايلى) وهم الضباط الذين  
نشأوا وتقدموا من بين صفوف الجنود - بناء على الاقدمية وخدماتهم العسكرية  
حتى وصلوا الى رتبة ملازم دون دراسة في المدارس العسكرية<sup>(٢)</sup> .

هذه الثورة ضد أنصار المشروطية والدستور ساندتها الجيش المحتشد في  
العاصمة ، أما الحيوث في الولايات البلقانية في مقدونيا ( مناستر ، وقوصوه ،  
وسلانيك ) وخاصة سلانيك وهي التي مهدت للمشروطية الثانية فقد كانت على  
ولائها لما يسمى بالعهد الجديد أو الدستور المتأثر بالنظم الاوربية ، ولذلك  
بادرت هذه الحيوث الموالية للنظام الدستوري بالزحف على العاصمة بقيادة  
محمود شوكت من سلانيك ، وهذا الجيش عرف باسم " جيش الحركة " ( حركة  
أوردوسو )<sup>(٣)</sup> . وذلك لتسكين الهياج وتأييد الدستور وتثبيتته في اسطنبول  
فحاصروا الشائرين على المشروطية واحتلوا مواقعهم في ٢٣ ابريل ١٩٠٩ م الموافق  
١٣٢٧ هـ .

- 
- (١) ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٩٨ .  
(٢) عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفتري عليها ،  
ص ١٠٠٦ .  
(٣) ساطع الحصرى : المرجع السابق ، ص ٩٨ .  
، أحمد عبد الرحيم مصطفى : في اصول التاريخ العثماني ، ص ٢٧٣ .  
، عبد العزيز الشناوى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٠٠٧ .

وفي يوم السبت ٢٤ ابريل سنة ١٩٠٩م الموافق ١٣٢٧م استيقظ الناس على دوى المدافع من جهة يلدز لان السلطان كما يزعمون أمر على المقاومة، فحاصروا السراى ، وبعد ذلك أرسل قائد الاحتلال محمود شوكت الى جواد بك قائد جنود يلدز انذارا بالاستسلام ، فاستسلم جواد بك ، ولكن بعض الجنود بداخل السراى لم يقبلوا بالاستسلام فوقع بينهم وبين أنصار المشروطية معركة حامية الوطيس تمكن بعدها أنصار المشروطية بقوتهم من التغلب عليهم .

أما السلطان فقد سلم وطلب لنفسه الأمان فنقل الى ( سراى بغجة ) ينتظر المصير المحتوم .

عند ذلك أعلن محمود شوكت المشروطية الثانية وفرض الأحكام العرفية في اسطنبول ، وطلب من مجلس النواب الاجتماع ، فاجتمعوا في الحال في سان ستيفانو أحد ضواحي اسطنبول لتقرير مصير السلطان (١) .

وقد اتهم دعاة المشروطية السلطان عبدالحميد الثاني بتدبير هذه الثورة المضادة ، وان كان يحتمل ذلك ، فان دوره لا يتعدى مساندته بعددتها حين تبين له انها قوية بحيث تمكنه من استعادة سلطته المسلوبة (٢) ، وخاصة ان مجلس المبعوثين اختفى يوم ٣١ مارس سنة ١٩٠٩م / ١٣٢٧هـ وقد بقي القليل من أعضائه مختبئا في اسطنبول اما معظمهم ففر الى الولايات الثلاث المذكورة للاحتباء بها (٣) .

ماذا يريد هؤلاء الأحرار أو الأشرار ان يصح هذا التعبير من السلطان عبدالحميد ان يعملوا الناس تطلب منه إلغاء المشروطية والدستور وهذا المطلب القيم والذي يجب على كل مسلم غير على الاسلام ان يسانده ذلك لأن المشروطية أريد بها هدم الشريعة الاسلامية والاسلام ، ومعروف أن

(١) يوسف اصف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ج ٢ ص ١٧٠-١٧١ .

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٧٣ .

(٣) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٩٩ .

السلطان عبد الحميد الثاني رجل مسلم تنازل لجمعية الاتحاد والترقي على مفض وهو يعرف من كان يسانداهم وهم الانجليز وقد سبق أن صرح بذلك أكثر من مرة . كما أنه من الواضح أن الانجليز يريدون من خلال هذه المشروطة هدم الشريعة الإسلامية وإحلال القانون الوضعي عوضا عنها . وبالتالي هدم الدولة الإسلامية بتمكين حزب الاتحاد والترقي الذي تربى أعضاؤه في أحضان الماسونية في سلافيك ، ونحن نعرف ارتباط الماسونية بالصهيونية لانهما وجهان لعملة واحدة ، وكلاهما يسعى لإيجاد وطن قومي لليهود في فلسطين . ومن أجل ذلك خططت هذه الفئة الباغية لخلق السلطان عبد الحميد الذي وقف حجر عثرة أمام آمالهم ورفض جميع عروضهم المالية المغريسة . ورأوا أنه في سبيل تحقيق أهدافهم ومخططاتهم فإنه لابد من تسليم زمام السلطة في الدولة للفئة التي قاموا بترتيبها وتدريبها على العمل على معاداة الشريعة الإسلامية ، وقد تحققت ظنون السلطان بذلك عندما استلمت هذه الفئة الباغية الحكم من بعده ، وعملوا على تسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين دون قيد أو شرط .

وهذا ما أثبتته الوثائق والتقارير البريطانية ، وقد أحدثت هذه التحركات في الدولة العثمانية تغييرا ملاما للتوقعات ، فقد كثرت المستوطنات اليهودية في فلسطين أكثر من ذي قبل ، وقد كان للدور الذي لعبه اليهود وخاصة اليهود الأتراك ( الدونمه ) في سلافيك في الثورة الحديثة دورا مميزا مما أعطاهم الفرصة في الحصول على تأثير خاص في المجالس النيابية التركية .

وقد كان السلطان عبد الحميد معارضا لمثل هذه المشروعات وخاصة ما يتعلق منها في إيجاد وطن قومي لليهود في فلسطين ، وقد أدى موقفه هذا إلى استياء اليهود وخاصة اليهود الأتراك الذين كان معظمهم من دعاة المشروطة ، وأعداء الشريعة الإسلامية ممن يملكون شعورا قويا بالانتماء للشرق ، كما أنهم يعتبرون من أصحاب الاستثمارات الكبيرة في منطقة مقدونيا ، وعندما قامت الثورة ضدهم قاموا بتقليل مساعداتهم المادية

لتركيا . وقد حاول هؤلاء البغاة وعلى رأسهم قرا صو بالاطاحة بحكمهم السلطان عبدالحميد<sup>(١)</sup>، وكان قرا صو أحد أعضاء الوفد الذي قام بتبليغ السلطان قرار الخلع كما سيأتي .

وهنا نود أن نقول ماهو رأى بعض المؤرخين المسلمين الذين أكدوا أن السلطان عبدالحميد الثاني بعد اعلانه الدستور استعمل كل حيلة ودهاء ليؤكد للدستوريين أنه أصبح دستوريا أكثر منهم وأعلن ذلك مرارا ، لكنه سعى سرا في تأليف جمعية باسم " الجمعية الاسلامية " على مبدأ الشريعة الاسلامية فأقبل الناس على الدخول فيها ، وفي مدة وجيزة انتشرت في عموم الولايات العثمانية وقامت باول اعمالها يوم ١٢ ربيع الاول سنة ١٣٢٧ هـ الموافق سنة ١٩٠٩م حيث تجمع عدد كبير من عليا الناس يطالبون باعادة الشريعة الاسلامية وطراد الاتحاديين<sup>(٢)</sup> .

والآن نعود الى اجتماع المبعوثين مع أعضاء مجلس الاعيان في سمان ستيفانو حيث عقدوا جلسة رسمية قرروا فيها خلع السلطان عبدالحميد ، بعد أن استصدروا فتوى الخلع ، في يوم الثلاثاء ٢٧ ربيع الاخر سنة ١٣٢٧ هـ الموافق ٢٧ ابريل سنة ١٩٠٩م واجلاس ولي العهد محمد رشاد على العرش باسم السلطان محمد الخامس . وكان هذا السلطان في الرابعة والستين من عمره يستجيب لما يؤمر به<sup>(٣)</sup> .

أما كيف تم ابلاغ السلطان عبدالحميد الثاني بقرار مجلس النواب فقد اختار النواب لهذه المهمة وقدأ لن ينسأه المسلمون ولن ينسأه

---

(١) F.O.: 242/222, Mr.Marling to Sir Eduard Grey.  
No.: (2). 3-1-1910.

(٢) يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ج ٢ ، ص ١٦٩ .

، ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٩٧ .

، عابدين حمادة : تاريخ الغرب والشرق ، ص ٣٦٠ .

وغير هؤلاء المؤرخين كثيرون قد طرأوا هذا المنهج .

(٣) ساطع الحصري : المرجع السابق ، ص ٩٩ .

، يوسف آصاف : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٧١ .

التاريخ أبدا ،لانه وفد يندى لذكره الجبين . لقد ضم الوفد: ارم افندى ،  
- عمانوئيل قرا صو المذكور اليهودى ونائب سلانيك والعدو الأول للاسلام  
رفيق درب هرتزل ،ومدير المكاييد للقضاء على الدولة العثمانية ،واسعد  
طوبطاني الارنووطي ، وعارف حكمت باشا ، قدم هذا الوفد الى السلطان  
فوجدوه واقفا فلما قرأ عارف حكمت الفتوى التي أصدرها شيخ الاسلام  
فياء الدين افندى أجاب السلطان جواب المؤمن : " ذلك تقدير العزيز  
العليم " وأعقب ذلك اسعد طوبطاني قائلا : لقد عزلتك الامة ،فغضب  
عبد الحميد وقال : تقصد ان الامة خلعتني ، لابس ،ولكن لماذا جئتم  
بهذا اليهودى ؟ الى مقام الخلافة (١) ويعني السلطان بهذا القول  
قرا صو .

ولهذا يذكر المؤرخ التركي أورخان محمد علي قول السلطان  
عبد الحميد حيث يقول : " ان أشد ما آلمني هو تبليغي قرار الخلع من قبل  
ذلك اليهودى الماسوني ، فانا لا أستطيع نسيان "عمانوئيل قرا صو "  
من بين وفد المبعوثين (النواب ) الذين جاءوا الى يلدرز . لقد كان  
هذا اهانة لمقام الخلافة ونحن جميعا نعلم مدى الحقد الذي يكنه اليهودى  
للاسلام منذ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم (٢) .

ويضيف السلطان فيقول: "وعندما كنت على عرش السلطنة جاءني  
في أحد الايام "تيودور هرتزل " مؤسس المنظمة اليهودية العالمية  
مع رئيس الحاخاميين وذلك من أجل غاية صهيونية ... فكان طلبهم هو وطن  
لل يهود ،وكانوا يقترحون القدس لذلك ،حتى ان تيودور هرتزل قال بلا خجل:  
" أحب أن أعرض لجلالتكم باننا مستعدون لتقديم الملايين التي ترونها  
مناسبة من الذهبحالا من أجل القدس ... صرخت بهم قائلا: اخرجوا من هنا... "

---

(١) مصطفى طوران : أسرار الانقلاب العثماني ، ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٢) السلطان عبد الحميد الثاني : محمد حرب عبد الحميد ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

ان الوطن لا يباع بالمال ٠٠٠ ومن ذلك الوقت ناصبني اليهود العدا ٠٠  
وكل ما أقاسيه هنا في سلانيك هو جزاء عدم اعطائي وطناً لليهود" (١).

والى الشيء نفسه يشير السلطان عبد الحميد في رسالته التي وجهها  
الى شيخه محمود أفندى ابي الشامات في منفاه بسلانيك ، حيث يقول  
فيها : بعد الحمد والتسليم والتحية لشيخه مايلى :  
( ٠٠٠ أعرض لرشادتكم والى أمثالكم أصحاب السماحة والعقول السليمة  
المسألة المهمة الآتية كإمانة في ذمة التاريخ : انني لم أتخل عن  
الخلافة الإسلامية لسبب ما ، سوى أنني بسبب المفارقة من رؤى ساء جمعية  
الاتحاد المعروفة باسم ( جون ترك ) وتهديدهم - اضطرت واجبرت على  
ترك الخلافة الإسلامية .

ان هؤلاء الاتحاديين قد أصروا وأصروا علي بأن أصادق على تأسيس  
وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة ( فلسطين ) ورغم أصرارهم لم أقبل  
بصورة قطعية هذا التكليف ، وأخيراً وعدوا بتقديم ( ١٥٠ ) مائة وخمسين  
مليوناً ليرة انجليزية ذهباً وأجبتهم بالجواب القطعي التالي :  
( انكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً فضلاً عن ( ١٥٠ ) مائة وخمسين مليوناً  
ليرة انجليزية ذهباً - فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي .

لقد خدمت الأمة الإسلامية والأمة المحمدية مايزيد عن ثلاثين سنة  
فلم أسود صحائف المسلمين آبائي وأجداني من السلاطين والخلفاء  
العثمانيين . لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي أيضاً .

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي وأبلغوني انهم سيعيدونني  
الى سلانيك فقبلت بهذا التكليف الأخير .

هذا وحمدت المولى وأحمدته انني لم أقبل بأن ألطخ الدولة العثمانية  
والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدى الناشئ عن تكليفكم بإقامة دولة  
يهودية في الأراضي المقدسة "فلسطين" وقد كان بعد ذلك ماكان .

ولذا فانني أكرر الحمد والشناء على الله تعالى ، وأعتقــــــــــــد  
أن ماعرفته كاف في هذا الموضوع ، المهم وبه اختتم رسالتي هذه  
الشم يديكم المباركتين وأرجو وأسترحم أن تتفضلوا بقبــــــــــــول  
احترامي وسلامي الى جميع الاخوان والاصدقاء .  
يا أستاذي المعظم . لقد اطلت عليكم البحث ، ولكن دفعني لهذه  
الاطالة أن نحيط سماحتكم علما ونحيط جماعتكم بذلك أيضا .  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

في ٢٢ ايلول ١٣٢٩ هـ  
(١) خادم المسلمين: عبد الحميد عبد الحميد

وهكذا بعد أن أزيح السلطان عن سدة الحكم أرسل في ١٣٢٧/٤/٧ هـ ،  
الموافق ٢٨ ابريل سنة ١٩٠٩م مع نسائه وأولاده عبدالرحيم ومحمد وعابد  
وبناته شادية وعائشة ورافعة وبعض الخدم الى سلانيك ، ووضع في قصــــــــــــر  
الاثبتي الصفي كما سبق ، تحت حراسة فدائي الاتحاد والترقي ولمــــــــــــسا  
اندلعت حرب البلقان جرى نقله مع حاشيته الى قصر بـكـلـرـيـكي فــــــــــــي  
اسطنبول بعد توسط صديقه القديم الامبراطور ويليم الثاني وقد أقــــــــــــام  
هناك حتى توفي في هذا القصر (٢) .

وهكذا نرى أن السلطان نفى بتدبير حادثة ٣١ مارس في مذكراتــــــــــــه  
وأنه لايعرف عنها شيئا وفي هذا الصدد يقول : " أريد أن يكون معلومــــــــــــا  
جيذا أنه لم يكن لي أدنى علاقة لامن بعيد ولا من قريب بالاحداث التي  
تفجرت في ٣١ مارس . وعلي أمـتي أن تبحث عن هؤلاء الذين كانوا سبــــــــــــبا  
في هذه الحوادث وعليها أيضا أن تحاسبهم " (٢) .

(١) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ٢٨٩-٢٩٠ .

، عبدالكريم مشهـداني : العلمانية وإشارها على الأوضاع الاسلامية في تركيا ، ص ٣٩٠-٣٩١ .

(٢) مصطفى طوران : أسرار الانقلاب العثماني ، ص ١٠١ .

(٣) مذكرات السلطان عبد الحميد : محمد حرب عبد الحميد ، ص ١٠٢ .



- (١) مصطفى طوران : أسرار الانقلاب العثماني ، ص ٩٦ .
- (٢) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٩٩ .  
، يوسف آصافي : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ج ٢ ، ص ١٧١ .
- (٣) مصطفى خالد وعمر فروخ : التبشير والاستعمار ، ص ٥ - ٦ .

الاهتمام والتركيز الخاص على المسلمين ، فنجحوا في استمالتهم عن طريق المدارس والمستشفيات والمؤسسات الخيرية ، التي مهدت لبسط النفوذ الأجنبي باعتبارها إحدى وسائل التنمير . لذلك أخذ العثمانيون يقاومون هذا العزو الفكري في بلاد الشام وفي العاصمة العثمانية نفسها كما مر بنا .

فتوالى الكوارث بتظافر القوى اليهودية والمسيحية للقضاء على الخلافة العثمانية باعتبارها التجسيد الحي للأمة الإسلامية في ذلك الوقت . فأخذ الغرب المستعمر يقطع أجزائها حيث أن روسيا كانت تقطع منذ عهد كاترين ( ١١٧٦ هـ - ١٢١١ هـ / ١٧٦٢ - ١٧٩٦ م ) بعض الأراحي والولايات العثمانية ، فهاجم نابليون مصر سنة ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م وحرضوا البلقان على الثورة منذ عام ١٢١٩ هـ / ١٨٠٤ م ، وأمدتهم بالمساعدات حتى انفصلت عن الدولة العثمانية ، كما حرضت اليونان على الثورة منذ عام ١٢٣٦ هـ / ١٨٢٠ م حتى استقلت من تركيا عام ١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م كما سبق .

ثم توالى الحملات العسكرية الاستعمارية ، فاحتلت فرنسا الجزائر سنة ١٨٣٠ م ، وتونس سنة ١٨٨١ م ، ومراكش سنة ١٩١٢ م ، كما احتلت إيطاليا ليبيا سنة ١٩١١ م . (١)

أما الأطماع الأخرى فقد كانت الدول متفقة على اقتسام ميراث الدولة العثمانية عند زوالها من الوجود . فكانت بريطانيا تطمع في بتروال الموصل وضمان انشاء خط ثاني برى للهند يمتد من فلسطين الى الخليج العربي ، لأن بريطانيا هي الأخرى قد استولت على الهند من قبل وانتزعت باستعمارها لها سيادة المسلمين للاستيلاء على ثروتها الاقتصادية ، كما احتلت عدن سنة ١٨٣٩ م وبسطت حمايتها على لحج والمحميات من حدود اليمن الجنوبية الى شرق الجزيرة ، ثم استولت على مصر سنة ١٨٨٢ م ، والسودان سنة ١٨٩٨ م ، وكانت فرنسا تجاهر بأنها ستمييب استقلالها الاقتصادي بما تجنيه من القطر في حلب ، ومن التحرير في لبنان ، والصوف في سوريا وكانت إيطاليا مقتنعة بالاستيلاء على القسم الغربي من الأناضول ، أما روسيا فتطمع في قسم مسن

(١) مصطفى صبري : الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية ، تقديم مصطفى حلمي ، ( الطبعة الأولى ، الاسكندرية ، دار الدعوة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م )

من تراقية واسطنبول وأرمينيا وكردستان ، واستولت هولندا على جـزر الهند الشرقية ، وحوصرت أفغانستان تحت الغلط الانجليزى والروسي ، كما حوصرت ايران (١) .

واستكمالا لهذا المخطط ، فقد شجع المنعمون والاستعمار العرب على الانفصال عن الدولة العثمانية تحت شعار جديد لا يعرفه الاسلام وهو " القومية العربية " لا حيا في العرب ومصالحهم ، ولكنه من أجل القضاء على الرابطة الاسلامية القومية بين المجتمع الاسلامي .

اضافة الى ذلك فقد بدأت مهمة السفارات والقنصليات تعمل عملها في الأقطار الاسلامية ، لحرب الوحدة الاسلامية ، وبث الروح القومية بين المسلمين .

وقد برزت أعمالها بشكل واضح في اسطنبول وبيروت والقاهرة ودمشق واتخذتا لهما مركزين . الاول في اسطنبول لضرب الدولة الاسلامية فـسي عاصمتها ، والثاني في بيروت لضرب الدولة الاسلامية في قلبها العربي (٢) .

ويلاحظ في ذلك نشوء الحركة القومية العربية ، فان المسيحيين قسـد لعبوا دورا كبيرا في اشارة الوعي القومي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي الذي شهد عددا من رواد الأدباء والمفكرين العرب الذين حملوا لواء النهضة الأدبية والفكرية ، وقد برز منهم نصيف اليارجسي وبطرس البستاني ، فاليارجي استعان به الامريكيون في تأليف الكتاب التي تدرس بمدارسهم ، وأخذ يدعو العرب المسلمين والمسيحيين الى احياء الأدب العربي القديم . وأما البستاني فقد استعان به الامريكيون أيضا في تدريس اللغة العربية في كلية المعلمين بعباي ، وفي تأليف الكتاب واشترك مع ايلي سمث في ترجمة الانجيل ، ثم وضع سفره ، قاموس محيط

---

(١) مصطفى صبرى : الأسرار الخفية وراء الغاء الخلافة العثمانية ، تقديم مصطفى حلمي ( الطبعة الاولى ، الاسكندرية ، دار الدعوة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م )

ص ٢٦-٢٧ .

(٢) مصطفى محمد رمضان : العالم الاسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر ، ص ١٤٤-١٤٦ .

المحيط " ومختصره " قطر المحيط " ثم موسوعته العربية ( دائــــرة المعارف ) وقد تردد هذا النشاط الثقافي (١) على شكل جمعيات مثل " جمعية الفنون والعلوم " التي أنشأتها البعثة التنصيرية الأمريكية سنة ١٢٦٤ هـ / ١٧٤٧ م ، والتي تولى رعايتها العميلان الانجليزيــــــــــــان " بطرس البستاني ، وناصيف اليازجي ، واشترك معهما في رعايتها طائفة من أعضاء البعثة التنصيرية الأمريكية ، ولم يدخلها احد من المسلمين، وان ظهرت هذه الجمعية بمظهر نشر العلوم والفنون واهياء اللغة العربية وآدابها ، الا أن الغرض الصحيح هو اشارة النعرات القومية والحركات الانفصالية عن الدولة العثمانية .

ثم بعد ذلك تبدأ مرحلة جديدة انتقل فيها النشاط الى يد الوطنيين العرب من نصارى ومسلمين ، وذلك عندما نشأت سنة ١٢٧٤ هـ / ١٨٥٢ م (الجمعية العلمية السورية ) وأدى هذا النشاط المتزايد الصليبي الى مذابح سنة ١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠ م كما سبق ذكره ، بين الدروز والموارنة في الشام ، أدت هذه الفتنة الى تقسيم الشام الى طوائف متحاربة ، وقد تسببت في وقف نشاط الجمعيات مؤقتا وهجرة بعض رجالها الى مصر ليقظة الدولة العثمانية الا أنها استأنفت نشاطها بقوة وأخذت تجند أكثر الشخصيات العربية من المسلمين والمسيحيين على السواء من اسطنبول والقاهرة وبيروت والشام وغيرها (٢) .

هذه الأحداث دفعت البستاني الى محاولة تهدئة النفوس والقضاء على التعصب ، فأصدر في بيروت عام ١٨٦٠ م ( نفيـــــر سوريا ) أسبوعيا ، وهي أول صحيفة سياسية نذرت جهودها من أجل الدعوة الى الوحدة ونبذ التعصب .

---

(١) محمود صالح منسي : حركة اليقظة العربية ، ص ٦٤ - ٦٥ .

(٢) مصطفى محمد رمضان : العالم الاسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر ،

وبعد ثلاث سنوات أنشأ ( المدرسة الوطنية ) لكي تزود التلاميذ من مختلف الأديان بتعليم قومي ، وفي عام ١٨٧٠م أصدر ( الجنان ) وهي مجلة أدبية سياسية نصف شهرية كان هدفها - كنفير سوريا - محاربة التعصب ، والدعوة الى التفاهم والوحدة من أجل خير الوطن ، وكان شعارها: الوطنية من الايمان ، ويعني ذلك أن اللغة العربية وآدابها لم تجسد ملجأ سوى لدى الارساليات التنصيرية المسيحية ، حيث كان التعليم فسي مدارسها يجرى باللغة العربية ، وهكذا أتيح للمسيحيين فرصة الاطلاع والبحث في تاريخ العرب ولغتهم وآدابهم (١) ، عن طريق نصارى العرب في بلاد الشام أمثال هؤلاء البستاني واليازجي .

فكانت أول جمعية أخذت شكل التنظيم السياسي هي : " جمعية بيروت السرية " هذه الجمعية تأسست عام ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م وقامت على أساس فكرة القومية العربية ، وكانت في الظاهر تعمل للعرب والعروبة وتثير العداء للدولة العثمانية ولكنها في الواقع كانت تعمل على فصل الدين عن الدولة وجعل القومية العربية هي الأساس ، وتحويل الولاء عن العقيدة الاسلامية ليكون للأقليات المسيحية واليهودية في البلاد العربية وجود بل دول في المنطقة (٢) ، وهكذا بدأت الحركة القومية كحركة أدبية تعمل على احياء اللغة العربية وآدابها ، ثم تحولت الى دور العمل السياسي (٣) ، وهذا ما كان يخطط له في أروقة بريطانيا فعلا وقد نفذ فيما بعد بصدور وعد بلفور سنة ١٩١٧م لاقامة وطن يهودى في فلسطين . ففي تلك الفترة ظهرت دعوة جديدة تقول باقامة خلافة عربية مقام الخلافة العثمانية نادى بها عبدالرحمن الكواكبي ( ١٨٥٤ - ١٩٠٢م ) في كتابه " أم القرى " الذي صدر سنة ١٣١٦هـ . حيث تناسول مسألة الخلافة وألقى بذور الشك في صحتها

(١) محمود صالح منسي : حركة اليقظة العربية ، ص ٦٤ - ٦٦ .

(٢) مصطفى محمد رمضان : المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

(٣) محمود صالح منسي : المرجع السابق ، ص ٦٧ .

اعتبار السلاطين العثمانيين خلفاء للمسلمين ، وأوضح أن الكتب الفقهية الأساسية تذكر بين شروط الخلافة " النسب القرشي " ودعا الى ثورة العرب على الأتراك .

وتلى ذلك أن أنشا نجيب عازوري " عصبة الوطن " في باريس - وهو عربي نصراني - بهدف تحرير الولايات العربية من الحكم العثماني . ونشرت العصبة حوالى خمسين نداء موجهة الى العرب يدعوهم الى الثورة على الأتراك ثم نشر عام ١٩٠٥م كتابا بالفرنسية هو " يقظة الامة العربية " دعا فيه الى فصل الولايات العربية عن الدولة العثمانية على أن تكون الحجاز مقرا للخلافة ، وأن تكون الشام والعراق دولة عربية موحدة عصرية (١).

في هذا الوقت كانت جمعية الاتحاد والترقي في اسطنبول تلعب دورا مهما في اسقاط حكومة السلطان عبدالحميد الثاني ، عندما تعاونت هذه الجمعية مع أوكار الصهيونية والماسونية التي انتشرت في البلاد العثمانية ، فعرضت البلاد للمحن والكوارث والثورات داخل البلاد حتى أصلت نار الفرقة بين الشعبين التركي والعربي الشقيقين (٢).

ذلك بعد اعلان المشروطية الثانية سنة ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨م اتسعت الحركة القومية في الدولة العثمانية ، فالتنصير لم يرض أن يوقظ الروح القومية ولا اخمادها ، ولكنه أراد أن يحولها الى خدمة أهدافه (٣). عندما استقبل العرب كغيرهم من شعوب الدولة العثمانية الدستور العثماني بفرح وسرور وحماسة ، فاندفعوا وراء جمعية الاتحاد والترقي التي تضم عددا كبيرا من كبار الضباط العرب . الا أنه بعد انقلاب سنة ١٩٠٩م رأى الاتحاديون في العرب خطرا على سيادة العنصر التركي فسلكوا فيهم طريق الشدة والعنف في معاملتهم . فأصيب العرب بخيبة أمل ازاء هذا الموقف من الاتحاديين

(١) على المحافظة : الاتجاهات الفكرية عند العرب ، ١٣٣ - ١٣٤ .

(٢) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٤٣ .

(٣) مصطفى خالد وعمر فروخ : التبشير والاستعمار ، ص ١٧٢ .

فلجأ العرب الى انشاء الجمعيات السرية ، وكان من أهدافها أن تحوّل الدولة العثمانية الى مملكة شنائية من العرب والترك ، وأن تؤلّف الولايات العربية مملكة لها برلمانها وحكومتها ولغتها العربية وأن تؤلّف مع الدولة العثمانية دولة عربية تركية ، لكنها عقب الحرب العالمية الأولى أصبح العرب يسعون الى تحرير البلاد العربية من الحكم التركي واستقلالها التام (١) .

لذلك شجّع أهل الغرب الحركات الانفصالية داخل الدولة بين التتريك والعرب وحركوا الثورة العربية بواسطة عملاتها لورنس العرب وجلوب حين أشاروا فتنة القوميات العربية بغرض تقويض أركان الدولة العثمانية (٢) .

وفي هذا الصدد يحدد لورنس العرب في تقرير سري رفعه الى المخابرات البريطانية في شهر كانون الثاني سنة ١٩١٦م بعنوان " سياسات مكشوفة " وهي أهداف بريطانيا الرئيسية والغرب نحو المسلمين ، فيقول فيه : " أهدافنا الرئيسية : تفتيت الوحدة الاسلامية و دحر الامبراطورية العثمانية وتدميرها ... " (٣) .

وفي نفس العام قامت الثورة العربية بقيادة الشريف حسين للتخلص من حكم الأتراك واستقلال البلاد العربية ، والتي تدفعها اطماع بريطانيا وخلفائها ، وكانت هذه الثورة وبالا على العرب والأتراك لصنور وعبد بلفور سنة ١٩١٧م ، حول منح اليهود حق انشاء وطن قومي لهم في فلسطين .

لذلك نجح الاستعمار الشرقي والغربي بالغزو الفكري في تفتيت الجسد الواحد أو التضامن الاسلامي وحوله الى دول ودويلات لكل منها حاكم وعلم ونشيد وحدود جغرافية مصطنعة ، وغزاها بالأفكار القومية والوطنية فأصبح

---

(١) على المحافظة : الاتجاهات الفكرية عند العرب ، ص ٣٥ ، ١٣٩ ، ١٤٢ .

(٢) مصطفى صبري : الاسرار الخفية وراء الغاء الخلافة العثمانية ، ص ٢٦-٢٧ .

(٣) زهدي الفاتح : لورنس العرب ، ( الطبعة الاولى ، بيروت ، دار النفائس

١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م ) ، ص ٦٤ .

ولاء الأمة اما للاشخاص الزعماء أو القادة ورجال الحكم والسياسة  
أو للأفكار والمذاهب والفلسفات الواردة ، وبذلك حولت الشعوب الإسلامية  
عن الولاة الوحيد الذى ينبغى أن تخضع له دون سواه ، وهو الولاة لله  
الواحد القهار ، واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم (١) الى ولاء هؤلاء  
الأشخاص كما قال تعالى: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف  
وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (٢).

وبالرغم من أن الغزو الفكرى الذى عم أرجاء الدولة العثمانية إلا أن  
الدولة السعودية قامت على أسس اسلامية سليمة مكنتها من أن تصد التدهور  
عن شبه الجزيرة العربية ، حيث ظهرت الدعوة السلفية في نجد وشبه الجزيرة  
العربية بكاملها ثم انطلقت خارجها نحو شمالها وجنوبها الى السودان  
والهند وسومطرة وشمال افريقيا وخاصة بعد أن ضم الامام سعود بـــــــــــــــــن  
عبد العزيز مكة المكرمة سنة ١٢١٦ هـ الى الدولة السعودية ، انتشرت  
هذه الدعوة خارج نجد الى الدول الاسلامية المجاورة عن طريق الحجاج  
الذين رأوا في الدعوة السلفية انها ليست دعوة جديدة كما روج لها  
أعداؤها كما سيأتي .

...

---

(١) مصطفى صبرى : الأسرار الخفية ٠٠ ، ص ٢٩-٣٠.

(٢) سورة آل عمران : آية رقم (١١٠).



- دعوة التوحيد والاصلاح فى الجزيرة العربية :

منذ اوائل القرن الثالث عشر الهجرى الموافق للقرن التاسع عشر الميلادى بدأ الضعف يدب فى كيان الدولة العثمانية ، نتيجة لفساد الكثير من الانظمة الداخلية ، وبالتالي أحدث هذا خلافا فى السياسة الخارجية ايضا ، رافق ذلك كثرة الحروب التى شنتها كل من روسيا والنمسا ضدها ، وذلك بغية تصفية ممتلكاتها فى اوربا اولا ، ثم القضاء عليها ثانية . وقد انعكس هذا الضعف على البلاد العربية الخاضعة للحكم العثمانى .

فأمسى الحجاز بصورة عامة ونجد والاحساء بصورة خاصة من جملة تلك المناطق والاقطار التى لم تجد من الدولة العثمانية الحماية والعناية المطلوبة ، حتى كادت ان تقع الاحساء فريسة للاستعمار الاوروبى المتربص بها والطامع فى موقعها وثروتها .(١)

لهذا قامت دعوة التوحيد والاصلاح فى شبه الجزيرة العربية التى نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وكان الباعث الاول من قيامها هو ما وصل اليه العالم الاسلامى فى عصره من تدهور وفساد على كافة الاصعدة الدينية والسياسية ، والاجتماعية والاقتصادية (٢) ، وما يهمنى هو الوضع الدينى والسياسى .

---

(١) عبداللطيف عبدالله بن دهيش : احوال شبه الجزيرة قبل قيام الدولة السعودية الاولى ، ( مجلة العرب ، الرياض ، دار اليمامة للبحوث والترجمة والنشر ، ج ١ ، ٢ ، س ١١ ، رجب وشعبان ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ) ص ٢٢ .

، محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ٢٨٤ ، (٢) محمد عبدالله سلمان : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ( الطبعة الاولى ، القاهرة ، المطبعة السلفية - ومكتبتها ، ١٤٠١ ) ص ٧ .

وعلى أية حال فقد كان هذا امام الفعف الذي سيطر على الدولـة العثمانية ، ومجزها من دفع الضرر عن رعاياها وبلادهم (١) ، حيث بسـدأت تتجه الى اوربا لتستمد منها قوتها ظنا منها انها تستطيع النهوض بدولتها وشعوبها اذا ما قلدت الغرب في انظمتـه ، صارقة النظر عن الدين وتعاليمه فانقسم الشعب الى فئتين فئة تنادى بالرجوع الى الشريعة الاسلامية ، والفئة الاخرى تدعو لاعتناق المبادئ الاوربية ، وفات الفريق الثانى انهم جهلسوا عن هذه الحقيقة وهى ان الاحوال فى الغرب كانت غير الاحوال فى البـلاد الاسلامية سياسيا ودينيا واجتماعيا ، وانه ليس كل مايصلح للغربيين فى نهضاتهم يصلح للمسلمين ويساعدهم .

ولهذا نشأت حركات الاصلاح ، هدفها الاساسى احياء تعاليم الشريعة الاسلامية التى اصبحت نسيا منسيا للتخلص من الاستعمار ، وكان اول هـذه الدعوات كما ذكرنا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الاصلاحية السلفية والتى تعتبر اول حركة اصلاحية سلفية فى العصر الحديث ، وأولى الحركات الاصلاحية التى ظهرت فى الدولة العثمانية (٢) تدعو الى نقاء العقيدة الاسلامية من كل البدع والخرافات والرجوع الى اصول الاسلام الصحيح . (٣)

لذلك عملت دعوة التوحيد والاصلاح نوعا من التوازن لمواجهـة الغزو الفكرى الذى تسرب الى داخل الدولة العثمانية وعاصمتها . وهذا عندما ركن قادتـها الى سياسة العزلة ، وعملوا على عدم ادخال أى اصلاحات جوهرية تتمشى مع التعاليم الاسلامية سياسية كانت أو دينية ، مما أدى الى

---

(١) عمر عبدالعزيز عمر : تاريخ المشرق العربى ص ٢١١

(٢) عمر عبدالعزيز عمر : المرجع السابق ، ص ٢١١

(٣) محمد بن مافسى : النهضة الحديثة فى جزيرة العرب ، ص ٣٩ .

قيام عناصر متطرفة تساندها عناصر غير اسلامية من اليهود وأحزابهم إلى المطالبة بفرض قوانين وضعية وإصلاحات بعيدة في معظمها عن الروح الإسلامية وقد ساعد ذلك على ضعف مركز السلطان الذي أصبح ألعوبة في هذه الفئات المتطرفة ، وهذا بدوره أضعف أيضا قبضة الدولة على السلطة في داخل العاصمة والولايات التابعة لها في أوروبا والبلاد العربية ، ونتيجة لذلك طمع الغرب المستعمر رويدا رويدا في البلاد والبحار العربية من أجل حماية مصالحه وتجارتها القادمة من الشرق ، فاستغل الامتيازات التي حصل عليها في الدولة العثمانية ، وزاد عليها معاهدات أخرى تجارية ودينية واسعة ، كما زادت أيضا في الوقت نفسه البعثات التنصيرية إلى البلاد العربية وخاصة في بلاد الشام .

كما استبدت الولاة وكثرت البدع والخرافات ، وابتعد الناس عن تحكيم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وفي هذه الظروف السياسية والدينية المتدهورة أصبحت شبه الجزيرة العربية في حالة سيئة من الناحية الدينية والسياسية (١) .

فلقد تنازع الحكام فيما بينهم على السلطة ، فتعددت السلطنات وعمت البدع والخرافات ولكن شاءت إرادة الله أن ينقذ دينه وينصر من ينصره فظهر في منطقة نجد المصلح الكبير الشيخ محمد بن عبد الوهاب خاصة بعد أن نسي الناس الطريق الصحيح ، وتعاهد مع الإمام محمد بن سعود على توحيد الأمة والعمل على تحكيم كتاب الله والسنة النبوية المطهرة ومحاربة البدع والخرافات (٢) .

فكانت هذه الدعوة فكرا مضادا لحركة الغزو الفكري التي عمّت الدولة العثمانية في تلك الفترة .

أولا: ان قيام قيادة سياسية واعية مؤمنة بهذه الدعوة ومبادئها ومرتبطة بها وحارسة لقيمها ومدافعة عنها بدلا من الفرقة والتمزق الذي كانت تعيشه

(١) محمد بن ماضي ، النهضة الحديثة في جزيرة العرب ، ص ٣٩-٤٠ .

(٢) حسين بن غنام : تاريخ نجد ، تحقيق ناصر الدين الأسد ( الطبعة الثالثة ،

الرياض ، مطابع شركة الصفحات الذهبية ، ١٤٠٣هـ ) ، ص ١٠٠ .

منطقة نجد وماجاورها في قلب شبه جزيرة العرب واشعارها بمسؤوليتها عن هذه العقيدة ومقتضياتها ، كل هذا الأمر يجعل الدولة العثمانية تخشى من أن تتحول بعض الولايات والاقاليم التابعة لحكمها والمجاورة لهذه الدولة الجديدة الى هذه الدولة وخاصة ان الدولة العثمانية بدأت تنحرف مســــن خلال الفساد الذى عم الدولة العثمانية والذى كان من أهم اسبابه الغزو الفكرى للدولة العثمانية .

ثانياً: أن الغزو الفكرى قد ساعد على انتشار المبادئ الهدامة والعقائد الفاسدة التي تصرف الناس عن جوهر دينهم ، وعلى فساد الاخــــلاق بينما ساعدت الدولة السعودية على ابطال البدع والخرافات بمختلف مظاهرها في العقيدة والسلوك والاخلاق والاداب والمعاملات واحلال القيم الصحيحة والاصول السليمة والاداب الاسلامية محلها ، وعلى هذا فدولة قائمة على هذه القيم والمبادئ ستمنع من دخول الفساد والانحراف في الدين والاخــــلاق ، وبالتالي لايمكن الغزو الفكرى بسمومه ومبادئه الهدامة من التأثير على هذه الدولة والذى يخشى منه هو أن يمتد نفوذ هذه الدولة او الدعوة السلفية الى الارحاء التي تقع تحت حكم الدولة العثمانية التي اصبحت بواسطة الغزو مرتع لهذا الفساد والانحراف وبالتالي توجهت الدولة العثمانية لمحاربتها .

ثالثاً: ان انتشار الدعوة السلفية كما أسلفنا في كثير من البلدان التابعة للحكومة العثمانية قد أدى الى شعــــور هذه الدولة بان هذه الدعوة قد تؤدي الى تفكيك هذا الحكم فلا بد من محاربتها في موطنها الأصلي ، والشعور بان هذه الدعوة قد تؤدي الى تفكيك هذا الحكم مرده الى المبادئ الفكرية الوافدة على أمتنا الاسلامية والتي تجعل من أبناء الأمة المسير مع كل اصلاح .

رابعاً: ان الغزو الفكرى بما حمله من ثقافات مختلفة أثرت في المسلمين مع الاسف وخاصة في الذين لم يتمكن الاسلام في قلوبهم ، فــــد انبهروا بها وأخذوا بها وذهلوا بما فيها ، وخاصة حكام وأمراء الدولة العثمانية مما دفعهم الى محاربة الدولة السعودية التي تحتضن الدولة

السلفية لانها ستكون في نظرهم ضد استمرارهم في النشوة التي يعيشونها  
مع هذه الثقافات الوافدة .

أما كيف كان ظهور هذه الدعوة السلفية ، فقد كانت الحالة الدينيّة  
مندفعة كبيرة من مامة الناس خلال النصف الاول من القرن الثاني عشر الهجري  
الموافق لاول القرن الثامن عشر الميلادي ، قبل دعوة الشيخ محمد بن  
عبد الوهاب قد انصرفت عن طريق الحق ليس رغبة في ذلك وانما لجهلهم بأمور  
دينهم ودينهاهم ، وقلة الدعاة لارشادهم الى الطريق السليم والنهج القويم  
وضعف السلطات الحاكمة في المنطقة من شيوخ قبائل وأمراء مدن وتنازعهم  
مع بعضهم حتى كثرت البدع والخرافات وحكمت العادات والتقاليد مكان الشرع  
الحكيم حتى أصبح بعض أولئك العامة يرون في الجمادات كالأحجار والأشجار  
القدرة على تقديم النفع ودفع الضرر وقد زين لهم الشيطان انهم ينالون  
بهذا العمل ثوابا يقربهم من الله تعالى . فعبدوا أهل القبور ، وصرفوا  
النذور اليهم والابتغال بالدعاء لهم وجعلوا لغيره عز وجل ما لا يجوز صرفه  
الا اليه سبحانه وتعالى .

ولم يكن هذا الأمر مقصورا في نجد وحدها ، بل ان هذا كان هو حال  
معظم ديار المسلمين<sup>(١)</sup> معنى ذلك أن الضلالات والبدع والخرافات والاساطير  
حلت محل القيم الاسلامية الصحيحة ، واضمحلت في نفوس معظم الناس تعاليم  
الاسلام وتنظيماته الحكيمة ، ولكن ليس بالصورة المبالغ فيها حسب التعميم  
الصادر من حسين بن غنام ومن بعده عثمان بن بشر عن سوء الحالة  
الدينية في تلك الفترة ، لأن شبه الجزيرة العربية كانت خلال القرن  
الثاني عشر الهجري تعج بالعلماء الذين تحلوا بالصفات الحميدة والعلم  
الوفير ، وكانت لهم مؤلفاتهم في كثير من العلوم ، وبخاصة في علوم  
القرآن والحديث والفقه والتوحيد وعلم الآله والسيرة النبوية والتاريخ  
الاسلامي ، وكانت المساجد تؤدي دورها في التعليم والارشاد وخاصة في المسجد  
الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة وبعض  
المساجد في المدن الرئيسية في نجد والقصيم وحائل<sup>(٢)</sup> .

(١) حسين بن غنام ، تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ١٠ .

(٢) عبداللطيف عبدالله بن دهيش : احوال شبه الجزيرة العربية قبل قيام الدولة  
السعودية الاولى (مجلة العرب ، الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة ،

اما البيئة التي عاش فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانت بيئته علمية محافظة ، تتميز بالجد ، والاستقامة ، والحرص على الاصول الاسلامية والمحافظة عليها (١) . وقد كانت الحالة السياسية في الجزيرة العربية وبالتحديد خلال النصف الاول من القرن الثاني عشر الهجري - الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي ، ويعنى ذلك قبيل دعوة الشيخ بقليل مضطربة يسودها الانقسام وتعمها الفرقة وعدم الاستقرار لتعدد الامارات والمشيخات .

فاتسمت بالتفكك السياسي والصراع الدائم حول السلطة بين حكام المنطقة من امراء مدن وشيوخ قبائل ، فلم يكن فيها عند قيام الدولة السعودية وظهور الدعوة الإصلاحية دولة قوية توحيدها وتجمع شملها (٢) .

وكانت نجد في تلك الحقبة مقسمة الى عدة امارات ، كل امانة مستقلة عن الاخرى يحكمها أمير ومن أهم هذه الامارات .

- ١ - امانة آل سعود في الدرعية .
- ٢ - امانة آل دواس في الرياض .
- ٣ - امانة آل معمر في العيينة .
- ٤ - امانة آل علي في حائل .
- ٥ - امانة آل حجيلان في القصيم .
- ٦ - امانة آل شبيب في شمال نجد وجنوب العراق .
- ٧ - امانة آل زامل في الخرج .

بجانب شيوخ القبائل الذين لهم السلطة على قبائلهم المنتشرة في ربوع الجزيرة العربية وكثير ما تشتمل الحروب والصعومات والفتن بين امراء المدن وشيوخ القبائل على اتفه الأسباب (٣)

---

(١) عبدالله بن سعد الرويشد: الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ،

( القاهرة ، الناشر مكتبه عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٩٢ ) ، ج ١ ، ص ٣

(٢) عبداللطيف عبدالله بن دهيش : احوال شبه الجزيرة العربية قبل قيام الدولة السعودية الاولى ، ( مجلة العرب ، الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ج : ٢ ، ص ٢٢ ، رجب وشعبان سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ١٥

(٣) عبد الله بن سعد الرويشد : المرجع السابق ، ص ٣ .

وليس هناك قانون ولا شريعة يحكم بها هؤلاء الامراء ، الا ما قضت به آهواء الامراء وعمالهم وليس على حسب احكام الشريعة الاسلامية .

اما كيف يصل هذا الحاكم الى سدة الحكم ، فهناك طرق مختلفة منها ما كان سليما ، ومنها ما كان عن طريق القسوة . وكثيرا ما كانت الامارة وراثية الا اذا حدث خلاف داخل الاسرة ذاتها (١) فزعييم القبيلة كان يختار حسب مؤهلاته القيادية الذاتية ، لاتبافه بالكرم والشجاعة والحلم وسداد الراى من قبل عشيرته بكامل بطونها (٢).

والجدير بالذكر ان الصراع حول السلطة ، واللجوء الى القسوة احيانا لحل النزاعات ليسا من الامور الخاصة بنجد خلال تلك الفترة ، وانما هما أمران لم يخل منهما تاريخ أمة على مختلف العصور والازمان . (٣)

وكان معظم الناس متفرقين ليس فيهم ملك أو امام ، ولا يسودهم شرع يقتل بعضهم بعضا ، وياكل قويهم ضعيفهم ، لا ينهاون عن منكر فعلوه ، ولا فرض تركوه . ولذلك لابد من ظهور عالم يجدد لهذه الامم معالم دينها ويوقظها من ادران البدع والخرافات التى انغمسوا فيها . (٤)

لان البلوى قد اعمت قلوب بعض عامة الناس فانحرفوا عن الطريق المستقيم واتبعوا بعض الامور والتى من اعظمها الاشراك بالله بالتوجه الى الموتى وسؤالهم النسر على الاعداء ، وقضاء الحاجات وتفريج الكربات ، التى لا يقدر عليها الا رب السموات والارض وكذلك التقرب اليهم بالنذور وذبح القرбан والاستغاثة بهم فى كشف الشدائد وجلب الفوائد الى غير ذلك من انواع العبادة التى لاتصح الا لله .

---

(١) عبدالله الصالح العثيمين : الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره ص ١٤ ، ١٥

(٢) عبداللطيف بن هيش : احوال شبه الجزيرة العربية قبل قيام الدولة السعودية الاولى ( مجلة العرب ، الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ج ١ ، ٢ ، ٢٢ ، رجب وشعبان سنة ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م ، ص ١٦

(٣) عبدالله الصالح العثيمين : المرجع السابق ، ص ١٥ .

(٤) محمد عبدالله بن المحسن آل عبدالقادر الاحسائي : تاريخ الاحساء ( الطبعة الاولى ، الرياض ، مطبعة الرياض ، ١٣٧٩ هـ ) ص ١٢٤-١٢٥ .

ومرف شيء من انواع العبادته لغير الله كمرف جميعها لانه سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك ولا يقبل من العمل الا ما كان خالصا كما قال تعالى " فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار " (١) .

فافتتن بعض عامة الناس بهذه الامور والخرافات وظنوا فيها النفع والفرر والعياد بالله (٢) ، حتى قبيض الله لذلك العالم الجليل المجدد للدين الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الذى نادى بالتوجه الى الله فى كل الامور الدينية والدنيوية فى المعاملات والعبادات (٣) ونبذ البدع والخرافات .

ولقد ولد ونشأ صاحب هذه الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى العيينه فى بلاد نجد شمال الرياض سنة ١١١٥ هـ / ١٧٠٣ م ، فترعرع فى كنف والده عبد الوهاب بن سليمان ، الذى كان يعمل قاضيًا لامارة العيينه فقرأ الشيخ رحمة الله على يد أبيه القرآن الكريم وتعلم الكتابة حتى حفظ القرآن وعمره لم يتجاوز الثانية عشر ثم اخذ فى قراءة كتب الحديث والتفسير وتتبع من خلالها وكلام العلماء فى أصل الاسلام (٤)

فشرح الله تعالى صدره لمعرفة التوحيد ومعرفة نواقضه المفله عن الطريق فى وقت كانت فيه الظلالات قد فشت وانتشرت فى نجد وغيرها من البلدان المجاورة ، حيث كثر الاعتقاد فى الاحجار والاشجار والقبور فأخذ الشيخ محمد يعارض وينكر على من نهج هذا المنهج من الضلاله والبدعة من أهل نجد (٥) .

---

(١) سورة الزمر ، آية ٢ ، ٣

(٢) عبدالعزيز زيد الرومى وآخرون : اسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، القسم الخاص للرسائل الشخصية ، ( طبع جامعة الامام محمد بن سعود )

ص ١١١ - ١١٢ .

(٣) محمد عبدالله بن عبد المحسن آل عبد القادر الاحسائى : تاريخ الاحساء ، ص ١٢٥ .

(٤) السيد محمود شكرى الالوسى : تاريخ نجد ، تحقيق بهجت الاثرى ،

( القاهرة ، المطبعة السلفية بمصر ، ١٣٤٣ هـ ) ، ص ١٠٦ .

(٥) عثمان بن عبدالله بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ، تحقيق عبد الرحمن

عبدالله آل الشيخ ، ( الطبعة الرابعة ، الرياض ، من مطبوعات دار الملك

عبدالعزیز ١٤٠٢ هـ ) ج ١ ، ص ٣٣ .



فضاق صدره ذرعا من هذه الافعال ، لذلك استأذن والده ، وسافر من بلده العيينة الى الحج لبيت الله الحرام ، وكان ذلك في حوالى عام ١١٢٦ هـ / ١٧٢٢ م ، ساعيا كذلك فى طلب العلم فالتقى مع العلماء فى مكة المكرمة اثناء موسم الحج ، وأدى مشاعرة ، وقام بمناسكه ، وأخذ عنهم ، ورحل قاهدا المدينة المنورة (١) . فنزل فيها وأخذ العلم فيها على يد الشيخ عبدالله بن ابراهيم بن سيف من آل سيف رؤساء بلد المجمعة المعروفة فى ناحية سدير من نجد .

وكان عالما فى الفقه والحديث الشريف (٢) . وأخذ هذا الشيخ الى الشيخ محمد حياة السندى المدنى ، فناقشه واخذ من علمه الواسع وبعد ان اقام فى المدينة ماشاء الله له ، خرج منها قاهدا نجد ، لانه كان ينوى الشام ، فتجهز من هناك مواصلا رحلته العلمية الى البصرة والشام فلما وصل الى البصرة نزل فيها ، وقرأ فيها على يد العالم الجليل محمد المجموعى ، فمكث هناك عدة اعوام يقرأ على يد الشيخ المجموعى وينكر على أهل البصرة أشياء من البدع ، فأحدثت المناقشات التى تمت بينه وبين اصحاب البدع والظلال خصوصاً ماكان منها فى العقيدة بعض الخلاف (٣)

ولما أعلن الشيخ افكاره الشديدة لتلك الظلال والبدع ضاق به أهل البصرة ، فاذوه وأخرجوه فى وقت الهجير من البصرة فقمده بلده الزبير ، ولما توسط الشيخ الطريق ما بين البصرة والزبير ، سقط فى الطريق مغمىا عليه وكاد ان يهلك من العطش لشده الحر ، ولانه قطع تلك المسافة مشياً على الاقدام ، ولكن مشيئة الله ، شئت ان يدركه رجل من أهل الزبير

---

(١) عبدالله بن سعد الرويشد : الاسام الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ج ١ ، ص ١٨

(٢) عبدالله الصالح العثيمين : الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره ،

( الرياض ، الناشر دار العلوم ، مطبعة نهضة مصر ) ص ٣٤ .

(٣) أمين الريحاني : تاريخ نجد ، ( الطبعة الأولى ، بيروت ، المؤسسة العربية

للدراسات والنشر ، ١٩٨٠م ) ج ٥ ، ص ٣٧ .

فسقاه وحمله على دابته الى بلد الزبير (١). وبعد ذلك قرر الشيخ ان يفادر الزبير ويتجه الى نجد ، فاتجه في طريق عودته من البصرة الى صوب الاحساء ، ونزل في الاحساء عند الشيخ عبدالله بن عبداللطيف الشافعي الاحسائي فاستفاد من علمه الواسع ، ومن الاحساء ام بلد حريملاء ، الذي كان ابوه قد انتقل اليها من العيينه في سنة ١١٣٩ هـ / ١٧٢٦ م ، نتيجة لوفاة اميرها عبدالله بن معمر ، فتولى بعده ابن ابنه محمد ابن حميد الملقب بخرفاش، فوقع بينه وبين عبدالوهاب خصومه عزل عن القضاء على اثرها فانتقل بعدها الى حريملاء .

ولما وصل الشيخ محمد بن عبدالوهاب الى حريملاء ، حيث والده ، واستقر بها ، أخذ يقرأ على والده ، ويدعو الناس الى اخلاص العباد له وحده في الاقوال والافعال في عقائدهم وكل اعمالهم حتى حصل بينه وبين عامة الناس في بلد حريملاء كلام كثير حول هذه المسائل استمر هذا النقاش لمدة سنتين (٢)

وقد تدخل والده ينصحه بترك هذه الدعوة والعدول عنها خوفا عليه من عامة الناس ، الذين كانوا يهددونه وبعد ان شكوه مرارا الى والده ، فتردد الشيخ محمد احتراماً لوالده حتى توفي سنة ١١٥٣ هـ / ١٧٤٠ م (٣) ولكن عبدالله العثيمين يؤكد أن وصول الشيخ محمد بن عبدالوهاب الى الاحساء كان ما بين عامي (١١٤٧-١١٤٨هـ) ولم تطل اقامته بالاحساء حيث غادرها الى والده في حريملاء (٤) التي وصلها عام ١١٤٩ هـ ، والباحث يرجح هذا القول لانه من غير المعقول ان يمكث الشيخ في حريملاء حوالي (١٤) سنة اي من (١١٣٩ - ١١٥٣ هـ) ،

(١) الألوسي : تاريخ نجد : ص ١٠٧

، ابن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ٣٥ - ٣٦ ،  
عبدالكريم الخطيب : الدعوة الوهابية ، ( الطبعة الثانية ، جدة ، دار الشروق ، ١٣٩٤ هـ ، ص ٦٣ .

(٢) ابن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ٣٧ .  
، الألوسي : تاريخ نجد ، ص ١٠٧

(٣) امين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ، ( الرياض - مطبوعات دار الملك عبدالعزيز ) ج ١ ، ص ٣٥ .

(٤) الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، حياته وفكره ، ص ٤٤ .

لذكر ابن بشر انه بقى مع والده فى حريملاء مدة سنتين . (١)

وحين توفى سنة ١١٥٣ هـ اعلن الشيخ دعوته المباركة من حريملاء التى تدعو فى مضمونها الى العودة الى توحيد الله بالعمل والعبادة ، فجـدد ماكان قد اندرس من أصول الملة ، وقواعد الشريعة الاسلامية عند بعض عامة الناس ودعا الى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وبمذهب السلف الصالح والأئمة الاربعة . (٢)

فتبعه من حريملاء اناس وعارضة آخرون ، وكان فى حريملاء قبيلتان من أهل واحد تتنازعان على الامارة ، والكل منهما يدعى الامارة لنفسه وليس لأحد على الآخر من سلطان ، وليس هناك سلطة او حاكم قوى يوحدهم

وكان لأحد القبيلتين عبيد يسمون آل حمين من أهل الفساد والضلال فأراد الشيخ ان ينصحهم ويمنعهم عن هذا الفساد ، فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر والفساد ، فاضمروا له شرا وعزموا أن يفتكوا به خفية فلما جنح الظلام ، تسوروا عليه جداره ، يريدون قتله ، فشر بهم بعض المجاورين فصاحوا عليهم فهربوا (٣)

---

(١) عبدالله الصالح العثيمين : الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره

، ص ٤٤ - ٤٥ .

، عنوان المجد فى تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ٣٧ .

(٢) عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ : مشاهير علماء نجد وغيرهم ،

( الطبعة الاولى ، الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر

١٣٩٢ هـ ) ، ص ١٦ .

(٣) ابن غنام : تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ٧٧ - ٧٨ .

، ابن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ، ج ١ ص ٣٧ - ٣٨ .

، الألوس : تاريخ نجد ، ص ١٠٨ .

، محمد عبدالله آل عبدالقادر الاحساى : تاريخ الاحساء ، ص ١٢٦ .

وبعد هذه الحادثة خاف الشيخ على نفسه ففادر حريماً الى العيينة  
مسلماً رأسه ، وكان رئيسها في ذلك الوقت عثمان بن معمر بن حمد بن معمر  
فتلقاه بالقبول الحسن ، لانه يميل الى دعوة الشيخ ، وزوجه عمتة الجوهرة  
ابنه عبدالله بن معمر ، وقام الشيخ بشرح دعوته الإصلاحية القائمة على  
الاسس الاسلامية الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة المطهرة للامام عثمان  
بن معمر الذي شرح الله صدره لهذه الدعوة وقام في الحال بمساندتها  
وأعلن الشيخ دعوته الى الله ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وشدد  
في التذكير على من خالف كلمة لا اله الا الله ، فأخذ رحمه الله في بلاد  
العيينة ، يعيد اقامة الحدود المعطلة ، وكان الامير عثمان بن معمر يعاونه  
في كل الامور لاعادة هذه الحدود . (١)

وكان في العيينة وما حولها بعض الاشجار والاحجار التي يعظمونها  
ويتبركون بها كشجرة قريوه ، وكذلك يوجد بها قبر على قبر الصحابي الجليل  
زيد بن الخطاب رضي الله عنه في بلد الجبيلة ، فخرج الشيخ ومعه عثمان بن  
معمر ، وكثير من اتباعه الى تلك الاماكن بالمعاول ، فقطعوا الاشجار ،  
وهدموا القبة المبنية على قبر زيد بن الخطاب وسويت النصب التي وضعت  
على بعض القبور من العامة عملاً بالسنة المحمدية والتوجيهات الاسلامية .  
وهكذا اقام الشيخ الحدود وازال شكوك الناس بازالة البعد  
والخرافات والضلالات احياء لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتأسيساً  
بسيرة خلفائه الراشدين . (٢)

ولم يزل مقيماً في العيينة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر  
ويعلم الناس أمور دينهم ويزيل البدع ويقيم الحدود ، حتى جاءت امسرة  
واعترفت عنده بالزنا ، وبعد ان عرف انها محصنة ، وتكرر منها الاقرار ،  
وسأل عن عقلها ، فوجدها صحيحة العقل ، فحاول درء الحد عنها ، عندما

---

(١) ابن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ٣٨ - ٣٩

(٢) ابن غنام : تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ٧٨ - ٧٩ .

قال لها لعلك مغصوبة فأقرت واعترفت بما يوجب الرجم ، فأمر برجمها ، فرجمت  
فعظم أمره من تلك اللحظة وكثر انصاره ، وفشى التوحيد في المجتمع النجدى ،  
وتناقلت الركبان اخباره ، لما اشتهر أمره وخامة بعد رجم الزانية ، وانتهى  
الامر الى سليمان بن محمد الحميدي رئيس الاحساء وبنى خالد ، حيث شـوهِه  
الرواة دعوته ، وقيل لسليمان انه ظهر في بلد العيينه وايده أميرها  
عثمان بن معمر ، ونادوا بالويل والشهور لسليمان ، شارحين له الاخبار  
مبينين ان انتصار هذه الدعوة معناه القضاء على ملكه ، وان الشيخ تعمـد  
اشارة الناس عليه لتبديد ملكه ، وانه يسعى الى قطع المكوس والعشـور  
التي تدفع اليه من القبائل والتجار ، لانها من الامور المنافية للدين (١)  
وتعليماته التي امرت بدفع الزكاة لبيت مال المسلمين وحددت موارد الدولة  
وطرق الانفاق منها .

لهذا ضاق صدر سليمان بن محمد ، وارسل كتابا في الحال يهدد فيه  
عثمان بن معمر امير العيينه لمناصرته لدعوة التوحيد ويأمره بقتل الشيخ  
أو على الاقل اخراجه من العيينه . والا اضطر الاستيلاء على ريع بساتيين  
ابن معمر التي في الاحساء والاستيلاء على تلك الاملاك كما انه سوف يمتنع  
عن تقديم اى مساعدة لعثمان بن معمر .

فعظم على عثمان بن معمر مخالفة سليمان بن محمد رئيس بني خالد  
والاحساء ، ويظهرانه فضل الناحية المادية على مناصرة الدين ، وغـاب  
عن ذهنه عظمه رب العالمين وان الله سوف ينصر من ينصره . ومما يؤسف له  
أن عثمان بن معمر رضخ لتهديدات حاكم الاحساء فاستدعى الشيخ واخبره  
بكتاب رئيس بني خالد ، وأمره بالخروج من العيينه ، ولم يغد فيه وعظ الشيخ  
ونصحه ، بأنه لابد للداعي والمصلح ان يناله الأذى وفي النهاية تكسـون

---

(١) حسين خلف الشيخ خزعل : تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد  
بن عبد الوهاب ، ( الطبعة الاولى ، بيروت ، مطابع دار الكتاب ، ١٩٦٨م )

العاقبة للمتقين ، ولمن يحمى دينه من التمكين فى البلاد والعباد ولكنـه  
اعرض عن ذلك كله (١) .

وقال عليك ان تترك العيينه وتختار اى بلد شئت سنه أو سنتين—  
حتى نرى ماذا يفعل الله ثم ان مرجعكم اليـنا . (٢)

فقال الشيخ : اريد الدرعية ، فأمر ابن معمر فارسا يقال لـه  
الفريد الظفيرى وخياله معه لمرافقة الشيخ الى الدرعية فسار معه الفرسان  
حتى وهلا الى الدرعية (٣) ، فنزل الشيخ ضيفا عند عبدالله ابن سويلـم  
وكان ذلك فى اواخر عام ١١٥٧ هـ / ١٧٤٤ م ثم انتقل بعد ذلك فى اليوم التالى  
الى تلميذه احمد بن سويلم ، الذى خاف على نفسه من الامير محمد بن سعود  
أمير الدرعية ، لانه كان يعلم حال الناس والمعارفين لهذه الدعوة الذين  
لايقبلون على ما أتى به هذا العالم ، فخاف خوفا شديدا ، وضاقت عليـه  
داره ، ولكن الشيخ هدا من روعة وسكن جأشه ووعظه بأن الله سيجعل لنا ولكم  
مخرجا . فعلم بالشيخ بعض الخواص من أهل الدرعية فزاروه خفيه ، فشرح  
لهم معنى التوحيد ، ولكن الامير محمد كان له اخوان ( مشارى وشنيان ) وكانا  
على ملة بالشيخ وهو فى العيينه وقد اشتركا معه فى هدم بعض القبـور  
والقباب ، اضافة الى ان زوجة الامير محمد كانت امرأة عاقلة ، فبين الاخوين  
لأخيها ، وساعدتهم على ذلك زوجة الامير على ان الشيخ محمد نازل ضيفا  
عند تلميذه احمد بن سويلم وان هذا الرجل غنيمة قد ساقه الله اليك ، فافتنم  
ماهلك الله به ، ورغبوه فى زيارة الشيخ فى بيت ابن سويلم (٤) .

---

(١) احمد بن حجر آل بوطامى : الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ( الطبعة الثالثة  
، الرياض ، شركة مطابع الجزيرة ، ص ٢٨

(٢) حسين خلف خزعل : تاريخ الجزيرة العربية فى عصر الشيخ محمد بن عبد  
الوهاب ، ص ١٤٢ .

(٣) ابن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ٤١ .

(٤) احمد بن حجر آل بوطامى ، الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ص ٢٩ .

فسار محمد بن سعود اليه ، فرحب به وقال : ابشر ببلاذ خير مسكن  
بلاذك وبالعز والتمتع قال الشيخ ، وانا ابشرك بالعز والتمكين والنصر  
المبين والغلبه على جميع بلاد نجد ، وهذه كلمة لا اله الا الله من تمسك  
بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد ، وهى كلمة التوحيد وأول ما  
دعت اليه الرسل من أولهم الى آخرهم .

وبتركها ترى نجدا كلها وأقطارها اطبقت على الشرك والجهل والفرقة  
والخلافات الدائمة ، وقتال بعضهم بعضا جورا وعدوانا ، وقال الشيخ : أرجو  
من الله ان تكون اماما يجتمع عليك المسلمون وعلى ذريتك من بعدك (١) .

ولما تحقق للامام محمد بن سعود صدق قول الشيخ محمد وشرح الله  
صدره لهذا القول قال له : يا أيها الشيخ ان هذا دين الله ورسوله صلى  
الله عليه وسلم الذى لاشك فيه ، فابشر بالنصر لما أردت وبجهاد من خالف  
هذا الدين فتمت المبايعة على ذلك . (٢)

ولهذا اعتبر المؤرخون وصول الشيخ محمد بن عبدالوهاب الى  
الدرعية فى اواخر عام ١١٥٧ هـ / ١٧٤٤ م ، وعقد هذا الاتفاق مع اميرها  
محمد بن سعود هو تاريخ نشأة الدولة السعودية الاولى ويوم ظهور ميلادها  
حتى يومنا الحاضر . (٣)

- 
- (١) ابن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ٤٢  
، احمد عبدالغفور عطار : محمد بن عبدالوهاب ، ( الطبعة الثانية ، بيروت  
منشورات مكتبة العرفان ، ١٣٩٢ هـ ) ، ص ٦١ - ٦٢  
، الألوسى : تاريخ نجد ، ص ١٠٩ - ١١٠  
(٢) ابن بشر : المصدر السابق ، ص ٤٢  
(٣) ابن سعيد : تاريخ الدولة السعودية الاولى ، ج ١ ، ص ٤١

- أهميتها في مواجهة الغزو :

ومن هنا بدأ الشيخ والأمير محمد بن سعود يعيدان العسـدة للخروج بالدعوة الى الخارج حدود الدرعية الى الامارات النجدية ثم الى بقية اجزاء شبه الجزيرة العربية سائرين بكل جد لنشر هذه الدعوة السلفية ، على اسسها الصحيحه كما كانت عليه في عهد الرعيل الاول من السلف الصالح ، لابقاظ الامة والرجوع بها الى اصولها الاولى (١) الى الدين الصحيح ، ونبذ الاعتقادات الباطلة في الاحجار والاشجار والقباب والاولياء وجعل هذه الأمور كلها لله ولاشريك له ، ومواجهه كل غزو واقـد الى شبه الجزيرة العربية ومحاولة هذه مهما كان نوعه .

فالحالة الدينية في العالم الاسلامي ، حالة العقيدة الاسلاميـة في نفوس أتباع ومدى تمسكهم الصحيح بها ، ولما كان الاسلام عقيدة ومنهج حياة . فقد كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، تبعا للاسلام وايقاظا لمن غفل عن هذا الدين . عندما انتشرت الفوضى والجهل والاستهانة بالدين في العالم الاسلامي على طول النصف الاول من القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي . وخاصة عندما دخلت الدولة العثمانية عصر الانحطاط في ذلك العصر ، ازدادت الحالة الدينية سوءا بين المسلمين وذلك لجمود علماء المسلمين ، وعدم سعيهم للإصلاح السائر على اسس اسلاميـة وفتح باب الاجتهاد ، ذلك لان الاسلام صالح لكل عصر فامتنعوا عن ايـجاد اي اصلاح سليم ، وقد شجعهم على ذلك بعض اصحاب السلطة في تلك الفترة ، لمعارضة الإصلاح آيا كان نوعه .

وكثيرا ما يعدون صاحبه كافرا ، كما فعلت الدولة العثمانية مع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، حينما عدوا حركته السلفية خارجة عن الدين (٢) . واتهموها بالوهابية ، في الوقت الذي اطلق فيه اصحاب

---

(١) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : الدولة السعودية الاولى ، ( الطبعة الرابعة ، القاهرة ، دار الكتاب الجامعي ، ١٤٠٢ هـ ) ، ص ٨ .

(٢) محمد كمال جمعه : انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٤ - ١٨



السلطة العثمانية العنان لأهل البدع المتعوفين من البلهاء حتى عــــلا شأنهم عند العامة ، واعتقدوا فيهم الولاية ، حتى كان لأصحاب الطـــــــرقات الهوفية عند الناس منزلة عظيمه فنشروا بدعهم بين الناس ، ومن البــــددع التى اصابته عقيدة التوحيد وانتشرت فى البلاد الاسلامية المختلفة الاعتقاد الاعمى فى القبور والأولياء والصالحين ، فبنيت عليهم القباب ، وقدمت لهم الهدايا والقرايين فعرفوا انواعا من العبادات التى لايجوز صرفها الا لله وحده كالدعاء والاستعانة والذبح والنذر والشفاعة الى غير ذلك من الامور الباطلة التى انتشرت فى كل بقاع العالم الاسلامى .

وهنا نرى كيف ضاعت مناية السلطة العثمانية بدين الاسلام فى هذه الامور من البدع دون اهتمام الدولة بها ، أو النصح لى عدم اتباعها (١)

وقد بدأ الامام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب بالدعوة لتوحيد الامة فارسلوا الرسل من العلماء الى المدن والقرى المجـــــــاورة لدعوتهم لتأييد هذه الدعوة الإصلاحية وتحكيم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكذلك دعوة شيوخ القبائل الى الانضمام للوحدة الامة ونظرا لان ابناء نجد قد سئموا من حالة الفوضى التى كانوا يعيشونها فانهم لم يترددوا فى اتباع الدعوة السلفية التى قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والامام محمد بن سعود بتأييدها ونهرتها بالمال والسلاح (٢) فزاد عدد انصار الدعوة وعلن الكثير من حكام المدن والقرى وشيوخ القبائل انضمامهم للوحدة السياسية التى دعا اليها الامام محمد بن سعود كما ايدوا تطبيق الاحكام الشرعية على الفسقة والجناة ومحاربة البدع والخرافات واطلق على الامير محمد بن سعود لقب الامام لاتساع امارته حتى اصبحت تضم معظم بلدان نجد خلال اربعين سنة من انطلاق الدعوة المباركة من قاعدتها الاولى الدرعية .

---

(١) محمد عبد الله السلمان : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٢ - ١٦

(٢) امين سعيد : تاريخ السعودية الاولى ، ج ١ ، ص ٤٢ .

ويمكن القول ان هناك قاعدة تاريخية وهي ان مبادئ الدعوة السلفية كانت تسبق الجيوش السعودية وتمهد لها مما ساعدها على ضم هذه الامارة بمساعدة انصار الدعوة في تلك الامارات فاصبحوا عوناً للدعوة وأهلها .

وهكذا قامت الدعوة السعودية واتسع نطاقها وانصارها ، وفي عام ١١٧٩ هـ توفي الامام محمد بن سعود فخلفه ابنه الامام عبدالعزيز الذي ضم نجد بكاملها لدولته واخذ يتطلع لضم الاحساء لانها المنفذ الوحيد لبلادها ولان اقليم الاحساء يشكل اقليما خصباً يحقق لنجد الاكتفاء الذاتي وعلى عمر ماضي هام هو الخليج العربي فضلا على انها نافذه تطل بها نجد على العالم الخارجي ، حيث الحركة الدائبة ، والمصائد التي تشكل موردا كبيرا للؤلؤ وللاسماك الجيدة في ذلك الوقت وبهذا يتوفر للدولة موردا جديدا من موارد العرف على المرافق المختلفة اضافة الى ذلك فان ضم الاحساء سيجعل من نجد دولة خليجية وتكون قاعدة سعودية برية وبحرية تنطلق منها الجيوش السعودية نحو بلدان الخليج لنشر الدعوة السلفية دعوة التوحيد والاصلاح (١) .

لهذا شن الامام عبدالعزيز بن محمد هجومه الخامس ، حتى تمكن من ضم الاحساء للدولة السعودية وذلك منذ عام ١٢٠٧ هـ / ١٧٩٢ م (٢) .

والحقيقة ان الدولة العثمانية وقفت منذ بداية عام ١٢٠١ هـ ١٧٨٦ م ضد هذه التطورات ولاحداث الدولة السعودية الاولى ، ففتحت جبهة العراق ممثلة في واليها سليمان باشا ، حين رأت هجوم الدولة السعودية الخاطف على الاحساء تمهيدا لضمه الى نجد ، فساعدت كل تحرك يهدف الى

---

(١) محمد عرابي نخله : تاريخ الاحساء السياسي ، ( الكويت ، منشورات

ذات السلاسل ، ١٤٠٠ هـ ) ، ص ٣١ - ٣٢ .

(٢) محمد عبدالله آل عبدالقادر الاحسائي : تاريخ الاحساء ، ص ١٣٥ .

تدمير الدولة السعودية في مهدها ومن ذلك مساعدتها لبني خالد في تحركاتهم الهجومية على نجد كما ان الدولة العثمانية سعت على تحريض الموالين للدولة على نقض ولائهم لها ، الا ان الدولة العثمانية لم تهتم اهتماما كبيرا بهذه الدولة الناشئة ، حينما كانت مجرد امانة داخلية ولكن حينما قامت هذه الدولة تتطلع الى ضم الاحساء ، رأت الدولة العثمانية ان هذا يعد تهديدا لها ، من تلك اللحظة بدأت تحس بوجود الدرعية (١)

وعندما كانت السلطة في جنوب العراق في تلك الفترة في أيدي امراء المنتفق . لذلك كانت الدولة العثمانية تسير هذه القبيلة خوفا من تعدد غاراتهم ، في وقت كان الخلل قد تسرب الى جسم الدولة العثمانية وكان رئيسهم هو شوينى بن عبدالله آل شبيب يتخوف ايضا من انتشار الدعوة السلفية في جنوب العراق بين المنتفق ويخشى من خطرهما . فاستمالته الدولة العثمانية وجعلته في جانبها ، واخفت عنه ما تكنه له من عداوة . واشارت مخاوفه من توسع الحكم السعودي . عند ذلك اظهرت له الدولة العثمانية استعدادها ومساعدتها في حربه مع أهل الدرعية ، ومده بالمال والسلاح . (٢)

وعندما ضم آل سعود الاحساء اشار هذا العمل الدولة العثمانية وتجسم لديهم خطر قوة آل سعود بشكل مشير (٣) ، لانها أصبحت بضمها هـدا الجزء دولة خليجية تطل على الخليج العربي ، ولم تكن كما كانت دولـة داخلية ، وكذلك تسمية امراءها بلقب امام المسلمين اشار غضب خلفاء الدولة العثمانية واعتبروه تحديا لسلطتهم لان السلطان العثماني كان يعتبر نفسه خليفة لبلاد المسلمين عامة .

وهذا ما ازعج الدولة العثمانية حتى باتوا يخشون من خطرهما

---

(١) خلف دبلان الوديعاني : الاحساء في القرن الثاني عشر الهجري ، ص ٣٥

(٢) حسين خلف خزعل : تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد

الوهاب ، ص ٣٣٠

(٣) محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الاسود ، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

وتهددها للسلطة العثمانية ، وزوال حمايتهم للحجاز ، لذلك صمم العثمانيون على مقاومة الدولة السعودية الاولى ففتحو جبهة العراق (١) وكان الأمر مجرد البحث عن الالقاب والتفاخر بها دون النظر الى الدولة العثمانية قد اهلكت البلدان والولايات التابعة لها وخاصة في شبه الجزيرة العربية ولما قامت الدولة السعودية لم تسع لوضع يدها معها وتأيدها بالمال والسلاح من اجل خير شعوبها وانما وضعت امام عينها البحث عن الالقاب من خليفه او سلطان وما علمت ان الخليفه والسلطان مسؤول امام الله قبل كل شيء عن شعبة وامته وهكذا سعت الدولة العثمانية الى تجريد حملة ثويني بن عبدالله ومساعدته لحرب الدولة السعودية من اجل تفتيت وحدة تلك الشعوب وجعلها تعيش حياة الفقر والجهل والقتل من اجل ان يستعيد السلطان لقبه . وهكذا جمع ثويني العساكر والجنود اللازمة وتحرك من البصرة واتجه صوب الاحساء لمحاربة السعوديين هناك بعد ان انقضى تحت شوكتته كل العناصر المناوئة للدولة (٢) حتى وصل الشباك ، الماء المعروف في الاحساء ، ونزل به ، وكان في جيشه عبد من موالى الجبور من بني خالد ، موال للدعوة السلفية يسمى " طعيمس " ، فلما جلس ثويني في خيمته المعدة لجلوسه وكان خدمه وخاصته منخفليين عنه في بناء خيامهم ، فرأى طعيمس ان ثويني خال من الحرس وكان معه حربلة يخفيها ، فاستطاع في غفلة الحرس ان ينقض بها على ثويني فطعنه فمضى صدمة ، فلقى ثويني مصرعة في تلك الساعة وكان ذلك في يوم ٤ / ١ / ١٢١٢ هـ الموافق ١٧٩٧ م . وقتل العبد في الحال (٣) فاضطربت قوات ثويني بموت قائدها ، وتراجعت عن تحقيق هدفها ، وانهزمت مولية الادبار الى البصرة (٤) . وذلك لان القوات السعودية التي ارسلها الامام عبدالعزيز

(١) محمود شاكر : البحرين ( الطبعة الاولى ، بيروت ، المكتب الاسلامي

١٤٠١ هـ ) ، ص ٧٥ .

(٢) خلف دبلان الوديعاني: الاحساء في القرن الثاني عشر ، ص ٣٥٠ .

(٣) ابراهيم بن صالح بن عيسى: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ( الرياض ،

من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ) ص ١٩٠ .

خلف بن دبلان الوديعاني : المرجع السابق ، ص ٣٦٠ .

(٤) خلف بن دبلان الوديعاني : المرجع السابق ، ص ٣٦٠ .

قد وصلت الى الموقع فتتبعته فلول قوات ثويني فولت هاربة الى داخل الاراضي العراقية فاصبحت اسلحة ومدافع وذخائر قوات ثويني غنيمه للقوات السعودية<sup>(١)</sup> ففشلت بذلك حملة ثويني بموته .

وقد كانت نتيجة فشل معركة ثويني وموته مدمه شديدة على سليمان باشا والى العراق دون ان يحقق مايرجوه . وكان امير مكة الشريف غالب بن مساعد قد فتح هو الآخر جبهة أخرى ضد آل سعود للقضاء على حكمه الدرعية وعلى الدعوة السلفية ، وقد جرد لهذه المهمة عدة حملات ، وكانت اولى هذه الحملات سنة ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م (٢) .

لكن هذه الحملة فشلت - وهكذا لم يتوف الشيخ محمد بن عبدالوهاب الا وقد شهد فى علامات قوة الدولة التى قامت على دعوة التوحيد بدأ رجحان كفتها على كفة امراء الحجاز .

ومن المعروف ان الدولة السعودية استمرت فى توسعها بعد وفاته الشيخ سنة ١٢٠٦ هـ (٣) .

ومهما يكن فقد ثوالت حملات الشريف غالب على الدرعية فى ١٢١٠ هـ - ١٢١١ هـ / ١٧٩٥ - ١٧٩٦ ، فكان الامام يتصدى لهذه الحملات ، ويبادل الاشراف الهجمات حتى دانت لآل سعود معظم المدن والقبائل الحجازية التى ادركت حقيقة الدعوة الإصلاحية السلفية فى محاربة البدع والخرافات وتطبيق الشريعة الاسلامية على الفسقة والجناة ، فدخل فى طاعة آل سعود ابن ربيعان العتيبي

---

(١) محمد بن عمر الفاخرى : الاخبار النجدية ، تحقيق عبدالله يوسف الشبل ( الرياض ، من مطبوعات جامعه الامام محمد بن سعود ) ، ص ١٢٨ .  
، ابن عيسى : المعسر السابق ، ص ١٢٩ .

(٢) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ماضيها وحاضرها ( بيروت ، منشورات مكتبة الحياة ) ، ج ١ ، ص ٥٢ .  
، حسين خلف خزعل : تاريخ الجزيرة العربية فى عمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ٣٨٠ .

(٣) عبدالله الصالح العثيمين : الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ص ٧٨ .

وجماعته ، ومن معه من قبائل أهل الحجاز ، ودخلت تربة وأهلها يقوم ولحقتها رنية وبيشه (١).

ففى سنة ١٢١٢ هـ / ١٧٩٨ م ، استغل أمير مكة غالب بن مساعد انتفال الامام عبدالعزيز وابنه الامير سعود فى حروبهم ضد القبائل الخارجة عن طاعته وظن انه سيلحق بالدرعية الدمار ، فسار بنفسه على راس قوة انمصار فقعد الدرعية حتى نزل الخرمه ، فدارت المعركة بين القوات السعوديه بقيادة هادى بن قرمله والشريف غالب بن مساعد ، انهزم على اثرها الشريف غالب وجنوده ، وعاد الى بلاده ، فجنح بعد هذه المعركة الى الصلح على شرط ان يسمح لأهل نجد بالوفود الى الحجاز لاداء مناسك الحج والعمرة . (٢)

كان سليمان باشا الوالى العثمانى فى بغداد يتابع هذه الاحداث على ملل ، ولما سمع بالصلح بين الشريف غالب بن مساعد ، والامام عبدالعزيز زعيم الدولة السعودية لم يرق له بال ، وهو مايزال يئن من موت ثوينسى وفشل حملته . فقام باعداد حملة من الجنود النظامية سنة ١٢١٢ هـ / ١٧٩٨ م لمحاربة الدولة السعودية من الاحساء ، فأوكل قيادتها الى نائبة على باشا كخيا ، وساندة فى هذه الحملة فرسان بنى المنتفق تحت رئاسة حمود بن شامر الشبيب ، فاجتمعت له قوة هائلة تفوق حملة ثوينى بن عبدالله فسار على كخيا بهذه الجموع وقعد بها الاحساء ، فاخذ فى حرب اهلها حتى انضم اليه أهل المبرز والهفوف ، وأهل القرى الشرقية نتيجة للقوة الكبيرة والاستعداد العظيم الذى كان مع على باشا كخيا ولكن قصر المبرز ( صاهود ) وحمن الهفوف ، امتنعا عن التسليم للقائد على كخيا ، فزحف القاشد العثمانى الى كوت المبرز لحصاره ، فحاصره ستين يوما ، وقد وجه اليه المدافع ولكنه لم ينل منه شيئا ، لذلك عمد على كخيا الى كل حيلة

---

(١) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ماضيها وحاضرها

ج ١ ، ص ٥٢ .

، حسين خلف خزعل : تاريخ الجزيرة العربية فى عصر الشيخ محمد بسن .

عبدالوهاب ، ص ٣٨٠ .

(٢) صلاح الدين المختار : المرجع السابق ، ص ٥٢

للاستيلاء عليه ولكن كل محاولاته باءت بالفشل طوال هذه المدة . ولما طال المقام على كخيا وقواته دب الملل والخوف في نفوسهم فارتحلوا من الاحساء الى العراق ، ونزلوا الشباك ، الماء المعروف قرب شاذي في طريقه الى بلاده .

وعندما علم الامام عبدالعزيز بتقدم القوات العثمانية للاحساء جهز قوة كبيرة وارسلها بقيادة ابنة الامير سعود الذي سار بأهل نجد وقصد ناحية الاحساء لنجدة اهلها ، ونزل ماء شاذي بين الاحساء والبحرة .

لهذا اجتمع الجيشان على غير موعد ، والتقى الفريقان ، ودارت بينهما معارك ومناوشات لعدة أيام مما اربى على كخيا ، ووجد انه واقح وقواته لامحالة في تسبغة القوات السعودية فلجأ الى طلب العلف على ان ترجع قوات الطرفين الى مواقعها دون اى قتال وان لا يتعرض على كخيا لاحد من رعايا الدولة السعودية ، فقبل الامير سعود بذلك وعاد على كخيا الى بلاده ، كما عاد الامير سعود الى الاحساء لسيطها وشكر اصحاب الحصون وترميمها (١)

ولما رأت الدولة العثمانية فشل بغداد ، أوكلت المهمة الى والى الشام ، الذى لم يكن بافضل حال من زميلة والى العراق . (٢)

وفى عام ١٢١٨هـ / ١٨٠٣ م دخل الامام سعود بن عبدالعزيز مكة المكرمة بعد ان قام الشريف غالب بنقض العهد الذى قطعه على اثر مقتل الامام عبد العزيز وعندما دخل مكة كتب رسالة الى السلطان سليم الثالث هذا نصها من سعود بن عبدالعزيز الى سليمان

اما بعد فقد دخلت مكة المكرمة فى اليوم الرابع من محرم سنة ١٢١٨ هـ ،

---

(١) خلف بن دبلان الوديعانى : الاحساء فى القرن الثانى عشر الهجرى ، ص ٢٦٤ - ٢٦٦ .

(٢) احمد عس : معجزة فوق الرمال ، ( الطبعة الثانية ، لبنان ، مطابع الاهلية اللبنانية ، ١٣٨٦ هـ ) ، ص ٢١ .

وأمنت أهلها وأرواحهم وأموالهم بعد ما هدمت ما هنالك من أشياء وشيئة  
والغيت الفرائب الا ما كان منها حقاً ، واثبت القاضى الذى وليته انت طبقاً  
للشـرع .

فعليك ان تمنع والى دمشق ووالى القاهرة من المجيء بالمحمل والطبول  
والزمر الى هذا البلد المقدس ، فان ذلك ليس من الدين فى شيء ، وعليك  
رحمة الله وبركاته . الواثق بالله المعبود - سعود (١) .

ويظهر ان السلطان لم يمحّ لذلـك حيث انه فى عام ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥ م خرج  
عبدالله العظم والى الشام بالمحمل الشامى ، فحدث صدام بينه وبين  
السعوديين . وقد قام الامام سعود بن عبدالعزيز فى العام التالى  
بمنع عبدالله العظم والى الشام من ادخال المحمل الى مناطق الحج وذلك  
لامطابقة المحمل بالزمر والطبول ، لتحذيرة فى السنة السابقة ، ولم يمنع  
الامام دخول حجاج العراق من الحج . (٢)

وانمّا منـع الامام سعود بن عبدالعزيز  
ان يغزو ارض الحرمين ما صاحب الحج من البدع التى افترق فيها العثمانيون  
بالافانين فيما شـتـلق بالمحمل وجمال المحمل ، وطقوس المحمل ، تسيـر  
خلفها قوافل الحجيج القادمة من مصر أو الشام أو العراق .

وكل ذلك بدعه فى الاسلام وكان حكام الولايات العثمانية يحتفلون  
رسمياً ودينياً بوداع المحمل وباستقباله . كما ان الاشخاص الذين لم يحجوا  
يقومون بلمس بدن " جمال المحمل " ويتبركون به أما القوة العسكرية  
التي تصاحب الحجيج فهي اعلان عثمانى عن سلطان " حامى الحرمين " فى  
البلد الامن الذى يجب ان تبـتـعد الجيوش منه . (٣)

---

(١) خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة فى عهد الملك عبدالعزيز ، ( الطبعة  
الثانية ، بيروت ، ١٣٩٧ هـ ) ، ج ١ ، ص ٣٧ - ٢٨ .  
(٢) امين الريحانى : تاريخ نجد الحديث ، ج ٥ ، ص ٧١ .  
(٣) عبدالحليم الجندى : الامام محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٦٧ .



ولكن رغم اوامر السلطان وتكرارها بالقيام بحرب آل سعود لعبد الله العظم او خلفه يوسف كنج لم نجد ادنا صاغية وقد انصرف يوسف كنج لجمع المال ، كمادة الولاة العثمانيين في ذلك العصر، واكتفى برده على السلطان سليم الثالث ، بارسال الخطط الحربية لكيفية القضاء على الدولة السعودية . ويقترح تظافر جهود مصر والعراق لتحقيق هذا الهدف ، فأخذ يماطل الدوله العثمانية حوالى اربعة اعوام (١) . وفى خلال هذه الاعوام قام الامام سعود بن عبدالعزيز سنة ١٢٢٥ هـ / ١٨١٠ م بجمع جنوده ، وقعد بلاد الشام لاضداد تحركات بعض قبائل اهل الشام وعربانه ، الذين كانوا يتحرشون بحملات الدولة السعودية الشامية ، وقد تمكنت القوات السعودية من هزيمتهم فغروا الى داخل الشام وطاردتهم الامام الى عمق الاراضي الشامية ونتيجة لذلك قام السلطان سليم الثالث بعزل يوسف كنج والى الشام واسناد الولاية الى صاحب عكا سليمان باشا (٢)

فكانت هزائم والى العراق وعجز والى الشام مظهرين من مظاهر الشلل الذى اصاب الدولة العثمانية منذ فتره طويلة .

ومن هنا وقع الشك فى مقدرة السلطان العثمانى سليم الثالث على الاضطلاع بمهمة حامى الحرمين الشريفين تلك التى كانت تفرض احتشام الدوله العثمانية بين الشعوب والممالك الاسلامية ، وبهذا السلطان العثمانى لقب حامى حمى الحرمين الشريفين . (٣)

ومما زاد فى غضب سلطان الدولة العثمانية هو اطلاق اسم الامامة فى بيت آل سعود منذ عهد الامام محمد بن سعود . (٤)

---

(١) دار الوثائق القومية ، القاهرة ، اقتراحات يوسف كنج الخاصة بحرب آل سعود ، محفظه (١) بحريه وثيقة (٨) بتاريخ ١٩ صفر سنة ١٢٢٣ هـ . ١٦ ابريل سنة ١٨٠٨ م .

نقلا عن ( عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : تاريخ الدوله السعودية الاولى ، ج ١ ، ص ٥٧٤ )

(٢) عبدالرحمن الرقى : عمر محمد على ص ١١٩

، صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ما فيها ، وحاضرها ، ج ١ ، ص ١١٠ .

(٣) محمد عبدالله آل عبدالقادر الاحساى : تاريخ الاحساء ، ص ١٣٩

(٤) خير الدين الزركلى : شبة الجزيرة فى عهد الملك عبدالعزيز ، ج ١ ، ص ٣٥

وما علموا أن الدولة السعودية عندما تقدمت لغزو الحجاز كان أولاً بسبب تحرس الشريف غالب بالدولة السعودية ورعاياها وتسير عدة حروب فدهسها وقيامه بعد ذلك بمنع رعايا الدولة السعودية في نجد والاحساء من اداء فريضة الحج احد اركان الاسلام وهذا العمل اشار غضب حكام الدولة ورعاياها وثانياً ان الحجاز في تلك الفترة كاد ان يتعرض للغزو المليبي الجديد عندما قدم نابليون واستولى على مصر في عام ١٢١٢ هـ / ١٧٩٨ م ولم تستطع الدولة العثمانية وسلطانها حماية مصر من ذلك الغزو كما انها لم تساعد احمد باشا الجزائر والى عكا ضد حملة نابليون حتى كادت الشام ان تقع ايضاً في قبضة الغزو المليبي الفرنسي مما اشار غيرة الامام عبدالعزيز ال سعود تجاه الاماكن الاسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة وخشيته من وقوعها في يد الغزاة المليبيين مع علمه بغضب الشريف غالب وعدم مقدرته على حماية تلك الاماكن من الغزو المليبي ولذلك قام بضم الحجاز للدولة السعودية لكن سلاطين الدوله العثمانية بالرغم من ذلك كانوا قد اصرروا على محاربة الدوله السعودية بحثاً عن الالقاب وليس لاسعاد اهلها فاوكلت هذه المهمة وكونها في مصر محمد على الارناؤوطي فاصدر الباب العالي أوامره الى محمد على والى مصر ، بان يتولى حرب آل سعود ، وكان ذلك في سنة ١٢٢٢ هـ / ١٨٠٧ م ، فامتثل محمد على والى مصر لأمر سلطانه ، وجهاز حملته عسكرية كبيرة واسنبد قيادتها الى ابنه طوسون ، فسار بها سنة ١٢٢٦ هـ / ١٨١١ م ، بعد الحجاج من السلطان محمود الثانى ، ولكن هذه الحملة باءت بالفشل الذريع امام قوات الدولة السعودية ، وقد انكسر الجيش العثمانى عدة مرات ، وجنح طوسون الى الملح بعد عشرة امام القوات السعودية سنة ١٢٣٠ هـ / ١٨١٤ م ، على الشروط التالية ، ان يرفع العثمانيون أيديهم عن نجد ويرفع السعوديون ايديهم عن الحرمين وكل منهم يحج آمناً . (١)

---

(١) ابن بشر : عنوان المعجد في تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ٣٧٨ ، احمد بن حجر آل يوظامى : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ٦٣ - ٦٤

ولكن لم يلبث محمد على ان نقض العهد أو الملح من أجل مطامع شخصية له ولتنفيذ اوامر سلطانه بوقف نمو الدولة السعودية السلفية الغتية ، جهز حملة بربرية ، واسند مهمتها في هذه المرة الى ابنه ابراهيم للقضاء على الدولة السعودية حسب اوامر السلطان محمود الثاني (١) ، واستطاع بعد عدة معارك قاوم فيها السعوديون مقاومه الابطال ان يصل الى الدرعية سنة ١٢٣٣ هـ / ١٨١٢ م ، فحرب عليها الحصار ، حينها فوجئت القوات السعودية بالسلاح الحديث المتطور الذي زود به الجيش العثماني ولكنها لم تأبه به فقد رتب الامام عبدالله بن سعود الدفاع عن الدرعية من كل جهاتها واستمرت الدرعية في المقاومة ضد جيوش ابراهيم ، وبعد حصار دام ستة شهور ابلى فيه أهل الدرعية وعلى رأس امامهم عبدالله بن سعود بلاء حسنا ، سمم فيه على حرب ابراهيم حتى الموت ، ولكن لما رأى الامام كثرة الضحايا ، وتعميم الغازين استجاب للملح مع ابراهيم بن محمد على ، وتم الملح ، ودخل ابراهيم الدرعية في ذى القعدة سنة ١٢٣٣ هـ / ١٨١٨ م (٢) ، ويظهر ان السلطان محمود الثاني اراد حـرب الدولة السعودية وذلك لانه اعتبر قيام الدولة السعودية ، وانتشار الدعوة السلفية بمثابة تهديد خطير ليس على مسألة حدود ونفوذ ، ولكنها الدعوة السلفية التي تدعو الى العودة الصحيحة لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وتبذ البدع والخرافات التي كانت منتشرة في انحاء العالم الاسلامي ، هذه الدعوة شكلت تهديدا خطيرا للدولة العثمانية حين ضمت الحجاز سنة ١٢١٨ هـ ، وخاصة عندما أخذت هذه الدعوة تنتشر في اجزاء أخرى من العالم الاسلامي .

---

(١) الفاخرى : الاخبار النجدية ، ص ١٤٧

، ابن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٢) عبدالرحمن الرافعي : عمر محمد على ص ١٤٩

، محمد عبدالله عبدالقادر الاحسائي : تاريخ الاحساء ، ص ١٤٤

وقد تأثر بهذا كثيرا من علماء الأقطار ، ونقلوها الى بلادهم ، مما هدد النظام العام للدولة كلها<sup>(١)</sup> ، وكان هذه الدعوة أيقظت العالم الاسلامي لاعادة النظر في أنظمة الدولة العثمانية ، فظن العثمانيون أن هذه الدعوة تطالب بالخلافة العربية .

إضافة الى ذلك فان هناك عامل سياسي مهم هو أن السلطان محمود الثاني كان يرى أن انتصار الدعوة السلفية بقيادة أئمة آل سعود خروجاً على طاعة الخليفة ، وانفصالاً عن الدولة العثمانية ، فالوقت الذي يرى في محمد علي انفصاليا آخر ، لعله قد يضعف الدولة العثمانية حتى يستقل بمصر ، ثم يغزو الشام والعراق .

فوجد السلطان نفسه أمام خصمين : السعوديين ومحمد علي ، فاستطاع السلطان أن يضربهما بعضهما ببعض حتى يتخلص من احدهما أو كلاهما ، وكان يريد هزيمة محمد علي أكثر من حرصه على هزيمة السعوديين ، لهذا اقتنع محمد علي بالسير للقضاء على الدرعية<sup>(٢)</sup> ، ولاننى مطامع محمد علي وحلمه فـي بناء دولة مستقلة تشمل معظم البلاد العربية التابعة للدولة العثمانية .

لذلك يجدر بنا أن نقول أن السيقظة الاسلامية دعوة التوحيد والاصلاح واجهت تحديين خطيرين :

التحدى الأول : العسكى الذى وجهته الدولة العثمانية اليها ففض على نهضتها الاولى كما رأينا .

التحدى الثاني : الغزو الفكرى والاستعمارى عن طريق المستشرقين وأعدائهم المنصرين ، وكذلك عملاء الغرب من المسلمين الذين شوهوا مفاهيمها بأنها حركة رجعية للعودة الى الحياة البدائية ، فقاموا بخلق حركة موازية لها هي حركة التجديد الغربى الذى اخذ رجاله يحملون لواء الخصومة الواضحة للفكر الاسلامي ومقوماته وأسمه وإشارة الشبهات للانتقاص من اللغة العربية والاسلام والتاريخ والتراث الاسلامي ، وكان هذا التحدى هو اخطر ما واجهته الدعوة نظراً لان الاستعمار والمستشرقين اعطاهما امكانية الذبوع والانتشار بفضل وسائل اعلامهم . لبذر الخلافات المذهبية والعرقية بين المسلمين لهدم الخلافة الاسلامية تمهيداً لاستعمارها<sup>(٣)</sup> وهذا ما كان يخطط له نابليون منذ احتلاله لمصر والشام .

(١) خلف بن دبلان الوثيناني : الاحساء في القرن الثاني عشر ، ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٢) رئيس التحرير : الوثائق تتكلم (العدد الثاني ، السنة الاولى ،دارة الملك

- استمرارها في أدوار السعودية الثلاث :

ولئن كانت الدولة السعودية قد عرض لها ماعرض فقد بقيت الديمومة السلفية شلعة تضيء داخل شبه الجزيرة العربية على الرغم من اشتداد طككة الظلمات ، بل تجاوزت اشعاع هذه الدعوة فانتشرت في خارج شبه الجزيرة العربية (١) ، والتي ما زالت ماثلة في اذهان الناس داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها وظل المجتمع يكن الولاء للأسرة السعودية (٢) .

فبعد ان قضى ابراهيم بن محمد على على الدولة السعودية الاولى سنة ١٢٣٣ هـ / ١٨١٨ م ، عاد الى مصر في سنة ١٢٣٤ هـ / ١٨١٩ م ، وترك الحاميات من الجيش المصري التركي في الرس وشقرا وبريده وعنيزة تحسنت امره بعض قواده . وقد ساءت الاحوال في نجد وغيرها عاد القتل والنهب فاضطرب الامن وانتشرت الفوضى ذلك لان القادة الاتراك لم يقوموا بتطبيق احكام الشريعة الاسلامية على الفسقة والجناة بل شجعوهم على الجريمة رغبة منهم في نشر الفوضى والدمار فاستنجد اهل نجد بالامام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود الذي كان موجود في جنوب نجد فاستجاب الامام تركي لارغبة سكان نجد وتقدم الى الرياض واستولى عليها واتخذها عاصمة للدولة السعودية وذلك لتهدم الدرعية وعدم صلاحيتها لان تكون عاصمة للدولة السعودية ومنذ عام ١٢٤٠ هـ عادت الدولة السعودية من جديد في دورها الثاني .

وقد واصل ابنه الامام فيصل بن تركي السير على نهج والده حكم الدولة السعودية خلالها لفترتين لم تخلو كل فترة منها من المناوشات والحروب مع اعداء الدولة او الخارجيين عن طاعتها (٣) .

ولكن بعد وفاة الامام فيصل بن تركي دب الشقاق في البيت السعودي بين الاخوة والاعمام وتنازعوا على السلطة . فثار سعود بن فيصل على اخيه عبدالله بن فيصل ، ودارت بينهما حرب طاحنة كانت سجالا بين الطرفين

---

(١) عبدالله الحقييل : الدعوة الإصلاحية في مواجهة التحديات ( مقال منشور ، في كتاب السنوى الثالث ، طبع مركز الوثائق التاريخية ، الحلقة السابعة ، المنامة ، ١٤٠٤ هـ ) ص ١٢٥ .

(٢) مديحة درويش : تاريخ السعودية حتى الربع الاول من القرن العشرين ( الطبعة الثانية ، جدة ، دار الشروق ، ١٤٠٣ هـ ) ، ص ٥٢ .

(٣) محمد حلال كشك : السعوديون والحل الاسلامي ( الطبعة الثانية ، ١٤٠٢ هـ ) ص ٢١١ .

انتهت تلك المعارك بخروج آل سعود عن نجد الى الكويت واستيلاء محمد بن رشيد على السلطة في حائل ونجد .

وفي عام ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م استطاع الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود استرداد الرياض مبتدئاً بذلك اول خطواته نحو حكم مملكته المترامية الاطراف (١) ، واعادة بناء الدولة السعودية في دورها الثالث ، وقسّد اخيل للناس قبل ذلك ان الدور السعودي في حمل رسالة الدعوة السلفية قد انتهى برحيل الامام عبدالرحمن الفيصل واحتلال ابن الرشيد للرياض ، ولكن التاريخ يعيد نفسه من جديد بأن آل سعود لا يزالون يعون دورهم القيادي والريادي التاريخي الهام في احتضان الدعوة السلفية والعمل على نشرها .

وهذا بالفعل ما حدث عندما كرر الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن المحاولات لاسترداد الرياض حتى تمكن في سنة ١٣١٩ هـ / ١٩٠٢ م ، من استرداده وانتزاعه من يد آل الرشيد (٢) ، ومن الرياض انطلق نحو بناء دولة موحدة وضعها امامه تطبيق احكام الشريعة الاسلامية ومحاربة البدع والخرافات

وقد استطاع الملك عبدالعزيز ضم القصيم والاحساء والقطيف الى امارته ، ثم تمكن من ضم جائل والمناطق الجنوبية والشمالية وقامت بينه وبين حكام الحجاز حروب طويلة حتى استطاع ضم الحجاز وبهذا تمت خريطة المملكة على الصورة التي هي عليها اليوم ، وعرفت باسم المملكة العربية السعودية منذ ان اطلق عليها مؤسسها الملك عبدالعزيز هذا الاسم فـ في عام ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م . (٣) .

- 
- (١) محمد المانع : توحيد المملكة العربية السعودية ، ترجمة عبدالله الصالح العثيمين ( الطبعة الاولى ، الدمام ، مطبعة شركة مطابع المطوع ، ١٤٠٢ ) ص ٣٥٤ ، ٢١ .
- (٢) ابراهيم جمعه : الاطللس التاريخي للدولة السعودية ، ( من مطبوعات دار الملك عبدالعزيز ، ١٣٩٢ هـ ) ، ص ١٢٢ - ١٢٨ .
- (٣) احمد القطان وآخرون : امام التوحيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ( الطبعة الاولى ، الكويت ، مكتبة السندس ، ١٤٠٧ هـ ) ، ص ٧٣ .

وهكذا فإننا نلمس بصدق استمرار هذه الدعوة السلفية في أدوار الدولة السعودية الثلاث ، كما أننا رأينا خلال ذلك تصميم آل سعود على تطبيق الشريعة الإسلامية والتعمق في تأصيلها وموازنها لتكون القاعدة التي تسيّر وتنطلق منها سياسة الدولة ونظمها كما أنه على نفس الطريق الذي سار عليه أسلافه من آل سعود في نصر وتأييد الدعوة السلفية التي تنادى إلى العودة إلى التوحيد والالتزام بالعقيدة الصافية ، ومما كان عليه السلف الصالح مسن تحكيم لكتاب الله وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

---

(١) محمد المانع : توحيد المملكة العربية السعودية ، ص ١١٠ .

## ١ - تقديم نموذج للدولة الإسلامية العصرية :

بدأ الملك عبدالعزيز منذ استرداده لمدينة الرياض يفكر في بناء دولة إسلامية عصرية ، خاصة وهو يعلم عن تناحر القبائل وخلافاتها ومطامعها ، فكيف السبيل الى جمع هؤلاء وتغامنهم لهذا قام الملك عبدالعزيز بغرس وتعميق الشريعة الإسلامية وتطبيقها وبتحييهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومحاربة البدع والخرافات وارشاد الناس الى العودة الى الدين الصحيح والدرك . انه لمن يساعده في تحقيق ذلك وهو قيام الدولة النموذجية الا بتكويين مجتمع موحد يؤمن بالله رباً وبالاسلام ديناً ، يسوده الأمن والعدل ، وان أهم ما يجب عليه عمله هو ان يحول العربي البدوي الذي يهوى الترحل وعدم الاستقرار الى شخص مستقر داخل مستقرات أطلق عليها اسم الهجر وهي دليل هجرة هؤلاء البادية حياة التنقل والاعتماد على الغير الى حياة الاستقرار مع تعميق الايمان الصحيح في نفوسهم (٢).

وطلب منهم ان يتحولوا من رعاة الى مزارعين يقومون بزراعة ما يمكن زراعته داخل تلك الهجر ويكون ذلك موزداً ثابتاً لرزقهم وأولادهم ، كما يعملوا

---

(١) محمد المانع : توحيد المملكة العربية السعودية ، ص ١١٠-١١١ .



على استصلاح الأرض الى جانب المحافظة على مواشيهم ، والاعتماد فى كسب رزقهم على انفسهم ، مع العمل على تأصيل العقيدة الصحيحة فى نفوسهم .

وقد أدرك الملك ان تلك الهجر حينما يتم تأسيسها بصورة جيدة فانها ستوجد لدى سكانها كل الاسباب التى تجعلهم يؤيدون حكمه قوية ثابتة وبهذه الطريقة يمكن للحكومة القضاء على الفوضى التى كانت سائدة فى تلك الحقبة وكان الامام عبدالعزيز يأمل ان يغرس الدعوة السلفية دموه التوحيد والاصلاح فى تلك الهجر حتى يرتبط سكانها برباط العقيدة الاسلاميه الصحيحة .

وكانت لكل قبيله موارد مياه تعتبرها ملكا خاصا بها . وقصد شجع الامام زعماء هذه القبائل بالهبات والمنح ، حتى يبنون بيوتا سكنية حول تلك الموارد ، مما جعل رجال القبائل يقبلون ببناء تلك الهجر .

وكانت هجرة الارطاوية اول تلك الهجر والتى تأسست عام ١٣٣٠ هـ / ١٩١٢ م وبعدها انتشرت الهجر فى وسط شبه الجزيرة العربية وخاصة فى نجد وتسمى فى سكن هذه الهجر باسم الاخوان (١) .

وكان الهدف من هذه الحركة هو توحيد القبائل وجعلهم فى خدمة الدولة ونشر الدعوة السلفية بينهم .

وهكذا وجه الملك الطاقات القتالية عند القبائل العربية فى دولته الى خدمه الاسلام والدعوة السلفية ثم خدمه الملك والدولة الاسلاميه

---

(١) محمد المانع : توحيد المملكة العربية السعودية ، ص ١١٠ - ١١١

ومنعوا من اشارة أعمال النهب والسلب ، واتجهوا الى تنفيذ تعاليم الاسلام متحابين في الله . فكانت هذه القبائل العون للامام عبد العزيز فسي حروبه في الاحساء والحجاز وعسير والقصيم وحائل .<sup>(١)</sup>

ولكن هؤلاء الاخوان بعد ان دانت للملك عبد العزيز نجد والحجاز اعترضوا على استخدام بعض الوسائل المدنية الحديثه التي ادخلها الملك عبد العزيز الى حكومته ، فاضطر الملك عبد العزيز الى عقد المؤتمر العام بالرياض لتوضيح هذه الامور التي كانوا يظنون انها حرام وبدعه ونجح الملك عبد العزيز في شرح مالبس عليهم وتوضيحه لهم ، لان الاغلبيه الساحقه من الاخوان كانوا يؤمنون بمصدق ايمان الملك عبد العزيز . وهم يعلمون انه لا يأمر بمعصيه كما يعرفون اقتداره واخلاصه للعقيدة الاسلاميه<sup>(٢)</sup> .

وهكذا نرى المنهج السلفي يقيم الدولة العصرية وهذه أحد خطب الملك عبد العزيز في مكة المكرمة عند ضمها الى مملكته . نقتطف منها ما مائلي :-

( ان التمددين الذي فيه حفظ ديننا واعراضنا وشرفنا " مرحبا به وأهلا " وأما التمددين الذي يؤذينا في أدياننا واعراضنا وشرفنا فوالله لن نذعن له ولن نعمل به ولو قطعت منا الرقاب ) .

وفي غرة ذي الحجة سنة ١٣٤٧ هـ الموافق ( ١١/٥/١٩٢٩ م ) خطب الحجيج بمكة ليعلمن التزامه بالمنهج السلفي ويحدد ابعاده فقال : ( يسموننا بالوهابيين ويسمون مذهبنا الوهابي باعتبار انه مذهب خاص ... نحن لسنا أصحاب مذهب جديد أو عقيدة جديدة ، ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد فعقيدتنا هي " عقيدة السلف الصالح " التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ونحن نحترم الأئمة الاربعة ، ولافرق عندنا

(١) محمد جلال كشك : السعوديون والحل الاسلامي ، ص ٥٥٩-٥٦٠ .

(٢) عبد الله الحقييل : الدعوة الاصلاحية في مواجهة التحديات ، ( مقال منشور في الكتاب الثالث بمركز الوثائق التاريخيه ، بدولة البحرين ، ١٤٠٤هـ )

بين مالك والشافعي واحمد وأبى حنيفة ، كلهم محترمون فى نظرننا ، اننا لانبغى التجديد الذى يفقدنا ديننا وعقيدتنا ... ) .

ومن خطبه ايضا تلك التى القاها فى حجيج سنة ١٣٥٢ / ١٩٣٤ م اى بعد توحيد المملكة بسنة تقريبا .

حيث قال : ( وقد جعلنا الله مبشرين بالكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح ، لانتقيد بمذهب دون آخر ، ومتى وجدنا الدليل القوى فى أى مذهب من المذاهب الاربعة رجعنا اليه وتمسكنا به ، أما اذا لم نجد دليلا قويا فنأخذ بقول الامام احمد ) .

وكما صنع هذا الملك العظيم بالعقيدة السلفية - صنعة بالمسلك السلفى الذى يهب للمسلم كل القوة ، اذ يدرك معنى الشهادة ومنطق العبادة ان الله اكبر . وان من كان الله معه فهو منصور (١) .

وهكذا اقام الملك عبدالعزيز وخلفاؤه بالمنهج السلفى للدولة العصرية على اسس الشريعة الاسلامية ، مع الاخذ بوسائل المدينة التى لاتتنافى ولا تتعارض مع الدين الاسلامى القويم كما قالها نفسه لذللك رأى العالم المسلم منهم وغير المسلم ، كيف قامت دولة عصرية حديثشبة يتوفر فيها كل وسائل الرخاء والامن وكل متطلبات الحياة الحديثشبة دون ان ينسى الناس ولو لحظه واحدة انتمائهم للشريعة الاسلامية التى تحرص فيها الدولة قبل الفرد فى تنفيذ اوامر الله واجتناب نواهيها فى كل امور الدين والدنيا .

ولاغرو فى ان الدعوة السلفية التى تدعو الى الرجوع الى الله والتى دعا بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، قد نجت بحمد الله فى تأسيس دولة سلفية منذ اتفاق الدرعية سنة ١١٥٧ هـ بين الامام محمد بن سعود الذى ناصرها بالمال والرجال والنفس والنفيس والشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى يومنا الحاضر (٢) .

(١) عبد الحليم الجندي : الامام محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٨٣ .  
(٢) عبدالله الحقييل : الدعوة الاصلاحية فى مواجهة التحديينات ( مقال منشور فى الكتاب الثالث بمركز الوثائق التاريخية ، بدولة البحرين ، ١٤٠٤هـ )

مد التدهور عن شبه الجزيرة العربية :

كان تاريخ ارساليات التبشير في شبه جزيرة العرب ، بوجه خاص هو — تاريخ ارسالية التبشير العربية التي هي الابنة الممتازة لكنيسة الاصلاح الامريكية ولها فروع أربعة أقدمها عهدا " جمعية تبشير الكنيسة " التي تفرع عنها فرع آخر في فارس سنة ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م ، وقد استقلت هذه الجمعية باعمالها باسم " جمعية التبشير العربية العثمانية " ولها في بغداد أربع ارساليات وفي الموصل واحدة .

وفي سنة ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٥ م ذهب الى عدن " ايون كيث فالكونز " فأسس هناك ارسالية تبشير اسكوتلندية وهي مؤلفة من طبيبين منصرين ، وتبعتها " ارسالية التنمير العربية " التي أسست سنة ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م وهي تابعة لكنيسة الاصلاح الامريكية ، فانتشرت في البصرة والبحرين ولها في البحرين خمسة منصرين اثنان منهم طبيبان واثنان امرأتان ، ولها في البصرة أربعة مبشرين أحدهم طبيب . فكان المرضى يشدون الرحال من أصقاع بعيدة الى مستشفيات المنصرين في الموصل ، وبغداد والبصرة والبحرين وعدن . فعندما يرحل المنصرون الأطباء يجوبون البلاد كانوا يغرسون في النفوس بذورا أمكنت المنصرين حصدها بعد ذلك وأن ينموا غرسها ، فعنصر المنصرين بالتعليم المدرسي والتربية الاخلاقية اللذين أسفرا عن نتائج واثمرا ثمرات نافعة في الأطفال والمراهقين على السواء ، فكانت المحاضرات التي يلقيها المنصرون حول ارتقاء الممالك النصرانية وانحطاط ممالك الاسلام ، فكان من نتائج ذلك ان اقتطفوا ثمرات اعمالهم في كل منطقة من مناطق التنمير بالتسامح والاهتمام الحقيقي بالتعاليم النصرانية (١) . حين استطاعوا تحويل سكان بعض هذه الاقطار الى النصرانية ، وخاصة المذهب البروتستانتي فيما بعد .

الا أن دعوة التوحيد والاصلاح قد لعبت دورا هاما في تجنب الدولة السعودية الآثار المدمرة للغزو الفكري والتي اتضحت آثاره في محاولات التنمير للتخوم المجاورة للدولة في الشام ومسقط والبحرين وبغداد

---

(١) ل. شاتليه : الغار على العالم الاسلامي ، ص ٣٥ ، ٣٦ .

والموصل وفارس وعدن عن طريق التعليم والعلاج الطبي لتحقيق الآلام البشرية ، وخاصة عندما ضمت الدولة الاحساء جعل من نجد دولة خليجية وقاعدة سعودية برية وبحرية تنطلق منها جيوش الدعوة السلفية الى داخل بلدان الخليج لنشرها هناك .

زاد من اهمية هذا الصد عندما ضم الامام سعود بن عبدالعزيز مكة المكرمة سنة ١٢١٦هـ حين انتشرت هذه الدعوة الى الدول المجاورة خارج نجد، لهذا هزت هذه الدعوة الركود الذي اصاب العالم الاسلامي ومهدت لظهور الدعوات الإصلاحية في البلدان المختلفة والمجاورة كما سيأتي .

مما تقدم يتضح لنا أن الدولة السعودية قد قامت على أسس اسلامية سليمة وعملت كل ما في وسعها من أجل رفعة هذا الدين وخدمته دون أن يمنعها ذلك من اللحاق بركب الحضارة في العصر الحديث .

إذا فقيام هذه الدولة الاسلامية على أسس اسلامية سليمة مكنها أن تمد التدهور الذي عم أرجاء الدولة العثمانية وتمنع أي تسرب للغزو الفكري عن شبه الجزيرة العربية وخارجها لدورها الفعال في نشر النهج الاسلامي السليم في الاقطار المجاورة لشبه الجزيرة العربية، وبث المحوة الاسلامية بين ربوعها لتقف سدا منيعا للأفكار الهدامة التي خيمت على بلدان وأقطار اسلامية عديدة تتاخم الدولة ودعوة أهلها الى الرجوع الى الله ونبذ كل بدعة وقول لاينفع والتمسك بتطبيق أحكام كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

فهذه المبادئ الاسلامية لاتحل في مكان وتنتشر فيه الا ويكون من آثارها أن تشعر شعوبها بالأمن والاستقرار والعدل . فلقد ظهرت الدعوة السلفية في شبه جزيرة العرب بكاملها ، ثم انطلقت الى شمالها وجنوبها الى السودان والهند وسومطرة وشمال افريقيا ، ولقد تصدت هذه الدعوة لدفع التدهور عن أحوال العالم الاسلامي التي كانت تتشابه في كل هذه الأقطار وقت ظهور الدعوة السلفية في قلب نجد الى حد بعيد من حيث اعتناق أهلها للخرافات والبدع وانصرافهم عن تطبيق أحكام الشريعة

الاسلامية وتحديد موارد الدولة على أسس اسلامية .

وعلى كل حال فقد وجدت هذه الدعوة السلفية ميدانا للعمل واستطاع  
الدعاة المصلحون في كل تلك الاقطار أن يشعروا سكانها بحاجة الى اصلاح  
الديني وبخرورة اتباع مبادئ الدعوة السلفية للنهوض ببلدانهم ضد  
الغزو الفكرى ، والتيارات الاستعمارية المعادية للإسلام والمسلمين  
والتي تريد غزو الاسلام في عقر داره لانحصار حدوده بعد أن كانت ممتدة  
في العمق الاوربي .

وبفضل من الله استطاعت هذه الدعوة السلفية ايقاظ العلماء فوقفوا  
أمام الهجوم الشرس الذى جاء به الغزو الفكرى للعالم الاسلامي .

...

ج - تأثير حركات الإصلاح في العالم الاسلامي بها :

لم يقتصر أثر الحركة السلفية القائمة على دعوة التوحيد والإصلاح على شبه الجزيرة العربية بل امتد هذا الأثر الى خارج حدودها وذلك عن طريق الحجاج الذين يفتدون الى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج، وكان الحجاج القادمين من الخليج والعراق يمرون في طريقهم على الدرعية عاصمة الدعوة السلفية حيث يلقون الضيافة والأكرام من حكام الدرعية وتلقى عليهم أيضا دروس في أصول الدعوة وأسسها لمدة ثلاثة أيام (١).

وكان موسم الحج ميدانا صالحا، وفرصة سانحة لعرض الدعوة على كبار حجاج بيت الله الحرام، واستمالتهم لقبول مبادئها التي تدعو الى الرجوع الى الكتاب والسنة، فإذا عادوا الى بلادهم دعوا اليها (٢). وخاصة بعد أن ضم السعوديون الحجاز ودخلهم مكة المكرمة سنة ١٢١٨ هـ/ ١٨٠٣ م. أعطى الفرصة لسائر الحجاج من مختلف البلاد الاسلامية للتعرف على أصول الدعوة السلفية فيلتقوا بالعلماء ويناقشونهم فيما يدعون اليه (٣)، ويستمعون الى خطبهم ومواظهم وارشاداتهم القيمة وتوجيهاتهم السديدة (٤).

وبهذا الانطباع انتشرت الدعوة السلفية خارج نجد الى الدول الاسلامية (٥)، وتأثر بها بعض الحجاج لما رأوا في هذه الدعوة التي دعا اليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب انها ليست دعوة جديدة كما أعلنها خصوم الدعوة، فهي تعتمد على أسس ثلاثة: الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح، تحارب البدع والخرافات والخزعبلات الشائعة بين الناس من

- 
- (١) أحمد القطان وآخرون: امام التوحيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص ١٠٣.
  - (٢) أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث (بيروت، الناشر دار الكتاب العربي) ص ٢١.
  - (٣) محمد عبد الله ماضي: النهضة الحديثة في جزيرة العرب، ص ٦٢-٦٣.
  - (٤) عبد الله بن سعد الرويشد: الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص ١٧٦.
  - (٥) محمد عبد الله ماضي: المرجع السابق، ص ٦٣.
  - (٥) عبد الله بن سعد الرويشد: المرجع السابق، ص ١٧٦.

تبريك، وتقديس الأحجار والأشجار والقبور والبناء عليها، وبدم العلماء والعلماء والأولياء والصالحين . فأخذ كلا منهم ينشر في بلاده التوحيد ويحارب هذه الخرافات الموجودة في بلاده (١) .

مع مرور الزمان انتقلت أصول هذه الدعوة الإصلاحية الى كل من القواسم ، الذين جاهدوا في سبيل هذه الدعوة الانجليز في الخليج العربي ودانوا وطاعوا للدولة السعودية الأولى والى السودان وسومطرة والهند والعراق والشام ومصر والجزائر وجاوه وعمان .

وكان هدف دعائها في كل مكان حلوا به هو محاربة البدع والفساد والقضاء عليها ، وتصحيح العقيدة بما علق فيها من ادران الشرك للرجوع الى ماكان عليه السلف الصالح في القرن الاول للهجرة (٢) :

لذلك قامت هذه الحركات الإصلاحية ، ودعاة الإصلاح ضد الأوضاع السائدة في البلاد (٣) .

ففي اليمن ظهر مجموعة من العلماء تأثروا بالدعوة السلفية ، ودعوا الناس الى مبادئها ، وكان على رأسهم العالم الجليل محمد الشوكاني ، وصار لهم أتباع ووقعت بينهم وبين خصومهم من العلماء الآخرين مناقشات ومنازعات ولكن ذلك لم يتعد الحرب الكلامية (٤) .

أما في السودان ، فقد قامت هذه الدعوة على يد الداعية الشيخ عثمان بن لودي ، أحد أفراد قبيلة الفولا ، فانه بعد التقائه بعلماء الدعوة السلفية في موسم الحج ، اقتنع وأيد الدعوة السلفية التي دعا اليها الشيخ محمد عن طريق العلماء في مكة المكرمة ، فعاد عثمان

- 
- (١) أحمد بن حجر آل بوطامي : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٠٣ .
  - (٢) عبدالله بن سعد الرويشد : الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٧٦ .
  - أحمد بن حجر آل بوطامي : المرجع السابق ، ص ١٠٣ .
  - (٣) أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، ص ٢١-٢٢ .
  - محمد عبدالله السلطان : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ٨٣ .
  - (٤) عبدالله بن سعد الرويشد : المرجع السابق ، ص ١٧٧ .



الى بلاده وأخذ يحارب البدع الشائعة بين قومه وعشيرته ، ويعمل على القضاء على بقايا الوثنية وعبادة الأموات التي كانت لاتزال سائدة يؤمن بها بعض أهل تلك الديار ، فاستطاع بهذه الدعوة أن يجمع حوله قبيلته في وحدة متماسكة مرتبطة برباط الدين ، بعد أن كانت منقسمة الى عدة فرق وشيع ضعيفة متخالفة (١) .

لذلك بدأت حروب سنة ١٢١٨ هـ / ١٨٠٢م ضد قبائل الهوسا الوثنية وقضى على مملكة جبير ، التي كانت تقع على نهر مجرى النيجر .

ولم تمض الا سنتان حتى أقام عثمان بن فودي مملكة (سوكوتو) في السودان على أنقاض مملكة جبير ، على أساس دعوة التوحيد والاصلاح ، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ثم مدت دعوتها على جميع الاقطار الواقعة بين تمبكتو وبحيرة تشاد ، وبقيت هذه المملكة محافظة على استقلالها ووحدتها في تلك الفترة (٢) .

وكما غزت الدعوة السلفية منطقة السودان فقد نشطت في القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي حركة الدعوة للاسلام في البنغال بنشاط ملحوظ . حيث قام دعاة هذه المقاطعة من البنغال ينتقلون في البلدان المجاورة لتطهير البلاد من بقايا العقائد الهندوكية القديمة عن طريق الوعظ ليوظوا الحماس الديني وينشرون العقيدة الاسلامية بين الناس هناك (٣) ، كان ذلك بواسطة أحد الحجاج الهنود السيد احمد ، وكان هذا الرجل من أمراء الهند ذهب الى الحجاز لأداء فريضة الحج بعد ان اعتنق الاسلام في سنة ١٢٢٢ هـ / ١٨١٦م . وحين وفد الى مكة المكرمة التقى بدعاة الدعوة السلفية في مكة المكرمة واقتنع بصفة اصول الدعوة السلفية فأصبح من دعاة التوحيد . ولما عاد

(١) محمد كمال جمعة : انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٠٥ .

، محمد عبد الله ماضي : النهضة الحديثة في جزيرة العرب ، ص ٦٥-٦٦ ،  
، لوثر ب ستوارارد : حاضر العالم الاسلامي ، ج ٣ ، ص ٢٣ .

(٢) محمد عبد الله ماضي : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

، أحمد بن حجر آل بوطامي : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٠٣-١٠٤ ،  
، عبد الله سعد الرويشد : الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٧٧ .

الى وطنه سنة ١٢٣٦هـ / ١٨٢٠م في الهند باقليم البنغال وجد معيدا صالحا للدعوة بين سكان تلك المنطقة من الهنود المسلمين الذين اختلطت عقيدتهم الدينية بالكثير من عقائد الهندوس هناك . فبدأ بدعوته في مدينة (بتين) ودعا أولا اخوانه المسلمين بترك البدع والعقائد الهندوسية التي كانت شائعة بين الناس ، واتباع مبادئ الاسلام الصحيحة ، وبعد مرحلة من الجهاد استطاع هؤلاء المسلمون ان يقيموا الدولة الاسلامية على اساس دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في البنجاب وما حولها تحت حكم الداعية السيد أحمد (١) ، فامتدت هذه الدولة في نفوذها حتى شملت منطقتي السند وبولخستان وجزءا من أفغانستان ، ثم أعلن الجهاد الاسلامي على كل من خالف مذهب السلفي ، لذلك هزم الشيخ قسرب مدينة بشاور ، ولكنه تعرض لمقاومة عنيفة من الانجليز المتعاونين في محاولة للقضاء على الاسلام ، حتى استشهد عام ١٢٤٦هـ / ١٨٣١م (٢) .

هذه الدعوة السلفية التي قامت على اصول الدعوة السلفية ، لازالت قائمة هناك على يد خلفاء السيد أحمد من بعده ولم يستطع المستعمرون ان ينالوا منها شيئا ، ولا يزال هناك الكثيرون من سكان هذه المناطق يدينون بالاسلام على المذهب السلفي متبعين في ذلك اصول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وفي سومطرة ابتدأت الدعوة السلفية سنة ١٢١٨ هـ / ١٨٠٣م على يد أحد الحجاج من أجل اسعاد أهل الجزيرة ، الذي عاد من الحج في نفس السنة بعد أن التقى بالدعاة السلفيين ، واطلع على ما كان يدعون اليه ،

- 
- (١) عبدالله بن سعد الوريث : الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٧٦-١٧٨ .  
أحمد بن حجر آل بوطامي : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٠٤-١٠٥ .  
أحمد بن عبد الغفور العطار : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ٢٠٨ .  
أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، ص ٢١ .  
(٢) محمد عبدالله السلمان : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٨٥-١٨٦ .

حيث اقتنع بصحته ، ولما عاد الى وطنه ابتداء بالدعوة ثم تطورت هذه الحركة في بلاده حتى أدت الى حروب طاحنة بين المسلمين السلفيين في سومطرة وبين غير المسلمين من سكانها ، حتى رأت حكومة الاستعمار الهولندية سنة ١٢٤٧هـ / ١٨٢١م ان ناهض هذه الحركة القوية محافظة على كيانها ونفوذها هناك . واستمرت المشاوشات والحروب بين المستعمرين الهولنديين وبين المسلمين السلفيين في سومطرة حوالى ست عشرة سنة انتهت بتغلب قوى الاستعمار على القائمين بالدعوة والحركة السلفية (١) .

أما الحركة السنوسية فقد بدأت في الجزائر في أواسط القرن الثالث عشر الهجرى الموافق لاواسط القرن التاسع عشر الميلادى ، ثم غزت طرابلس بعد ذلك انتشرت في شمال أفريقيا ، ثم مدت رواقها نحو الجنوب حيث تمكنت في السودان ، فالحركة السنوسية قاومت وناهضت الاستعمار في كل مكان حلت به ، والتي كانت ولا زالت مدرسة تربية وتهذيبا للشعب السنوسي آنذاك ، هذه الدعوة تأثرت بالدعوة السلفية ، فالسيد محمد علي السنوسي مؤسس الحركة السنوسية كان في مكة يطلب العلم وقت ضم السعودية لها ، فتتلمذ على علماء الدعوة السلفية الذين قدموا الى مكة المكرمة ، وتأثر بمذهبهم ثم عاد الى الجزائر ونادى بحركته الإصلاحية على ضوء تعاليم الدعوة الإصلاحية الإسلامية السلفية التي أشعل نارها في شبه الجزيرة العربية الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٢) .

- 
- (١) محمد عبد الله ماضي : النهضة الحديثة في جزيرة العرب ، ص ٦٨ .  
، احمد بن حجر آل بوطامي : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٠٦ .  
، عبد الله بن سعد الرويشد : الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٧٨-١٧٩ .  
، احمد عبد الغفور عطار : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ٢٠٩-٢١٠ .  
(٢) محمد عبد الله ماضي : المرجع السابق ص ٦٨-٦٩ .  
، عبد الله سعد الرويشد : المرجع السابق ، ص ١٧٩ .  
، احمد بن حجر آل بوطامي : المرجع السابق ، ص ١٠٦-١٠٧ .

وكما انتشرت هذه الدعوة بواسطة الدعاة السلفيين ، فقد انتشرت هذه الدعوة المباركة في حضرموت ، وجاوة بواسطة السيد رشيد رضا الذي قام بتأليف جمعية الارشاد في تلك البلاد الى تطبيق مبادئ الدعوة السلفية دعوة التوحيد والاصلاح الذي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وللحقيقة فقد تأثر بهذه الدعوة كثيرون من أهل حضرموت ، وعدن ، وجاوة وبالجملة لقد كان لهذه الدعوة الأثر العظيم في العالم الاسلامي من نواحي مختلفة ، وقد كانت هي الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الاسلامي كله ، حيث تأثر بها زعماء الاصلاح في سائر الأقطار الاسلامية .

لهذا تأثرت كل الحركات الاصلاحية بالدعوة السلفية . ويمكن تحديد الصلة بينها وبين كل هذه الحركات ، اما عن طريق الاقتباس أو المحاكاة أو مجرد التأثير (١) .

كما أن تأثر أي دعوة بالأخرى ، لا يعني الاتفاق في جميع مبادئها الأساسية والفرعية . الا أن هذه الحركات الاصلاحية تأثرت بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الدعوة السلفية واتفقت معها في أهم المبادئ التي تدعو الى اخلاص التوحيد لله ، والدعوة الى الاجتهاد ، أما المسائل الفرعية فقد كان هناك خلاف معها (٢) .

ولكن هدف هذه الدعوات من الاصلاح هو أن يكون العمل لسيادة مبادئ الاسلام الصحيحة ، ثم بعد ذلك القضاء على البدع والخرافات ومحاولة

---

(١) أحمد بن حجر آل بوطامي : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٠٧-١٠٨  
، عبدالله سعد الرويشد : الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٧٩-١٨٠  
(٢) محمد عبدالله السلمان : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ٨١ .

بناء دولة اسلامية تحكم بتعاليم الاسلام وتطبق أحكامه في المعامــــــــــــــــلات والعبادات واقامة الحدود الشرعية ، وهذا ماكانت تهدف اليه الدعــــــــــــــــوة السلفية في الدولة السعودية في مراحلها الثلاث باستمرار ، وتحرص على ذلك وتؤكد عليه في كل مناسبة ومحفل ، بالحث على التمسك بالعقــــــــــــــــيدة السمحاء والعمل بها والحفاظ عليها .

لذلك يتضح لنا الدور المهم الذى حققته دعوة التوحيد والاصلاح والدولة السعودية في صد خطر الغزو الأوربي عن شبه الجزيرة العربية وما أعقب ذلك من تأثر حركات الاصلاح في العالم الاسلامي بها ، وهذا يعنى امتداد صد خطر الغزو الفكرى عن أقطار عديدة من العالم الاسلامي التابع للدولة العثمانية وغيرها من الدول الاسلامية .

فانتقال تأثير دعوة التوحيد والاصلاح في بعض أقطار العالم الاسلامي هي احدى الركائز التي واجهت وصدت الغزو الفكرى الأوربي في معظم أقطار الدولة العثمانية والممالك الاسلامية الأخرى ، حيث حارب علماء الاصلــــــــــــــــاح في تلك المناطق الاستعمار الذى أخذ ينفث سمومه في الأراضي الاسلامية ، في كل ميدان حلت به هذه الدعوة ويفرض نظمه الأوربية ويشجع حركة التنمير في البلاد الاسلامية عن طريق نشر المبادئ والأفكار الهدامة والذى يعتبر من مقومات حركة الغزو الفكرى في العصر الحديث .

وهذا العمل كفيل بصد الغزو الفكرى بمختلف ألوانه وتياراتــــــــــــــــه لتبقى العقيدة سليمة وصافية من كل الشوائب والمعتقدات الفاســــــــــــــــدة الأخرى في مقابل نشر العقيدة الاسلامية في أنحاء الدول الأخرى تطبيقــــــــــــــــاً عمليا في الأحكام والحدود والمعاملات كما كانت تطبق في عهد رسول اللــــــــــــــــه صلى الله عليه وسلم والتابعين .

## الخاتمة والنتائج

الدولة العثمانية والغزو الفكري من الموضوعات الكبيرة والهامة التي كان لها تاثيرها السياسي والحضارى على الأمة الاسلامية في العصور الحديثة ذلك لأن الحكم العثماني استمر فترة طويلة وشمل حكمه معظم البلاد الاسلامية في ثلاث قارات هي أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا وبذلك تأثرت الأمة الاسلامية بالتغيرات السياسية والحضارية التي عاصرت الدولة العثمانية .

ومما يلاحظ على تلك التغيرات السياسية والحضارية أن الدولة العثمانية كانت غازية فكرية وسياسيا في عصرها الأول ، عندما طبقت النظم الاسلامية تطبيقا شاملا ، وهذا ما تعرضنا له في الفصل الأول . فتقدمت في فتوحاتها وأجبرت أعداءها على احترامها في عصر استقرار نظامها الذي ترتب على صلاح عناصرها القيادية التي ارتكزت عليها الدولة في عصرها الاول وهي : السلطان والشيخ والجندي ، وقد وصلت الدولة بهذه العناصر الى قوة ضاربة أرهبت بها أوروبا وشقت طريقها داخل أوروبا لنشر الاسلام والحضارة الاسلامية في ربوعها ، فلقد نشأت الدولة العثمانية من امارة صغيرة على أنقاض دولة السلاجقة الروم بعد وفاة آخر ملوكهم السلطان علاء الدين في عام ١٢٩٩/٥٦٩٩م والذي هزم على يد المغول .

ولاحظنا ما صاحب نشأة هذه الامارة وجهادها مع البيزنطيين لاييقاف التحركات الصليبية ضد البلاد والأمة الاسلامية وكانت قوتها التي تحركها هي روح الجهاد الاسلامي في الأجزاء الغربية من بيزنطة ، كما كان جند الدولة يسحقون الأعداء التي تقف ضدهم من النصارى حتى تم لهم فتح أهم المدن البيزنطية النصرانية في آسيا الصغرى وشرق وجنوب أوروبا ، وقد اتصف آل عثمان بالتسامح فعندما أراد عثمان بن أرطغرل نشر الاسلام بين المسيحيين البيزنطيين في آسيا فكان يخيّرهم بين الاسلام أو الجزية أو الحرب . وذلك قبل حربه معهم كما كان يفعل الرعيل الأول في الاسلام .

فكان بعضهم يختار الاسلام طوعا ، أما الفئة الثانية فقد اختارت دفع الجزية ، إلا أن القسم الآخر قد امتنع ورفع راية العصيان رغبة في القتال ، مما دفع العثمانيين الى خوض هذه الحرب المقدسة واعتبار ذلك العمل

كجزء من واجبهم الاسلامي نحو الجهاد في سبيل الله ، لاحبا في القتال  
ولكن لنشر الدين واعلاء كلمة الحق .

وهكذا تدرجت هذه الامارة في النمو والاتاع وبفتح بورسة اصبحت دولة  
وزاد تعمقها في أوروبا حين فتح السلطان مراد الأول أدرنة فأصبحت  
الدولة بعد ذلك آسيوية أوربية .

وفي مقابل ذلك كانت أوروبا تتكتل في شكل أحلاف صليبية ضد الدولة  
العثمانية في مراحلها الأولى لضربها وسحقها قبل استفحالها ، لاستخلاص  
الأراضي التي فتحتها الدولة العثمانية في أوروبا ، وقد حاولوا خلال أربع  
حملات حربية والخامسة كانت في عهد مراد الثاني ، إلا أن محاولاتهم بسأت  
جميعا بالفشل لقوة وصلابة ووحدة الدولة العثمانية وتسليح رجالها بالايمن  
واستبسالهم في طلب الشهادة والجهاد في سبيل الله وإخلاصهم في الدفاع  
عن راية الاسلام ، لأنهم يعلمون أن هذه التجمعات والتكتلات يدفعها  
الحقد الصليبي الدفين منذ ان استرد صلاح الدين منهم بيت المقدس . فكانت  
هذه الاحلاف والتجمعات ، أو الغزوات الصليبية على الدولة العثمانية إنما هو  
امتداد للحملات الصليبية السابقة في العصور الوسطى .

ولذلك كان الهدف من وراء هذه الحملات هو اخراج العثمانيين من  
أوروبا كلها ثم من آسيا ليستمرؤافي الزحف حتى يصلون الى بيت المقدس  
الشريف ، وهو الهدف الذي رسمت من أجله هذه الحملات ، بل انه أهـم  
اهدافها اضافة الى العامل الاقتصادي الذي لا يقل اهمية عن الهدف الأول .

ويظهر لنا من هذه الدراسة حماس الدولة العثمانية في الجهاد  
ونشر الدعوة الى الله نحو الغرب دار الحرب وهو العامل الاساسي الذي  
يدفع الدولة منذ بدايتها .

وقد أكدت الدراسات أن العثمانيين أمة حرب وقتال من أجل خدمة الاسلام  
ونشره ، وقد اعترف ببسالتهن الهجومية والدفاعية الأعداء قبل الأصدقاء



لذلك انطلقت في جميع حروبها مع اوربا من منطلق اسلامي بحت ، وتحت راية الجهاد الاسلامي ، ومما يدل على ذلك المنطلق هو وصايا عثمان لابنــــه أورخان ، وهو على فراش الموت ، حيث أوصاه بنشر الاسلام ، وهداية الناس لهذا الدين مع الالتزام بحماية اعراض المسلمين وأموالهم ، وقد حثه على الجهاد لنشر الاسلام وعدم تركه وتحكيم شريعة الله ، والتقرب من العلماء وتقريبهم واستشارتهم في الأفعال والأعمال التي يقومون بها .

لذلك اعتبر العثمانيون أن نشر الاسلام في الارض وهداية الناس به هو من أهم أعمالهم وأركانها عند الله ومن واجباتهم الاساسية التي نشأت الدولة العثمانية من أجلها ، وبالإضافة الى تلك العوامل والمقومات نرى العثمانيين يفتحون قلوبهم لمن اعتنق الاسلام في أوربا ، ومن أشهرهم الامير خوسيه ميخائيل الذي أسلم في زمن عثمان بن ارطغرل فاصبح هذا المسلم من خيرة المسلمين وارتقى بهذا الاسلام حتى كان من قادة المسلمين في الدولة العثمانية المرموقين ، ثم القائد افرينوس حاكم بورسه ، وغيرهم من الشخصيات الأوربية الذين أسلموا وحسن اسلامهم فأخلصوا والتزموا في اسلامهم فخدموا الاسلام والمسلمين ضد اوربا النصرانية .

فاتضح لنا أمانة التزام السلاطين انفسهم بهذه النظم الاسلاميـــــة التي كانوا يطبقونها في عصر الدولة الأولى على أهل الذمة ، كما كانت تطبق في عهد الخلافة الراشدة من حسن معاملة صادقة مما نتج عن ذلك انتشار الاسلام بين الدول الأوربية ، فكانوا يدفعون الجزية مقابل حمايتهم ، لذلك أسلم بعض المسيحيين نتيجة لتسامح المسلمين ، وباسلامهم سقطت عنهم الجزية .

الا أننا يجب أن لاننسى دور الانكشارية في بناء هذه الدولة ، وقد كانت للحصانة الفكرية التي تربوا عليها الدور الواضح في حروبهم مع السلاطين ، وخاصة في عصر الدولة الاول لتشجيع الجندي الانكشاري بالروح الجهادية واخلاصهم لعقيدته أولا ثم لوطنه ثانيا ، فكانوا يؤمنون بالاسلام عقيدة ومنهجاً .

لذلك كان الانكشاريون كتلة واحدة تشعر بواجبها الاسلامي العظيم وبالمهمة التي أعدوا من أجلها وهي أن السيف سلاحهم في سبيل الحق ونشر الاسلام ، ودعوة الحق شعارهم والرحمة والشفقة تملأ قلوبهم ، ذلك لان الاسلام دينهم والسلطان ولي أمرهم ، قد أصبحت هذه الفئة عوناً للدولة على أعدائها حتى صار السلطان لا يعول الا عليها ، ولهذا كانت الانكشارية من أهم عوامل بناء الدولة وامتدادها حيث رافق هذا الجيش تكوين الدولة وكان سبباً وعوناً في انتشار الاسلام وتقدمه في أوروبا خلال عصر عظمى الدولة .

ومنذ أن فتحت القوات العثمانية القسطنطينية سنة ١٤٥٣م/٨٥٧هـ ، أصبح اسمها اسطنبول كما أصبحت عاصمة الدولة العثمانية ، وبسقوطها قضى محمد الفاتح على آمال ومستقبل أوروبا التي كانت تهدد العالم الاسلامي ومن هذه المدينة انطلق فاتحها لمواصلة الجهاد لنشر الاسلام فيما تبقى من الدول الأوروبية .

أما موقف أوروبا ، فقد انتابها الخوف والقلق حيث تجسم أمامها خطر الاسلام ، وما كانت البابوية لتهدأ أو يخلو لها بال بالرغم من كراهيتها وخلافها المذهبي للارثوذكس فسي القسطنطينية وبين أهل روما الكاثوليك في الغرب ، فهي لا تسمح بقضاء المسلمين على الامبراطورية البيزنطية ولكن قوة المسلمين في ذلك الوقت ، أوقفت أوروبا عاجزة لا تستطيع أن تقدم يد العون الى القسطنطينية لخوفهم الشديد من العثمانيين لانهم لازالوا يتذكرون معركة ( نيقوبوليس ) الشهيرة التي أذهلت ملوك أوروبا وشعوبها نتيجة للفشل الذريع ، فلم يعد من السهل استئثاره الاوربيين للدولة العثمانية وقد انتهت هذه المعركة الحملات الصليبية كحركات صليبية منظمة ضد الاسلام كما مر بنا في الفصول السابقة .

ومن ذلك الوقت سجلت أوروبا تراجعاً عكسياً ، خصوصاً عقب سقوط القسطنطينية في يد العثمانيين الذي أوقف نهائياً التهديد الصليبي لغزو

المقدسات الاسلامية في البلاد العربية وحصر طاقاتهم الدفاعية عن مقرر البابوية في روما ، خوفا من سقوطها في يد المسلمين العثمانيين كما سقطت اياصوفيا مقر البابوية الشرقية ، أحد معاقل الديانة المسيحية الأرثوذكسية . وزاد السلطان محمد الفاتح أوروبا ارتباكاً وحيرة عندما أقسم أن يربط فرسه في كنيسة القديس بطرس في روما ، لذلك أصبحت روما تحت التهديد العثماني ، وانها لامحالة ستسقط كما سقط المعقل الشرقي الأرثوذكسي . فhez هذا القول أوروبا ارتعدت خوفاً أمام القوة الاسلامية التي تطبق الاسلام بكامل حدوده وشعائره .

وحين عزم السلطان محمد الفاتح على ذلك مهما كلفه الامر جهز قواته وسار بها نحو شرق أوروبا طلباً للجهاد في سبيل الله فاما النصر والشهادة . ونتيجة لذلك أصبحت الامارات الاوربية تسقط في يده الواحدة تلو الأخرى وهو سائر في طريقه الى روما تحف به عناية الله وتوفيقه .

وحين رأت أوروبا تصميمه لذلك قررت التخلص منه عن طريق طيبيه اليهودي الذي اعتنق الاسلام على مذهب يهود الدونمة ، فدخله السم فبي الطعام تدريجياً حتى قضى عليه غدراً كما هي عادة اليهود ، وبموته زال الخطر عن أوروبا حيث عبرت عنه باقامة الافراح في كل مكان ، ولكن كان ذلك الفرغ مؤقتاً حيث واصل خلفاؤه من بعده السير على خطاه في الجهاد ونشر الاسلام .

ولذلك اعتبرت أوروبا أن فتح الدولة العثمانية للقسطنطينية هو مولد المسألة الشرقية التي أشغلت أوروبا في ذلك الوقت . ولا تزال قائمة تشغلها واطعة أمامها الاسئلة التالية : كيف تستطيع أوروبا إيقاف تقدم الاسلام ونشره الى الأقطار والممالك الاوربية ؟ وكيف تعمل أوروبا من أجل تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية ؟ ولماذا عاد الاسلام مرة أخرى ينطلق من الديار الشرقية ؟ . ولم تستطع أوروبا أن تحقق مآربها أو أن تصل لغاياتها العدوانية ضد الأمة الاسلامية وذلك لان الدولة العثمانية كانت قوية ذات مركز عالي مهابة الجانب والسرفي ذلك انها كانت تطبق شرائع

الاسلام قولاً وعملاً كما أن جندها كانوا متشبعين بروح الجهاد في سبيل نشر  
الاسلام . ومن أجل ذلك تحقق للدولة العثمانية كل آمانيها وأيدها الله  
بنصره لأن الله تعهد بأن ينصر من ينصره .

وهكذا اتسعت رقعة الدولة العثمانية حتى وصلت إلى أقصى اتساعها  
مما جعل ملوك أوروبا يطلبونود الدولة العثمانية ، ويستنجدون بها على  
أبناء جلدتهم ، ومن ذلك قيام فرانسوا الأول ملك فرنسا بالاستعانة بسلطان  
الدولة العثمانية السلطان سليمان الأول لمساعدته ضد شارل كان ملك  
النمسا الذي كان يحيط باملاكه كالسوار بالمعصم ، وقد حالفه السلطان  
سليمان على ذلك لحمايته وصد الظلم عنه .

ونتيجة للانتصارات العظيمة التي حققتها جيوش الدولة العثمانية  
فان كثير من النمسا دخل في الاسلام تطوعاً ، فانضموا إلى الجيش  
الانكشاري ، فعندما تم ضم البوسنة دخل أكثر شبابها الاسلام ، وقد ساهموا  
مع الجيش العثماني في فتح المدن الأوروبية الأخرى ، وهذا يعود لسماحة  
السلطين وتطبيقهم للاسلام .

ومن خلال استعراضنا للأحداث التاريخية خلال العصر العثماني  
الأول نجد أن الدولة العثمانية كانت غازية فكرية ودينية كما أنها  
كانت ملتزمة بالاسلام قلباً وقالباً فطبقت النظم الاسلامية تطبيقاً شاملاً  
مما لا يختلف فيها اثنان .

وحين انتقلنا إلى الفصل الثاني تحدثنا عن الدولة في عصرها  
الثاني فقد كانت غير ذلك ، فاتساع رقعة البلاد وامتدادها على القارات  
الثلاث ، أوجد لها مشكلات غير عادية في مجال الدفاع الخارجي والتنظيم  
والتماسك الداخلي ، وأوصلت الدولة إلى عواقب ، كان من الواجب على  
سلاطين الدولة الذين جاءوا بعد السلطان سليمان الأول العمل على اجتياز  
تلك المشاكل الداخلية والخارجية وإيجاد الحلول الكفيلة لها ولكنهم

تقاعسوا عن ذلك وتقاعس معهم العلماء والقادة فانصرفوا الى حياة الترف واللهو مما زاد من تفاقم المشاكل الداخلية والخارجية وعندما أرادوا ادخال بعض التعديلات والاصلاحات في النظم الداخلية لجأوا الى محاكمة الغرب المسيحي في تنظيماته فانصرفوا عن الاسلام فظفروا الطريق وأصبحوا العوبة في يد بلدان الغرب يعتقدون معهم المعاهدات والاتفاقيات ويمنحونهم الامتيازات داخل اراضي الدولة العثمانية . وقد نتج من هذا الاهمال من سلاطين الدولة زيادة المشاكل ومعبوبة حلها مما أضر على وحدة الدولة وتماسكها وفتح الطريق أمام تسرب الخلل في جميع أجهزة الدولة وقد أدى وجود قوميات وأديان متعددة في الدولة الى اضطراب كيانها فكثر الثورات الداخلية فانتشرت اعمال الفوضى واضطرب الامن ومنبتت الجيوش العثمانية بهزائم كبيرة ، فكان هذا مبررا للتدخل الدول الأوروبية في شئون الدولة العثمانية بحجة رعاية القوميات والأقليات الدينية في الدولة . ومن أجل تفاقم ذلك الخطر فان الدول الأوروبية لم تتردد في تقديم المعونات المالية والعسكرية بل والبشرية لاشغال تلك الثورات وتشجيعها على المطالبة بالانفصال حتى ينتهي بها الامر الى الانفصال عن كيان الدولة الكبير أو حصول الدول الأوروبية على معاهدات وامتيازات لرعاية تلك القوميات والديانات . وهذا كله ناتج عن انغماس أغلب سلاطين الدولة في حياة اللهو والمجون والاسراف وتفشي سوء الادارة وقبول الرشوة ، بين حاشية السلطان وعماله حتى أصبح ذلك شريعة سائدة في جميع أرجاء الدولة واقطارها .

كان ذلك بعد الانتصارات الباهرة التي أحرزها العثمانيون عندما حملوا راية الاسلام وساروا بفتوحاتهم صوب الغرب ولما داخلهم الغرور جنحوا الى الكسل وتهاونوا في تطبيق اصول الاسلام الداعية للعمل والجهاد وتطبيق النظم الاسلامية بكل معانيها ، فانشغلهم تبعات شهواتهم أشغلهم عن الغرب وتخطيطاته ، وهدم الملة الاسلامية فاستغل الغرب هذه الغفلة وأخذ يخطط لما فيه خدمة مصالحه التجارية والسياسية والدينية في

المنطقية فكان ذلك عن طريق الغزو الفكرى منذ حملة نابليون تنفيذاً لوصية لويس التاسع عشر ملك فرنسا ورائد حركة الغزو الفكرى والذى كاد أن يذهب ضحية الحملة الشامنة لولا قيامه بدفع مبلغ من المال كفدية لفكه من الأسر ، وهكذا تحولت المعركة من ميدان السلاح الى معركة في ميدان العقيدة والفكر بهدف تشويه عقيدة المسلمين التي تحمل معنى الجهاد . وكان من أهم عوامل الغزو الفكرى حركة التنوير . وقد اتضحت معالم هذه الحركة من خلال الهجمة الصليبية على الدولة العثمانية التي قامت بها السـدول الأوروبية منذ بداية القرن الثالث عشر الهجرى الموافق للقرن التاسع عشر الميلادى بواسطة قناصل وسفراء تلك الدول الأوروبية ومن خلال نشاط الجمعيات والارساليات التنصيرية المدعومة من الدول والجمعيات المسيحية والمتمثل في بناء المؤسسات التعليمية والعلاجية في اسطنبول وبلاد الشام ، وكيف كانت الدول الأوروبية تتصارع على الزعامة لحماية الأماكن المقدسة في فلسطين .

وعن طريق هذه الخدمات استطاعت هذه الدول الأوروبية أن تغزو العالم الاسلامي فكريا ودينيا وسياسيا وتعمل ماتريد لخدمة مصالحهم . كما حاولت أن تشكك المسلمين في دينهم وعلمائهم وبالتالي يتبعون الغرب ويصدقونـه في كل مايقول . وكان الغزو الفكرى من العوامل الهامة التي ساعدت على تفتت الدولة الاسلامية لانه غرر بشعبها المسلم عندما شككه في دينه وعلمائه الأفاضل ، وأصبح مغرماً بتفاهات الغرب وحضارتهم المادية واطلق عليها تعبيراً لا يليق بدولة كبرى خدمت الاسلام والمسلمين وهو تسميتها (بالرجـل المريض) .

وقد لاحظنا في الفصل الثالث نشأت حركة الغزو الفكرى الاوربي ونشأت معها الافكار العلمانية والقومية والحركة الدستورية ، وتسربت هذه الافكار عن طريق الثورة الفرنسية التي استطاعت أن تخترق الحياة السياسية والدينية وأن تؤثر في أوربا ، وتعمل على تغيير النظم القديمة في أوربا . فـشجعت تلك الافكار اليونان على المطالبة بالاستقلال ومن أتى من بعدهم دلبا لاستقلال بلادهم سواء ضد النظم القديمة الأوروبية أو الانفصال عن الدولة العثمانية ،

وبعني ذلك أن هذه الأفكار تسربت الى ممالك الدولة العثمانية الأوربية  
وكان أثر ذلك أن فقدت الدولة اليونان حتى الدولة العثمانية نفسها  
لم تنج فقد تسربت هذه الأفكار ، فأصاب المجتمع العثماني بكل طبقاته ،  
ولئن كان التأثير في بادئ الأمر ضعيفا إلا أنه اصاب الطبقات المسيحية  
التي تعيش داخل الدولة أكثر من غيرهم ، وكان ذلك تمهيدا للحركة الدستورية  
التي اضطرت بأفكارها دول البلقان والصرب والافلاق والبغدان والجبل  
الاسود ، التابعة للدولة العثمانية طلبا للاستقلال ، فأخذت الدولة العثمانية  
تتصارع معها وروسيا تساند هذه الثورات وتحدث القلاقل حتى نالت استقلالها  
في معاهدة برلين سنة ١٨٧٨م .

وكان لتطورات التاريخ الأوربي الحديث الأثر الكبير على المناطق  
والشعوب في تغيير بنية المجتمعات العلمانية وقومية جديدة نشرتها  
أوربا في المدن الاسلامية ، وكان شعارها المقنع ( العدل والاخاء والمساواة )  
وهي نفس الشعارات التي تدعو لها الماسونية ويردها أتباعهم ، ويؤكد ذلك  
ارتباط العلمانية بالماسونية . كما أن ذلك يعني القاعدة التي تنطلق منها  
هذه المذاهب الهدامة ، وان اختلفت في الأسماء والمسميات فهي في الحقيقة  
مؤسسات سرية يهودية أريد بها هدم الاسلام وتفتيت الامة الاسلامية وبهذه  
الشعارات والدعوات والمذاهب الهدامة تغفل سلطان اليهود وأخذت سماته  
تبرز للعيان منذ مطلع القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر  
الميلادي . وساعد في انتشارها أكثر تطور الثورة الصناعية واتساعها  
وتطور وسائل المواصلات في العالم مما أتاح لهذه الجمعيات والمؤسسات  
امكانية الانتقال والانتشار بأعضائها من مكان لآخر لنشر مبادئهم وتعاليمهم  
التي تتعلق بأهدافهم وأمانهم وأطماعهم والعمل على توجيه هذه الجمعيات  
والمؤسسات التي تسيطر عليها لتحقيق الهدف الذي تعبر عنه الخطة الكبرى  
للجمعيات والمؤسسات السرية العالمية المنتشرة في جميع بلدان العالم  
والتي تقوم بكل عمل ماسوني في خدمة الأطماع اليهودية ، فالأفكار المستقلة  
التي تعارض الأفكار الماسونية ، كانت تتعرض للنقد اللاذع والعداء من قبل

الماسونيين . ويمكن التصفية الجسدية كما هي عاداتهم ، لمن يقف في طريق مخططاتهم وأهدافهم العدوانية .

ولقد أدت حياة الركود والتراجع التي كانت تعيشها الدولة الى تغيير موقفها من الهجوم الى موقف الدفاع عن النفس . ولم تقف الامور عند هذا الحد بل بدأت الدولة تفقد في كل حرب مع اوربا او روسيا ولاياتها الواحدة تلو الأخرى ، لذلك بدأت الدولة في محاولات الإصلاح التي شملت النواحي العسكرية والسياسية والثقافية وحتى النفسية . في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية تسيطر على الطرق العالمية الكبرى، ولكن عندما أثر السلاطين سياسة العزلة والانكفاء خلف شهواتهم اتسعت المشكلة فانتشرت الانكشاريية يساندتهم في ذلك العلماء هذه الفرصة وقامت بقتل كل فكرة اصلاحية جديدة حتى ولو لم تتعارض مع الشريعة الاسلامية ، مما زاد في طمع الغرب ، وفكر في تقسيم ممتلكات الدولة أكثر من مرة ولكن خوفهم من الخلاف بينهم على تقسيم الدولة واشتعال الحرب فيما بينهم لهذا أخذوا يؤجلون هذا الأمر ويرسمون الخطط لنشر الفوضى والاضطرابات داخل ولايات الدولة ومدنها الكبرى .

وحين انتقلنا الى الفصل الرابع بينا فيه الاضطرابات ودعوات الإصلاح في الدولة حتى اتجهت الى الإصلاح العسكري اولا وقد واجه تحقيق ذلك سلسلة طويلة من العراقيل نتيجة للضعف الذي أصاب السلاطين والعلماء والانكشاريية والتدهور الشامل في سياسة الدولة الداخلية والخارجية والتهاون في ادارة الدولة حتى بدأ سلاطين آل عثمان يتطلعون الى معرفة أسباب ضعف دولتهم وايجاد الحلول لذلك الضعف ، فقام السلطان سليم الثالث ( ١٢٠٤-١٢٢٢ / ١٧٨٩-١٨٠٧م ) وبدأ الإصلاح في الدولة .

ولكن الانكشاريين لم يمهله ، فقد عارضوه ، وكان ضحية هذا الإصلاح بعد أن وضعوا مكانه السلطان مصطفى الرابع الذي كان يميل لهذه الفئسة ولكن القاعد مصطفى علمدار في روسجك الذي كان يؤيد الإصلاح ومن مؤيدي السلطان سليم الثالث استطاع أن يقضي على السلطان مصطفى الرابع بجيشه وأن يولي



محمود الثاني عرش الدولة العثمانية ، هذه الاحداث تعكس بجلاء ضعف الدولة وانهيائها وسوء ادارتها مما مهد الطريق لعوامل الغزو الفكرى ان يتسرب داخل البلاد . وعندما تسلم السلطان محمود الثاني السلطنة بعد ثورة دموية ادرك بعدها انه لاسبيل الى الاصلاح الا بالتخلص من الانكشارية . ولكن كيف يتم ذلك ؟ ففكر وراح يخطط للوصول الى كيفية يتخلص بها من هذه الفئة الباغية والخارجة عن طاعة ولى الأمر . وخاصة أنه عقب حرب اليونان اتضح لديه عدم جدوى الجنود الانكشارية ، وأعجبه تنظيم الجيش المصرى على الطريقة الحديثة وانتصاراتهم الباهرة التي حققها ابراهيم بن محمد على في المورة كما كانت محل اعجاب أوروبا نفسها لذا زاد من اصراره على القضاء على الانكشارية ، ولكنه في هذه المرة قبل البدء استحصل على فتوى شرعية تنص على وجوب التخلص من هذه القوة . ويظهر لنا من هذه الفتوى أنه استطاع اقناع العلماء وجعلهم الى جانبه بعد أن شرح لهم مشاكل الانكشارية وأنها أصبحت من أسباب ضعف الدولة العثمانية ، بعد أن كانت قبل ذلك احدى عوامل بناء الدولة وقوتها . فأعلن ذلك للملأ وسعى الى ايجاد انقسام بين صفوف الانكشارية فأحدث هذا النبأ حول الغاء تشكيلات الانكشارية صدى في جميع أنحاء العالم كما خصصت الصحف الأوروبية عناوين كبيرة لهذا الحدث ، وسمى الأتراك العثمانيون هذا الحدث باسم "الواقعة الخيرية" .

لهذا اعتبر المؤرخون أن السلطان سليم الثالث رائد حركة الاصلاح ولكنه مات وهي في مهدها ، أما السلطان محمود الثاني فيعتبر بهذا العمل قد وضع حجر الأساس للاصلاح العسكرى في الدولة . ولذلك شرع في تكوين جيش جديد على الطراز الأوربي واستدعى لتدريبه فياطا ومهندسين فرنسيين وألمان ويعني ذلك العمل أن الاستغراب قد زاد في عهد السلطان وتوسع نحو الغرب بعد مذبحه الانكشارية .

ومن استعراضنا للاحداث التي كانت تمر بها حركة الاصلاح نرى أن القوة العسكرية كانت أولى عناصر الاصلاح التي اهتمت بها الدولة ، ومن خلال ذلك

دخل الاستغراب الى أنظمة الدولة العسكرية وذلك عن طريق المدربين والفنيين الذين تم استقدامهم من أوروبا ، وكان هدف الدولة من ذلك بناء جيش قوي تستطيع الدفاع به عن نفسها ، ومن ثم تسترجع ما فقدته من ممتلكات .

ومن أجل ذلك سعى السلطان محمود الثاني الى زيادة عدد الطلاب المتبعثين الى المعاهد والمعسكرات الأوروبية للدراسة والتدريب هناك حتى بلغ عددهم الآلاف ، وقد تأثر هؤلاء المبتعثون من خلال دراستهم بما كان يروج في أوروبا من أفكار ثورية ، مما أدى الى ظهور طائفة جديدة من أبناء المسلمين في الدولة العثمانية لم يستطع المجتمع العثماني تقبلهم لتأثيرهم بالافكار الهدامة ، وقد أطلق عليهم "الشبيبة العثمانية " تشكل منهم عناصر استوطنوا بعض المدن الأوروبية ليقوموا بدور المعارضة بأفكارهم المخالفة للشريعة الإسلامية .

وهنا تجدر الإشارة أنه عندما توفي السلطان محمود الثاني سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م والدولة العثمانية على مشارف السقوط عقب الأزمة مع محمد علي ، وقد توفي قبل أن يعرف بهزيمة جيشه من قبل قوات الباشا بحوالي ثمانية أيام تقريباً ولكن خوف أوروبا من محمد علي على مصالحها لانهم يعرفون قوته في حروب المورة ، لذلك تكالبت الدول الأوروبية وخاصة الانجليز وعلى رأسهم بالمرستون خوفاً من دخول محمد علي اسطنبول ، الذي كان يعرف اطماع محمد علي وأحلامه في اقامة دولة عربية من مصر الى الخليج العربي ، وهناك سبب آخر أيضاً وهو تحالفه مع فرنسا ، مما يعني بالنسبة للانجليز ضياع مصالحهم في الهند .

وعقب وفاة السلطان محمود الثاني تولى من بعده السلطان عبدالمجيد سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م فقام بعدة تنظيمات مما يعتبر خروجاً عن الأصول الأولى التي سارت عليها الدولة خلال عصرها الاول . وأهم ذلك استبعاد العمل بالشريعة الإسلامية حيث بدأت الدولة في طور غريب تتبع فيه التنظيمات الغربية في الحياة والتقنين وفي قيام المؤسسات على أنماط غربية . ويبدو لنا أن صغر سن السلطان عبدالمجيد جعله يخضع لتأثير وزيره رشيد باشا ، الذي

قضى معظم حياته في الغرب بين باريس ولندن ، والذي وجد في الغرب مثله الأعلى وفي الماسونية فلسفته المثلى لذلك استطاع جر الدولة الى هذا المنزلق الخطير طول فترة حكم السلطان عبدالمجيد .

مع العلم أن السلطان عبدالمجيد عقب توليه للسلطة اراد تسوية الأزمه مع محمد علي وديا دون تدخل الدول ، وقدوافق محمد علي ، الا أن روسيــــــــــــا وانجلترا والنمسا وغيرها من الدول لم تترك هذه المسألة دون حلها تحت نظرهم لذلك تدخلت هذه الدول اجباريا للتسوية بين محمد علي والسلطان عبدالمجيد فقررت بالاجماع دون فرنسا الزام محمد علي بمعاهدة لندن سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٤٠م ، والتي كان من أهم شروطها :

- ١- يمنح لمحمد علي مصر وراثية وولاية عكا طوال حياته .
  - ٢- ترسل الدولة أساطيلها للدفاع عن اسطنبول ان هدها محمد علي .
  - ٣- اذا رفض محمد علي هذه الشروط في ظرف عشرة أيام تسحب منه ولاية عكا ويبقى له مصر فقط ، واذا رفض ذلك في مدة عشرة أيام أخرى ينظر السلطان في الأمر من جديد مع استشارة الحلفاء .
- وقد كلف الدول الاوربية الانجليز بتنفيذ هذه المهمة .

وعندما علم محمد علي بالاتفاقية رفضها واستدعى قواته من شبه الجزيرة العربية لمواجهة هذا الحلف ، ولكن المعركة بينه وبين الانجليز انتهت على اعطائه فقط وراثه مصر ، لذلك أصدر السلطان عبدالمجيد مرسوما سلطانيا ينظم امتياز حكم القطر المصري وينظم وراثه محمد علي بمصادقة الدول الأوربية فتوجه محمد علي الى اسطنبول لعرض طاعته وتقديم خدماته للسلطان .

وبهذا المرسوم أسدل الستار على أحداث محمد علي ، وعاد الى طاعة السلطان كما كان سابقا لاحول له ولا قوة ، مرغما .

وهنا السؤال الذى يفرض نفسه ماذا كسب محمد علي من هذه الحرب ضد السلطان محمود الثاني؟ حتى أرق الدولة العثمانية بشأن مطامعه ؟ وماذا فعلت له فرنسا؟ التى دفعته لحرب الشام . وهانحن نراها تتخلى عنه فلي

أول أزمة يمر بها ، ولم تعمل على مساندته كما وعدته ، وكما هي عادتهم ———— .  
فقد تحالف فرانسوا ملك فرنسا من قبل مع السلطان سليمان الأول ————  
النمسا وعند التنفيذ أخلف بوعده . ومن خلال هذا البحث يمكن أن نقول إنه  
لا يمكن أن يتحالف نصراني مع مسلم ضد نصراني على دينه ومذهبه مهما ضحى  
المسلم ونفذ أوامر حليفه ولو كان على حساب دينه كما فعل محمد علي ، نرى  
هذا الحليف يتخلى عنه ، إذا كان هذا العمل ضد مصالحه ومصالح بني جلدته  
كما فعلت فرنسا مع محمد علي .

أما السلطان فقد أخذ في مواصلة تنظيماته عقب أزمة محمد علي فأصدر  
أول مرسوم من مراسيم التنظيمات خط كلخانة سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م مستهلا حكمه  
وعقب هذا الخط أصدر الخط الهمايوني عندما افتعلت الروس الأسباب لحربها  
مع الدولة العثمانية سنة ١٢٧٠ - ١٢٧٢هـ / ١٨٥٣-١٨٥٥م ، من أجل كسب أراضي  
جديدة وإيقاف حركة الإصلاحات التي بدأت تخشى منها روسيا ، والتأكيد على  
قضية الامتيازات التي حصل عليها قسوسة الكاثوليك بموجب الامتيازات التي  
منحت لفرنسا في عصر السلطان سليمان الأول (القانوني) هذه الحقوق التي  
حولت لهم امتلاك الكنائس فس فلسطين ، وكان الروس يسعون جاهدين لبسط نفوذهم  
على تلك الكنائس كما هو معروف وسلب فرنسا تلك الامتيازات واعطائها  
للارثوذكس الموالين لهم لتتولى الزعامة بسبب حمايتها لهذا المذهب ، ولأجل  
نشر نفوذهم في الدولة العثمانية عن طريق تحريك رعاياهم لهذا المذهب  
لضرب الدولة بهم . ونتيجة لانشغال فرنسا في حروبها مع نابليون فقد سيطر  
الروس على مركز النفوذ الذي كان لفرنسا ، وعندما حاول نابليون إعادة هذا  
النفوذ اختلف مع روسيا ولفض هذا الأمر تحاكموا الى الدولة صاحبة الأمر ،  
فقررت الووية النفوذ للكاثوليك ، فعارض الروس في هذا القرار ، وهددت  
الدولة العثمانية بالحرب لو صممت على هذا القرار فكانت الحرب الروسية  
العثمانية التي انتهت بتوقيع معاهدة باريس سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م .

وبنتيجة لهذه المعاهدة التي أعقبت الحرب بين الدولتين فقد أوقعت الدول الأوروبية الدولة العثمانية في المنزلق الخطير واجبار الدولة على المزيد من التنظيمات وصدرت الخط الهمايوني سنة ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م عــــبب حرب القرم .

جاء هذان الخطان خط كلخانة والخط الهمايوني نتيجة لتدخل الدول الأوروبية مما أدى الى انحراف مسيرة الدولة العثمانية من الطريق الصحيح والخروج عن جادة الشريعة الاسلامية من أجل ارضاء الدول الأوروبية بحجة تحسين أحوال رعاياها في الدولة العثمانية .

والحقيقة أن معاهدة باريس سنة ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م كان من بين بنودها ما مهد لتمزيق الدولة العثمانية حيث أدخلتها هذه المعاهدة تحت كفالة الدول الأوروبية ، والتدخل في شئونها بقصد حماية رعاياها مستغلين في ذلك الامتيازات الممنوحة لهذه الأقليات غير المسلمة داخل الدولة العثمانية التي تشيرها روسيا وغيرها من الدول الأخرى ، وأهم بنود هذه المعاهدة هو البند التاسع الذي يعد المسيحيين بحرية ليس لها حدود ولاضوابط والغريب أن ممثلين روسيا والنمسا هما أول من تنبه الى خطورة هذا البند ، أكثر من مندوبي الدولة العثمانية نفسها ، لانهما خشيا سريان هذه الحرية الفوضوية الى بلاديهما . وهذا البند أدخل الدولة أيضا تحت كفالة الدول الأوروبية ويمكن للقــــارىء أن يتساءل : كيف يكون ذلك ؟ فنقول : ان تعدد القوميات داخل الدولة تساندها أوربا ، معناها تفتتت الدولة العثمانية من الداخل مستغلين الأقليات غير المسلمة النصرانية واليهودية . وهذه من السياسات الخطيرة التي فرضتها معاهدة باريس ، دون أن تتنبه لها الدولة العثمانية ، ولكن الذي حصل بعد هذه المعاهدة أن الدولة العثمانية أو المسألة الشرقية أصبحت في حالة الدفاع عن النفس .

ونتيجة لذلك تم انشاء المحاكم المختلطة والمحاكم التجارية ، وكانت هذه التنظيمات التي أدخلت في نظام أوبنية الدولة هي بداية انهيار التشريع الاسلامي فظهرت المدارس والمعاهد والارساليات التنصيرية علــــ

#### في الدولة العثمانية .

وكان هذان الخطان أيضا ارهاصات ومقدمات لمحاولة تطبيق الدستور في عهد السلطان عبدالعزيز من قبل مدحت باشا وزملاؤه من الاشرار ، الذين رأوا أن الدولة لا يخرجها من ازمتهـا هذه الا بتطبيق الدساتير الوضعية الأوروبية ، ونسوا أو غفلوا أن تطبيق الشريعة الإسلامية هو العلاج الناجح لاصلاح الدولة اذا أرادوا اصلاحا . ولذلك حاول السلطان عبدالعزيز رفض ذلك وصرح بأن هذه الامور لاتصلح أن تطبق على المجتمع الاسلامي ، فأصدر مجلة الاحكام العدلية المعروفة ، فكان ذلك ردا على مدحت باشا وزملاؤه الذين لم يرق لهم الرجوع الى تطبيق النظم الاسلامية ، لذلك دبروا المكيدة لخلعه ثم قتله ، بتخطيط وتحريض من الانجليز الذين ساندوا هذه الفئة لاحتلال الدستور محل الشريعة الاسلامية ، فكان هذا السلطان ضحية مدحت باشا وزملاؤه لعدم تطبيق المشروطة . ومما يؤسف له أن السلطان عبدالحميد الثاني قام بتطبيق المشروطة ربما لارضاء مدحت باشا وزملائه حيث أعلن المشروطة .

ومن خلال هذه التطورات عين السلطان مدحت باشا صدرا أعظم للدولة ولكنه لم يلبث الا شهورا حتى عزله السلطان عبدالحميد الثاني لعدم كفاءته لانه أقعم وأريك الدولة العثمانية في حربها مع الروس سنة ١٢٩٤هـ / ١٨٧٨م ، هذه الحرب التي تبلورت فيهما مرتكزات الغزو الفكري وأطماع الدول الأوروبية وخاصة روسيا ، التي اتضح مسلكها بأنها لايهمها اعلان الدستور أو تعطيله بقدر ما يهمها الحصول على أكبر مساحة ممكنة من أراضي الدولة المجاورة لها . ويبدو واضحا أن اتجاه روسيا لهذا الحرب هو عدم تحقيق امالها ومقاصدها التي لم تتحقق في حرب القرم الماضية ، لهذا نراها تسعى للتحرش بالدولة العثمانية لتفوقها للحرب معها ولو لأتفه الأسباب .

ولقد انتهت هذه الحرب بهزيمة الدولة العثمانية ووصول الروس الى مشارف العاصمة اسطنبول ، ولولا تدخل الدول الأوروبية لدخلت روسيا اسطنبول

ولكنها أوقفت الحرب . وفي نفس الوقت أرغمت الدولة العثمانية بتوقيع معاهدة سان ستيفانو سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م بالشروط التي املتتها روسيا منفردة دون تدخل الدول الأوروبية الأخرى . إلا أن الدول الأوروبية شارت شائرتها، لأنها لاتتقر سياسة روسيا التوسعية ، فأجبرت روسيا على إلغاء معاهدة سان ستيفانو في معاهدة برلين سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م . وتعديل شروطها حتى تتفق مع مصالحها ، وانتهت هذه المعاهدة بتفتيت وتقسيم الدولة بين الدول الأوروبية الاستعمارية ، فرنسا وبريطانيا وروسيا والنمسا .

ولما رأى السلطان عبد الحميد الثاني عدم جدوى اعلان الدستور، وأنه عديم الفائدة لأن تطبيقه لم يمنع من مطامع الدول الأوروبية في شئون الدولة الداخلية والخارجية ، وأن المسألة لا كما يدعون في ايجاد نظام دستوري للشعب بل المسألة تعدت ذلك وأصبحت مسألة اطماع لهذه الأسباب قام السلطان عبد الحميد الثاني بإلغاء الدستور لعدم اقتناعه من قبل بتطبيق أنظمة غير اسلامية على بلد اسلامي ، وأعلن الجامعة الاسلامية وكان يهدف منها توحيد العالم الاسلامي تحت مظلة الشريعة الاسلامية لتوحيد صفوفه لصد هذه الهجمة الشرسة الاستعمارية التي كان همها ابتلاع العالم الاسلامي ومحو الشريعة الاسلامية ، منذ معاهدة باريس سنة ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م كما أسلفنا .

وبعد إلغاء الدستور أو المشروطة تشنت الدستوريون الى أمصار الممالك الأوروبية ، فأسسوا جمعية الاتحاد والترقي في باريس ثم في سلانيك وفي آخر المطاف توحدت هاتان الجمعيتان للعمل على إعادة الدستور متحدين . فقد كانت الأنشطة الماسونية آنذاك تقوم ببعض التحركات السرية ، حيث بدأوا أنشطتهم في كل الجبهات لتقويض أركان الدولة العثمانية ومن تلك النشاطات ما قامت به الصهيونية بقيادة هرتزل الذي حاول استعطف واغراء السلطان عبد الحميد لايجاد وطن قومي لليهود في فلسطين ولموقف السلطان عبد الحميد الثاني المشرف والنبيلى اراء نشاط الصهيونية

أصدر أوامره بإيقاف هجرة اليهود الى فلسطين . لذلك ناصب اليهـود منذ تلك اللحظة العداء للسلطان عبد الحميد فقرر والوصول الى أهدافهم عن طريق خلعه بالوسائل السياسية .

لذلك نرى اليهود يستخدمون الماسونية . والماسونية ماهى الا واجهة من واجهات الصهيونية وجدت لخدمتها وخدمة اليهودية ، وهذه المسميات وجوه لعملة واحدة ، فالصهيونية الاسم الجديد لليهودية والماسونية ايضا اسما جديدا للصهيونية ، فقد تتغير الاسماء لكن الهدف لايزال واحدا هو خدمة اليهود في كل مكان ، ولذلك اندس الماسون في صفوف الدستوريين لتوحيد مساعيهم وتنظيم حركتهم في سلايك حيث المركز الرئيسي للماسونية التي يترأسها قراصو اليهودى . وقد عقدوا هناك عدة مؤتمرات تحت رئاسة قراصو رفيق درب هرتزل والذي فوضه اليهود للاطاحة بالسلطان عبد الحميد . فاتفق الدستوريون والماسونيون في هدف واحد وهو خلع السلطان عبد الحميد واعادة الدستور فقد تم لهم ذلك بالتعاون مع الماسونية والجيش الثالث في سلايك باعادة المشروطية الثانية سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م التي قبلها وأعلنها السلطان على مفض ، بقصد احباط السياسة الانجليزية التي تساند حزب الاتحاد والترقي منذ نشأته لاحتلال الدستور الوضعي بدلا من الشريعة الاسلامية ، لأن بريطانيا احدى الدول المعادية للاسلام ، فالغزو الفكرى يعني محاربة الشريعة الاسلامية ومحاولة تنمير أهلها كما هو معروف .

وبهذا نقول نجح الغزو الفكرى في تهيئة أنصار له من أبناء الدولة العثمانية المسلمة ، سواء كانوا يعلمون أو يجهلون ذلك الغزو ، حتى انتهت الجولة بخلع السلطان سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م ونفيه الى سلايك بحجة اشتراكه مع الحزب الاسلامي ، الذى رأى في المشروطية خروجاً عن الشريعة الاسلامية ، فثار لمقاومتها وخصوصا عندما اجتمع البرلمان الجديد ، وبجانبهم حزب الاحرار او الاشرار الذى يدعو الى اللامركزية ، ويترأسه صباح الدين ابن محمود باشا والذى كان أكثر أعضائه من المسيحيين .



وبتأييد من الانجليز دخل اليهود الى هذه الجمعيات واندرسوا داخلها فزادوها اشتعالا واتهموا السلطان بتدبيرها للتمهيد لخلعه كما سبق حتى يخلو لهم الجو فيما بعد ويتمكنوا من تطبيق النظم والدساتير وتحقيق أهدافهم ومطامعه في فلسطين وجعل الدولة تسير على خطى العلمانية .

وهكذا يمكن أن نجيب على الشق الثاني من السؤال الذى فرضناه وهو أن الدولة العثمانية كانت غازية فكريا في عصرها الاول ذلك العصر الذى طبقت فيه الدولة النظم الاسلامية تطبيقا شاملا ، ولكنها كانت فى عصرها الثانى غير ذلك لانها تهاونت في تطبيق النظم كما رأينا . وهذا نتيجة حتمية لمن سار على هذا الطريق ، فكانت حقا للغزو الفكري الأوربي حتى انتهت الدولة الى العلمانية .

وقد أدرك الكثير من العلماء صعوبة تطبيق حكم نيابى أو حكومة مقيدة السلطة كما هو واضح عبر عصور التاريخ الاسلامية . وهذه الصعوبة تتمثل في استحالة قيام نظام دستورى وضعى في دار الاسلام . وان أخذ نظام سياسى جاهز من حضارة غير اسلامية وفرضه على مجتمع اسلامى امر خطير ولا يمكن قبوله .

والحقيقة المرة أنه عندما شكل الحكم البرلمانى في اسطنبول كانت تديره وتسندة أقلية وهي حزب الاتحاد والترقى الذى لم يتنبه الى انغماسه في اللعبة اليهودية التى استخدمت الماسونية لتعمل في الخفاء من خلال تدخلها في الاحزاب والبرامج الدبلوماسية لفرض الدستور الوضعى . وكان الشعب المسلم يراقب بخيبة امل تلك الاحداث والتى كان من نتائجها قيام نظام غريب لاصلة له بماضى أو حاضر الاسلام والدولة العثمانية الاسلامية . لهذا كان الغرب صانعا وموردا لهذا النظام الذى نفذته الشبابة المفرور من الاشرار الذين لا يعرفون انهم يتم تحريكهم بواسطة اليهودية العالمية .



ومنذ ذلك الوقت وبلغاريا تسعى لتوحيد المقاطعتين البروملي الشرقية ومقدونيا كما كانت في معاهدة سان ستيفانو ، وقد نجحت في عام ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٦م بضم الروملي الشرقية ولكنهم لارالوا تابعين للسلطان ، فأخذوا يتطلعون الى الاستقلال ، وقد ألتهم هذه الفرصة اثر ثورة الاتحاديين حيث أعلن ملكهم ( فرديناند ) استقلالهم ودعا نفسه باسم ( قيصر البلغاريين ) وكان ذلك في سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م أيضا .

وبتفاقم الغزو الفكري سقطت الدولة العثمانية في أعقاب الحرب العالمية الاولى وتحقق وعد بلفور بايجاد وطن قومي لليهود في فلسطين سنة ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م وهذا ما كان يسعون اليه . وبمشيئة الله سينتزع المسلمون قريبا من العدو الغاشم المحتل على يد آبائنا المجاهدين الفلسطينيين واخوانهم من المسلمين .

لذلك أخذت مظاهر الغزو الفكري تتفاقم حتى سقطت الدولة بسببه بعد أن أعيت اوربا الحلول العسكرية بسبب القوة والتماسك اللذين اكسبهما الاسلام للدولة العثمانية .

أما الفصل الخامس والأخير فقد استعرضنا فيه دعوة التوحيد والاصلاح ومقاومتها لمد هذا الغزو عن شبه الجزيرة العربية والتي قامت وانطلقت من قلب نجد والتي دعا اليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وهذه الدعوة تدعو الناس الى العودة الى الدين الصحيح وإلى العقيدة الصافية والتي أطلقها الشيخ بعد رحلاته العلمية من حريملاء وبعد ان ضيق أهلها عليه فادرها الى العيينة . وفي العيينة اقام الحدود ، وهدم القبور بمساندة أميرها عثمان بن معمر . فشاع ذكره بعد رجم الزانية حتى وصلت الأنبياء لسليمان بن محمد حاكم الاحساء انذاك فهدد أمير العيينة بحبس ريع مزارعه عنه والتي كانت في الاحساء اذا لم يقتل هذا الشيخ أو يخرج . فاستقر الرأي على خروج الشيخ لخوف عثمان بن معمر من تهديدات حاكم الاحساء ،

فخرج الشيخ وقصد الدرعية ، حيث تم الاتفاق المشهور سنة ١١٥٢هـ على نصرة هذا الدين مع الامام محمد بن سعود ، وباتفاقهما نشأت الدولة السعودية الاولى ، وقامت على اساس الكتاب والسنة المطهرة والدعوة للتوحيد وانطلقت هذه الدعوة حتى وحدت امارات نجد تحت لواء الدرعية ، وكان ينظر اليها الولاة العثمانيون في اول الامر على أنها حركة داخلية ، وبعد أن ضمت الاحساء أهاج هذا العمل الدولة العثمانية وترتب على ذلك نمو الدولة السعودية الاولى ، فأصبحت دولة خليجية تطل على الخليج العربي ، ولكن بعد ضمها للحجاز هاجت الدولة العثمانية ورأت ان مركزها في اسطنبول قد اهتز مما جعلها تكلف ولايتها في العراق والشام لصد توسعها لكن تلك الجبهتين لم تستطعا فعل شيء أمام الدولة السعودية التي تدمر السى الاصلاح والرجوع الى ماكان عليه السلف الصالح وتحكيم كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

لهذا اتجهت الدولة العثمانية الى واليها على مصر محمد علي ، وأسندت اليه حرب الدولة السعودية الاولى ، فأخذ محمد علي يعدالعدة ويستعد استعدادا عظيما ، فأرسل ابنه طوسون بجيش جرار للقضاء على الزحف السعودي ولكن هذه الحملة باءت بالفشل امام القوات السعودية ، وأرسل له والده حملة اخرى مددا للاولى فاستطاعت القوات السعودية من احباط قوات طوسون بعد عدة معارك جنح طوسون بعدها للصلح مع الامام عبدالله بن سعود . ولكن هذا الصلح نقض لاسباب دينية واخرى سياسية . وكانت هذه الحرب التي وجهت للدولة السعودية الدولة الاسلامية كانت في الواقع تنفيذا لاوامر السلطان محمود الثاني آنذاك ، الذي كان يشك في نوايا محمد علي ، وولائه للدولة لهذا كان هدف السلطان محمود بتلك الحرب ضرب القوتين السعودية وقوات محمد علي بعضهما ببعض لينهك بعضهما بعضا وكان كما قيل انه يريد انتصار الدولة السعودية لبعدها عن الاراضي التركية ، ولكن العكس حدث . وكما توقع السلطان محمود حدث ماكان في باله . فقد طالب محمد علي السلطان بعقد حرب المورة مباشرة باعطائه الشام وحدث ماحدث في حرب الشام الاولى

والثانية التي انتهت بوفاة محمود الثاني وحصر محمد علي وراثته على مصر فقط وكان المستفيد من ذلك دول أوروبا التي سيطرت بنفوذها على الدولة العثمانية وتدخلت بشأن هذه الحروب في شؤونها الداخلية والخارجية .

أما الأسباب الدينية فهي انتشار الدعوة التي أخذت تنتشر بسرعة في أجزاء أخرى من العالم الإسلامي وقد تأثر بها بعض علماء الأقطار ونقلوها إلى أقطارهم . وقد ايقظ هذا الشعور العالم الإسلامي لهذا خاف السلطان محمود من تغلب هذه الدولة ودعوتها على أملاكه في آسيا وتاليب العالم الإسلامي ضد الدولة العثمانية خاصة وهناك من كان ينادي بان الخلافة لابد أن تكون للعرب ، ولهذا زادت ظنونه وتخوفه من تزعم الدولة لهذه الفكرة لتقويض دولته . والا لماذا سير جيوشه ، والإمام عبد الله قد أرسل خطابا تاريخيا اشار فيه إلى طاعته ، ولكن اصرار العثمانيين على إنهاء هذه الدولة أعمى بصائرهم عن الحق .

ولهذا فقد سير محمد علي ابنه ابراهيم للقضاء على الدولة اشما وعدوانا فأخذ يهاجم المدن النجدية الواحدة تلو الأخرى حتى تم له حصار الدرعية الذي دام ستة شهور ، وقد ضرب أهلها أروع الأمثلة في البسالة والبطولة حينما دافعوا عن الدرعية وكان على رأسهم امامهم الإمام عبد الله بن سعود الذي أبلى بلاءا حسنا مع أهلها ، امام أسلحة فرنسية متطورة من مدافع وقنابل مع خبراء فرنسيين ومشورة فرنسية يبدو انها تدفعه إلى شبه الجزيرة العربية لتحقيق حلمه في إقامة دولة عربية من مصر إلى الخليج العربي .

وبالرغم من هزيمة الدرعية عسكريا فانها قد ظلت قاعدة الدعوة السلفية في العصور الحديثة وسوف تظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وفي أثناء عرضنا للبحث رأينا قوة استمرار هذه الدعوة في أدوار السعودية الثلاث لحرص آل سعود على استمرارها والحفاظ عليها .

وقد استطاع الامام تركي بن عبد الله ان يعيد بناء الدولة السعودية الثانية ولكن في هذه المرة جعل عاصمتها الرياض حيث استمرت معها الدعوة السلفية التي اخذت تنتشر ايضا في عهد الامام تركي ثم من بعده ابنه الامير فيصل بن تركي حتى وصلت الى الخليج العربي ولكن كان هنالك فاصلة فبعد موت الامام فيصل بن تركي فقد دب الخلاف بين الاسرة السعودية وقد استغل ابن الرشيد هذه الفرصة واستولى على الرياض ، ورحل الامام عبدالرحمن بن فيصل وابنه عبدالعزيز ، وظن الناس أن حكم آل سعود قد انتهى ولم يلبث الحق أن عاد الى أصحابه ، فقد استعاد عبدالعزيز بن عبدالرحمن في سنة ١٣١٩ هـ الرياض من ابن الرشيد وقام بتوحيد شبه الجزيرة العربية باسم المملكة العربية السعودية وكون دولته الاسلامية الحديثة على دعائم الدعوة السلفية التي تدعو الى الرجوع الى الكتاب والسنة وأشار علماء السلف الصالح وكان منهجه واضحا منذ دخوله الى مكة المكرمة ، وقد صدرت هذه الدعوة الفز والفكرى عن شبه الجزيرة العربية لانتشار هذه الدعوة والامن والامان والسلام في ربوع مملكته حيث اتبعه خلفاؤه من ابناؤه الميامين سيرته العطرة متمسكين بهذه الدعوة المباركة التي تدعو الى :

- (١) الكتاب والسنة وأشار السلف الصالح وتطبيق احكام الشريعة الاسلامية .
- (٢) محاربة البدع والخرافات . ومعاقبة الجناة وقطاع الطرق فاسي اقامة الحدود .
- (٣) تحديد موارد الدولة المالية وجعلها تسير حسب الاسس الشرعية ( الزكاة ) وخلافه ويطبق فيها النظم الاسلامية .

وهنا بدورنا نتساءل : ماذا كسب محمد علي وماهي الفائدة التي جناها للسلطان محمود الثاني في حروبه داخل شبه الجزيرة العربية ضد الدولة السعودية الاولى ؟ وماهو المبرر في ذلك ، انه كان بإمكان محمد علي والسلطان التفاهم مع الامام عبد الله بن سعود ، وماهي الحاجة التي تدعو الى تحارب وتصارع جيوشا أخرى مسلمة وتهدر الطاقات الاسلامية . كان من الأجدر أن تتوحد هذه القوة ضد أعداء الاسلام والمسلمين بدلا من انهاك قواها مما أدى الى انفساج

المجال امام بريطانيا لزيادة اطماعها ونفوذها في منطقة الخليج العربي . وفي الوقت الذي كان فيه المسلمون يتصارعون فيما بينهم لآتفه الأسباب ، والاستعمار يحيط بهم من كل جانب ويتربص للانقضاض لابتلاع ما يمكن ابتلاعه من الممالك الاسلامية فرنسا تدفع محمد علي والسلطان محمود تدفعه بريطانيا . وكان من الأصح أن يتعاون المسلمون ويصبحوا يدا واحدة لصد الغزو العسكري الاستعماري والفكري عن ديار الاسلام الذي يهدد المصالح الاسلامية في كل مكان لا للقضاء على الدول الاسلامية كما فعل محمد علي ، لانه ليس هناك مقنع يبرر به هذا الخطأ الجسيم وهو ضرب الدعوة السلفية التي تساندها الدولة السعودية الأولى .

هذا الخطأ ترتب عليه أخطاء أخرى وهو انه عندما انقض محمد علي على الدولة العثمانية نفسها ساعد بحروبه هذه في القضاء على الدولة وجعلها لقمة سائغة للاستعمار .

وفي النهاية ماذا فعلت معه حليفته فرنسا . لقد تخلت عنه في أحلك الامور ، ورفض لاوامر اوربا وخاصة انجلترا التي تعرف مطامعه وتربطه بها صداقة ودية قامت هي الاخرى بسحب البساط من تحت قدميه في الوقت المناسب وقلبت له ظهر المجن وأرغمته كما اسلفنا بحصر وراثته على مصر فقط وسحب قواته من شبه الجزيرة العربية سنة ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠ م وذهب الى السلطان عبدالمجيد يقدم له فروض الطاعة بعد ان كاد الاستيلاء على عاصمة بلاده وظل عبدالمجيد هو الآخر العوبة في يد اوربا وأرغموه على اصدار خط كلخانة لتحسين احوال المسيحيين من رعاياه وبهذا الخط كما سبق الحديث عنه الانزلاق في التنظيمات التي اخرجت الدولة من دينها وتقاليدها حتى سقطت في أحضان انصار الماسونية التي قادتها الى النهاية .

اما كان من الأولى أن يوحد محمد علي طاقاته القتالية والتكتيكية مع الدولة العثمانية للحرب في اليونان حينما طلب منه والى دول البلقان الشائرة على الدولة العثمانية لطلب الاستقلال تساعدها في ذلك الروس وخاصة ان محمد علي يملك قوة هائلة أرهبت اوربا ، ولكنه للأسف سخرها دون أن يعلم

في خدمة أوروبا لانهاك الدولة العثمانية بدلا من الوقوف بهذه القـوات الى جانب السلطان . ولوحصل ذلك أعتقد أنه كان سيغير من مجرى التاريخ لصالح الدولة العثمانية . في نفس الوقت نرى السلطان محمود يعد العدة لحرب محمد علي لاجراجه من الشام ويوجه قواته الى ارض الاسلام بدلا من توجيهها الى أوروبا كما كان يفعل أسلافه ولكنه محق لو أمعنا النظر قليلا لانه يريد ان يرد املاكه التي استولى عليها محمد علي بالقوة في حرب الشام الأولى فمحمود الثاني هو الذي اشار بحرب الشام الثانية والتي كادت أن تقض على عاصمته بموته وهزيمة جيشه لولا لطف الله وتدخل الدول الأوربية .

كما كان موقف محمد علي والسلطان محمود مع الدولة السعودية الأولى كان موقفا خاطئا كما أسلفنا ، أوقف الى حين تكلمة مشوارها في صراعها في الخليج العربي مع القواسم السلفية ضد شركة الهند الشرقية الانجليزية وغيرها من الشركات الاخرى ، فلو اتحدت الدولة العثمانية مع الدولة السعودية والقواسم التابعين للدولة السعودية في ذلك الحين لكان أجدر للمسلمين ان يكونوا يدا واحدة ضد الاستعمار ، بدلا من ضياع جهودهم وهدر طاقاتهم دون جدوى ولا فائدة تذكر بل أضعفوا بذلك قوتهم الماليـة والمعنوية حتى صاروا لقمة سائغة لأوروبا كلها ، مع العلم ان الدولة السعودية عادت كما كانت مع الخسارة الفادحة للدولة العثمانية التي كان الاجدى بها ان توجه هذا الجيش الى أوروبا وإلى الصليبية والماسونية ، وأن تطلب من السعوديين المساعدة ضد العدو المشترك ، ويبدو انها لن تتخلي عنها وسترسل لها المدد لجهادها ضد العدو . مع العلم ان نجد أو شبه الجزيرة العربية لم تشهد غزوا فكريا لان دعوة التوحيد والاصلاح صدت هذه التيارات المعادية بفضل من الله ثم بفضل حكمة أئمة آل سعود التي نشأت دولتهم على أسسها فانطلقوا بها حتى عمت أرجاء شبه الجزيرة والمناطق الاسلامية المجاورة ، ولا زالت الدولة السعودية حصنا من الحصون المنيعـة لصد أي تيار فكري يقصد به هدم هذا الدين القويم بكل جهودها ومساعدتها لتبقى القاعدة المتينة التي تنطلق منها الدعوة السلفية الى أنحاء العالم .



وفي ختام موضوعنا هذا نؤكد أن الدولة العثمانية كانت قوية بفضل تطبيق النظم الإسلامية تطبيقاً كاملاً في عصرها الأول .

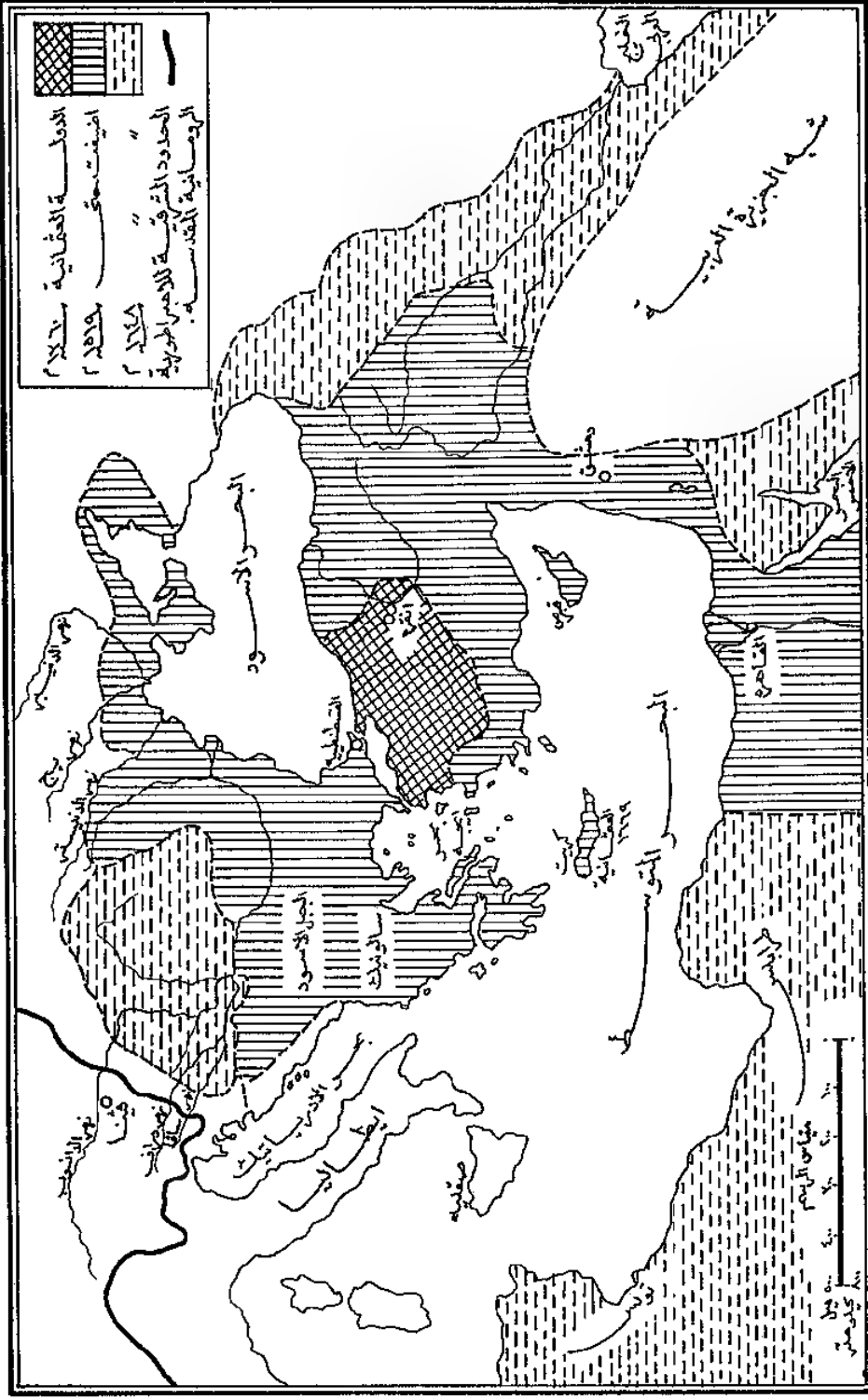
ولكنها حين تساهلت في أمر هذا الدين في عصرها الثاني رأينا الغزو الفكري يتغلغل كما لمسناه أثناء دراستنا لموضوع الدولة العثمانية والغزو الفكري ، وهو المعول الذي هدم الدولة العثمانية وفتت ممتلكاتها الإسلامية أمام القوى النصرانية ، وهذا يعود لتنازل الدولة عن الخط القوييم الذي قامت عليه وهو دستورها الشرعي المستمدة أحكامه من الشريعة الإسلامية بتحويلها إلى الدستور الوضعي الذي طبق فأصبح من أسباب انهيار وانزلاق الدولة من مسارها الأول لتسقط في الحرب العالمية الأولى وهي مثخنة بجراحها لتفاقم الغزو الفكري وانحدارها في هاوية العلمانية .

وإذا كانت أوروبا في يوم من الأيام قد تخلت عن الروح الصليبية والحل العسكري إلى الغزو الفكري فإن العالم الإسلامي في أزمانه المعاصرة ينبغي أن يركز على غزو فكري إسلامي مضاد ، وفتح عقلي بكل الوسائل التي يتيحها التقدم الصناعي والتقني وأن تسيّر الرغبة والمطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية ، كحركة داخلية جنباً إلى جنب مع الفتوحات الفكرية والغزوات العقلية كجهد خارجي وللإسلام كعقيدة .

الملحق

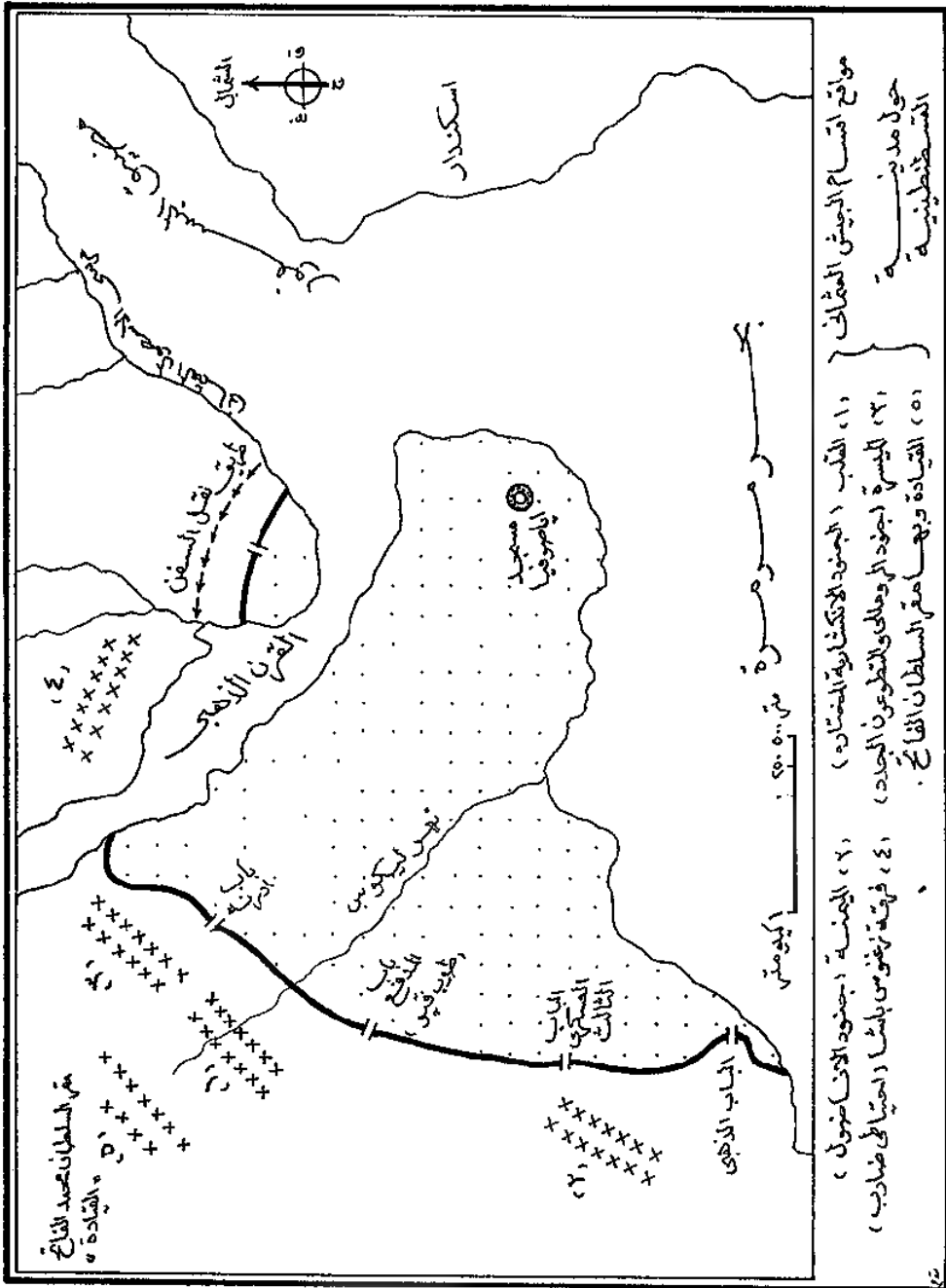
رقم الملق	بيان الملحق
(١)	خريطة تبين مراحل توسع الدولة العثمانية .
(٢)	خريطة تبين فتح القسطنطينية " اسطنبول " .
(٣)	خريطة تبين توسع الدولة العثمانية في آسيا الصغرى وقارة أوروبا .
(٤)	توسع الدولة العثمانية في شبه الجزيرة العربية .
(٥)	توسع الدولة العثمانية في شمال أفريقيا .
(٦)	الدولة العثمانية في أقصى اتساعها .
(٧)	خريطة تبين ضعف الدولة العثمانية .
(٨)	ترجمة وصية ( بطرس الكبير ) .

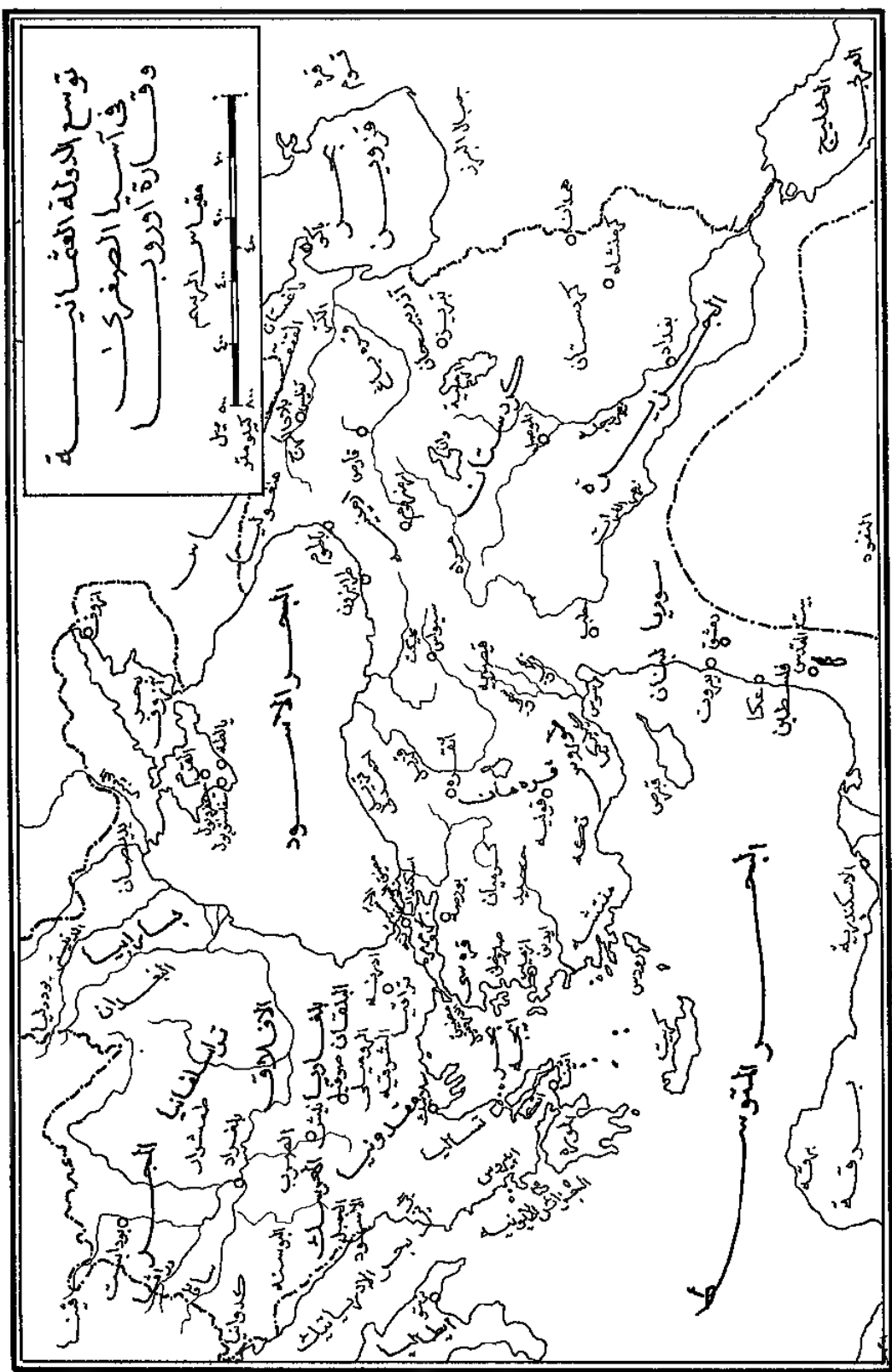
ملحق رقم (١) :  
خريطة تبين: مراحل توسع الدولة العثمانية الى مصر (١٤٦١م)



شكل (١) : مراحل توسع الدولة العثمانية الى مصر (١٤٦١م) - إعداد: محمد مصطفى

خريطة تبيين: فتح القسطنطينية، اسطنبول





١- احمد عبد الرحيم مصطفى - في اصول التاريخ الاسدي .  
٢- هارون وآخرون - اطللس التاريخ الاسلامي .

سید

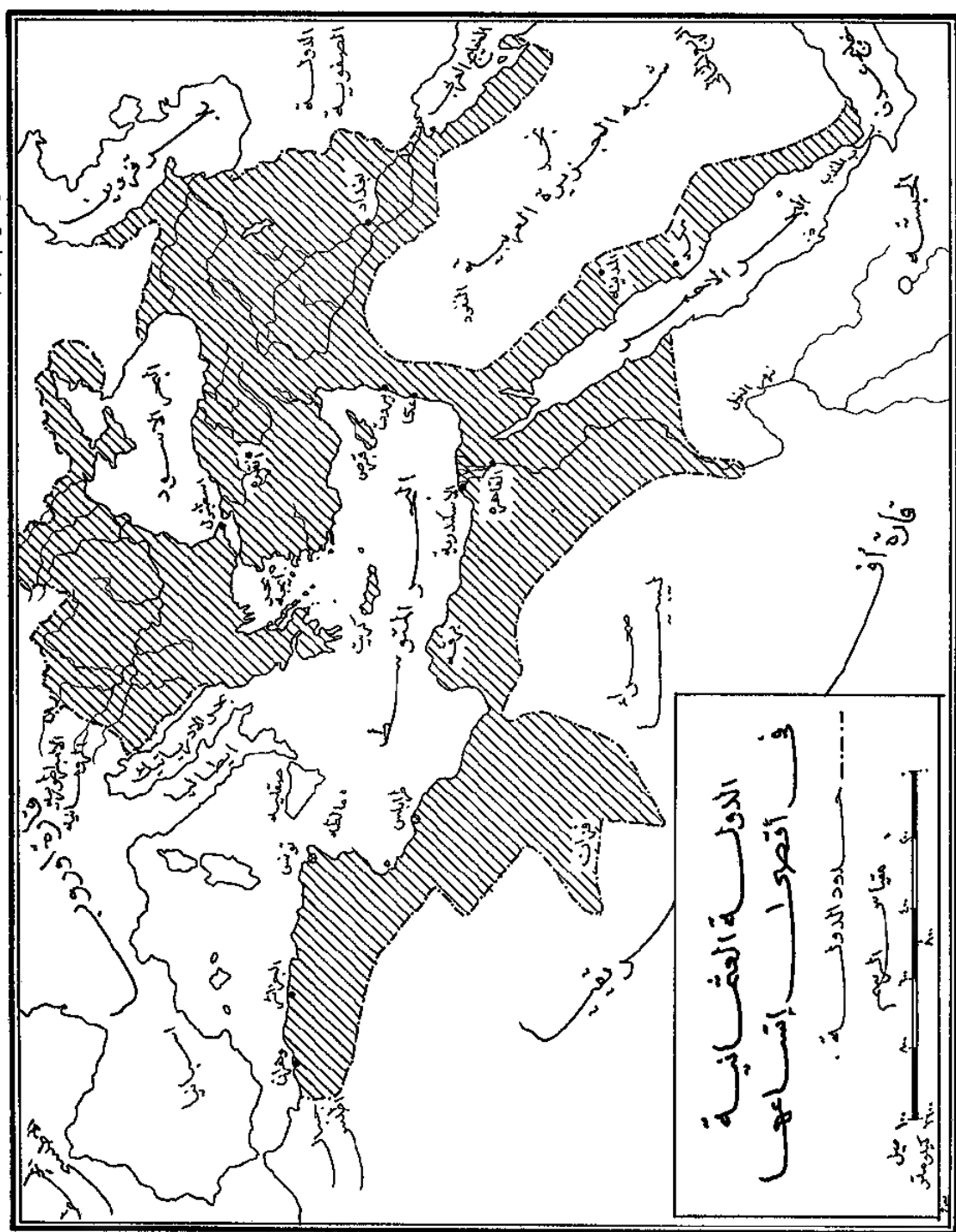


١- حارث وأخرون - أطلس التاريخ الاسديح .

شكل (٤)



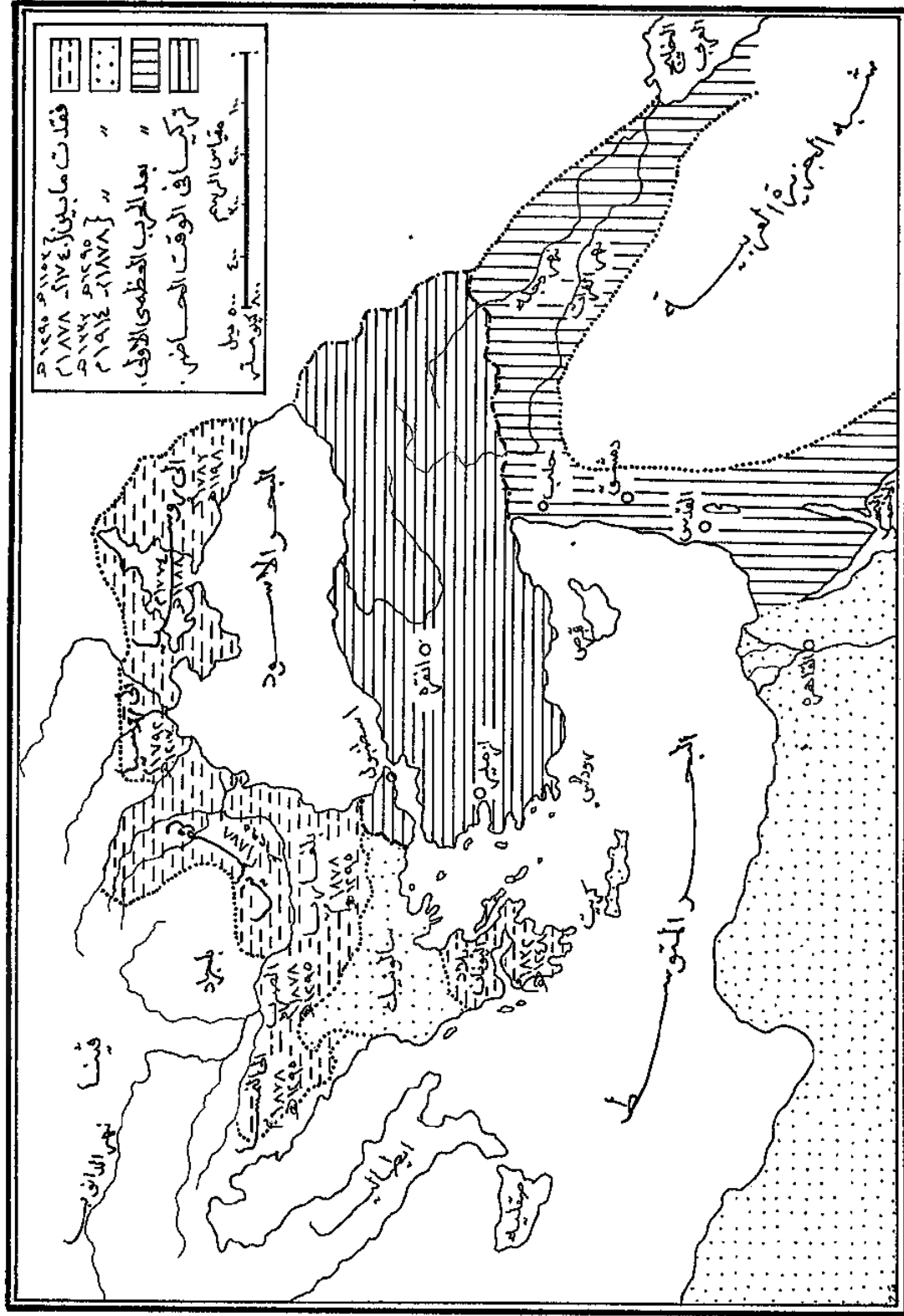




١- هاري واخرون - اطلال التاريخ الاسلامي .

شكل (٦) .

ملحق رقم (٧) : خريطة تبين : ضعف الدولة العثمانية



ملحق رقم (٨)

ترجمة وصية ( بطرس الاكبر ————— ر )

نقلا من : ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية  
في تاريخ الدولة العلية . ( من ص ٢٣٩ - ٢٤٣ )

﴿ ترجمة وصية بطرس الكبير ﴾

من بطرس الاول الخ الى كل من يخلفني على تخت الروسية النحبة فان الله سبحانه  
وتعالى لم يرزل منذ بداية الابد في اعانتنا وأسدل فضله علينا بما جلاني على الاعتقاد  
بان الامة المسكووية تتسلط ( لا قدر الله ) اذا شاء الله على الممالك الاورباوية  
والليل على ذلك أن الامم الاورباوية قد هزمت أكثرهم وأخذ البعض منهم

## ❦ خامسا ❦

ناخذ من ملكة السويد ما يمكن أخذه ونجعل بينهم وبين الدانيرك عدونا دائما

## ❦ سادسا ❦

لايتزوج أهل بيتنا الا بنات ملوك ألمانيا لنا كيد المحبة بين روسيا وألمانيا وتكثير وسائل المواصله بينهما

## ❦ سابعا ❦

يجب الاعتناء بحفلة انكلترا لما لها من الحاجة الى أشجارنا لسفنها ولنا نستفيد منها نظرا الى اصلاح شأن أسطولنا فضلا عن فائدة تبديل مالنا من الخشب وغيره من النتائج بذهب انكلترا أو ما ينشأ منه من كثرة المواصله بين تجارنا وتجارها

## ❦ ثامنا ❦

نمده بقدر الامكان من جهة الشمال وعلى شواطئ البالتيك كما يجب السعى بالاستعداد من جهة الغرب وعلى شواطئ البحر الاسود

## ❦ تاسعا ❦

نقرب الى القسطنطينية والهزود بقدر الامكان فن ملك القسطنطينية فقد ملك الدنيا فبناء على ذلك ينبغي ملازمة الحسب مع الترك وملكة القرس وجعل ثرساخه بشواطئ البالتيك والبحر الاسود وهذا من اللازم لنجاح ماقصدناه وينبغي أيضا تعجيل ملكة القرس بالاضطلال وتشيط التجارة التي كانت بين الشام وجبل قاف فتقدم الى الهند التي هي مخازن الدنيا وان تحصلنا على ذلك فلا حاجة لنا بذهب انكلترا

(٣١)

في الانلاني فان أدركت روسيا تمام قوتها لا شك أنها تتغلب على سائر الممالك لما لها من شوكة الشسوية وعندى أن هجوم الام النمالية على أوربا من أحكام القدرة الالهية التي لا بد من نفوذها كما وقع سابقا عند هجوم الام المذكورة على ملكة الرومانيين فاحتيا بعد اضطرارها وأنا وجدت روسيا جدولا صغيرا فتركتها نهر اكيرا وأرجو أنه باعتناء من يتخافنى قصير يحرق عظيميا ينطلي بجماحه أوربا بأسرها ولا يتعرض لسيلائه عرصرم فحسنى هذا الاعتقاد على أن أقررها الاصول التي لا بد من اتباعها نظرا الى ادراك هذا المقصد المعتبر ومضى

## ❦ أولا ❦

على ملوك الروسيا ملازمة الحرب لتكون جيوشهم دائما على حال الرياضة والاستعداد فلا يكفوا عن الحرب الا لاصلاح شأن المالية وجبر مانقص من العساكر وتربص فرصة الهجوم على الاعداء فالجرب والصلح يتناوبان حسبما تقتضيه الحاجة نظرا الى توسيع دائرة شوكتنا وفلاح البلاد

## ❦ ثانيا ❦

عليهم أن يجلبوا من سائر الاقطار الاورباوية العارفين بالقوتون الحربية مددة للحرب أما مددة الصلح فعليهم جلب من اشهر من العلماء لتتفع روسيا بما يلام الاخرى من دون خسارة مالها طبيعة

## ❦ ثالثا ❦

عليهم التداخل في سائر أحوال اممالك الاورباوية خصوصا ألمانيا قربها اليها

## ❦ رابعا ❦

التداخل في أحوال بلونيا وفي انتخاب ملوكها حتى لا تنتخب الا المحب للروسيا وادخال جيوشنا بها لحلية هؤلاء الملوك الى أن يتمسر التسلط على البلاد رأسا فان تعرضت الدول الاخرى بحجب الاجابة الى مطالبهم الى أن قدر على استرجاع ما سلبناه

## عاشرا

يجب السعي في تأكيد المحبة مع دولة النمسا بإسعادها ظاهرا على ما قصدته من التسلط على ألمانيا مع أننا نحرص عليها ملوك ألمانيا سرا

## حادى عشر

نشترك النمسا فيما قصدها من انخراج الترك من أوروبا فان ظفرنا بالاستيلاء على القسطنطينية وأظهرت دولة النمسا شيئا من القوة لاجل ذلك فاننا نبحث دولة من دول أوروبا على محاربتها أو نسلم لها جانبها مما نختصنا عليه ونفترجعه في أول فرصة

## ثاني عشر

نجمع سائر الاغريق بيولونيا وبممالك النمسا ونسحقهم بقدر الامكان بالجماية والدفاع عنهم حتى يكونوا لنا أجناء مابين الاعداء

## ثالث عشر

بعد الاستيلاء على مملكة السويد وغلبة القرس وبيولونيا والتسلط على الممالك العثمانية وجمع جيوشنا ودخول أساطيلنا بالديليك والبحر الاسود نسرع في المفاوضات السرية مع فرنسا ودولة النمسا في قسمة الدنيا بيننا فان اقرضت احدى الدولتين ما نعرضه عليها نستعين بها على قهر الاخرى ثم نهجم عليها ونغلبها ولا يصعب علينا ذلك حيث أننا نكون بيدنا ملك المشرق ومعظم أوروبا

## رابع عشر

إذا امتنع كلتا الدولتين المذكورتين عما نعرضه عليهما وهذا مما يبعد وقوعه يجب السعي بتعريض احدهما على الاخرى فتقربص الفرصة ونهجم على ألمانيا بجيش عظيم ونوجه اسطولنا الى البحر المحيط والبحر الاوسط للاستيلاء على

فرنسا وبعد قهر فرنسا والمانيا لا يصعب الاستيلاء على باقي أوروبا. اه  
هذه هي تصورات هذا الامبراطور المشهور في عصره انه من أهم الزبغال من منذ مائتي سنة تقريبا ولقد اهتم خلفاؤه اهتماما زائدا حتى تحصلوا على بعض ما كان يفتناه بتفريق مملكة بلونيا والاتفاق المسبق مع دولة النمسا والاستيلاء على بعض من ممالك ايران ومن ممالك كانت تحت سيادة الدولة العلية كالقريم والداغستان ولكن كل هذه الامور كلا شيء بالنسبة لهذه الوصية والحمد لله فالدولة العلية التي كان ينظرها بالتأثير الزائد وقرب الاضمحلال موجودة وهي أقوى بضعفين عما كانت عليه اذ ذلك ونسأل الله تعالى أن يمن علينا بتأييدها واستمرار تزايد قوتها انه على كل شيء قدير آمين

وحيث قد أتت الاحوال والظروف بما لم يكن في الحسبان حتى وجدت دولة ضخمة من أهم ضعفاء في نظر بطرس الاكبر وهي دولة المانيا فضلا عن غمر دولة انجلترا التي ما كان يحسب بطرس الكبير لها حسابا غير أخذ ذهبيها فلذا خلفاء بطرس الكبير قطعوا آمالهم بتنفيذ هذه الوصية ونسوا منها بالمرء

## حوادث مبادئ الحرب الروسية العثمانية الاخيرة

قد ثار عمالك البوسنة وهرسك والقرب والبغدان والافلاق والجبل الاسود والبلغار في سنة ١٢٩٢ كماً تقدم بالتعريضات الاجنبية وأعقب ذلك واقعة المرحوم السلطان عبد العزيز وما أعقبها من المسائل حتى كانت الدولة في أحرع الحلاف وكان حزب يرغب تشكيل مجلس نواب كبرلمان أوروبا ولما جلس مولانا السلطان حفظه الله وأيده بنصره أمر بذلك وأصدر الادارة السلطانية المشهورة بخط يده للصدر الاعظم محمد رشدي باشا ثم اهتم حتى قهر كافة الامم العاصية المذكورة وغما عن مساعدة روسيا لهم سدى هذا من أهم الداخلية وأمان أمر الخارجية فان أحوال الدول واختلاف أغراضهم ومشاربهم للمعروفة تفرقت وفي مقدمتهم روسيا التي استعندت للحرب في ظرف نحو ربع قرن



## المصادر والمراجع

أولاً : الأرشيف العثماني في اسطنبول :

OSMANLI ARSIVI ISTANBUL :

- الوثائق والمعاهدات :

- 1- Osmanli Arsivi, Yildiz Esas, Evrakl, Zarf. No. 313  
( الخطاب السلطاني لاعلان المشروطة الاولى سنة ١٢٩٤هـ )
- 2- Osmanli Arsivi Yildiz , Esas, Evrakl, Zarf, No. 314.  
( الخطاب السلطاني في اعادة المشروطة الثانية ١٢٢٦هـ )
- 3- Osmanli Arsivi, Yildiz Tansnifnamesi, Muahede  
Name, Namarsi, No. 19 , 1878.
- 4- Osmanli Arsivi, Yildiz Tansnifnamesi, Muahede Name,  
Namarsi. No. 171, 1878.

ثانياً : وثائق باللغة الانجليزية :

GREAT BRITAIN PUBLIC RECORD :

- 5- F.O.: 424/197. No. 91.  
Sir, N .O, coner to the Marquess of Salisbury, 24-12-1898.
- 6- F.O.: 424/198. No: 76.  
Sir, N. O, coner to M. Salisbury. 25-4-1899.
- 7- F.O.: 424/199. No. 3/1  
From Consul General Drummond Hay to Sir, N. O. conor. , 21-6-1899.
- 8- F.O.: 424/199. No. 3/2 . From Consul General  
Drummond Hay to Sir., N. O. conor 15-5-1899.



- 9- F.O. : 424/200. No.: 23 Consul Richards to Sir N. O,conor, 19-2-1900.
- 10- F.O.: 424/200. No: 55 . Sir, N.O,coner to Marguess of Salisbury , 22-5-1900.
- 11- F.O.: 424/200 . No. 55/2 . Consul-General Drummond Hay to N. O,conor, 1900 .
- 12- F.O. : 424/200. No. 55/3 . Consul General Drummond Hay to No. O,conor , 7-5-1900.
- 13- F.O.: 424/222. No. 2 . Mrmarling to Sir. Eduard Grey , 3-1-1910.
- 14- F.O.: 78/374. No. 247 . Form Campbell to Palmerston , 21-3-1833.
- 15- F.O.: 424/37. No. 210. The Marguis of Salisbary to the Earl of Derdy , 13-1-1877.
- 16- F.O.: 424/39. No. 572. Sir., H., Elliot to the Earl of Derby, 20-11-1875.

ثالثاً: الرسائل الجامعية :

- ١٧- رضوان : نبيل عبدالحى : جهود العثمانيون لانقاذ الأندلس واستردادها، رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة أم القرى ، تحت الطبع ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ١٨ - الروقي : عايض خزام : حروب محمد علي في الشام ، وأثرها في الجزيرة العربية ، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى ، لم تنشر ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .
- ١٩ - الوديعاني : خلف دبلان: الإحصاء في القرن الثاني عشر الهجرى ، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى ، لم تنشر ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

رابعاً: المصادر العربية:

٢٠ - القرآن الكريم .

٢١ - آصاف: يوسف . تاريخ سلاطين آل عثمان ، تحقيق بسام عبدالوهاب الحابي ، الطبعة الثالثة ، دمشق ، دار الطباعة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

٢٢ - ابن بشر : عثمان بن عبدالله ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، تحقيق عبدالرحمن عبدالله آل الشيخ ، الطبعة الرابعة ، الرياض ، من مطبوعات دار الملك عبدالعزيز ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م .

٢٣ - بك : محمد فريد . تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق احسان حقى ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار النفائس ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٢٤ - التونسي : خير الدين . أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ، الطبعة الثانية ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٦م .

٢٥ - التونسي : محمد بيرم الخامس ، صفوة الاعتبار بمتسوع الامصار والأقطار ، بيروت ، دار صادر ، طبع بالمطبعة الاعلامية بمصر ، ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٥م .

٢٦ - الجبرتي : عبدالرحمن : تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، بيروت ، دار الجيل .

٢٧ - حليم : ابراهيم بك : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، الطبعة الاولى ، مطبعة عموم الاوقاف ، ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥م .

٢٨ - خانكي : عزيز بك : ترك واثاتورك ، القاهرة ، المطبعة العصرية ، الفحالة .

٢٩ - ابن حنبل : أحمد : مسند الامام ، بيروت . المكتب الاسلامي .

٣٠ - سركيس : سليم : كتاب سر مملكة ، طبع مصر ، ١٨٩٥م .

٣١ - سرهنك : اسماعيل : حقائق الاخبار عن دول البحار ، الطبعة الاولى ، مصر ، طبع بالمطبعة الاميرية ببولااق ، ١٣١٢هـ .

٣٢ - صرى: مصطفى : الأسرار الخفية وراء الغاء الخلافة العثمانية ، تقديم مصطفى حلمي ، الطبعة الأولى ، الاسكندرية ، دار الدعوة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م .

٣٣ - طوسون : عمر : الجيش المصري ، مصر ، المستقبل ، الاسكندرية ، ١٣٥٥ هـ .

- ٣٤ - علي : محمد كرد : خطط الشام ، الطبعة الثانية ، بيروت .
- ٣٥ - بن عيسى : ابراهيم بن صالح : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجسـد الرياض . من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر .
- ٣٦ - بن غنام : حسين : تاريخ نجد ، تحقيق ناصر الدين الأسد ، الطبعة الثانية ، الرياض ، مطابع شركة الصفحات الذهبية ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- ٣٧ - الفاخرى : محمد بن عمر : الأخبار النجدية ، تحقيق عبدالله يوسف الشيل ، الرياض ، من مطبوعات جامعة الامام محمد بن سعود .
- ٣٨ - لبیب : حسين : تاريخ الأتراك العثمانيين ، القاهرة ، مطبعة الواعظ بمصر ١٣٣٥ هـ / ١٩١٧ م .
- ٣٩ - المناوى : محمد المدعو بعبدالرؤوف : فيض القدير شرح الجامع الصغير ، الطبعة الثانية ، لبنان ، دار المعرفة للطباعة ، ١٣٩ هـ / ١٩٧٢ م .

#### خامسا : المراجع العربية :

- ٤٠ - أحمد : ابراهيم خليل : تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ، الموصل ، مغيرة مطبعة الجامعة .
- ٤١ - أنيس : محمد : الدولة العثمانية والشرق العربي ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٨٥ م .
- ٤٢ - أمين : أحمد : زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، بيروت ، الناشـر: دار الكتاب العربي .
- ٤٣ - البحراوى : محمد عبداللطيف : فتح العثمانيين عدن ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار التراث ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

- ٤٤ - البحر اوى : محمد عبداللطيف: حركة الاصلاح العثماني في عصر محمدــــــــــــــــود  
الثاني ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، دار التراث ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- ٤٥ - البطريق : عبدالحميد : التيارات السياسية المعاصرة ، الطبعة الأولى  
بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٤م .
- ٤٦ - آل بوظامي : أحمد بن حجر : الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، الطبعة  
الثالثة ، الرياض ، شركة مطابع الجزيرة ، ١٣٩٣هـ .
- ٤٧ - بيهم : محمد جميل : فلسفة التاريخ العثماني ، الكتاب الثاني ، صدر  
في ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤م .
- ٤٨ - بيهم : محمد جميل : العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب  
بيروت ، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧م .
- ٤٩ - التل : عبدالله : جذور البلاء ، الطبعة الثانية ، بيروت ، المكتبة  
الاسلامية ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م .
- ٥٠ - التونسي : محمد خليفة : الخطر اليهودي ، بروتوكولات صهيون ، القاهرة  
مكتبة دار التراث ، ١٩٥١م .
- ٥١ - جريشة : على محمد وآخرون : أساليب الغزو الفكري للعالم الاسلامي ، دار  
الاعتماد .
- ٥٢ - جمعه : ابراهيم : الأطلس التاريخي للدولة السعودية ، مطبوعات  
دار الملك عبدالعزيز ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢م .
- ٥٣ - جمعه : ابراهيم : جداول تحويل السنين الهجرية الى مايقابلها من  
التواريخ الميلادية . مطبوعات دار الملك عبدالعزيز ،  
١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
- ٥٤ - جمعه : محمد كمال : انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، الرياض ،  
من مطبوعات دار الملك عبدالعزيز ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- ٥٥ - الجندي : عبدالحليم : الامام محمد بن عبدالوهاب ، القاهرة ،  
دار المعارف .

- ٥٦ - الاحسائي : محمد عبدالله بن عبدالمحسن آل عبدالقادر ، الطبعة الاولى ، الرياض ، مطبعة الرياض ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٩ م .
- ٥٧ - الحصري : ساطع : البلاد العربية والدولة العثمانية ، مطبعة الرسالة ، ١٩٥٧ م .
- ٥٨ - حسن: ابراهيم شحاته : أطوار العلاقات المغربية العثمانية ، الاسكندرية الناشر: منشأة المعارف بالاسكندرية ، ١٩٨١ م .
- ٥٩ - حسون : علي ، العثمانيون والروس ، الطبعة الاولى ، بيروت ، المكتب الاسلامي ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- ٦٠ - حسون: علي : تاريخ الدولة العثمانية ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، المكتب الاسلامي ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- ٦١ - حسون: العثمانيون والبلقان ، الطبعة الثانية ، بيروت ، المكتب الاسلامي ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- ٦٢ - حمادة: عابدين : تاريخ الشرق والغرب ، الطبعة الثالثة ، دمشق ، المطبعة الجديدة ، ١٩٥٧ م .
- ٦٣ - الحوالي : سفر عبدالرحمن : العلمانية ، الطبعة الاولى ، مكة المكرمة ، دار مكة للطباعة والنشر ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- ٦٤ - حلاق : حسان علي : موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ، بيروت ، الناشر جامعة بيروت ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
- ٦٥ - حلاق : حسان علي : دور اليهود والقوى في خلع السلطان عبدالحميد عن العرش ، بيروت ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، ١٩٨٢ م .
- ٦٦ - خالدي : مصطفى وفروخ : التبشير والاستعمار ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٣ م .
- ٦٧ - خزعل : حسين خلف : تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الطبعة الاولى ، بيروت ، مطابع دار الكتاب ، ١٩٦٨ م .

- ٦٨ - الخطيب : عبدالكريم : الدعوة الوهابية ، الطبعة الثانية ، جدة ، دار الشروق ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .
- ٦٩ - دحلان : أحمد زيني : الفتوحات الاسلامية ، القاهرة ، الناشر مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م .
- ٧٠ - درويش : مديحه : تاريخ الدولة السعودية حتى الريح الاول من القرن العشرين ، الطبعة الثانية ، جدة ، دار الشروق ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- ٧١ - الدسوقي : محمد كمال : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٦ م .
- ٧٢ - الدسوقي : محمد كمال : تاريخ أوروبا الحديث ، القاهرة ، مطبعة النهضة الجديدة .
- ٧٣ - بن دهيش : عبداللطيف عبدالله : قيام الدولة العثمانية ، الطبعة الاولى ، مكة المكرمة ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م .
- ٧٤ - الرافعي : عبدالرحمن : عمر محمد علي ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- ٧٥ - رجب : عمر الفاروق السيد : دراسات جغرافية المملكة العربية السعودية ، الطبعة الاولى ، جدة ، دار الشروق ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
- ٧٦ - رمضان : مصطفى محمد : العالم الاسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة ، دار الوفاء للطباعة ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م .
- ٧٧ - الرومي : عبدالعزيز زيد وآخرون : أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، القسم الخاص للرسائل الشخصية ، طبع جامعة الامام محمد بن سعود .
- ٧٨ - الريحاني : أمين : تاريخ نجد ، الطبعة الاولى ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٠ م .

- ٧٩ - الرئيس : محمد ضياء الدين: الشرق الأوسط ، الطبعة الثانية، القاهرة ، مكتبة الشباب ، ١٩٦٥م.
- ٨٠ - الروشد : عبدالله بن سعد : الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، القاهرة ، الناشر مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.
- ٨١ - الزركلي : خير الدين: شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- ٨٢ - أبوزهرة : محمد : محاضرات في الحضارة ، الطبعة الرابعة ، الرياض ، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- ٨٣ - زيدان : جرجي : تاريخ الماسونية العام ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٨٤م.
- ٨٤ - زين : زين نور الدين: نشوء القومية العربية ، مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٧٩م.
- ٨٥ - زين: زين نور الدين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولاية دولتي سوريا ولبنان ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار النهار للنشر ، ١٩٧٧م.
- ٨٦ - السبكي : آمال : أوروبا في القرن التاسع عشر ، الطبعة الأولى، جدة ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- ٨٧ - سعيد : أمين: الثورة العربية الكبرى ، بيروت ، دار الكتاب العربي .
- ٨٨ - سعيد : أمين : تاريخ الدولة السعودية ، الرياض ، من مطبوعات دار الملك عبدالعزيز .
- ٨٩ - سعيد: عبدالستار فتح الله : الغزو الفكري ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، دار الوفاء ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ٩٠ - السلطان: محمد عبدالله : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، المطبعة السلفية ومكتباتها ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- ٩١ - سنقر د : داود عبدالعفو: القوى الخفية لليهود العالمية الماسونية —————  
الطبعة الأولى ، عمان ، دار الفرقان ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- ٩٢ - سليمان : أحمد السعيد : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ،  
القاهرة ، الناشر دار المعارف ، ١٩٧٢ م .
- ٩٣ - شاكرو: محمود : التاريخ الاسلامي ، العهد العثماني ، الطبعة الثانية ،  
بيروت ، المكتب الاسلامي ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- ٩٤ - شاكرو: محمود: البحرين ، الطبعة الأولى ، بيروت ، المكتب الاسلامي ،  
١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- ٩٥ - الشناوي : عبدالعزيز محمد : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفتترة  
عليها ، القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٨٠ م .
- ٩٦ - آل الشيخ : عبدالرحمن عبداللطيف : مشاهير علماء نجد و غبرهـــــــــــــــــم ،  
الطبعة الأولى ، الرياض ، دار اليفامة للبحث والترجمة  
والنشر ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .
- ٩٧ - الصغير : محمد حسين : المستشرقون والدراسات القرآنية ، الطبعة  
الأولى ، بيروت ، مج . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر  
والتوزيع ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- ٩٨ - صفوت : محمد مصطفى : فتح القسطنطينية ، الرياض ، منشورات الفاخرية .
- ٩٩ - الصولي : أنيس : أسباب النهضة في القرن التاسع عشر ، حققه وقدم له :  
عبدالله الطباع ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار ابن زيدون ،  
١٤٠٥ هـ : ١٩٨٥ م .
- ١٠٠ - عباس : ابراهيم فؤاد ، الماسونية تحت المجهر ، الطبعة الأولى ،  
جدة ، دار الرشاد ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- ١٠١ - عبدالرحيم : عبدالرحيم عبدالرحمن ، الدولة السعودية الأولى ، الطبعة  
الرابعة ، القاهرة ، الناشر دار الكتاب الجامعي ،  
١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- ١٠٢ - العشيمين : عبدالله الصالح : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، حياته ،  
وفكره ، الرياض ، الناشر دار العلوم ، مطبعة نهضة مصر .



- ١٠٣ - عسه : أحمد : معجزة فوق الرمال ، الطبعة الثانية ، لبنان ، المطابع الأهلية اللبنانية ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م .
- ١٠٤ - عطار : عبدالغفور : محمد بن عبدالوهاب ، الطبعة الثانية ، بيروت منشورات مكتبة العرفان ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
- ١٠٥ - عطا : زبيده : بلاد الترك في العصور الوسطى ، الناشر دار الفكر العربي .
- ١٠٦ - عفيفي : نحيب : المستشرقون ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، دار المعارف .
- ١٠٧ - عنان : محمد : تاريخ الجمعبات السرية والحركات الهدامة في المشرق ، دار البينين للنشر .
- ١٠٨ - علي : أورخان محمد : السلطان عبدالحميد الثاني ، حياته واحداث عهده ، الطبعة الاولى ، الكويت ، دار الوثائق ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .
- ١٠٩ - عليان : محمد عبدالفتاح : أضواء على الاشتراق ، الطبعة الأولى ، الكويت ، الناشر دار النشر للطباعة ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- ١١٠ - عمر : عمر عبدالعزيز : تاريخ المشرق العربي ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- ١١١ - غربال : محمد شفيق : منهاج مفصل لدرون في الحوامل التاريخيه في بناء الأمة العربية على ما هي عليه اليوم ، القاهرة ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربيه ، ١٩٦١م .
- ١١٢ - غربال : محمد شفيق : محمد علي الكبير ، القاهرة ، دار الهلال .
- ١١٣ - الغنام : سليمان محمد : قراءة جديدة لسياسة محمد علي التوسعية ، الطبعة الأولى ، جدة ، منشورات تهامة ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

- ١١٤ - أبوغنيمة : زياد : حواسب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك ، الطبعة الثانية ، عمان ، دار العرفان للنشر والتوزيع ،  
١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ١١٥ - أبوغنيمة : زياد : السلطان المجاهد الفاتح ، فاتح القسطنطينية ، الطبعة الثانية ، عمان ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ،  
١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- ١١٦ - الفاتح : زهدى : لورنس العرب ، الطبعة الاولى ، بيروت ، دار السفانس ،  
١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م .
- ١١٧ - فرج : السيد أحمد : جذور العلمانية ، الطبعة الثالثة ، دار الوفاء ،  
للطباعة والنشر ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م .
- ١١٨ - فهمي : عبدالسلام عبدالعزيز : فتح القسطنطينية ، دار الكاتب العربي ،  
الهيئة العامة للتأليف والنشر ، ١٩٦٩م .
- ١١٩ - القحطان : أحمد وآخرون : امام التوحيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ،  
الطبعة الاولى ، الكويت ، مكتبة السندس ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ١٢٠ - قطب : سيد : المستقبل لهذا الدين ، الطبعة السابعة ، القاهرة ،  
دار الشروق ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ١٢١ - قطب : محمد : واقعنا المعاصر ، الطبعة الرابعة ، جدة ، الناشرون :  
مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ١٢٢ - قطب : محمد علي : يهود الدونمة ، الطبعة الاولى ، بيروت ، دار اسقلم ،  
١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ١٢٣ - كشك : محمد حلال : الغزو الفكرى ، الطبعة الرابعة ، المختار الاسلامي  
للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
- ١٢٤ - كشك : محمد حلال : السعوديون والحل الاسلامي ، الطبعة الثانية ،  
١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- ١٢٥ - كيلاني : اسماعيل : فصل الدين عن الدولة ، الطبعة الاولى ، بيروت ،  
المكتب الاسلامي ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- ١٢٦ - ماضي : محمد عبد الله : النهضة الحديثة في جزيرة العرب الطبعة الثانية ،  
القاهرة ، الناشر دار احياء الكتب العربية عيسى البارلى  
الحلبى وشركاه ، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م .



- ١٣٨ - ملا: محمد قربان نياز: السلطان عبدالحميد الثاني ، الطبعة الاولى ، مكة ، مكتبة المنارة ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- ١٣٩ - نخله : محمد عرابي : تاريخ الاحساء السياسي ، الكويت ، منشورات ذات السلاسل ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
- ١٤٠ - الندوى : أبو الحسن : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، الطبعة الثالثة ، الكويت ، ذا ر القلم ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
- ١٤١ - النعيمي : أحمد نوري : أثر الاقلية اليهودية في سياسة الدول العثمانية تجاه فلسطين ، بغداد ، مطبعة جامعة بغداد ١٩٨٢م .
- ١٤٢ - نعنعي : عبد المجيد : أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٣م .
- ١٤٣ - نوار: عبدالعزيز سليمان : الشعوب الاسلامية ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٧٣م .
- ١٤٤ - نوار: عبدالعزيز سليمان ، وعبد الحميد نعنعي : التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية الى الحرب العالمية الثانية ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
- ١٤٥ - هريدى : محمد عبداللطيف: الحروب العثمانية الفارسية ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، دار السحوة للنشر والتوزيع ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .
- ١٤٦ - وحيدة : صبحي : في أصول المسألة المصرية ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٠م .
- ١٤٧ - وجدى : محمد فريد: دائرة المعارف الاسلامية ، مادة تنظيمات الناشر جهان .

سادس : المصادر الأجنبية المترجمة :

- ١٤٨ - اتلخان : جواد رفعت : أسرار الماسونية ، ترجمة سور الدين رضا  
الواعظ وآخرون . القاهرة ، الناشر مجلة الأزهر ،  
١٩٨٥هـ / ١٩٨٥م .
- ١٤٩ - ارنولد : سيرتوماس . و . أ . : الدعوة الى الاسلام : ترجمة حسن ابراهيم  
وآخرون . الطبعة الثالثة ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية  
١٩٧٠م .
- ١٥٠ - اوزتونا : يلماز : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة : عدنان محمود  
سلميان ، تركيا ، استانبول ، منشورات مؤسسة فيصل  
للتحويل ، ١٩٨٨م .
- ١٥١ - الثاني : السلطان عبدالحميد : مذكراتي السياسية ، الطبعة الثانية ،  
بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- ١٥٢ - مذكرات السلطان عبدالحميد : ترجمة محمد حرب عبدالحميد ، الطبعة  
الاولى ، الكويت ، دار الوثائق ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ١٥٣ - جودت باشا : أحمد : تاريخ جودت : ترجمة عبدالقادر اوندى الدبا ،  
بيروت ، طبع مطبعة جريدة بيروت ، ١٣٠٨هـ .
- ١٥٤ - ستودارد : لوثر ، و . ب . : حاصر العالم الاسلامي ، ترجمة عجاج نوبه  
وتعليق شبيب ارسلان ، الطبعة الرابعة ، بيروت ، دار افكر ،  
للتباعة والنشر ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٣م .
- ١٥٥ - طوران : مصطفى : أسرار الانقلاب العثماني ، ترجمة كمال خوجه ، الطبعة  
الرابعة ، القاهرة ، دار السلام ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- ١٥٦ - المانع : محمد : توحيد المملكة العربية السعودية ، ترجمة الدكتور/  
عبدالله الصالح العثيمين ، الطبعة الاولى ، الدمام ، طبع  
في شركة مطابع المطوع ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- ١٥٧ - مذكرات مدحت باشا : تعريب يوسف كمال بك حتاتة ، الطبعة الاولى  
القاهرة ، مطبعة هندية سمير ، ١٣٣١هـ / ١٩١٢م .

سابعاً: المراجع الأجنبية المترجمة :

- ١٥٨ - انطونيوس : جورج : يقطعة العرب ، تعريب علي حيدر ، دمشق ، مطبعة ———  
الترقي ، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م .
- ١٥٩ - بروكلمان : كارل : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبه فارس ومبـــــــــــــــــر  
البلبكي ، الطبعة السادسة ، بيروت ، دارالملايين ، ١٩٧٤م .
- ١٦٠ - بوكاي موريس : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثــــــــــــــــة ،  
الطبعة الرابعة ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧م .
- ١٦١ - تونبي : ارنولد : تاريخ الشريعة ، نقله الى العربية نعولا زــــــــــــــــادة ،  
بيروت ، الاهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٢م .
- ١٦٢ - جب : هاملتون : المجتمع الاسلامي والغرب ، ترجمة أحمد عبدالرحيمــــــــــــــــم  
مصطفى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٩م .
- ١٦٣ - جرانت : أ.ج : وهارولد تدمرلي : أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ،  
١٧٨٩م - ١٩٥٠م ، ترجمة بهاء فهمي ، مراجعة الدكتور أحمد عـــــــــزت  
عبدالكريم ، القاهرة ، الناشر مؤسسه العرب ، ١٩٨٥م .
- ١٦٤ - لو فرجيه : موريس : دساتير فرنسا : ترجمة أحمد حسيب عباس ، القاهــــــــــــــــرة ،  
الناشر : مكتبة الاداب ، المطبعة النموذجية ، الحلمية الحدســـــــــة .
- ١٦٥ - رامزور : ارنست . أ. : تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨م ، بيروــــــــــــــــت ، سوـــــــــــــــــورك ،  
نشر مع فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر ، ١٩٦٠م .
- ١٦٦ - شاتليه : أ.ل . : الفارة على العالم الاسلامي ، ترجمة محب الحطب ومساــــــــــــــــد  
الباقي ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- ١٦٧ - شيني .ل.ج : تاريخ العالم اعربي ، ترجمة مجد الدين حنفي صاــــــــــــــــف ، القاهــــــــــــــــرة ،  
الناشر دار النهضة العربية .
- ١٦٨ - لوتسكي : تاريخ الأقطار العرســــــــــــــــة ، ترجمة عفيفه البستاني ، موســـــــــــــــــو ،  
دار التقدم .
- ١٦٩ - لويس : برنارد : استنبول ، تعريب سيد رضوان علي ، الطبعــــــــــــــــة الثاــــــــــــــــنية ،  
جدة ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

- ١٧٠ - لويس : برنارد : الغرب والشرق الاوسط ، تعريف الدكتور نيل صبحي ،  
الطبعة الاولى ، القاهرة ، المختار الاسلامي للطباعة والنشر ،  
١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- ١٧١ - عز الدين : نجلاء : العالم الغربي ، ترجمة محمد عوض ابراهيم وآخرون ،  
الطبعة الثانية ، القاهرة ، الناشر دار احباء الكتب ،  
العربية ، ١٩٦٢م .
- ١٧٢ - وتلن : الما : عبد الحميد ظل الله على الارض : ترجمة راسم افندي ، القاهرة  
١٩٥٠م .
- ١٧٣ - ولز : هـ . ج . : معالم تاريخ الانسانية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويـسـد ،  
الطبعة الثالثة - القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة  
والنشر ١٩٦٧م .
- ١٧٤ - هازارد : هاري وآخرون : اطلس التاريخ الاسلامي ، ترجمة ابراهيم  
زكي خورشيد - القاهرة - مطبعة برنستون ومكتبة النهضة  
المصرية ، ١٩٥٤م .

#### ثامنا : المصادر التركيبية :

##### أ - باللغة العثمانية :

- ١٧٥ - باشا : كامل : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية ، تأسس دولت عليه دس  
جنتمگان سلطان عبدالمحيد خانك او اخر سلطنته قدر كذرا  
ايلت زمانه عاشددر .  
مطبعة احمد احسان ، ١٣٢٨هـ .
- ١٧٦ - راسم : أحمد : رسمي وخريطة لي عثمانلي تاريخي . برنحي طبــــــــــــــــع ،  
استانبول ، وناشرى اقبال كتبخانسي ، صاحبي حسبي ، شمس  
مطبعة سي ، ١٣٢٨هـ .
- ١٧٧ - لهارد : أ . د . انكه : تركيا وتنظيمات دولت عثمانية نك تاريخ اصلاحاني  
١٨٢٦ - ١٨٨٢ مترجمي : على رشاد . طابع وناشرى  
صاحبي الياس . استنبول ١٣٢٨هـ .

- 78 - CEVAT: ALI : İkinci Mesrutiyetin ilanı ve otuzbir mart Hadisesi Abolu ehamid in son mabeyn Baskatibi Alı cevât bby'ın Fezlekasi Yayına hazi, Layay: Faikresit Turic Taria Kurumu Basimevi, Ankara, 1985.
- 9 - Develliogla : Ferit: Osmanlıca Türkçe Ansiklopedik lugalat. • (استاذة)
- 80 SHAW : Stanford. J.: Ezolkural shaw. Osmanlı İmparatorluğu ve modern Türkiye Stunkesi : Mehmet Har manci e yeyiular, I baskı, İstanbul.1983.

تاسعا: المصادر والمراجع باللغة الانجليزية:

- 181 - Davison : Roderic. H.: Turkey ,A Short History, The Eother Press, Walkington, Beverley , England , 1981.
- 182 - Davis : Willam Stearns : A Short History of the Near East .
- 183 - Inalcin : Halil : The Ottoman Empire. Weiben Fel and Nicolsor, London.
- 184 Morely: John: The Life of Willim Ewart Glad stone. Vol.1. 1809-859, London , 1903.
- 185 - Maxwell: Robert, Pergamon Worldatlas, Oxford , 1968.
- 36 Parry: V.J.: A History of The Ottoman Empire, Cambridge University Press, Cambridge , London, New Yourk, Mel Bourne.



عاشرا : الدوريات والمجلات العلمية :

- ١٨٧ - البحراوى : محمد عبداللطيف : التاريخ المعاصر وعلاقته العضوية  
بالأزمنة ، مجلة دار الملك عبدالعزيز ، العدد الثاني ،  
السنة الحادية عشرة ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- ١٨٨ - البحراوى : محمد عبداللطيف : من خصائص تاريخ العثمانيين  
وحضارتهم ، مجلة دار الملك عبدالعزيز ، العدد الرابع ،  
السنة الثالثة عشر ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- ١٨٩ - الحقيلى : عبدالله : الدعوة الإصلاحية في مواجهة التحديات ، مقال منشور  
في الكتاب السنوى الثالث ، طبع الوثائق التاريخية بدولة  
البحرين ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- ١٩٠ - الدسوقي : محمد كمال : أهمية الحجاز في مطلع العصور الحديثة ، مجلة  
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، العدد الثاني ، السنة  
الثانية ١٣٩٦ هـ / ١٣٩٧ هـ .
- ١٩١ - الدسوقي : محمد كمال : العثمانيون وقراصة رودس ، مجلة البحث العلمى ،  
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة ، العدد الثاني ،  
١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
- ١٩٢ - ابن دهيش : عبداللطيف عبدالله : أحوال شبه الجزيرة العربية قبل قيام الدولة  
السعودية الأولى ، مجلة العرب ، تصدر عن دار اليمامة للبحث  
والترجمة والنشر ، الرياض ، ج ١ ، ٢ ، ٣ ، ٢٢ ، رجب / شيعان ١٤٠٧ هـ .
- ١٩٣ - رئيس التحرير : الوثائق تتكلم ، مجلة دار الملك عبدالعزيز ، العدد  
الثاني ، السنة الأولى ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .
- ١٩٤ - المقدسى : روجي بك الخالدى : الانقلاب العثماني ، مجلة الهلال ، القاهرة ،  
الجزء الثاني ، السنة السابعة عشر ، ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م .
- ١٩٥ - نورس : علاء موسى كاظم : مسئولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية ،  
المجلة التاريخية المغربية ، السنة التاسعة ، العدد ٢٥ ، ٢٦ ،  
١٩٨٢ م .
- ١٩٦ - هيئة التحرير : تاريخ الجند العثماني ، مجلة الهلال ، القاهرة ، الجزء  
الثامن ، السنة السابعة عشر ، ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٩ م .

- ١٩٧ - هيئة الاخبار: الرجل المريض دعاية يهودية ، مجلة التضامن الاسلامي ،  
السنة الرابعة والاربعون ، الجزء السادس ، ذى الحجة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .
- ١٩٨ - هيئة التحرير : سليمان الكبير ، مجلة الهلال ، القاهرة ، الجسر  
الثاني من السنة الاولى ، ١٣١٠ هـ / ١٨٩٢ م .
- ١٩٩ - هيئة التحرير : عبدالحميد الثاني في أول شبابه قبل توليه الملك ،  
القاهرة ، مجلة الهلال ، الجزء التاسع ، السنة السابعة  
عشر ، ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م .
- ٢٠٠ - هيئة التحرير: مجلة الدعوة السعودية ، العدد ٥٧٠ ، ٢٥ شوال  
سنة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .

فهرس الموضوعات

المفحة	الموضوع
٩ - ١	تقديم .....
٦٣ - ١١	<u>المقدمة</u> : طبيعة الدولة العثمانية :
٢٦ - ١١	أ - نشأة الدولة .....
٦٣ - ٢٧	ب - الجهاد والفتح ونشر الاسلام .....
١٠٢ - ٦٤	<u>الفصل الأول</u> : الدولة في عصرها الأول :
٧٢ - ٦٥	أ - تطبيق النظم الاسلامية ، فضل الاسلام في قوة الدولة وتماسكها والحصانة الفكرية .....
٧٩ - ٧٣	ب - الانكشارية والتربية الاسلامية .....
١٠٢ - ٨٠	ج - انتشار الاسلام في أوروبا في عصر عظمة الدولة : فتح القسطنطينية وتهديد روما .....
١٨٩ - ١٠٣	<u>الفصل الثاني</u> : الدولة العثمانية في عصرها الثاني :
١٢٦ - ١٠٣	أ - اتساع الدولة وكثرة مشكلاتها .....
١٤١ - ١٢٧	ب - الخلل : السلاطين - العلماء - الانكشارية - التوقف والركود .....
١٨٩ - ١٤٧	ج - الخطة الجديدة للعالم النصراني نحو الدولة : فشل الحلول العسكرية . الغزو الفكرى . سياسة الرجل المريض
٢٥١ - ١٩٠	<u>الفصل الثالث</u> : عوامل الغزو الفكرى الأوربي للدولة :
١٩٦ - ١٩١	أ - أثر الموقع الجغرافي .....
٢٠٢ - ١٩٧	ب - تطورات التاريخ الأوربي الحديث : العلمانية والقومية والحركة الدستورية .....
٢١٤ - ٢٠٣	ج - مدى الثورة الفرنسية .....
٢٣٤ - ٢١٥	د - أطماع الدولة الأوربية في ممتلكات الدولة الاسلامية
٢٥١ - ٢٣٥	هـ - أنشطة الماسونية والصهيونية .....

تابع فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الفصل الرابع : مظاهر الغزو الفكري في الدولة العثمانية	٢٥٢ - ٤٠٦
أ - الاستغراب : ( اتجاه الدولة الى الاصلاح العسكري ) .....	٢٥٢ - ٢٧٦
ب - عصر التنظيمات العثمانية .....	٢٧٧ - ٢٢٦
ج - التفريب : مدحت باشا وزملاؤه .....	٢٢٧ - ٢٤٥
د - المشروطة الأولى والثانية .....	٢٤٦ - ٤٠٦
الفصل الخامس : مواجهة الغزو الفكري في الدولة العثمانية	٤٠٧ - ٤٧٠
أ - في تركيا والولايات العثمانية الأخرى .....	٤٠٨ - ٤٢٥
ب - دعوة التوحيد والاصلاح في شبه الجزيرة العربية .....	٤٢٦ - ٤٤٠
١- اهميتها في مواجهة الغزو .....	٤٤١ - ٤٥٣
٢- استمرارها في أدوار السعودية الثلاث .....	٤٥٤ - ٤٥٦
٣- تقديم نموذج للدولة الاسلامية العصرية .....	٤٥٧ - ٤٦٠
٤- صد التدهور عن الجزيرة العربية .....	٤٦١ - ٤٦٣
ج - تأثير حركات الاصلاح في العالم الاسلامي بها .....	٤٦٤ - ٤٧٠
الخاتمة والنتائج .....	٤٧١ - ٤٩٨
الملاحق .....	٤٩٩
المصادر والمراجع .....	٥٠٠ - ٥١٩